الجنرال كارل فون كلاوزفيتز

# الوَجيزُ في الحرَب

ترجمة :
اكرم ديري ـ الهيثم الأيوبي



الجنرال كارل فون كلاوزفيتز

# الوَجيز
# في الحربْ

ترجمة : أكـرم ديـري

الهيثم الايوبي

المؤسسة
العربية
للدراسات
والنشر

المؤسسة العربية
للدراسات والنشر
بناية برج الكارلتون ـ ساقية الجنزير ـ
ت ٨٠٧٩٠٠/١ برقياً «موكيالي»
بيروت ـ ص.ب : ٥٤٦٠/١١ بيروت
تلكس : LE/DIRKAY ـ ٤٠٠٦٧
الطبعة الثانية
١٩٨٨

# تقـديم المعـربين

تتعلق الافكار والعقائد العسكرية بطبيعة العصر الذي تظهر فيه ، وبمدى تطوره ، وبالمرحلة الاجتماعية والاقتصادية التي يجتازها ، والظروف السياسية المحيطة به ، وجو الاجهاد الذي يكتنفه ، وتتأثر أفكار القادة ولا شك ـ بالوسط الاجتماعي الذي انحدروا منه أو تأثروا به في شبابهم أو عاشوا خلاله بعد ذلك . لذا رأينا لزامـا علينا أن نقدم العصر الـذي عاش فيـه الجنرال كارل فون كلاوزفيتز خلال كل مراحل حياته ، والاحداث التي عاصرها واشترك فيها أو شارك في صنعها ، لننتقل بعد ذلك الى تقديم عقيدة هذا المفكر الكبير وأفكاره على أرضية تاريخية واضحة .

في عام ١٧٨٠ كان فريدريك الثاني مازال حيا ، وكانت بروسيا تمجده ، كما مجدته المانيا كلها وأطلقت عليه اسم : فريدريك الاكبر . وكان فريدريك الثاني ، قد أنهى مهمته وجعل من بروسيا دولة واسعة ، بعد ضم منطقة دانزيج وكل سيليزيا ، بين البلطيق والكارابات ، وبين وديان النييمن والفستول وجبال السوديت ، مع امتداداتها البعيدة على الرين . وفي اطار هذه الدولـة كان المجتمع منصرفا بكامله الى خدمة العمل الدبلوماسي والعسكري لمليكه . وكان فريدريك الثاني كمثقف ومفكر ، بحاجة الى جمهور يفهمه ويقدره ويحيط به ويعجب به . وكان هذا الجمهور في بروسيا ، طبقة النبلاء ، الطبقة الوارثة الوحيدة لثقافة أوروبية معينة ، والطبقة الوحيدة القادرة على اكتشاف رجل الفكر والفيلسوف في ملكها فريدريك الثاني .

وهكذا نشأت علاقات من التفاهم تشوبها الصداقة بين هذا الملك وبين النبلاء . وكانت الارستقراطية لا تدفع الضرائب ، وكان بامكانها أن تأخـذ قروضا بفائدة ٤ر٥٪ ، عندما تجد نفسها مدينة . وكانت الدولة تحافظ على

أملاك النبلاء ، وتدافع عن سلامة هذه الاملاك ضد المطامع البورجوازية . وكانت سياسة الدولة تؤمن امتداد هذه الاملاك الكبرى ورخاءها . وفي الشرق ، كانت كل امارة تتمتع بميزات متعددة من الاستقلال الذاتي . وكان الملك ينتقي مستشاري البلدية في المقاطعات ، بعد أن يرشح اليه مجلس نبلاء المقاطعة ثلاثة أسماء . ثم عدل هذا الوضع في يونيه ( حزيران ) ١٧٩٤ ، عندما عرض المستشار كارمر على الملك القانون الذي أعده كوسيجي وصدقه الملك . وابتداء من تصديق هذا القانون ، أضحى من غير المستطاع على أي نبيل من النبلاء الزواج الا من ابنة نبيل آخر ، أو ابنة بورجوازي كبير . وأحكم اخضاع الفلاحين ، وأصبح زواجهم مرهونا بموافقة سادتهم . كما منعوا من تعليم أبنائهم الا بعد العمل كخدم لدى سادتهم . ووضعت جدود معينة في المدن ، بين الموظفين الكبار والعلماء والاغنياء من جهة ، وبين الصناع والعمال وصغار التجار من جهة أخرى .

وقد كانت طبقة النبلاء تقوم بدور خاص في الجيش ، الذي قيل عنه أنه قام قبل قيام الدولة . وكان فريدريك غليوم قد وضع مرسوم الخدمة العسكرية الالزامية في مايو ( مايس ) ١٧٣٣ . وكان على النبلاء الشباب اذن أن يضعوا سيوفهم في خدمة الدولة كفلاحيهم الذين يعملون جنودا تحت أمرتهم . وكان النبلاء يملكون تجاه هؤلاء الجنود السلطة المطلقة ذاتها التي يملكونها في اقطاعياتهم . وكان الجيش البروسي جيشا فريدا تمتزج فيه مزايا الحسب والنسب، مع أحدث تنظيم اداري .

في هذا المجتمع ، ولد كارل فون كلاوزفيتز في يونيه ( حزيران ) ١٧٨٠ . وقد رأى النور لاول مرة في بورغ ، وهي قرية صغيرة قريبة من ماجدبورغ ، في بوميرانيا الغربية ، أي في احدى أقدم ممتلكات سلالة الهوهنزلرن . وكانت عائلته من سيليزيا أصلا وهي عائلة لوثرية ، انحدر منها عدد من الاساتذة وعلماء اللاهوت . وقد اثرت العظمة والهيبة البروسيتان في طفولة كلاوزفيتز وطبعتاها بطابعهما .

وكان والد كارل فون كلاوزفيتز مثلا حيا لكثير من البروسيين الشباب

الذين فرض عليهم القدر أن يضعوا أنفسهم في خدمة الدولة . فقد كان ضابطا لملك بروسيا ، ثم جرح ، فأضحى موظفا يخدم الدولة كمراقب من مراقبي الضرائب . وقد انتسب كارل الى المدرسة الابتدائية في بورغ ، حيث تعلم القراءة والكتابة والحساب وبعض أوليات اللغة اللاتينية ، وبعض الاغاني التي كان من الواجب الترنم بها ايام الآحاد في المعبد ، تمجيدا لأله الكنيسة اللوثرية القوي القادر . وفي عام ١٧٩٢ ، كان عمر الفتى كارل ١٢ عاما ، فانتسب الى الجيش . ولم يكن انتسابه الى الجيش مفاجأة له ، فقد سبقه الى الانتماء اليه شقيقاه الاكبر منه . واقتيد كارل فون كلاوزفيتز الى بوتسدام . حيث يعسكر لواء الامير فرديناند ، وهو من أشهر الوية المملكة مجدا وفخارا وشهرة . وكان انتسابه الى هذا اللواء امتيازا يطمح اليه كلاوزفيتز . وقبل كارل كضابط صف حامل للعلم ، وهي أصغر رتبة في ذلك اليوم ــ سوى أنها أكثر الرتب زهوا ومجدا في الجيش البروسي ــ وهكذا ارتدى كارل فون كلاوزفيتز البزة العسكرية وأضحى جنديا من جنود صاحب الجلالة ملك بروسيا . فذهب الى المغامرات الكبرى في حروب الثورة والامبراطورية وهو في سن الاطفال الذين يدخلون اليوم الصف الرابع او الخامس الابتدائي . وقد يستغرب بعضهم في أيامنا هذه انتساب مثل هؤلاء الاطفال النبلاء في سن مبكرة الى الجيش ، واشتراكهم في الحروب ، متناسين ان اوربا شهدت في الحرب العالمية الثانية أطفالا حاربوا وأدوا مهمات خطيرة وصعبة ، ولكنهم لم يؤدوا هذه المهمات في صفوف قطعات نظامية ، بل لصالح الحركات السرية للمقاومة أو لصالح الانصار كما جرى في الاتحاد السوفييتي . الا أن هذا الواجب على أطفال النبلاء كان واجبا الزاميا منذ حكم الملك فريدريك ــ غليوم .

وقد بدأت المغامرة بالنسبة لكلاوزفيتز في ربيع عام ١٧٩٣ . فقد احتاجت الحرب التي أعلنت في ابريل ( نيسان ) من عام ١٧٩٢ وقتا حتي دبت الحرارة فيها في نهاية صيف ذلك العام . وفي ٢٠ من سبتمبر ( ايلول ) كان تبادل نيران المدافع في فالمي ، قد أجبر الدوق فرديناند دوبرانسويغ على التراجع الذي انقلب بعد ذلك الى هزيمة . وكان دوموريز يخشى مخاطر معركة جديدة ، كما كان يأمل فصل بروسيا عن النمسا ، فقام بمفاوضات سرية انتهت بانسحاب

جيوش التحالف الى ما وراء الراين في ٢٣ من اوكتوبر ( تشرين الاول ) . وقد شهدت ضفة رينانيا اليسرى الامراء يفرون فرارا محموما ، وقيام المؤتمرات ، واللجان والنوادي ، حيث كان يلتقي الالمان الميالون الى الثورة . ولكن ليس هناك شيء أصعب من تصدير ثورة برؤوس الحراب . فعندما احتل جيش كوستين كل ضفة الرين اليسرى ومعها مايانس ، كانت جماهير المدن ، والقرى ميالة أول الامر ، لتقويض امتيازات الاقطاعية على الفور ، ثم أضحت حذرة كثيرة الحساسية بعد ذلك نظرا للمصادرات وزيادة الضرائب وسوء تصرفات الجنود . ومنيت الانتخابات التي ارتجلها الفرنسيون بفشل تام . ثم انهار كل شيء عندما اعلنت انجلترا الحرب على فرنسا بعد ٣١ من يناير ( كانون ثاني ) ١٧٩٣ ولم يبق في رينانيا الا موقع فرنسي واحد ، في مايانس ، بقيادة كليبر .

في هذا الوقت ، كان كلاوزفيتز « فتى غضا » ، كما وصف نفسه بعد ذلك . وكان يتبع المسيرات والمسيرات المعاكسة للواء الامير فرديناند . فشهد طيلة الصيف وخريف عام ١٧٩٣ وحتى ربيع عام ١٧٩٤ ، المعارك الغامضة التي تتكون من حركات لاتشبه اشتباكات الحلفاء في شرق فرنسا ، وكان كلاوزفيتز ، في هذا العصر ، رغم نشوته يحاول اكتشاف آفاق جديدة . وتدل الذكريات ، التي نقشت في ذاكرته في تلك الفترة ، الى أي مدى كان هذا الفتى ابنا لعصره ، ووريثا لتلك الحساسية الاوروبية التي عرفها القرن السابع عشر . ونجد صدى تلك الاحلام التي تعبر عن مطامح جيل ذلك القرن ، فيما كتبه حامل العلم الصغير كارل فون كلاوزفيتز في اعترافاته عن معركة « الفوج » .

**« ليس هناك أهم ولا أجدى من اللحظة التي يخرج فيها الانسان من كتلة من الجبال الوعرة ، ليجد نفسه أمام سهل خصب ، حسن الزرع ويكتشفه ويكتشف غنى ثروته الواسعة . اني لأتذكر مع مزيد من السعادة مثل هذا المنظر الذي لاح لي ، عندما ترك الجيش البروسي في عام ١٧٩٣ جبال الفوج . لقد قضينا ستة اشهر في هذه الجبال الكثيرة الغابات ، الوعرة والفقيرة .. وأخيرا وبعد مسيرة متعبة منهكة ، وجدنا أنفسنا فجأة على السلسلة الاخيرة من الجبل وامتد أمامنا وتحت ناظرينا وادي الرين الجميل من لاندو الى وورمس . في**

هذه اللحظة ، بدا لي ان الحياة ، التي كانت حتى هذا الوقت حياة جدية وقاتمة، قد اضحت جميلة ، وانتقلت من الدموع الى الابتسامات . وغالبا ما كنت اطمح الى أن أعيش مرة اخرى مثل هذه اللحظة، ولم يكن ينقصها مثل هذا المنظر فحسب ، بل كان ينقصها أيضا الظروف ذاتها كي تعطي لانطباعاتنا القوة والتجدد ذاتهما )) .

وبين اغسطس ( آب ) واكتوبر ( تشرين الاول ) ١٧٩٤ عادت رينانيا الى أيدي الفرنسيين . وانسحب لواء الامير فرديناند الى وستفاليا . وهناك تلقى كلاوزفيتز رتبة مرشح وهي أصغر رتبة من رتب الضباط . واتخذت وحدته موقعا لها في نوروبين . في هذا المكان بقي كلاوزفيتز حتى عام ١٨٠١ .

لقد فقد القرن العشرون ذكرى حياة الضباط الاوروبيين في القرن الثامن عشر . ان مرحلة التجنيد البشري الهائل ومرحلة المدافن الكبرى في فردان وستالينغراد ، لم تستطيعا الحفاظ على أي أثر من آثار مجتمع عسكري ، مجتمع القرن الثامن عشر ، ذلك المجتمع الارستقراطي والمهني في آن واحد . ففي ذلك الوقت ، كانت الجيوش جيوشا دائمة وقليلة العدد ، ولم تكن هناك منابع لزيادة تعدادها ولتغذيتها . لذا ، كانت قيمة هذه الجيوش تقوم على قيمة قادتها ، بصفاتهم وميزاتهم وعددهم واخلاصهم وولائهم . هكذا خرج الجيش البروسي الى العالم كله ، ليحظى بدهشة العالم واعجابه . لقد ورث فريدريك الثاني هذا الجيش عن أبيه الذي استطاع تكوين أجيال من ضباط لا يبزهم أحد في اختصاصهم .

وكان الجيش في القرن الثامن عشر ، يجذب اليه أفضل الموهوبين والمثقفين . وكانت ندرة المعارك وابتعاد الجيوش ، بعضها عن بعض وبطء التقدم التقني ، تجبر قيادات هذه الجيوش على التأمل والتفكير والدراسة العميقة للاندماج في مجتمع القرن الثامن عشر . وها هو كارل فون كلاوزفيتز بعد أن عاد الى موقع من المواقع البروسية ، يفعل ما يفعله زملاؤه . انه يقرأ ، ويلتهم المبادىء العامة للحرب التي كتبها فريدريك الثاني ونشرها سرا بين ضباطه ، ثم طبعها النمساويون بعد أن استولوا عليها من أحد الجنرالات . ويغرق كارل في دراسة الرياضيات والفلسفة ، متجاوبا مع ميله العميق الى التجريد واستخدام الافكار الفلسفية .

وكان فكره اللامع محط أنظار رؤسائه ، حين كانت تعتبر الثقافة الزاد الاضيل للفكر البروسي ، لا سيما في الجيش البروسي . فقد كان هذا الجيش يستقطب زبدة الشعب . وقد انتبه شارنهورست ، منظم الجيش البروسي فيما بعد ، الى ذكاء كلاوزفيتز ، وسجل اسمه في رأس تصنيف الضباط من رتبته ، في عام ١٨٠٣ ، وقد كتب عنه ما يلي : « يتمتع بقابلية نادرة لالتقاط التحليلات العامة بصورة صحيحة » . وفجأة أصبح كلاوزفيتز المرافق العسكري للامير أوغوست ابن عم الملك ورقي الى رتبة نقيب .

الا أن ساعة الاختبارات الكبرى لم تكن قد حانت أمام الجيش البروسي. ولم يكن فريدريك الثالث يفكر آنذاك بمجابهة نابليون . في هذه الفترة بدأ كلاوزفيتز يتأمل . ولم تكن تأملاته ودراساته متميزة أبدا عن التطور السياسي والاجتماعي في الحقبة التي كان يعيش فيها . وقد قرأ في تلك الحقبة تاريخ سويسرا ، لجان موللر ، وتاريخ الثورة ، لجـان دوماليه ومؤلفات مونتيسكيو وماكيافيلي . وقد أثر فيه ماكيافيلي أكثر من أي كاتب آخر . ولم يكن ذلك غريبا ، فاننا نجد في كل مفكري مطلع القرن التاسع عشر هذا الاثر الإساسي . ولقد أخطأ كثير من المؤرخين عندما اعتقدوا أن في فكر كلاوزفيتز تماسا مع فكر هيجل ، فقد كان سبب هذا الخطأ هو التأثير المشترك الذي أحدثه ماكيافيلي في هذين الرجلين . ونجد الدليل على ذلك واضحا كل الوضوح في كتاب هيجل Kritik der ver fassung Deutschlands. أما كلاوزفيتز فقـد فسر ذلـك بنفسه قائلا :

**« ليست هناك قراءة أكثر ضرورة من قراءة ماكيافيلي .. ان بعض صفحات هذا الكتاب قد فقدت أهميتها . ولكن صفحات أخرى بقيت تتمتع بحقيقة خالدة . لقد كتب فريدريك الثاني كتابه المعاكس لماكيافيلي ، الا أنـه بقي تلميذا لـه .. »** . ويذكر كلاوزفيتز أيضا هـذه الكلمة التي قالها سيد فلورنسا : « اذا كنت تقوم بعمل ما ، فلا تنجز نصفه فقط » .

ولم يكن هناك شيء يصرفه عن هدف ذكائه المتميز ، وعن ميله للحرب . وفي السنوات التي سبقت النزاع بين بروسيا ونابليون ، كانت هناك مناقشات

حامية بين المدارس العسكرية المختلفة في استخدام المشاة . وفي هذا المجال ، تطورت العقائد العسكرية من « النظام المائل » الذي طبقه فريدريك الثاني الى « النظام المنضم » النابليوني . وكان استخدام الخطوط الاولى للمقاتلين مهما جدا ، لان سلوك القطعات مرتبط بصورة رئيسية في معظم الاوقات بأثر الصدمة الاولى . وكان السؤال المطروح هو : هل ينبغي أن يستخدم الصف الاول والثاني البنادق أم من المفضل ان يخفف حملهما ويزودا برماح تقليدية ؟ تلك كانت أهداف المناقشات في عام ١٨٠٠ . ولكن كيف يمكن تدخل المقاتلين المزودين بالبنادق من خلف هذين الصفين الاولين ؟ هذا هو السؤال الذي طرح في عام ١٨٠٤ ، وهو التاريخ الذي انتسب فيه كلاوزفيتز الى مدرسة الحرب . وقد اتخذ كلاوزفيتز جانب أولئك الذين ينادون بالصف الثالث من رماة البنادق . وبذلك أخذ برأي اولئك الذين كانوا دوما اصدقاءه ، ودعموه في حياته العسكرية ، وهما شارنهورست وجنيسو . ومنذ ذلك الوقت، بدأ كلاوزفيتز في دراسة كل منظري الحرب وكبار القادة في التاريخ ، دراسة نافذة . وفيما بين ١٨٠٣ و ١٨٠٦ ، درس وفسر كل المنظرين العسكريين المشهورين ، من ماكيافيلي الى المارشال دوساكس وشارنهورست ودارسون . وفي عام ١٨٠٥ ، نشر مقالا دحض فيه كل النظريات التي عرضها فون بولو ، والتي لحصت تحت بسم « نظرية أ.ب.ج » A.B.C ، دحضا رائعا .

في هذا العام ، كان عمر كلاوزفيتز خمسة وعشرين عاما . وفي هذا العام وبين جدران القصر الملكي ، وفي جو الاعياد التقليدية لطبقة النبلاء البروسيين ، المختلطة بالمحيط الديبلوماسي الاوروبي ، تعرف كلاوزفيتز على ماري دوبروهل ابنة وزير الساكس . ولاول وهلة ارتبط كلاوزفيتز بماري وارتبطت به بحب غريب عنيف . فقد كانت ماري متأثرة بذكاء كلوزفيتس وعبقريته . الا أن الحرب أجلت زواجهما حتى ١٧ ديسمبر ( كانون أول ) ١٨١٠ . لقد كان ارتباطهما عميقا ومتبادلا ، كما لم يكن يخلو من الرومانسية . وعندما اعلن فريدريك غليوم في ٩ أغسطس ( آب ) ١٨٠٦ التعبئة العامة ، ذهب كلاوزفيتز الى الميدان مع لوائه ، يزين اصبعه خاتم الخطوبة .

وقد كلف الامير اوغوست بقيادة فوج من الرماة ، والى جانبه مرافقه

# مقدمة المترجم

عندما فكرت فى ترجمة مذكرات الجنرال الفيتنامى الفذ ( جياب ) وهذا الاسم الذى اشتهر به بين أعظم العسكريين فى العالم المعاصر، رجعت إلى أوراقى ومقالاتى القديمة عن هوشى منه والحرب الفيتنامية التى نشرت فى الصحف أبحث فيها بحيث أتذكر أحاديث المناضل الذى قاد شعبه الفيتنامى إلى الاستقلال وانتصر على أقوى قوى العالم عسكريا ومنها فرنسا فى عز عنفوانها والولايات المتحدة الأمريكية فى أوج قوتها وغطرستها ، ذلك هو ( هوشى منه ).

وأنا من المعجبين كثيرا بالشعب الفيتنامى ونضالاته الطويلة وانتصاراته الرائعة، ولقد اخترت القليل من تلك المواضيع وهى تمثل أحاديث جرت منذ زمن بعيد ولم تنشر إلا أخيرًا أى منذ أكثر من عشر سنوات بجريدة الناصرية التى كانت تصدر فى لندن أى بعيدا عن أصابع الحكام العرب، وأرى أن هذه المقالات تعيننى على أن أشكّل مدخلا معلوماتيا عن أفكار المناضل هوشى منّه وعن نضال شعبه ونظرته إلى العالم، هذا الرجل البسيط المتواضع الذى كان يجسّد رمز نضال الشعب الفيتنامى لأكثر من نصف قرن من الزمان، ومن المعروف أنه كان لكل أمة عبر كل مراحل التاريخ القديم والحديث والمعاصر أبطال نضالاتها واستقلالها وعزّتها وتقدمها وفيها منصفون يقدّرون البطولات والأمجاد ويتّخذون من ذلك برهانا على عظمة بلادهم، ولم تعدم أمتى العربية رجالا جسّدوا قدرتها على التقدم والتطور وتحقيق المعجزات عبر مراحل تاريخها القديم والحديث فى مجالات العلوم والآداب والثقافة والفنون والعسكرية وإن قد أصيبت بنكسات رهيبة خلال تاريخها المعاصر وبالتالى أصابها

وفي ليلة المعركة ، نكتشف في كلاوزفيتز الصورة التي وضعها الجنرال ديفول بعد مائة وعشرين سنة للرجل الموهوب : « الذي يتملكه العمل تملكيا كاملا » . ولم يكن كلاوزفيتز يفكر في شيء سوى التمتع بالمعركة . لقد كان نقيبا صغير السن ، ومرافقا عسكريا لامير يقود فوجا .. ومع ذلك نراه يكتب بسرعة خطة الهجوم : ان الفرنسيين الذين وصلوا الى « غيرا » سيلتفون على البروسيين من الشمال الشرقي . اذن من الواجب ان نسير الى « السال » ، وان نجتازه وأن نقطع نابليون عن الفرانكنوالد . ويحس كلاوزفيتز بأنه يتحرك باجنحة الحماسة وهو يجري تماسه بالحقائق الاستراتيجية ، التي لم يكن قد عرفها الا من خلال الكتب ، وكأنه مسؤول عن كل الجيش البروسي ؛ فنراه يكتب : « ان الخطط الواسعة هي روح الحرب » .

وكانت هزيمة اورشتادت امام المارشال دافو في اليوم نفسه الذي انهار فيه جيش الملك امام نابليون في « يينا » . وعاش كلاوزفيتز اثناء التراجع مرحلة ماساوية اثرت في فكره العسكري باستمرار فيما بعد . وكان فوجه الذي تقلص الى مائتي جندي ، محصورا في مستنقعات الاوكر . فشكله على مربع ليجابه انقضاضات الخيالة الفرنسية . وفرض الضباط البروسيون على جنودهم عدم اطلاق النار قبل أن تصبح الخيالة الفرنسية على مدى البندقية . وهكذا انهزمت الخيالة الفرنسية ، بعد حصدها بالبنادق وقبل ان تستطيع اقتحام جبهة المشاة البروسيين . واستطاعت المشاة البروسية أن تتجنب الخطأ التقليدي الذي تقع به المشاة عندما تحس بانقضاض الفرسان من بعيد ، فتبدأ بالرمي عليها ، قبل ان يصبح مدى الرمي فعالا ومؤثرا . وبعد الاستسلام البروسي ، كان كلاوزفيتز من اولئك الذين وقفوا كل جهدهم على تحليل الهزيمة . ولقد كتب في هذه الفترة عدة مقالات ، شرح فيها أسباب هذه الهزيمة ، نشر بعضها آنذاك ولم ينشر البعض الآخر الا في عام ١٩٢٥ .

وكان كلاوزفيتز يحس في تلك الفترة بأنبل رد فعل . ومما لا شك فيه أنه كان يعتقد بضرورة متابعة الكفاح من أجل الثأر . كان يفخر بأنه ألماني ويؤمن بفكرة المقاومة مهما كان الثمن ، فهي في نظره الوسيلة الوحيدة لايقاظ الشعور الوطني . وكان يحس بالغضب على الجنرالات البروسيين الذين

كانوا يقودون مواقــع قويــة ، والذين قادهم جمودهم في المحاكمة والتحليل الى الاستسلام بدون قتال . على حين كان يحس بالاحترام والتبجيل لبلوخر المحاصر في لوبيك والذي رفض القاء سلاحه على الرغم من وصول الفرنسيين الى برلين ولجوء فريدريك غليوم الى كونيغسبورغ . **لقد كانت مقاومة يائسة ، الا انها في رأي كلاوزفيتز ، تتضمن آمالا كبارا في الغد القريب ، لانها ستذكي روح المقاومة لدى اولئك الذين سيحملون السلاح في المستقبل . وكان يهاجم بأسلوب ساخر اولئك الذين يقدمون الحجج الواهية لاثبات عقم مقاومة بلوخر وما فيها من جنون في رأيهم ، وهو يبدي احتقاره لهؤلاء .**

وقضى كارل السنوات الخمس التالية في الدراسة والرحلات السياحية مع الامير أوغوست . وقد رافقه الى نانسي وسواسون وباريس . وفي المساء بعد انتهاء المآدب والحفلات ، كان يكتب خطة المعركة التي كانت تبدو له حتمية بين النمسا وفرنسا . الا أن كل هذا لم يخفف من الالم الذي كان يحس به بعد ان أضحى بلده تابعا لنابليون .

كان كلاوزفيتز من أولئك الرجال الذين يشعرون في قرارة أنفسهم بأن مصيرا كبيرا ينتظرهم . ومادام هذا المصير لم يتحدد بعد ولم يتوضح ، فهـم يشعرون بالشيخوخة قبل أوانها ، ويحسون باحساس لا يقاوم بأن حياتهم انتهت قبل أن يعيشوها كما كانوا يريدون . وقد بدا هذا الشعور واضحا لدى كلاوزفيتز في رسائله في تلك الفترة الى خطيبته . كان عمره في ذلك الوقت سبعة وعشرين عاما ، وهي سن يكاد يبدأ فيها الشباب حياتهم العملية . الا ان كلاوزفيتز في هذه السن المبكرة ، رأى ثلاث معارك ، وعاصر انهيار النظـام الاوروبي . لذا كانت رسائله في هذه الفترة الى خطيبته تعبر عن الحزن الذي يحس به ، بعد خبرة خمسة عشر عاما في الجيش . كما كانت مزيجا من اليأس والامل في تحقيق احلامه الجميلة . لكنه سيطر على نفسه ، وقرر ان يقـود مصيرة بنفسه بدلا من أن يسترسل الى الاحلام التي لا جدوى منها . وقرر في رسالة أرسلها الى خطيبته يوم ٢٧ من يونيه ( حزيران ) ١٨٠٧ : « يبدو لي أن الارادة البشرية هي القوة الكبرى على الارض » . ويقرر في هذه الرسالة ان كبرياءه كلها تستيقظ ، كي لا يقتنع بمصيره ولا يبدد طاقته سدى . وفي نهاية

نوفمبر ( تشرين ثاني ) ۱۸۰۷ ، اختار كلاوزفيتز نهائيا ساحة عمله الوحيدة التي وقف نفسه عليها وهي : الحرب واعدادها وقوانينها وقيادتها حتى النصر . ثم التحق بالحاشية الملكية في كونيغسبورغ ، وهناك التقى بشارنهورست . ومنذ ذلك الوقت ، اتحد مصيره بمصير بروسيا . ولا يمكن التقليل من أهمية التبدلات التي هزت المانيا وبروسيا ، لا سيما في تلك الفترة ، من هزيمة يينا الى معركة روسيا . ومنها ظهور شعور جديد في ألمانيا ، هو الشعور القومي . وقد كان فريدريك الثاني يفكر في شخصه ، وفي مجد البيت الذي ينتمي اليه . الا ان شارنهورست ، لم يكن يفكر الا في شعبه وفي مستقبل أمته . ولقد عرّف البارون فون شتاين — الذي استدعاه الملك الى السلطة بعد هزيمة عام ۱۸۰٦ — سبب الهزيمة العميق بأنه : **انعدام التضامن بين الشعب والحكومة انعداما تاما.**

والواقع أن شيئا لم يتغير في بروسيا منذ اصلاحات فريدريك الثاني . فالفلاحون بؤساء على حالهم السابق ، والبورجوازية تنتقض على طبقة النبلاء التي تحتكر كل اطارات الدولة ووظائفها الهامة . وكان فون شتاين مصمما على تحريك : « **الروح الجماعية ... والاخلاص والوفاء للوطن ، والاحساس بالاستقلال والشرف القومي** » . كما كان يسعى الى تدمير روح الجشع والشراهة ، وروح الآلية ، التي هي السمة المميزة في البيروقراطية . وكان من الضروري تعويد الشعب على ادارة شؤونه الخاصة بنفسه واخراجه من حيز الوصاية التي فرضتها عليه ادارة دنيئة وجبانة .

وكانت هذه الاحساسات أيضا أقوى لدى شارنهورست في عدائه ضد الاقطاع وضد امتيازات النبلاء . فقد كان شارنهورست ثوريا في كثير من النواحي . وكان كلاوزفيتز الى جانب معسكر شارنهورست الداعي الى « **التضحية بكل شيء للخروج من الانقاض ، وذلك باعطاء الشعب الشعور باستقلاله الذاتي وتعليمه على معرفة واكتشاف ذاته ، كي يكون واعيا بها ، عندئذ فقط ، يحترم نفسه ويجبر الآخرين على احترامه** » . وكان هذا المعسكر ينادي بضرورة : « **القضاء على الاشكال العتيقة ، وتحطيم كل الاوهام السابقة وتطوير بعث الامة الالمانية بابعاد كل الحواجز عن طريقها** » . وقد تشكلت جمعية سرية ألمانية لاعادة قيام الجيش البروسي ، الا أن شارنهورست

وكلوزفيتس رفضا الانتساب اليها لعدم ايمانهما بالجمعيات السرية .

وفكر بعضهم في اللجوء الى خارج البلاد وخدمة الامم التي ما زالت تحارب نابليون . وعرض ملك انجلترا على شارنهورست استلام مسؤوليات كبرى على رأس الجيش البريطاني ، الا أن شارنهورست رفض ذلك ، لايمانه بأن على الالماني أن يعمل في ألمانيا نفسها . ووقف شارنهورست كل جهوده على اعادة تنظيم الجيش البروسي . فرأس لجنة اعادة التنظيم التي أعطاه رئاستها الملك فريدريك غليوم . وأعيد تنظيم الجيش بعد أن تخلص شارنهورست من كل خصومه المحافظين . وقام بعملية تطهير كبرى بين الضباط والجنرالات البروسيين . وأصبح الشرط الاساسي لانتقاء الضابط حصوله على ثقافة كافية وخضوعه الى فحص معين بعد تدريبه في أحد الالوية وتصديق معظم ضباط اللواء على قبوله ضابطا ، بدون ان يكون لاصله او نبله اثر في هذا الانتقاء . وألغي استخدام المتطوعين الاجانب الذين كانوا يشكلون جزءا هاما من الجيش البروسي . ورفض الملك اقتراحات شارنهورست في تطبيق الخدمة العسكرية الالزامية ، خوفا من نتائجها السياسية والاجتماعية . فقرر في النهاية التمييز بين الجيش والحرس الوطني ( المليشيا ) ، الا ان شارنهورست حصل في أغسطس ( آب ) ١٨٠٨ على الموافقة بأن تسرح كل سرية مشاة أو سرية مدفعية من ثلاثة الى خمسة جنود ، على ان يعودوا الى التدريب على الرمي والمسير والقتال في أيام الآحاد ، ليشكلوا نواة الاحتياط للجيش البروسي . وقد أتاحت هذه الطريقة احتياطا مدربا ، وهيأت البلاد لتطبيق مبدأ الخدمة الالزامية الشاملة فيما بعد . كما طبقت بعض التدابير الاخرى التي تستهدف تغيير المجتمع العسكري البروسي تغييرا شاملا .

وفي سبتمبر ( ايلول ) ١٨٠٨ ، كتب شارنهورست الى كلاوزفيتز ، يكلفه بمهمة جديدة هي افهام الجماهير معنى هذه الاصلاحات وروحها ومحتواها . وفي فبراير ( شباط ) ١٨٠٩ ، ترك خدمة الامير أوغوست وأصبح « سكرتيرا » لشارنهورست . وعلى مقربة من شارنهورست ، شارك في حركة الافكار الكبرى والاصلاحات التي تحاول زعزعة الدعائم التقليدية التي تقوم عليها الاقطاعية البروسية . وكان لسان حال هذه المجموعة الجديدة ما عرضه هاردنبرغ أمام الملك في عام ١٨٠٧ وهو ما يلي :

« ان الثورة الفرنسية التي تمثل الحروب الحالية امتدادا لها ، قد أعطت لفرنسا ، وسط العواصف والمسرحيات الدامية ، دفعا غير متوقع . فقد أيقظت كل القوى التي كانت نائمة ... وقد توهمنا بأن من الممكن مقاومة الثورة ، بالتعلق بشكل اوثق بالتنظيم القديم .. وهكذا عاضدنا الثورة ودعمناها دعما عجيبا ، من حيث لا ندري .. ان قوة هذه المبادىء مدعومة الآن حقا ، وهي منتشرة ومعترف بها اعترافا واسعا ، حتى ان الدولة التي لا تعترف بها ، تجد نفسها مضطرة لتحملها او التعرض للفناء .. لذا ينبغي ان يكون هدفنا ومبدؤنا الموجه القيام بثورة بكل معنى الكلمة ، تحققها حكمة الحكومة بدون ان تنتج عن دفع عنيف من الداخل او من الخارج » .

وقد أصبح هاردنبرغ مستشارا للملك في يونيه ( حزيران ) ١٨١٠ ، بعد أن نفى لفترة من الزمن بأمر من نابليون . وهكذا ، وبرجال من أمثاله ، كشارنهورست وجنيسنو ، وجدت بروسيا الطريق مرة اخرى الى القوة . وأخذ كارل فون كلاوزفيتز في تلك الفترة يصغي الى دروس فيخته ويقرأ مؤلفاته الاساسية . وابتداء من عام ١٨٠٩ ، قام كارل ، بمساعدة شارنهورست، بوضع اسس وزارة الحرب التي أنشئت في ذلك الوقت بناء على نصائحه . الا أن الملك قسم هذه الوزارة بصورة غريبة الى جزئين بدافع من الحذر . فنتج عن ذلك صعوبات كبيرة ، مما اضطر شارنهورست الى ترك الوزارة وتقلد منصب رئيس هيئة الاركان العامة للجيش . ثم أستبدل بالعقيد فون هيك ، بناء على طلب نابليون الذي أمر بأبعاده . الا ان هذا التبديل لم يكن سوى تبديل صوري . ففي ٣٠ يونيه ( حزيران ) ، تم اتفاق سري بين هيك وشارنهورست والمستشار هارد نبرغ وبوين ، بموافقة الملك . وكان هؤلاء الرجال الخمسة الوحيدين في بروسيا ، الذين يعرفون كل التدابير السرية المتخذة لادارة وزارة الحرب . واطلع على هذا السر رجل سادس هو كلاوزفيتز الذي كلف بمهمة تنظيم اتصال دوري بين شارنهورست والوزارة .

ثم عين كارل فون كلاوزفيتز مدربا للامير ولي العهد ، الذي اضحى فيما بعد فريدريك غليوم الرابع . وكانت هذه المناسبة فرصة اتاحت لكلاوزفيتز

كتابة بعض آرائه في الحرب . الا ان كل هذه الاهتمامات لم تكن تحوله عن هدفه الاساسي وهو تحرير ألمانيا بقوة السلاح . وكان يعتبر محاولات الثورة او التمرد اليائسه ضد الامبراطورية ألفرنسية محاولات غير واقعية . ولكنه كان يشعر بميل نحوها . لذا نراه يكتب في ٩ يونيه ( حزيران ) ١٨٠٩ ، بعد اعدام شيل : « ان موت شيل قد أثر في نفسي تأثيرا كبيرا ، كما لو فقدت اعز أخ علي من اخواتي » . كذلك عبر عن حزنه البالغ ، عندما فقد الامل ، بعد معركة فاغرام ، في استمرار المقاومة النمساوية ضد نابليون . وبعد اتفاقية فيينا التي وضعت حدا للحرب بين فرنسا والنمسا ، فكر كلاوزفيتز ان على بروسيا ان تشن حرب التحرير . ووضع خطة المعركة حتى يأخذ موافقة شارنهورست والحكومة البروسية عليها ، الا انه أدرك بعد ذلك ان امكانات نجاحها ضعيفة جدا . وظلت فكرة الحرب ضد نابليون وضرورتها بالنسبة لاوروبا فكرة حية في ذهن كلاوزفيتز . وفي عام ١٨١١ ، كانت بروسيا تقترب من منعطف حاسم . ففي برلين ، كان الجميع يعلمون ان القيصر لا يقبل الخضوع للحصار القاري المفروض عليه ، وان البورجوازية الروسية تدفعه لمقاومة ضغوط نابليون . وطيلة عام ١٨١١ ، كان الكسندر الاول يحاول التفاوض مع فرنسا ، وهو يعد لاختبار القوة ، اذ قد يبدو هذا الاختبار ضروريا فيما بعد عندما يصبح من المتعذر تجنبه . وهكذا اتجه البروسيون الى التحالف الروسي ، لأنهم كانوا يعدون لمعركة الثأر منذ عام ١٨٠٦ . وهكذا كان شارنهورست وجنيسنو يعبران عن ضرورة الالتقاء والتوحيد مع روسيا . وكان كارل منكبا على توقع شكل المعركة المقبلة . لقد كان يعرف ان الجيش الفرنسي سيكون اقوى من خصومه في بدء المعركة . لذا لا بد من اضعافه بتطويل خطوط مواصلاته ، وارسال قوات لتعمل على مؤخراته وتشتيت جهوده في عدة معارك متفرقة . وكان كلاوزفيتز يأمل ان يضطر الجيش الفرنسي الى خوض حرب جديدة في بروسيا كالحرب في اسبانيا . وبعد ذلك ، يشن الجيش الجرماني ـ الروسي ، مدعوما بتجنيد الاحتياط ، المعركة ، في الوقت والمكان اللذين يختارهما ضد قطعات نابليون التي ضعفت .

وهكذا وضع كلاوزفيتز في عام ١٩١١ خطة الحرب وصب فيها كل مفهوم الحرب الدفاعية ، وتفوق الحرب الدفاعية على الشكل الهجومي ، هذا الشكل الذي طوره فيما بعد وحدده في كتابه « في الحرب » . وفي شهر اوكتوبر ( تشرين اول ) ، سافر شارنهورست سرا الى روسيا للقيام بمفاوضات اولية لحلف عسكري عند احتمال حرب ضد فرنسا . الا ان المفاوضات لم تنجح ، واشترط القيصر عدم اجتياز نهر الاودر . وفي حالة السلم اشترط اقامة دولة بولونية تحت الانتداب الروسي . وبهذا الشكل ، لن تستطيع بروسيا ان تستعيد الاراضي التي حرمها منها نابليون في الشرق لحساب دوقية فارصوفيا الكبرى . واستفاد من هذا الفشل دعاة الاتفاق المؤقت مع فرنسا . فاقتنع الملك واتفق مع فرنسا في فبراير ( شباط ) ١٨١٢ . وبموجب هذا الاتفاق تساعد بروسيا نابليون بدعم بعض القلاع لحماية مواصلاته ، وتقدم له المؤن الضرورية لجيشه ، وتقدم له عشرين الف جندي ينضمون الى جيشه الكبير .

وفي فبراير ( شباط ) نفسه ، كتب كلاوزفيتز ثلاثة تصريحات اولها دعوة الى التمسك بالشرف الالماني الذي يمنع عقد أي تحالف مع فرنسا ومساعدتها في السيطرة على اوروبا . ويعدد التصريح الثاني نتائج الحصار القاري ويتنبأ بفشله . اما التصريح الثالث ، فقد عرض كلاوزفيتز فيه القوى المتقابلة ، وكشف نقاط ضعف الامبراطورية الفرنسية مستندا الى سوابق حرب الفاندي والحرب الاسبانية ، واقترح الحرب الدفاعية التي تخيلها في دراساته في العام السابق كما وضع نظريتها فيما بعد . وهكذا اتخذ كلاوزفيتز جانب التحالف مع روسيا في الوقت الذي مالت فيه الحكومة البروسية الى جانب التحالف الفرنسي . ولقد تسبب هذا التناقض في قلب حياته راسا على عقب .

وفي هذه الفترة من تاريخه ، تنطبع كتاباته بطابع من الرومانسية الحربية . ولقد انهى فيهاكتابه عن المبادىء الاساسية لفن الحرب ، وهي الدروس التي اعطاها لولي العهد الملكي . وهو يدعو في بعض نصوص هذه الدروس الى الاعتياد على فكرة الانكسار بشرف ويتوجه الى ولي العهد

قائلاً : « أن هناك شعورا عظيما يحرك قائد الجيش ، فالطموح هو الـذي كان يحرك يوليوس قيصر ، اما هاني بعل فكانت تحركـه كراهيته لعاطفة الحب . واما فريدريك الكبـير ، فكان محركه تصميمه العظيم بـأن ينهزم بشـرف وعـزة » .

« افتح قلبك ، ياسيدي لمثل هذا الشعور . كـن شجاعـا وذكيـا في خططك ، كن قويـا وعنيدا ومصمما في التنفيذ ، واذا ساءت الامـور ، صمم على الهـلاك مع الحفاظ على الشرف » .

وبعـد اعلان التحالف بين بروسيا وفرنسا ، استقال عشـرون ضابطا من الجيش البروسي . وبالنسبة لكلاوزفيتز ، اصبحت بروسيا تابعا لفرنسا . واضحى واضحـا لـه أن مصير امته وبلـده أهـم بكثير مـن مصير الاسـرة المالكة وسلالات الامراء . فكـان الواجب يحتم عليه الامتنـاع عن ارتـداء البزة العسكريـة للجيش البروسي القديـم ، هذا الجيش الـذي كبر فيـه وترعرع . وكان امتناعه عن ارتداء البزة العسكرية البروسية يعني الطـلاق مع اعز مؤسسة على قلبه . كما كان يعنـي قبولـه حمـل السـلاح ضـد ابناء وطنه ، لانهم سيجندون في جيش نابليون الكبير طبقا للاتفـاق المعقـود بين فريدريك ونابليون . لقـد كان هـذا الاختيار اختيارا قاسيا ، لانـه يعني الخروج من الاطار الذي طالما تفانى من أجله وعمل فيه بصمت وأمانة .

وبعد اتخاذه هذا القرار ، بقي عدة اسابيع يحس بالحرية ، حرية الرجل الذي منح نفسه اجازة بمحض اختياره وارادتـه . والتحق بشارنهورست الـذي كان يقضي اجازتـه في لينيتز . وفي ١٨ ابريـل ( نيسان ) ١٨١٢ ، تسلم امـرا من ملك بروسيـا بصرفـه من الخدمـة ، مـع شهادة تصـدق على رتبـة عقيد . وفيما بعـد ، ارتدى بـزة الجيش القيصري ، فانفصل عن زملائه من الضباط الذين كان يتهمهم بأنهم ضباط بروسيون اسما ، دون ان يذكرهم مصير المانيا بأكثر الواجبات قداسة وارهاقا .

وفي ٦ من يونيـه ( حزيران ) ١٨١٢ ، وصل الى فيينـا ، حيث ارتدى البـزة الروسية . وكـان القيصر قد وجـه انذارا لفرنسا يتعلق بالحصـار

القاري . وفي ٢٤ من يونيه ( حزيران ) اجتاز الجيش الكبير المؤلف من ٥٣٠٫٠٠٠ جندي النييمن . وكان اتحاد الرين قد زود هذا الجيش بـ ١٠٠٫٠٠٠ جندي ، كما زودته بروسيا بـ ٢٠٫٠٠٠ جندي والنمسا بـ ٣٠٫٠٠٠ ، ودوقية فارصوفيا الكبرى، بأكثر من ٤٠٫٠٠٠ ومن بين كثير من الجنود الذين قيل عنهم انهم فرنسيون ، كان هناك جنود رينانيون وبلجيكيون وهولنديون وايطاليون .

وعين كلاوزفيتز مرافقا عسكريا للجنرال فول . وكان فول من انصار تحسين الدريسا . وكان كلاوزفيتز قد كلف سرا بالحكم على قرار قائده . فنقل الى القيصر رأيا مخالفا كل المخالفة لاختيار فول المتضمن معركة على مقربة من الحدود ، أي على مقربة من قواعد الانطلاق الفرنسية. واعتمد كوتوزوف على تقريره للحصول على أمر عام بالتراجع . وعندئذ عين كلاوزفيتز مساعدا للجنرال باهلن ، ثم مساعدا للجنرال أوفاريف . وحضر معارك فنتبسك وسمولنسك وبورودينو . ثم التحق بسان بطرسبورغ . وقد بحث أمر تعيينه رئيسا لاركان حامية ريجا ، الا أن جهله باللغة الروسية أبعده عن كل قيادة فعلية . ثم التحق بالجنرال وينشتاين ، وتابع الى جانبه اندفاع الجيش الروسي وتقدمه ، ووصل الى ضفاف البيريزينا ، بعد ان توغلت على هذه الضفاف مفرزة من بقايا الجيش الفرنسي .

ثم حان الوقت بعد ذلك ، وتزعزعت الامبراطورية الفرنسية واصبحت ثورة ألمانيا ممكنة . وكان كلاوزفيتز أول من أدرك ذلك . وهذا ما كان يريده ، اذ كان يأمل ان يشارك بنفسه في ثورة بلاده الاصلية بروسيا . وكان أجمل يوم من ايام حياته ذلك اليوم الذي عين فيه ، في مطلع ديسمبر ( كانون ثاني ) ، للاتصال بالجنرال يورك الذي كان يقود المفرزة البروسية في الجيش الفرنسي الكبير . وقد دارت المباحثات بين الجنرال البروسي والضباط الروس . ولم يعلم فريدريك غليوم بهذه المباحثات في بادىء الامر ، لذا فانه عندما اطلع عليها لم يوافق عليها ، اذ لم يكن مؤمنا بعد بهزيمة نابليون . وكان يخشى من الاندفاع والسقوط في معركة مثل

معركـة ينـا . الا ان يورك كـان يرى معركـة روسيا عن كثب ، وكان يفهم ابعادها ونتائجها الحاسمة . وفعل يورك باسم كل الجيش البروسي مافعلـه كلاوزفيتز وحـده . وفي ٣٠ ديسمبر ( كانون ثاني ) وقع يورك مـع الروس اتفاقية توروجن التي كانت تـؤمن لجيوش القيصر حيـاد الجنود البروسيين . وبعـد عدة ايام وصل ستاين من روسيا ومعه الموافقة الكاملة لالكسندر الاول ، ودعى الى التصويت على قانون عسكري كبير في ٧ فبراير ( شباط ) ١٨١٣ ، يقضي بوضع تشكيلات الحرس الوطني والحـرس المحلي ، هـذه التشكيلات التي كانت الاحتيـاط الـذي خرج منـه الجيش البروسي الجديد ، وكـان مقدمة للخدمة العسكرية العامة .

وكان مغزى هذا الاتفاق هو تأكيد عودة بروسيا على حساب نابليون في غد قريب مباشر . أما بالنسبة للمستقبل ، فكان هذا الاتفاق يعني نـواة تحالف جرماني ــ روسي ، عقد مباشرة على مستوى الجيوش ، لا على مستوى الحكومات . ولقد غدا هذا الاتفاق فيما بعد قدوة تحتذى ، كلما طرح موضوع تقارب الماني مع روسيا ، وذلك بالتذكير « بروح توروجن » .

كان دور كلاوزفيتز ، في هذه الاحداث ، عظيما جدا ، فقد توجه ستاين اليـه في شهر يناير ( كانون الاول ) لاعداد القـانون العسكري . واضحـى الحرس الوطني كمـا صممه كلاوزفيتز الاحتيـاط الدائم للجيش البروسي ، فمنه يتزود الجيش باحتياجاته البشرية طبقـا لمطالبه ولتعويض خسائـره . امـا الحرس المحلي ، فكان مخصصا للقتال المحلي ، ويستهدف شل العـدو ، وذلك اما بالقتال على مؤخراته او بانهاكه في معارك لا تنتهي ، يخوضها رجال فوق ارضهم الخاصة ودفاعا عن قراهم .

ثم حان وقت العمـل . وانضم فريدريك غليوم الى معسكر اعـداء نابليون . وفي ٢٨ فبراير ( شباط ) ، وقع معاهدة التحالف مع روسيا فـي برسلاو . وفي ١٧ مارس ( آذار ) أعلن لشعبه قيام الحرب ضد فرنسا متوجها بالنداء الى كافة المواطنين ، شارحا الآلام التي تعرض لها الشعب الالماني خلال سبعة إعوام .. وانشأ جيشا مؤلفا من ٤٠٫٠٠٠ جندي ، ارتفع عدده بعد ذلك

الى ۱۲۰۰۰۰ جندي تحت السلاح . ودعا المثقفون الالمان مواطنيهم للقيام بحرب التحرير . وكان كلاوزفيتز آنذاك يحس بذلك الشعور القومي الذي يشبه الانتفاضة الوطنية .

وكان التفكير بالنسبة له مرادفا للعمل . فبعد هدنة بلاستويتز ، كتب عن حرب ۱۸۱۳ حتى الهدنة ، ثم كتب أشياء أخرى فيما بعد . وكانت مناسبة جديدة له ، ليؤكد أهمية حرب الانصار . وقد اظلمت هذه الفترة بالنسبة اليه بموت شارنهورست . فبعد معركة لوتزن ، التي جرح فيها في ۲ مايو ( مايس ) ، قرر شارنهوست أن دخول النمسا في الحرب ، هو الحل الوحيد الذي يتيح هزيمة نابليون . وقد حصل على الموافقة بايفاده الى فيينا كي يقنع مترنيخ . وأثناء رحلته ، تفاقمت حالة جرحه ومات في براغ ، يوم ۲۲ يونيه ( حزيران ) . اما كلاوزفيتز فقد عاش الحلم ، الذي أعد له وهيأه شارنهورست ، منذ وقت طويل وانهى المعركة كقائد للفيلق الروسي ـ البروسي لفالمودن .

ومع ذلك ، كان كلاوزفيتز بحاجة الى كثير من مساعي الاصدقاء للحصول على قرار باعادته الى صفوف ضباط الجيش البروسي . فقد كان الملك يحقد على الضباط الذين تركوا الجيش البروسي ، ليخدموه بشكل أفضل ، ولكن ببزات أجنبية . وفي ۱۱ ابريل ( نيسان ) ۱۸۱٤ ، تسلم كلاوزفيتز شهادة عقيد في الجيش البروسي . وبهذه الرتبة ، ساهم في معركة ۱۸۱٥ كرئيس لاركان فيلق تريلمان ، ثم كرئيس للاركان في كوبلنس على الرين . وقد استخلص من هذه المعركة انطباعا سيئا عن قادة الحلفاء ، اذ بدوا له قادة متوسطي الكفاءة ضعيفي المناورة . فقد كان تفوقهم العددي كافيا لتأمين نصر لم تساهم فيه العبقرية العسكرية الا بقسط ضئيل . ولم يعد متحمسا كما كان في عام ۱۸۱۳ ، عندما كانت تحركه شعلة الثأر والتحرير . فهو يرى الآن جيوش الحلفاء كما كانت عليه ، جيوشا شرسة ، تقوم بعمليات النهب ، ولا تتفوق على جيوش خصمها ، ولا حتى على الشعب الذي اجتاحت أرضه وبلاده . وعلى النقيض من ذلك ، كان يحس بنوع من الاعجاب بالكبرياء والعزة لدى الفرنسيين ، ويدعو الى عدم نزع سلاح فرنسا ، لان شعبها حمل السلاح

في سبيل القضية ذاتها التي حمل الالمان السلاح من اجلها ؛ ولكن بحماس اكبر وبجراة اقوى .

وانتهى بالنسبة له وقت العمل . وأصبح امامه الوقت الكافي ليضع أفكاره عن الحرب ، هذه الافكار التي بدأ كتابتها منذ أن كان ضابطا صغيرا. ومع ذلك ، كان عمره في ذلك الوقت خمسة وثلاثين عاما ، وهو مازال يحس بقوته وشبابه ، وأهليته لممارسة قيادة فعلية بعد معركة واترلو . ولولا الحذر الذي كان يعلمله به فريدريك غليوم ، لأمل كلاوزفيتز ان يتابع خدمته العسكرية اللامعة كواحد من أكثر الجنرالات شبابا وحيوية وثقافة في الجيش البروسي. ولقد عين كارل مديرا لمدرسة الحرب العامة ، ضد ارادته ، بعد أن رفع الى رتبة جنرال ، ابتداء من عام ١٨١٥ . وقد كان هذا المركز خاليا من أية فائدة فكرية ومن أية مسؤولية حقيقية للقيادة . ولكن كلاوزفيتز مارس فيه تماسا بكل النشاط الفكري للضباط البروسيين. واستطاع ، عن طريق هذه المدرسة، أن يكون على صلة بكل الافكار والمخترعات الاوروبية . ثم سعى جنيسنو لتعيينه في برلين ، في منصب ملائم لانضاج فكره العسكري ، وليتيح له فرصة الاتصالات الضرورية ، ويسمح له بأوقات فراغ ملائمة لمتابعة أعماله .

وفي برلين ، بدأ كلاوزفيتز يحس بالارهاق والتعب اللذين سببتهما خدمته العسكرية ، مع أنه مازال في قمة شبابه . وأحس في جوه الجديد بالعزلة والحزن . لقد كان دوما عدوا للاقطاع والتقاليد الخانقة . وكان يشعر بعدم الارتياح في خضم هذا الوسط العسكري البرليني ؛ فامتنع عن مخالطة موظفي الدولة الكبار .

وهكذا أحاط به كثير من الغموض وجعل منه شخصية غير مفهومة . أو لغزا من الالغاز ، بالنسبة لأولئك الذين كانوا على مقربة منه بصورة مستمرة . وبين عام ١٨١٨ وعام ١٨٣١ ، أي طيلة اثنى عشر عاما من الحياة في برلين ، كان كل نشاطه منصبا على كتابة **في الحرب** وانتهت هذه السنوات بوفاته المبكرة .

لقد قضى كلاوزفيتز عشرين عاما في التأمل والتفكير ، ككاتب وفيلسوف ومؤرخ حتى أخرج كتابه **في الحرب** ، هذا الكتاب الذي جعله من الخالدين ؛

في عصر ظهور القوميات . واليكم ما كتبه معاونه الكابتن ستيمان فون فريد ريسي في هـذا الصدد .

« كان الجنرال . الذي لـم يرزق اولادا ، يعيش بتفاهم كامل وزوجته التي كانت لطيفة ومثقفـة جـداً . وكـان يعمل الـى جانبها منـذ الصباح في المؤلف الذي طلب ألا ينشر الا بعد وفاته . وكان المخطوط يتضمن عددا من الاوراق بخط زوجته التي كان قـد أملى عليها محتواها . وكان هـذا العمل يتوقف للحظة قصيرة في الساعة التاسعة ، حيث يعلن البواب وصول المساعد العسكري . وكانت أعمال مدير المدرسة في الواقع قليلة الاهمية ، ومع ذلـك . كانت تسير يوميا بانتظام .. وهكذا فان العمـل العلمي الـذي كان يقوم بـه الجنرال ، لم يكن يخضع الا لانقطاع بسيط كل صباح . ثم يعاود العمل حتى الظهر .. وابتداء من الظهر ، كان يستقبل او يقوم بزيارات . وكان الجنرال جنيسنو يزوره عدة مرات في الاسبوع ، ويبقى حتى الساعة الثانية . وفي هذه الساعة يتناول طعام الغداء . وغالبا ما كان لدى الجنرال مدعوون ، لم يـكن عددهم يتجاوز ابدا ستة الى ثمانية اشخاص . وكان المدعوون في الاغلب رجالا على مستوى عال من القيمة الفكرية . وكان الجنرال يتكلم ويفسح المجـال في حديثه الفكري لخبثه ولسخرياته . ولقد رأيت أثناء هـذه اللحظات رجـالا استلموا فيما بعد مناصب هامـة ، يستمعون الى الجنرال بإصغاء وانتباه ، وكان يبدو لي انهم اكثر تواضعا بوجوده مما هم عليه عادة . وكان يبرهن عـن لطف وايناس في أحاديثه مع الاشخاص الذين كان يعرفهم ومع من كان يراهـم ظرفـاء . وكانت فترة مـا بعد الظهـيرة مخصصة مـن جـديد للكتابـة ، الا أنه كان يقضي الامسيات عند عائلة الكونت جنيسنو ، أو عند عائلة الكونت كريستيان فون برنستورف ، ونادرا ما كان يقضي الامسيات في القصر أو في محلات عامة . وكان الجنرال يعود مع زوجته بانتظام في الساعة الحادية عشرة . وفي اغسطس ( آب ) ، عند بـدء الاجازات المدرسية ، كان يذهب مـع زوجته الى الجبال البعيـدة في أرمانسدورف الجميلة ، ثم يعودان الى برلين . وكانت السنة تنقضي مشابهة للسنة السابقة » .

ان اهتمام كلاوزفيتز بدراسة الحرب دراسة نظرية ، لم يبعده عن تتبع الاحداث

التي كانت تجري في أيامه . وكانت السنوات التي عاشها منذ واترلو حتى وفاته ، أليمة اذ انها زادت خيبة أمله وغذت حزنه الطبيعي . لقد كان يحس في اعماق نفسه بالقدرة على القيام بأعمال كبرى . فكان « هروبه » من المجتمع نحو الاعمال النظرية يملؤه بالمرارة والحزن . وفي عام ١٨١٩ ، أي بعد معركة واترلو بأربع سنوات ، شارك في المناقشات الدائرة حول اصلاح المؤسسة العسكرية . وفي احدى مقالاته التي لم تنشر الا في عام ١٨٥٨ ، هاجم بحدة أولئك الذين كانوا يشكون من أن الحرس الوطني مدرسة للثورة ، يتعلم فيها الشعب استخدام السلاح . كما أبرز ان الحروب الحالية تجعل مصير الامم مصيرا خطرا ، وأن على الشعوب أن تساهم في المعركة . وقد كان يرى ان معارضي الحرس الوطني هم أفراد طبقة الاقطاعية العسكرية . وقد كتب كلاوزفيتز في هذه الفترة كثيرا من المقالات ؛ وتعرض فيها الى تحليل اسباب الثورة ، وعارض بشدة عودة الاوضاع الى ما كانت عليه في عام ١٧٨٩ . وفي مقالاته أيضا ، قبل المساواة المدنية بين المواطنين ودعا الى حرية التعبير التي بدونها يصبح الفكر نفسه جامدا وخاضعا للسلطة .

وكان طيلة المدة التي عاشها منذ معركة واترلو حتى وفاته ، يحلم بمعركة مع فرنسا ، حتى أنه وضع خطة حرب ضد فرنسا في عام ١٨٢٨ ، وذكر بعض عناصرها في كتابه **في الحرب** . ثم عدل هذه الخطة مرة أخرى ، الا أن الحرب لم تشتعل . وحدثت في تلك الفترة احداث هامة في أوروبا . اذ استقلت بلجيكا وسقطت السلالة الشرعية في فرنسا ، وثارت بولونيا ضد روسيا . وفي ٢٨ اغسطس ( آب ) ، مات صديقه وحاميه جنيسنو . وفي ١٤ نوفمبر ( تشرين ثاني ) ١٨٣١ ، مات هيجل ، وفي ١٦ نوفمبر ، مات كلاوزفيتز في برسلاو ، بعد أن أصيب بالكوليرا . وقد دفن في ميلنار كيرشهوف ( المقبرة العسكرية ) . وتوفيت زوجته بعده بخمسة اعوام .

وقد طبعت زوجته بعد وفاته مؤلفاته ، التي ظهر قسم منها بين ١٨٣٢ و ١٨٣٤ . وتضمنت الطبعة الثانية ، التي ظهرت في عام ١٨٥٣ ، بعض التعديلات والتصحيحات التي أدخلها الكونت فون بروهل . ومن المؤكد أن هذه التصحيحات لم تكن كما أراد لها كلاوفيتز ان تكون . والحقيقة ان الكتابين السابع والثامن

من مؤلفه **في الحرب** ، وفيهما يبحث الهجوم وخطة الحرب ، لم يكونا سوى سلسلة من المذكرات لم ترتبط الارتباط الكامل . ولكن هذه الكتب كانت تتمتع بأهمية كبرى ، رغم أنها طبعت من مسوداتها مباشرة ، كما كانت موضوع مناقشات حادة منذ ذلك اليوم وحتى يومنا هذا .

ان اول مظهر لكتاب **في الحرب** هو مظهر سلبي الى حد ما . فلقد كان هدف كلاوزفيتز الرد على الذين كانوا يعتقدون بأن الحرب ستكون في المستقبل كحروب القرن الثامن عشر التي عرفتها أوروبا في ذلك الوقت . وقد انتفض في وجه المفهوم الذي يغطيه تعبير **فن الحرب** في ذلك الوقت ، والذي كان لا يتعدى اختراع الاسلحة واستخدامها ، وانشاء القلاع والمراكز المحصنة ، وتنظيم الجيش وآلية حركاته . هذا المفهوم الذي كان يبعده عن الابعاد العالمية التي تتخذها الحرب ، وهي الابعاد التي تغطي المعطيات الفكرية للنزاعات .

ونكتشف في فكر كلاوزفيتز مشكلة الارض التي يغارض فيها معارضة كاملة الطرق التقليدية ، ومذهبية المفكرين الرسميين . ويبدو فكر كلاوزفيتز في هذا الموضوع واضحا وحركيا .

ولقد قسم كتابه **في الحرب** الى ثمانية كتب هي طبيعة الحرب ، نظرية الحرب ، الاستراتيجية بصورة عامة ، الاشتباك ، القوات المسلحة ، الدفاع ، الهجوم ، خطة الحرب .

وتحليله لطبيعة الحرب . تحليل غريب واصيل من كل النواحي ، وهو تحليل نهائي الى حد ما . فلم يكتب قبله أي مؤلف عن هذا التداخل الهائل بين السياسة والحرب ، وتبعية الحرب للسياسة . وهو يقول في هذا الصدد :
**« ان الحرب لا تخص ميدان العلوم والفنون ولكنها تخص الوجود الاجتماعي . انها نزاع بين المصالح الكبرى يحله الدم ، وبهذا فقط تختلف عن النزاعات الاخرى »** .

وقد أكد بقوة ان الحرب عبارة عن تطور السياسة المنتقاة من قبل بلد ما ، يقرر اللجوء اليها عندما تعجز السياسة عن تحقيق الهدف الذي وضعه هذا البلد لنفسه . وكل حرب ينبغي ان تأخذ بعين الاعتبار السياسة التي كانت سببا

لها ، كما ينبغي ان تتلاءم قيادتها واداراتها والسياسة التي يفترض انها تخدمها . ومعنى هذا ان السياسة هي التي تحدد ، أساسا ، انشاء خطة الحرب التي تنبع منها ادارة العمليات . ويلح كلاوزفيتز ؛ على أنه لا ينبغي لادارة الحرب في أية لحظة من اللحظات أن تصبح غريبة عن السياسة التي من الواجب أن تتطابق معها . الا أن هذا ينبغي أن لا ينسينا أن ادارة العمليات تبقى مسؤولة من مسؤوليات المجال العسكري ؛ وان أي تدخل للسياسة ، على هذا المستوى ؛ خطيئة حقيقية في المحاكمة والتفكير ، وقد يقود الى نتائج أليمة .

وهو يرى أن على الحكومة أن تحدد خطة الحرب ، كجهاز سياسي أعلى. وعلى القائد العام أن يعطي رأيه كي يكون الحكام على اطلاع بالنتائج العسكرية لقراراتهم ، سوى ان دوره في هذا المستوى يبقى دورا استشاريا . وعلى العكس ، ينبغي الا يشاركه في سلطته احد ، عندما يتعلق الموضوع بتحديد العمليات التي ينبغي الشروع بها ، والخطة التي تدخل هذه العمليات ضمن اطارها . ومن هنا يستنتج أن على القائد العام أن يكون مزودا بثقافة سياسية كافية . وبعد مائة وثلاثين عاما من كتابات كلاوزفيتز ، افتتح ريمون آرون محاضراته الاولى في الاستراتيجية الذرية مستعيرا نفس فكرة كلاوزفيتز فقال:

« انكم تعرفون جميعا كلمة كليمانصو : **ان الحرب تبلغ من الجدية مبلغا لا يجوز معه ان تترك للعسكريين وحدهم.** ولكنكم ربما كنتم تجهلون كلمة اخرى للجنرال ديجول. فقد كتب رئيس الوزراء البريطاني السابق المستر آتلي بمناسبة ظهور مذكرات الجنرال ديجول : ان ديجول كان بالتأكيد رجلا عسكريا كبيرا ، سوى أنه كان سياسيا سيئا . فرد ديجول على ذلك بقوله :

**« ان السياسة مهمة اكثر جدية من ان تترك للسياسيين وحدهم »** .

**ويبدو** أنه لا يوجد بين الفكرتين خلاف أو تناقض . والطريقة الوحيدة للتوفيق بينهما هي اعطاء ثقافة سياسية للضباط ، وعدم ترك رجال السياسة جاهلين بمعطيات الاستراتيجية ، وتطبيقات الفن العسكري . وهذه فكرة صحيحة شاعت مع ظهور فكرة الحرب الشعبية الشاملة والثورة الشاملة التي تعتمد على جعل العسكريين سياسيين وجعل السياسيين مقاتلين ثوريين .

ولكن ما أن تنشب الحرب حتى تصبح السياسة بالضرورة سياسة القوة : فاما أن نجبر الخصم على الخضوع لقانوننا ، أو نكون مضطرين الى الخضوع لقانونه ، وتصبح السياسة التي كنا نتبعها سياسة فاشلة كل الفشل. ولقد كتب كلاوزفيتز بهذا الصدد ما يلي : « ان الحرب عمل من اعمال العنف وليس هناك من حدود للتعبير عن هذا العنف ، فكل خصم من الخصمين يصنع قانون الآخر . ومن هنا ينتج عمل متبادل ، يصعد الامور الى الحدود القصوى » . لذا فان البلد يحكم على نفسه بالهزيمة عندما يمتنع عن استخدام جزء من وسائله ، في الوقت الذي يصمم فيه خصمه على استخدام وسائله كلها .

ويعتبر كلاوزفيتز ، ان نهاية كل عمل حربي هو القتال ؛ الذي يقع الرهان عليه في قلب الحرب نفسها ، لان هدفه وهو الوصول الى تدمير قوة الخصم المسلحة التي وصفها كلاوزفيتز « بأنها حجر المحك لكل عمل حربي » . كذلك ينبغي لنا ان نرى ان الحرب نفسها قد ترتدي اشكالا متعددة لان وسائل ارغام العدو وسائل متعددة ، فمن الغزو ، الى احتلال جزء من أرضه ، الى دعم العمل السياسي دعما مسلحا ، الى التهديد بصدمة حاسمة قد تؤدي بكل شيء . وقد كتب أنه لا يمكن احصاء كل اشكال الحرب ، من « حرب الافناء » الى « حرب الانتظار » التي نقوم فيها « ضد ارادتنا ، تنفيذا لاتفاق تحالفي موقع بالاكراه ، أو غير ثابت » . وهكذا فانه يختم هذا الجزء الرئيسي من كتابه مؤكدا على أن تعريف طبيعة الحرب نفسها يكفي للحكم بالادانة على كل الاشكال المطلقة .

ولقد ألح كلاوزفيتز في مؤلفه على أهمية العوامل الانسانية في سير النزاعات . فالقوى المعنوية تدخل في الصراع في كل لحظة . وتستطيع الهزيمة تحطيمها ، كما يستطيع النصر رفعها ودفعها وزيادة حيويتها ، وبامكان الدفاع أن يستغلها لاستتباب السلام القومي . كما انه تحدث عن أهمية التحلي بالفضائل العسكرية ، والعناد والجراة وقوة التحمل المعنوية وروح الاندفاع ؛ وضرورة تدمير معنويات قادة العدو وجنوده ، قبل تدميرهم ماديا . وتعرض « للفريزة الطبيعية العمياء » التي تدخل في هذا المجال ، في عنف المعارك ، لتعبر

عن موقف شعبي . ويقول كلاوزفيتز : **« لا شيء ينجح في الحرب الا تم التفكير فيه وتصميمه وانضاجه بارادة قوية »** .

ويعلق كلاوزفيتز أهمية كبرى على شخصية القائد وارادته القوية . ففي الحالات التي يفتقر القائد فيها الى المعطيات الموضوعية ، يعتمد على كفاءاته الشخصية . فلكل حرب سماتها الخاصة ، ومن الممكن اعتبارها بحرا مليئا بالصخور والنتوءات المجهولة ، وعلى القائد ان يوجه مركبه في داخلها ، وسط ظلام دامس .

وقد أكد كلاوزفيتز أن على القائد الحربي الحقيقي ، اذا أراد ان يتغلب على خصمه ، ان يفتش بأسرع ما يمكن عن معركة كبرى يحاول فيها تدمير قوى خصمه مرة واحدة . وتعتبر هذه الفكرة اساسية . فاذا لم يفهمها المرء تعذر عليه فهم التطورات التي خصصها كلاوزفيتز للاعمال الدفاعية والهجومية والتي أضحت فيما بعد هدفا لكثير من المناقشات والتفسيرات الخاطئة .

ويؤكد الكاتب على ضرورة المفاجأة لان لها دورا كبيرا . ولا يمكن تحقيق أي تفوق نسبي بدون مفاجأة . فالمفاجأة تشكل اذن الوسيلة للوصول الى التفوق . كما ان القائد العام ينبغي له أن لا يتحول عن هدفه الاساسي الى أهداف ثانوية ، وعليه ان يتجنب توزيع وسائله . ولقد استنتج ، من سير بعض المعارك الهامة التي جرت في زمنه ، نظرية دقيقة جدا عن استخدام الاحتياط الاستراتيجي وهدفه. ففي معركة الموسكوفا مثلا ، التي يطلق عليها الروس اسم معركة بورودينو ، أخر نابليون استخدام حرسه الامبراطوري حتى بقي احتياطا بيده الى نهاية المعركة ، بينما كان استخدامه في الوقت الملائم كفيلا بتحويل الهزيمة الروسية الى مأساة .

وهو يؤكد ان من الضروري ان يخصص كل احتياط استراتيجي لمهمة من المهمات المتوقعة : فنحن لا نشكل قوات احتياطية احتراما « للمبدأ » أي لمبدأ تشكيل احتياط استراتيجي ، فدور الوحدات الاحتياطية الاستراتيجية هو مجابهة المفاجآت التي قد تظهر في المعركة . ولكن ينبغي أن يكون مفهوما انه لا بد من تدخلها في اللحظة والمكان اللذين تختارها القيادة ، أي في

اللحظة والمكان اللذين يكون استخدامها فيهما قادراً على تبديل شروط المعركة ويؤدي الى النصر ، حتى لو بدا ان النصر سيتحقق بدون مشاركة هذه الوحدات ، لان تدخلها سيعطي للقطعات التي يتألف منها هذا الاحتياط الاستراتيجي القوة المعنوية النابعة من النصر . ولان عدم تدخلها يساهم في خلق تمييز خطير داخل القوات المسلحة، اذ يحصل قسم من القوات على تجربة القتال والنصر ، بينما تبقى بقية القوات ، التي لم تشترك ، جاهلة بحقيقة الحرب .

ويتحدث كلاوزفيتز كثيرا عن « نقطة الذروة » في الهجوم والتي يسميها بعض العسكريين العرب « نقطة اكبر تطور » وهي المرحلة التي يصل فيها اندفاع الهجوم الى الاجهاد . وتصل المناورة الاستراتيجية الى أقصى مداها وتغدو قوى الهجوم في الانساق الامامية هشة ضعيفة ، الامر الذي يضطر القائد لاستخدام انساقه الاحتياطية ، ويحصل المدافع على اقصى مردود، اذا احسن تقدير هذه النقطة بالنسبة لعدوه، وقام فيها بهجوم معاكس.

وقد خص كلاوزفيتز التحدث عن الاعمال على « الاجنحة » وعلى عمليات التطويق جزءا كبيرا من كتابه . وهذا ما يدعو اليه اليوم كثير من الكتاب والمفكرين العسكريين ، وهو ما يسمى بالاستراتيجية غير المباشرة القائمة على التثبيت والالتفاف على الاجنحة والمؤخرات ، مع فرق واحد هو تغيير الاسلحة في عصرنا وانقلاب المعركة الى معركة ميكانيكية تتساير السرعة فيها مع الصدمة.

وتعتبر دراسات مولتكه الاستراتيجية استمرارا لعمل كلاوزفيتز وتكملة للنظرية التي شرحها في كتابه ، **في الحرب** . الا ان هناك فرقا واحدا وهو أن مولتكه كان عليه ان يواجه مشكلة جديدة في ادارة الحرب . فقد كان لاختراع السكك الحديدية تأثير على استخدام الجيوش بصورة عامة وعلى تحركات هذه الجيوش وحشدها ، أي بالاختصار ، كان لهذا الاختراع تأثير على تطبيق خطط العمليات . فاستغل خلفاؤه من بعده تعاليمه وتجاوزوها . كما أن مولكته استطاع ان يستنتج آثار ازدياد القوة العددية في جيوش الدول الاوروبية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر . واستطاع ان يميز آثار هذا الازدياد على استخدام الجيوش تكتيكيا وعلى انتشارها بفرض القتال . فكان لا بد

من توريع القوات على خطوط المواصلات اذ من المحالة ان ننقل اكثر من فيلق واحد في اليوم على طريق من الطرق . وتزداد الصعوبة ايضا في تسيير القوات اذا كان عدد الطرق التي يمكن استخدامها قليلا .

وهكذا نرى أن مولتكه يعارض مبدأ حشد القوات قبل المعركة ، وهو المبدأ النابليوني الذي كان مقبولا في أوروبا في ذلك الحين ، ويستعيض عنه بمبدأ جديد هو : حشد القوات في ساحة المعركة . ولكي يجعل هذا المبدأ مقبولا من الجيش البروسي ، لخصه كما يلي « سيروا منفصلين لتقاتلوا مجتمعين » . الا ان مولتكه احتفظ بمفهوم كلاوزفيتز حول التقاء كل الجهود من اجل النتيجة والقرار الحاسمين . وعلى الرغم من ان مولتكه امتنع عن استخدام الوسائل التي ابتدعها نابليون وكلاوزفيتز ، الا انه بقي أكثر وفاء من غيره لفكرهما .

وكانت عبقرية مولتكه تتبدى في ادراكه ان التطويق بالنسبة لجيوش القرن التاسع عشر كف عن كونه عملية تكتيكية ، وأضحى عملية استراتيجية . وقد كتب فيما بعد أنجب تلميذ لمولتكه ولكارل فون كلاوزفيتز ، الكونت فون سليفن مايلي : « لم يكن جنرالات ١٨٦٦ البروسيون قد طبقوا افكار مولتكه ، اذ كانوا يتمسكون بالمبادىء النابليونية التي فهمت بصورة سيئة ، وبتجارب مناورات زمن السلم . . لقد كانت فكرة مولتكه ، القائلة بتدمير العدو ، غريبة على الجنرالات ، فقد كان الواجب ، في نظرهم ، هو جمع جيوشهم . وكانوا متفقين مع مولتكه على هذه النقطة . الا ان مولتكه كان يريد أن يرى العدو في مركز جيوشه المجمعة ، ويترك العدو يجمع قواته في المكان الذي يريده . . لقد كان مولتكه يريد أن يلتف ويحاصر ويدمر » .

وعندما وضع فون شليفن خططه ضد فرنسا وضد روسيا ، كان يستلهم الفكر الكلاوزفيتزي . فقد طبق ، حرفيا وبطريقة منطقية ، نظريات كتاب **في الحرب** عن قوة الاستراتيجية الدفاعية . وهي الاستراتيجية التي تستطيع روسيا تطبيقها في بلادها ، نظرا للاعماق الهائلة التي تتمتع بها . وعن الاخطار التي ينبغي ان يتجنبها جيش يختار الهجوم ، وهي الاستراتيجية التي ينبغي أن تطبقها المانيا بصورة طبيعية ضد فرنسا ، لانها تتمتع منذ البدء

بصوف أولي وأسح . وما من شك في ان الخطة التي تحمل اسمه كانت احسن حل للمشكلة التي تواجهها المانيا ضد فرنسا .

ولكن فون شليفن اخطأ في شيء واحد ، اذ قرأ في الصحافة الانجليزية عام ١٨٩٨ ما جعله يعتقد ان بريطانيا ستبقى سلبية ، اذا ما خرق حياد بلجيكا . وهكذا خالف فون سليفن مبدأ كلاوزفيتز الذي يصف الحرب بأنها **امتداد للسياسة بوسائل أخرى** . فهل كانت الاستراتيجية التي صممها فون شليفن مطابقة للسياسة التي تريدها الحكومة الالمانية ؟

ويبرز تطور الفكر العسكري الفرنسي ، بين عامي ١٨٧١ و ١٩١٤ ، تردد الافكار ترددا هائلا امام دروس العصر الاستراتيجية . فقد حاول معظم الكتاب العسكريين الفرنسيين في هذه الفترة مقارنة نابليون بمولتكه ، كما حاولوا مقارنة التعاليم التي طبقها الامبراطور بتعاليم الجنرالات البروسيين . وكان الهدف من هذه المقارنات التوصل الى تأكيد تفوق نابليون وتجاهل الجهود الالمانية في انشاء نظرية الحرب . وبعد ان ترجم المقدم فاتري كتاب **في الحرب** ، قام النقيب جيلبر بتفسير مهم للاستراتيجية الدفاعية ، كما ادركها وصممها كلاوزفيتز . الا انه لم يستطع التخلص من المناخ الشوفيني الذي كان يسود معظم الاعمال العسكرية ، حتى ان فوش نفسه كان ضحية هذه التفسيرات في عام ١٨٩٥ . وحتى نهاية القرن التاسع عشر ، خضع التعليم الفرنسي لتأثيرمدير مدرسة الحرب ، الجنرال بونال ، هذا الجنرال الذي اعتقد انه اكتشف « سر » الانتصارات النابليونية في استخدام الطليعة العامة استخداما خاصا . وكان لا بد من انتظار حرب جنوب افريقيا ، بين الانجليز والبوير ، ليحدث نوع من الهز للفكر الفرنسي . وقد سجل النقيب جيلبر بحق الميزات الخاصة لهذه الحرب ، واستطاع ان يستنتج منها الاهمية الاساسية للتنسيق بين الاسلحة الثلاثة : المشاة والمدفعية والخيالة ، مبينا في هذه النقطة تعاليم مجدد المدفعية الكبير في فرنسا الجنرال لانجلوا . ثم كتب الجنرال نيجريه عدة مقالات بدون توقيع عن النظريات الالمانية في الالتفاف على الجناح ، والتطويق من الجوانب . وذكر ان العسكريين الالمان يقبلون اعطاء جبهة ١٥ كم لفرقة المشاة ، أثناء التحركات ، تعادل ١٥ كم ، ثم تضييق هذه الجبهة الى ٤ ــ ٥ كيلو

مترات ، عند التماس الاولى بالعـدو . كما كتب أن الالمان تخلوا عن خرق العدو بضربات متتالية ، وان الانجليز تخلوا عن قواعدهم التكتيكية القديمة في جنوب افريقيا ، بسبب استخدام اسلحة الرمي السريع . والخلاصة أنه تنبأ بتفوق النـار الاساسي .

الا ان المدرسة الرسمية، التي كانت تتأثر بالعقيد غراندميزون، رفضت كل هذه التعاليم ودعت الى الهجوم . وحاول جوفر الذي كان رئيسا للاركان العامة في ذلك الوقت ان يقيم نوعا مـن التوازن بين أنصار الهجوم وبـين تعاليم فوش وروفي ودريانت الـذين يؤكدون قيمـة نيران المشاة الالمانية ودور المدفعيـة الثقيلـة .

واستطاع المقدم غروارد، اكثر من اي انسان آخر، ان يستوحي من تعاليم كلاوزفيتز ، فقد اقترح التزام الدفاع في المرحلة الاولية من أي نزاع مقبل بين فرنسا والمانيا ، معتمدا على تعاليم **في الحرب** التي تؤكد أن الدفاع الذي لا يملك التفوق في بـدء المعركـة هو « الشكل الاقوى للحرب » .

وساهم جوريس في كل هـذه المناقشات وابدى خوفه مـن أن تتورط القيادة الفرنسية في هجوم فوري مصطنع ، واصر على ضرورة وجود قوات احتياطية كبيرة ، ووجود قوات نظامية كافية لتشكيل ستارة قوية ، تتم تعبئة القوات الاحتياطية وراءها بكل أمن .

وقبل حرب عام ١٩١٤ ــ ١٩١٨ ، دارت مناقشات حامية حـول دخول بلجيكا ، اذا ما اخترق الالمان حيادها، استمرت ثلاث سنوات، بين الجنرال جوفر والحكومة الفرنسية ومجلس الدفاع الوطني . وفي خلال عدة اجتماعات ، بين جوفر أهمية دخول بلجيكا لصد أي هجوم الماني ضد فرنسا . ونحـن لسنا بصدد تلك المناقشة، فقد كتبها جوفر في مذكراته، الا ان ما يهمنا منها هو تحديد فهم السلطات العسكرية العليا والسلطات السياسية العليا للمفاهيم المتعلقة بالاستراتيجية والسياسة ، كما وصفها كلاوزفيتز . **ان كل خطة للعمليات تسيء الى قواعد السياسة القومية، هي خطة مستبعدة. وعلى الحكومة ان توضع دوما امام كل المضامين العسكرية لسياستها ، وعليها ان تتخذ قرارها بعـد**

معرفتها الكاملة بكل النتائج ، وعلى القيادة العسكريــة بعد ذلك أن تختــار استراتيجيتهــا .

والحقيقة ، ان الحرب العالمية الاولى تركت للاستراتيجيين درسا غامضا ومبهما ، اذ جعلتهم يعتقدون ان استخدام النيران والكثافة العددية معا ، يقود الى استقرار الجبهات ، كما ظهرت لهم ، انه لكي تخرق هذا الثبات ، لا بــد من اختلال ميزان القوى المادية والبشرية . فاختلال هذا الميزان هو الوسيلة الفعالة الوحيدة . لقد كان الدرس الاول درسا مؤقتا ، أما الثاني فكان درسا دائمـا ومستمرا . ولقد كان قادة الجيش الالماني ، وعلى رأسهم فون سيكت تلميذ شليفن ، يعتقدون أن تعاليم كلاوزفيتز لا تزال صالحة ، وأن من الضروري فهمها على ضوء معطيات الحرب الحديثة . واتجهت القيادة الالمانية لتحديد كيفيـة التغلب على ثبات الجبهات وجمودها في خدمة استراتيجية كلاوزفيتزية ، فقادتها دراستها الى ادخــال المحرك كعامل ثوري في التسليح . وكانت في الواقع مضطرة الى ذلك ، ففي حالــة أي نزاع مع فرنسا تعتمد فرنسا على حلفائها ، بينمـا كان على المانيا ان تعتمد على نفسها وعلى وسائلها الخاصة . لذا توجت جهــود رئاسة الاركــان العامة الالمانية بالوصول الى النار والحركة ممثلة بالدبابــة . ثم جاءت القيادة الالمانيــة فجددت الفكرة الكلاوزفيتزية القائلة بحشد كــل الوسائل في نقطة ووقت هما اكثر النقاط والاوقات ملاءمة . واستطاعت قوة هذه العقيدة ان تجــد الحلول ، وقادت الجيش الالماني ، في بــدء الحرب العالميــة الثانية ، الى نجاحات لا مثيل لهــا .

ولا يمكن ان نفهم الانهيــار العسكري الفرنسي في عام ١٩٤٠ ، الا اذا رجعنا الى المعضلة الاساسية للسياسة والإستراتيجية ، التي بحثها كلاوزفيتز بعمق في كتابه ، في **الحـرب** . فمنذ اللحظــة التي شرعت فيهــا المانيــا الهتلريــة بالاستيلاء عــلى أوروبا ، كــان لا بــد من تصميــم استراتيجيــة هجوميــة قادرة على تهديــد قلب الارض الالمانيــة تهــديدا يمنــع هتلــر من احتــلال أوروبا الشرقية والوسطى. ولقد كان هذا الرأي هو راي الجنرال ديجول فعلا، منذ عام ١٩٣٦ .

ان فرنسا ، في عــام ١٩٤٠ ، لــم تختر الاداة العسكرية لسياستها كما

أنها لم تصمم استراتيجية خاصة لتنتصر سياستها . ولكننا لا نستطيع أن نقول ان المانيا الهتلرية حصدت فيما بعد النتائج الاستراتيجية والعسكرية الناجمة عن القرار الذي اتخذته منذ عام ١٩٣٧ وطبقته في عام ١٩٣٩ ، والمتعلق بحرب حاسمة لتحقيق سيطرتها .

لقد استخلص هتلر درسا صحيحا من تجارب عام ١٩١٤ ، اذ فهم أن الحرب على جبهتين ، لا تؤدي الى أي نجاح حقيقي ، اذ تمسكت المانيا بالاستراتيجية التي اقترحها مولتكة بعد عام ١٨٧١ ، وان الاستراتيجية التي اقترحها فون سليفن لا تكون فعالة ، الا اذا استطاعت المانيا حشد معظم قواتها ضد خصمها الرئيسي فرنسا . كما فهم ان عدم نجاح خطة فون سليفن عام ١٩١٤ نجاحا كاملا ، وضع المانيا في وضع حاول فون سليفن جاهدا تجنبه في مخططه ، وهو القتال على جبهتين . وفكر هتلر ان تطبيق فكرة فون شليفن القديمة المبنية على الدفاع في الشرق والهجوم في الغرب ، بحاجة الى حل معضلة المقاومة البولونية . ولم يكن هتلر يشك في ان هذه المقاومة هي التمهيد للهجوم ضد فرنسا . وكان رأيه مصيبا . وهكذا ضمن حياد الاتحاد السوفييتي واتخذ الاحتياطات التي أهملت الحكومة الامبراطورية الألمانية اتخاذها ، عندما قرر اجتياح بلجيكا . ولهذا الفرض ، ضمن هتلر ، الا تتعارض استراتيجيته مع سياسته ، والا تقوده سياسته الى وضع استراتيجي لا يمكن السيطرة عليه وكان على هتلر ان يحل مسألة مزدوجة : وهي أن يجعل من اجتياح بولونيا امرا لا يؤدي الى دخول الاتحاد السوفييتي في الحرب – الامر الذي يضطره للحرب على جبهتين – وهي حرب مستحيلة – ، وان يخلص المانيا من وزن المقاومة البولونية ، لان بقاءها يشكل حاجزا هاما امام تحرك القوات الالمانية في الغرب بشكل حر .

ان هتلر أخطأ في شيء واحد هو انه لم يفهم فكرة كلاوزفيتز عن **« الحد الاقصى للهجوم الاستراتيجي »** أو ما يسميه بعض العسكريين **نقطة أقصى تطور،** وهي « الذروة » التي يصل اليها الهجوم الاستراتيجي ، ثم يتغير بعدها ميزان القوى . فهو لم يفهم انه ، على مستوى عصر الحرب العالمية الثانية ، تقع « نقطة الذروة » ، أو الحد النهائي للهجوم على شاطىء المانش ، واذا لم تتمكن

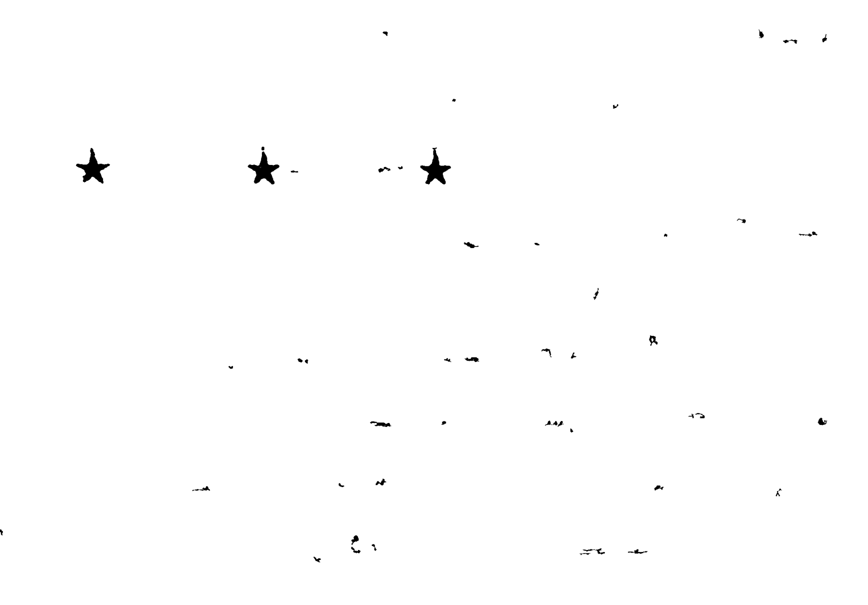
المانيـــا من اجتيازه ، حكمت على نفسهـــا بالدفن في فرنســـا ، ومتابعة الشهر في البلقـــان او افريقيا ، ومضاعفة العمليات الجوية وعمليات الفواصات دون جـــدوى ، مع ترك انجلترا حـــرة لتعاود الهجوم ـــ المعـــاكس ، بمعونة الولايات المتحدة الامريكية عندما تكون المانيا قد خسرت معظم قواتها في الشرق . ولقـــد أكد فون مانشتاين هذه النقطة في كتابه « انتصارات ضائعة » واعتبر القضاء على بريطانيا هدف المانيا الاستراتيجي ، الذي كان تحقيقه كفيلا بالحصول على نتائج حاسمـــة .

لقد كان كتـــاب **في الحـــرب** اسهاما فلسفيا كبيرا لفهم الحرب قدمه كارل فون كلاوزفيتز للاجيال التالية ، فأثر في معظم العقائد العسكرية التي ظهـــرت بعده . ولكن معظم العقائد ونتائج التأثير ، كانت مختلفة باختلاف فهم انصـــار كلاوزفيتز لآرائه وتفسيرهم لها . وكان هذا سببا من أسباب المناقشات الكثيرة التي دارت حوله . ولن نحاول ، في هذه المقدمة ، تلخيص الكتاب او شرح افكاره الهامة ، ففي مقدمة كامي روجرون والمدخل الذي وضعه بيير نافيل ، تفسير كاف لمعظم ما يجب شرحه .

ويعتبر كتـــاب **في الحـــرب** تحليلا عميقـــا لمختلف جوانب ظاهرة الحرب ، هذه الظاهـــرة التي عاصرت المجتمعات منذ نشوئها ، وأثرت على تطورهـــا او انقراضها ، وهو كتاب كلاسيكي ثمين ، حافظت معظـــم افكاره على جدتها ، رغم مـــرور اكثر من مـــائة وخمسة وثلاثـــين عامـــا على تابته . لكن هنالـــك رغم ذلك نقاطـــا زال أوانها ، وتجاوزهـــا التطور العسكري والتقني ، او عدل بعض جوانبهـــا . ولقد وقفنـــا عند هـــذه النقاط بتعليق يقـــارن النظريـــة بالتطبيق في ايامنـــا هـــذه ، مع الاحتفاظ بالنص الفرنسي الاصـــلي احترامـــا منـــا لمبـــدأ الامانة العلمية المطلقـــة ، ورغبة في نقل النص الكامـــل بحـــذافيره بدون تعديـــل . كما اضفنا بعض الهوامش والتعليقات ، عندما رأينـــا ضرورة شـــرح او تفصيـــل النظريـــة او مقارنتهـــا بفـــكرة او نظريـــة جـــديدة ، لا سيما عندمـــا كنـــا نـــرى هـــذه النظريـــة تصطـــدم بواقعنـــا العربـــي ، او الوضـــع العالمي الراهـــن ، او مشـــاكـــل دول العـــالم الثـــالث او تـــلامس بعض جوانبهـــا .

والحقيقة أن معظم ابحـاث الكتاب الاستراتيجية أو المتعلقة بفلسفـة الحرب عامـة ، مقبولـة ومطبقة في عصرنا بكل وقائعها . اما الابحاث التكتيكية واللوجيستية ، فتقـدم للقارىء معلومـات تفيـده في كـل دراسة تاريخيـة لهـذه الموضوعات .

وهكـذا نكون قد أعددنا أوّل ترجمة عربية لهذا المؤلف الرائـع الذي قرأه كبار العسكريين في العالم ، والـذي لا يخلو كتاب عسكري رصين مـن بعض أفكـاره . هذا المؤلف الذي قـال عنـه الجنرال فولر في كتابـه **الحرب الميكانيكيـة :** « ويعتقد بعض المفكرين اليوم ان تأثير هذا الكتاب علـى الجنس البشري كبير . . . يبلغ مستوى تأثير كتاب داروين **« أصل الانواع »** او كتاب ماركس ، **« رأس المـال »** . ونحـن نأمل ان يكـون في عملنا هـذا مشاركة مجدية في اثراء مكتبة العسكريين العرب ، الذين تتعلق انظار امتنا بهم ، وتعتبرهم رأس حربتها الصلب في المعارك المصيرية المقبلة .



★ ★ ★

# تقديم

## بقـــاء كـلاوزفيتز

بقلم : كامي روجـرون

هل ينبغي لنـــا ان ننسج على منوال هتلر ، فننصح الذاهبين الى مسارح المعارك الدائرة في الشرق ، أن يحملوا معهم في حقائبهم كتاب كلاوزفيتز عـــن الحرب ؟ أم ينبغي أن نأخذ برأي ستالين اذ يدعو مواطنيه في الاتحاد السوفييتي « الى ان يقضوا نهائيا على هـــذا الاحترام الذي يكنه العسكريون في العـــالم للمنظرين الالمان ، وهو احترام لا يستحقونه » وبخاصة لكلاوزفيتز ، الـــذي يقول عنـــه ستالين : « من المضحك اليـــوم ان نطالب من كلاوزفيتز اعطاءنـــا الـــدروس . » ... ولو كانت التجربة قادرة على حسم مثل هذه المناقشات لحق لنـــا ان نوافق الصانع رقم واحد لهزيمة المانيا ( ستالين ) ، على ادانـــة عقيدة عسكرية لم تثبت للاختبار خـــلال حربين عالميتين . ولكننا نرى أننـــا ما زلنا نعجب بهاني بعل الذي قهره سيبيون، وما زلنا نستقي الدروس من معارك نابليون ، تماما كما نستقيها من معارك كوتوزوف وبلوخر ووبلينجتون .

لا غرو اذا كان في هذا الكتاب ، الذي وضع في مطلع القرن الماضي ، كثير من الاجزاء التي شاخت وهرمت ، وأننا لن نجـــد فيها الجواب عـــن كل الاسئلة التي تواجـــه الرجل العسكري اليـــوم ، في عصر الدبابة والطائرة والقنابـــل الهيدروجينية . غير ان ما رفـــد به آمبير وأورستدت قوانين الكهرباء ، لا يمكن ان يلقى جانبا ، لان معلوماتنا عن بنية الذرة قد تبدلت. وليس في العالم من ادعى تأليف شيء له صفة الاستمرار والديمومة . كما ان طموح كلاوزفيتز نفيه لم يكن ليتجاوز وضع كتاب لا ينسى بعد سنتين او ثلاث سنوات . واذا كان كلاوزفيتز قد نجح في ذلـــك ، فالحكم للقارىء ، اذ ستتاح الفرص لحكمه في المعـــارك التي قادهـــا اناس من الذين حطوا من شأن هـــذا الكتاب وانـــاس من المعجبـــين بـــه .

ان من أهم ماقدمه كلاوزفيتز للفن العسكري ، والذي لايجاريه فيه أي انسان ، هـــو تحليله الميزات المتبادلـــة للهجوم وللدفـــاع ( الاعمال الهجومية

والاعمال الدفاعية ) ، تحليلا عميقا ، ومفهومه عن « نقطة الذروة » في الهجوم والتي يـرد ذكرها كثيرا في كتابـه .

ولقد كتب كلاوزفيتز : (( **ان شكل الحرب الدفاعي هو بحد ذاته اقوى من الشكل الهجومي** )) ومن المؤكد أنه لم ينف « الهدف الايجابي » في الهجوم ، وهو يتعارض و « الهدف السلبي » للدفاع . ولكنه تنبأ ، على ضوء هذا التمييز ، بأن يسدل ابطال فكرة الهجوم ، من تلاميذه المقبلين ، امثال النقيب جيلبر او الجنرال كاردو ، الستار على اخطاء ( المعلم ) ، مهما كان الثمن . وقد اكد ، في كتاباته اكثر من مـرة على ان النصر ليس اكثر احتمالا في الحـرب الدفاعية فحسب ، بل قد تبلغ هذه ايضا من الاتساع والامتداد كل ما تبلغه الحـرب التعرضيـة ( الهجوميـــة ) .

ان مفهوم « نقطة الذروة » في الاعمال الهجومية التعرضية مرتبط باضعاف الخصم باستمرار ، كلما تقـدم .

ان الثقة التي تبعثهـا الانتصارات في نفس المهاجم ، والتفكك العميـق الذي يتعرض له الخصم من جراء اعمال التعرض الهجومية ، امور لا يجوز التقليل من شأنهـا .

ولكن تقـدم المهاجم يبعده عن قواعـده . ان عليه ان يحتـل الارض المكتسحة ، ويحاصر المواقع القوية ويحرس خطوط مواصلاته . وستستنزف قواته حتى بدون قتال . اما خصمه المنسحب امامه الى مقربة من مستودعاته ، فيسهل تموينـه ، ويعتمد على مواقع معدة ومحصنة ، او تدافـع عنها بعض التحصينات الميدانية ، ويتلقى للدفاع عنها مساعدة شعبه .

وقد كتب كللاوزفيتز : (( **يستخدم المدافع المتراجع كل ماتتيحه له بلاده من الموارد قبل خصمه ، ويستهلكها بصورة عامة . أما المهاجم فلن يجد الا مدنا وقرى فارغة استهلكت مواردها ، وحقولا محصودة ومحروقة ، وينابيع جفت مياهها ، وسواقي مليئة بالوحل .** )) .

ويتابع كلاوزفيتز افكاره ويقول بأن تبدل الموقف يحدث ، في اغلب الاحيان ،

عندما يقطع المهاجم تقدمه لينتقل الى الدفاع ... ويكون المهاجم قد بلغ بدون ان ينتبه ، وتيار الاحداث يدفعه ، حدود التوازن او حدود قوته . وقد يحدث احيانا ان يجد المهاجم ، تدعمه وتشد إزره القوى المعنوية المتلاحمة والهجوم ، على الرغم من الانهاك او الارهاق الذي تعانيه قواته ، ان متابعة الهجوم اسهل عليه من التوقف ، شأنه في ذلك شأن الاحصنة التي تجر الاحمـال والاثقـال صعـدا .

ومـن هذا المفهوم تشتق اكثر طـرق الدفـاع فاعلية ، ذلـك ان كـل الملاحم التي تميزت بالتمهل ، تستهدف اساسا تدمير الخصم بجهوده هـو . وقد وجه هذا المبدأ الضربة الرئيسية في عدد كبير من هذه المعارك ، على الرغم من انه لم يشر اليه بصورة كافية .

وتعتبر الفزوات الثلاث لروسيا ، التي قام بها شارل الثاني عشر ونابليون وهتلر ، أمثلة بارزة على صحة هذا المبدأ ، حتى ينبغي لنا ان نتساءل عن السبب الذي حـدا بالاثنين الاخيرين الى تناسي هذا الدرس الذي استخلص من اخفاق سلفهما ، وان نتساءل كيف استطاع خصومهما ان يترددوا في اختيار الخطـة التي يجب ان تواجه الغزو .

ومع ذلك ، فليس بين أولئك الثلاثة الذين هاجموا روسيا ، من لـم يكن يعتقد ان عبقريته قمينة بتذليل كل الصعوبات والمشاق التي تعترض مثـل هذا المشروع . كيف استطاع شارل الثاني عشر ، ان يتردد في بولتافا ، وهـو الذي انزل انكسارات ساحقة بكل جيش من الجيوش التي كان يجمعها بطرس الاكبر ؟ وعندما دخل نابليون الحرب كان يعلن انه لن يقترف خطأ شارل الثاني عشر . ولم تتردد الدعاية الالمانية ايضا في التأكيد بأن هتلر لن يقع في الخطأ ذاته الذي وقع فيه نابليون . اما اليوم ، وبأعصاب هادئة ، فاننا نرى بكل جلاء ، عدم ادراك هؤلاء القزاة ، ان لم نقل جنونهم . افـلا نستطيع ان نكرز في صيف عـام ١٩٤١ الحكم ذاته الذي اصدره كلاوزفيتز على الرأي العام لـدى معاصريه ، عندما انفصل عن هذا الرأي العام مع تسعة عشر ضابطا فقط ، وتخلوا عن خدمة مليكهم لصالح القيصر ؟ « ان عددا قليلا جدا من الالمان اعتقدوا ان روسيـا

ستكون قادرة على مقاومة القوة الفرنسيية ، رغما عن ان كلاوزفيتز بين لهم سعة روسيا وطبيعتها ، اذ لم يكن باستطاعتهم ان يتقبلوا النتائج التي رايناها في البيريزينا وفي ڤيلنا ، او فكرة عودة نابليون هاربا وتاركا جنوده [١] .

ان لهؤلاء الفاتحين الفزاة عذرا ، على الاقل ، هو ان مشروعهم لا يحتمل حلا غير الذي حاولوا استخدامه . لقد فهم نابليون جيدا ان الفشل النهائي الذي مني به شارل الثاني عشر كان ناجما عن التطبيق المتقطع لجهوده خلال معارك متتابعة . فقد جمع اعظم الجيوش واضخمها في جيش واحد ليحسم هذه المشكلة . أما هتلر الذي قرأ كتاب كلاوزفيتز عن معارك ١٨١٢ ، فانه تجنب على الاقل اللوم الجدي الوحيد الذي وجهه كلاوزفيتز الى قيادة نابليون للفزو وهو اهماله تحصين مواقع قوية ، واقامة مستودعات على طول خطوط مواصلاته ، الامر الذي كان سببا مباشرا في انسحابه وأدى الى وقوع جيشه في كارثة . ففي هذا المجال نجح هتلر نجاحا تاما في اقامة مواقع قنفذية [١] تراجع اليها الجيش الالماني بعد اخفاقه امام موسكو ، ابتداء من ستاريا روسا التي طوقت عدة اشهر . واستطاعت المواقع القنفذية ان تقاوم شتاء ١٩٤١ ـ ١٩٤٢ . ولكن هتلر لم يستطع ان يفعل شيئا ، وكان الحاجز الذي يعوق تقدمه يبدد كل الجهود التي بذلها . ان الحكم الذي اصدره كلاوزفيتز على نابليون ينطبق على شارل الثاني عشر كما ينطبق على هتلر . لقد كتب كلاوزفيتز : « ان هذه المعركة لم تفشل ، لان الامبراطور تقدم بسرعة كبيرة متوغلا الى مسافات بعيدة ، كالاعتقاد الشائع . وليست الامبراطورية الروسية من البلدان التي يمكن

---

(١) ما أوردناه هنا من كتاب كلاوزفيتز عن معارك ١٨١٣ ـ ١٨١٤ اما المقاطع المذكورة الاخرى فهي مستقاة من كتاب « في الحرب » نفسه ( كامي روجرون ) .

(٢) Les hérissons المواقع القنفذية ، ويقصد بها المواقع الدفاعية التي تقاتل في كل الاتجاهات ضد الدبابات والمشاة ومن المفروض ان تكون هذه المواقع دفاعية متحركة ، وقد ارتكب كثير من العسكريين أخطاء في تصميمها ، اذ فهموها على انها دفاعات ثابتة في كل الاتجاهات ، مع ان تسميتها نسبة الى القنفذ ، تدل على انها متحركة لان القنفذ حيوان متحرك ، يقف للدفاع كقلعة محصنة في كل الاتجاهات فترة مؤقتة ثم يتحرك .

( المترجمان )

احتلالها حقا ، أي الاستمرار في احتلالها .. فمعركة ١٨١٢ ، لم تنجح بفضل صمود الحكومة وصمود الشعب واخلاصه لها وثبات جأشه ، أي لانها لا يمكن أن تنجح . ومن المحتمل ان يكون بونابرت قد ارتكب خطيئة كبرى بمهاجمته روسيا ، الا ان نتيجة المعركة قد برهنت على الاقل بأنه أخطأ في حساباته . ولكن علينا ان لا ننسى اننا ، لو قبلنا بضرورة هذا الهجوم، لوجدنا انه لم يكن من الممكن ان يقاد بصورة أخرى لبلوغ هدفه » .

سيحتفظ تقدير كلاوزفيتز بقيمته غدا كما احتفظ بقيمته في الامس ، والذين يريدون « احتلال روسيا احتلالا فعليا » سيتعرضون للفشل ذاته . ولكن لماذا يرتكبون هذه الخطيئة اذا كان تطور التسليح وتقدمه سيتيحان على الاقل « نصف دزينة » [1] من الوسائل لتدميرها بدلا من احتلالها ؟

وان احسن رد فعل ، من وجهة المبادىء العسكرية، هو رد فعل المدافع ، لا رد فعل المهاجم الذي اندفع في معركة لا مصير لها . ومن يحكم على الامور بصورة شاملة عامة ير ان القيادة العامة الروسية تملك من الذكاء ما يتيح لها جر خصمها الى أعماق البلاد والى ما بعد « نقطة الذروة » التي يحددها لهجومه الحذر او بعد النظر ، وان تستفيد الى اقصى ما يمكن من انقلاب ميزان القوى في هذه المناورة . ولكن الدراسة المفصلة للخطط التي طبقت في هذه الغزوات ، ان لم تكن تنفي النتيجة ، فهي على الاقل تنفي ان الروس قصدوا ذلك . ويبدو ايضا انهم لم يفهموا فائدة مناورات التراجع ، رغم ان هذه المناورات تكررت مرارا .

ان خطط بطرس الاكبر ، الذي يجمع في شخصه القيادة العليا والقيادة المباشرة لجيشه ، لا تنم عن أي اهتمام بهذه المناورة التراجعية . فقد كان القيصر يجمع جيوشه ، في كل معركة من المعارك ، ويضعها امام ملك السويد ،

---

(١) يقصد المعلق هنا تدميرها بالقنابل الذرية او الهيدروجينية ، الا ان الحرب الذرية والهيدروجينية اضحت مستحيلة في توازن الرعب الحالي ، اذ حتى لو استطاعت دول الغرب توجيه الضربة الذرية الاولى ، فان مختلف الوسائل السوفييتية الحاملة للقنبلة الذرية أو الهيدروجينية ، في البحر ، او في الجو او في مركبات الفضاء قادرة على الرد بضربة انتقام مروعة . ( المترجمان )

على خط واحد ممتد على جبهة متخندقـة واحدة ، منتظرا انقضاض خصمه المندفع . وكان ملك السويد يخترق هذا الخط الشفاف المواجه لقواته ، دافعا بقطعاته في الثغرة ، مجبرا الجيش الروسي على التقهقر ، متبعـا في تقدمـه طريقـة هتلر ذاتهـا التي استخدمها في الجبهـة الغربيـة ، عندمـا حقـق انتصاراته الرائعة في الحرب الخاطفة [١] .

وكانت النتيجة في كل مرة تدمير المدافع تدميرا يكاد يكون شاملا . وكان الملك يبعث بأسراه الى السويد ، باستثناء الجنرالات ، الذين كان يعيدهم الى القيصر مع تمنياته ، معتبرا ان من الخسارة حرمانه في المعركة المقبلة من قيادة عليا مثابرة ودؤوب مثل هذه القيادة. وفي بولتافا. نقد احد هؤلاء الجنرالات بطرس الاكبر في معاركه وأفهمه ان السبب في انكساراته المتتالية قد يكون ناجما عـن ترتيبه الحربي [٢] ، وان من الممكن استبدال دفاعه الخطي ( الدفاع على خط متصل ) بمبدأ الدفاع في مراكز مقاومة [٣] . وقد قبل هذا الاقتراح ، فتحطـم الانقضاض السويـدي ضـد المعاقل الروسية . وقام بطرس الاكبر بهجـوم معاكس مزق فيـه جيش شارل الثاني عشر . وفي مسـاء المعركة ، جمع بطرس الاكبـر القواد المعادين الذين وقعوا اسرى بـين يدي جيشه ، وشرب نخب القواد السويديين معتبرا اياهم اساتذة في فـن الحرب ، وانهم هم الذين علموه هذا الفن ، وقد فعل هذا لانه كان اكثر ادراكا من ستالين لقيمة الفن العسكري الغربي ولقيمة فنه العسكري ، هـو .

---

(١) أي بطريقة الحرب الميكانيكية الخاطفة المتضمنة : خرق الدفاع ، والالتفاف على المؤخرات ، والاندفـاع داخل البلاد الى مسافات بعيدة ، وترك الجيوب الدفاعية للانساق التالية .
( المترجمان )

(٢) Ordre de bataille – او تشكيل القتال .

(٣) مبدأ الدفاع الخطي ، يتضمن انشاء دفاع متصل دون ثغرات ، ويكون مثل هذا الدفاع ضعيفا دوما اذ ان من الممكن التركيز عليه واختراقه في اي نقطة . اما مبدأ الدفاع عن مركز مقاومة فهو يعني اقامة مراكز مقاومة من مستوى كتيبة وما فوق في النقاط الحاكمة ، تتصل هذه المراكز مع بعضها وتتبادل الحماية والنيران وتدافع في كل الاتجاهات ، وتتمتع خلفها باحتياط تعبوي او استراتيجي للمناورة على اساس ان هذه المراكز تشكل محورا ثابتا لمناورات الهجوم المعاكس .
( المترجمان )

ولو لم يحسب الكسندر حساب احتمال عدم اطاعة كوتوزوف القائد الاعلى لقواته ، لقاد المعركة ضد نابليون حسب المبادىء ذاتها التي طبقت في معركة ١٨١٢ . فقد كان القيصر ميالا الى أن تنشب المعركة الحاسمة قريبا من الحدود في معسكر الدريسا الذي حصنه وهيأه للدفاع . وكان يستعين في خطته هذه بالجنرال البروسي فول . وكان كلاوزفيتز ، المساعد العسكري لفول ، قد رفع حديثا الى رتبة مقدم وعمره آنئذ ٣٢ عاما . واوفد لتفتيش تحصينات هذا المعسكر المتخندق . وهنا نتساءل : هل كان كلاوزفيتز قد انهى فلسفته ، في ذلك الوقت ، عن نظرية نقطة الذروة في الهجوم ، وهل كان قد اكتشف جدوى مناورة التراجع في اعماق روسيا ؟

من الثابت أن كلاوزفيتز قد عاد بتقرير سري وحازم ينصح فيه بالانسحاب الى سمولنسك . وقد وافق القيصر على هذا الاقتراح . ولكن « فول » انفصل عن مساعده العسكري . وكان كوتوزوف سعيدا جدا بأن لا يقاتل لمدة من الزمن ، ٥٠٠,٠٠٠ جندي تابعين للجيش الكبير ، فبادر بالانسحاب . ولكن الكسندر الذي وافق مبدئيا على هذا التبديل في خطته ، لم يكن يريد ان ينسحب الى مسافة ابعد داخل البلاد . وقد كرر أوامره الى كوتوزوف بأن يشتبك في المعركة ، ولكن كوتوزوف كان يجد في كل مرة اسبابا معقولة لاهمال تنفيذها ، كي يتجنب ضغط نابليون عليه عندما كان يضغط على قواته من مسافة قريبة. وعلى نهر الموسكوفا، تمكنت القلاع ( المعاقل المحصنة ) الروسية التي جددها بطرس الاكبر من انهاك آخر ما تبقى من قوات جيش نابليون في اكبر معركة من المعارك الدامية التي اشتبك فيها الامبراطور . وكان اكثر من ٥٠٠,٠٠٠ جندي قد تمكنوا من عبور نهر النييمن . وكان مائة وثلاثون الف جندي يقاتلون على نهر الموسكوفا . ودخل تسعون الف جندي موسكو . « كل هؤلاء قد انهاروا بدون ارادة مني » .. هكذا قال كوتوزوف الذي بدأ حينئذ يكتشف النتائج السعيدة لعصيانه أوامر قيصره .

أما في عام ١٩٤١ ، فلم يتح الحظ للجيش الاحمر قوادا يتمتعون بالاستقلال الذي تمتع به كوتوزوف . وكان مصير الماريشال توخاتشيفسكي ، الذي قضى عليه في عملية التطهير الكبرى عام ١٩٣٧ ، يذكر قواد مجموعات الجيوش الثلاثة ، بالمصير الذي ينتظرهم اذا ما خالفوا اوامر ستالين ، الذي لم تعرف

روسيا سلطه مطلقه لسلطته . ويعجب مورحو الحرب العالميه الثانيه منــذ شتاء ١٩٤١ ــ ١٩٤٢ ــ الذين يملكون كثيرا من وثائق العمليات الدائرة فــي الشرق ــ من قلة المطبوعات السوفييتية عن عمليات الصيف السابق وخلوها من المعلومات . ولو اكتفينا بالحكم ، بصورة عامة ، على مجمل هذه العمليات ، فان الوثائق الرسمية عن هذه الحقبة كافية لدعمها . فالاوامر المكررة التي كــان يتبعها تنفيذ حرفي للقتال في الخطوط حتى الموت بدون فكرة التراجع ، قــد طبقتها بالتتابع كل الجيوش التي وجهت الى مقربة من الحدود الجديدة ، كما طبقت في الوقت ذاتــه على الجيوش التي احتلت « خــط ستالين » الممتــد من البلطيق الى البحر الاسود ، على طول الحدود القديمة . وكان ستالين يرى أن فكرة التخلي عن خط دفاعي قام بتحصينه خلال عدة اعوام ليمنع غزو الاتحاد السوفييتي ، اقل هضما واستيعابا ، من فكرة تخلي الجنرال غاملان عــن خط ماجينو . لقد كان الاثنان ( ستالين وغاملان ) بعيدين كل البعد عن فكرة الانسحاب بضع مئات مــن الكيلو مترات خــلال مناورة تراجعية يضعفان فيهــا القوة الهجومية الالمانية . فدفع كلاهما بالمعركــة الى بولونيا وبلجيكا . وكانت النتيجة واحــدة في الحالتين . لقد ذاب معظــم الجيش الاحمر منذ بــدء الاعتداءات في « مراجل » الجبهة الشرقية ، كما ضاعت احسن قطعــات الجيش الفرنسي التي زجت في بلجيــكا .

ومن المؤكد ان ستالين بدأ منذ الخريف يكتشف ان تقدم الجيش الالماني في المناطق السوفييتية تقدما عميقا ، لا يحمل في طيــاته المتاعب للروس وحدهم ، وأن من الممكن الدفاع عــن المدينتين الروسيتين الكبيرتين ، ليننجراد وموسكو ، بالجيش النظامي الذي يعد الدفاع عن أوديسا وسباستبول . كما انــه اكتشف ان هذه المدن تشكل معينا لا ينضب من الرجال القادرين على القتال على بعــد بضعة كيلو مترات او عشــرات الكيلو مترات مــن اماكن اقامتهم وسكناهم . واكتشف ان الشبيبة الالمانية ، التي كلف تجهيزها واعدادها الغالي والرخيص ، تقاتل على الف او الفين من الكيلو مترات ، بعيدا عن مراكز اقامتها . ونحن لا نشك في ان هذا الدرس ، عندما فهمه الروس في عام ١٩٤٢ ، حلت مناورات التراجــع الكلاسيكية الى القفقاس والى ستالينجراد ، عن قصد ، محل الدفاع بــدون

فكرة التراجع : الا اننا لا نجد اي أثر لهذا التصميم والادراك في الخطط المطبقة في صيف عام ١٩٤١ .

فهل نستنتج من هذا ، ان الوسيلة الوحيدة لمقاومة غزوات هجومية قوية كهجوم شارل الثاني عشر ونابليون وهتلر ، هي الانسحاب الى مسافة الف او الفين من الكيلو مترات عن الحدود . وان ذلك ليس في متناول كل الدول ولا في قدرتها ؟ ان لدى الفن العسكري ، في رأي كلاوزفيتز ، وسائل اخرى . فعلى الرغم من أن هذا الفن يمتنع عن اعطاء صفة عامة يستخدمها القواد الحربيون الذين لا يتسمون بالخيال ، فهو لا يخفي ميله نحو المناورة التراجعية المتبوعة بهجوم على الجناح ضد الخصم المتقدم . ولقد طبق جوفر هذه المناورة على المارن عندما قذف بجيش غالييني على جناح الجيوش الالمانية ، بعد ان انسحب امامها ابتداء من شارلروا . كما نفذها ايضا قواد ماوتسي تونج الذين حلوا محل زملائهم السوفييت ، ليصدوا هجوم ماك آرثر الاخير نحو نهر اليالو .. انها المنارة ذاتها التي خلدت ستالين بعد انهاكه في ستالينجراد . ولكن يبقى هناك فرق كبير بين عمل جوفر وماوتسي تونج بالنسبة لاعمال ستالين ، اذ لم يظهر الاولان أي احتقار للقيمة الحالية لكتابات كلاوزفيتز ، فطبقا نظرياته في المقاومة في عدة ايام ، بينما احتاج ستالين الى ثمانية عشر شهرا ، ليعيد اكتشاف طريقة كلاوزفيتز .

فهل فهم ستالين حقا ، ان مفهوم « نقطة الذروة » هذا المفهوم الأساسي بالنسبة للمهاجم العاقل والمدافع الذكي الحاذق ، يمتد على مسارح عمليات وابعادها اقل بكثير ، ولا يقارن مع ابعاد المناطق الاوروبية في الاتحاد السوفييتي ...؟ اننا نشك في ذلك بعد ان رأينا مستشاريه السوفييت قد انهكوا قوات جيش كوريا الشمالية في انقضاضات متتالية ضد معقل فوزان ، بينما كان يتم اعداد الهجوم المعاكس الرامي الى دفع هذا الجيش على نهر اليالو . ان تجربة الجنرال ماك آرثر في محاسن المناورة مع هدف اضعاف الخصم ، تساوي وتوازي في أهميتها مناورة ستالين ، لان مناورة ماك آرثر التراجعية قد نفذت الى جزر سليمان والى غينيا الجديدة ، على مسافة تختلف عن المسافة ، ما بين الحدود الالمانية وستالينجراد . لقد قام ماك آرثر بهذه

المناورة التراجعية التي تقيدت بالمسافات التي حددها كلاوزفيتز . « ليس هناك بلد اوروبي يتمتع بمساحات شاسعة مشابهة لمساحات روسيا وابعادها . ومن النادر وجود دول حبتها الطبيعة بخط دفاعي للتراجع على مائة ميل من حدودها (١) . كما انه من الانذر تفوق جيش كالجيش الكبير ( جيش نابليون ) الذي كان عدده ضعف عدد الجيش الروسي عند بدء المعركة ، بالاضافة الى روحه المعنوية العالية ايضا . ومن الممكن الحصول على تبدل في الموقف العام على مسافة مائة ميل ، في مثل هذا الجيش المهاجم الكبير . وفي ظروف اخرى ، يمكن الحصول على تبدل في ميزان المعركة بعد خمسين او ثلاثين ميلا فقط » ان تطبيق مفهوم « نقطة الذروة » في الهجوم ، على استراتيجية الحرب الجبلية ، يفسر تفسيرا صحيحا الانتصارات والهزائم التي منيت بها المناورة الفرنسية على على شبكة المواقع التي اعدها القواد المقاتلون في الهند الصينية . ان العقيدة الكلاوزفيتزية تتعارض كل التعارض ، في هذه الحالة ، مع الرأي السائد آنئذ والذي لا يزال سائدا حتى اليوم .

ان للعمليات في المناطق الجبلية بصورة عامة هدفا ، هو الحفاظ على حدود تتبع معظم الاحيان خط الذرى (Ligne de crête) . ففرنسا التي عرفت هذا الوضع منذ قرون في جبال الالب والبيرينه ، وجدته مرة اخرى في لاووس المفصولة عن الانام وتونكين بسلسلة جبلية صعبة . فهل كان ينبغي تنظيم الدفاع في مثل مسرح العمليات هذا على خط الذرى ، او نقل العمليات الى السفح المعادي (السفح) ( Le versant ennemi ) ، أو الانسحاب الى السفح الصديق (السفح المعاكس) (٢) ، ( Le versant ami ) . ان تجربة جبال الالب الفرنسية كما فسرها كلاوزفيتز ، كانت حاسمة وقاطعة . فكلما قدم الغزاة من ايطاليا بغية التمركز في مقاطعة بروفانس العليا ، كانوا يطردون بدون صعوبة

---

(١) اميال بروسيه أي ٨٠٠ كم . ( كامي روجرون ) .

(٢) نظرية السفح الصديق او السفح المعاكس — وهي تعني عند الدفاع عن منطقة جبلية ترك مراقبين فقط ورصاد على الذرى لرصد تحركات العدو ، مع وجود القوة الرئيسية الدفاعية على السفح الصديق ( السفح المعاكس ) بقصد ضرب العدو على هذا السفح وفي السهول المحاذية له ، اذ أن العدو يصل منهكا بعد تسلقه للجبل وتتعقد خطوط مواصلاته وتموينه .

( المترجمان )

منها . وأذا قلبنا الوضع ، لا يتردد كلاوزفيتز في التأكيد ، بأن الدفاع عن ايطاليا الشمالية، وعن اسبانيا ضد فرنسا ، ينبغي أن لا ينظم على مقربة من خط الذرى ، في جبال الالب والبيرينه ، ولكن ينبغي اقامته في سهل بو والايبر . حتى ان الانتصارات التي احرزها المهاجم الفرنسي تدعم نظرية كلاوزفيتز ، لان بونابرت وهو متمركز دفاعيا في سهل البو ، ينتظر الجيوش النمساوية الموجهة لطرده من ايطاليا وهي تعبر ذرى التيرول ، فقضى عليها عند نفوذها من الذرى الى السهل . اذن ينبغي ان يتم الدفاع عن الحدود الجبلية على السفح الصديق ( التسفح المعاكس ) .

وتفسير هذه النظرية يستند الى تضخم عامل المسافة بسبب صعوبات الارض ووعورتها،حيث يجبر هذا الانسحاب المهاجم على اقامة خطوط مواصلاته عبر هذه الارض الصعبة والوعرة . فأين ينظم المدافع عمليته الهجومية المعاكسة ؟ هل ينظمها في الوديان الواطئة او في السهل حيث يتمتع المدافع بكل التسهيلات لتركيز جيوشه في القطاع المهاجم . أم هل يتخذ على العكس موقفاً دفاعيا ؟ ففي الهجوم المعاكس الاول ، يكون المهاجم في منطقة وعرة ، يعاني من صعوبات المواصلات بين جبهته ومؤخرته ومن صعوبات وجود الطرق العرضانية ( الموازية للجبهة ) لقواته الموجودة في الخط الامامي .

وكلنا نتذكر ، عندما دافعنا عن لاووس اثناء معارك شتاء ١٩٥٣ ــ ١٩٥٣ بمعسكرات محصنة واقعة في وادي الميكونغ ، على مقربة من ليانغ ــ بروبانغ اوفيانسيان ، كيف كنا عاجزين عن منع تسللات الفييت ــ مينه ، ابتداء من تونكين والانام . ولكن الفييت ــ مينه امتنعوا عن احتلال البلاد احتلالا دائما ، وكانوا يسحبون ارتال غزوهم في ظروف صعبة جدا في بدء موسم الامطار .

وعلى النقيض من ذلك ، وخلال معارك عام ١٩٥٣ ــ ١٩٥٤ ، عندما اردنا تنفيذ خطة دفاع اكثر طموحا ، في الدفاع عن لاووس ، وعلى حدودها ، باقامة قلعة محصنة في ديان بيان فو على السفح التونكيني ، انتقلت كل محاسن الارض الى الفييت ــ مينه . فباسلوب الدفاع الجديد قصرنا خطوط مواصلات العدو، الذي قام بالحصار واطلنا خطوط مواصلاتنا كمدافعين . ولم يكن على الرتل

المهاجم ، المتجه نحو المعسكر (ديان‌بيان‌فو) ، آتيا من وادي الميكونغ، الا أن يقوم بتظاهرة بسيطـة ، بينما كانت ديان بيان فو تعـاني نزاعا طويلا . وبسقوط ديان بيان فو ، سقطت فييتنام الشمالية كلها وضاعت لاننا لم نقبل هذا التخلي البسيط عن الارض الذي نصح به كلاوزفيتز حين قال :

**« ان القلاع والمواقع المحصنة المتمركزة على السفح المعادي من سلسلة جبلية ، هي قلاع ذات موقع سيىء ، اذ يصعب اخلاؤها وسحب القوات منها. ولو أقيمت هذه القلاع والحصون على سفحنا نحن (السفح المعاكس) ومـن جهتنا ، لوجد العدو كثيرا من الاذى في محاصرتها لان الجبال تقطع خطوط مواصلاته » .**

***

هذان المثالان على مسايرة نظريات كلاوزفيتز للعصر الحديث ، وقـد عرضناهما مع بعض التفاصيل، لا يستنفدان كل الدروس التي يمكن استخلاصها من هذا الكتاب الذي يعرض فيه، بسخاء، أبرز المفكرين العسكريين أفكارا صدمت في غالب الاحيان الرأي العام السائد ، وهي أفكار لا تزال غير مقبولة اليوم ، على الرغم من تأييدات تكررت لها خلال قرن من الزمن .

ولقد اكتشفنا ثلاث مرات ، خلال القرن : في الحرب الاهلية الاميركية ، وفي الحرب العالمية الاولى ، وفي الحرب الكورية ، مناعة الجبهـات المحصنة . لقد كتب كلاوزفيتز : « ان الحكمة والتجربة الناجمة عن مئات الحالات وآلافهـا قد برهنا على ان تحصينا مقاما بدقة ومجهزا بالرجال تجهيزا جيدا ، ومدافعا عنه دفاعا جيدا ينبغي ان يعتبر ، كقاعدة عامة ، نقطة لا يمكن أخذها »(١) .

ونكتشف من آن لآخر ، على المستوى التكتيكي وعلى المستوى الاستراتيجي، مساوىء الدفاع الخطي قبالة مراكز مقاومة او قلاع محصنة . فهـل يسعنا ان نكشف بأفضل مما أعلنـه وأبانـه كلاوزفيتز ، عـن ضـرر كثير مـن الخطوط الدفاعية التي خانت الثقة التي وضعها فيهـا مهندسوها وبناؤوها ومستخدموها منذ خمسة عشر عاما حتى الآن ، والتي كان يدعي المخططون لها أنهـا تغطي في دلتا تونكين ، ما يوازي عشر فرق ، بخمسمائة كيلو متر مـن التحصينات ؟يقول كلاوزفيتز :

---

(١) سنتعرض لهذه النقطة الهامة بالتعليق في الكتاب السادس عندما يتحدث المؤلف عن الدفاع .
**( المترجمان )**

« ان الخطوط المحصنة هي أكثر أشكال الحرب الخطية أذى وضرراً .. فاذا كانت هذه الخطوط قصيرة ومزودة بالرجال جيداً ، أمكن الالتفاف حولها ، واذا كانت طويلة وغير مجهزة تجهيزاً كافياً بالرجال والعتاد ، أمكن مهاجمتها مجابهة والتغلب عليها . ويمكن ان يكون استخدام القطعات الضرورية للدفاع عنها أكثر جدوى في مكان آخر . ونحن لا نكاد نجد أي أثر لهذه الخطوط الدفاعية في الحروب الحديثة . ومن المشكوك فيه ان نراها مرة أخرى» .

**وكان لا بد من انتظار الحرب العالمية الثانية لندرك مرة أخرى أهمية التمرد الشعبي وحرب العصابات التي أنهكت الجيش الكبير في اسبانيا، ووجهت اليه الضربة القاضية في روسيا** . وكلاوزفيتز الذي رأى هذا الجيش الكبير وهو يحارب ، لم يتردد في التأكيد ان احتلال بلد كبير هو من المحال ، كقاعدة عامة ، وقال: « لقد توصلت الى الاقتناع ، بعد تفكير طويل ، انه لا يمكن احتلال بلد أوربي بدون الاعتماد على فتن داخلية »(١) .

فهل نوجه اليه النقد لانه لم يعمم أيضا هذه النتيجة التي وصل اليها ولانه قصرها على الغرب وحده ؟ لقد كان، على العكس، يعرف ان هذا المبدأ قد ينسى خلال أكثر من قرن ، وانه قد يكتشف بعد ذلك قدرة المقاومة الفائقة ضد أوربا ، لدى شعوب قدمت لها أوربا شيئاً من حضارتها .

ان كلاوزفيتز لم يكتب لعصره ، ولكنه كتب لعصرنا . ولن يتأثر بالنقد الذي وجه اليه في كونه أهمل الوصايا العملية التي كان يغدقها كثير من الآخرين على قرائهم . وليس هناك من أعلن جهاراً كما أعلن كلاوزفيتز ، عن ايمانه الذي لا يتزعزع بصحة المبادىء التي اختبرت فترة طويلة من الزمن ، والتي تمنعنا من ان ننسى بأن« الظواهر العابرة »تبقى رغم قوتها أضعف من المبادىء. ولهذا علينا ان نصنف ستالين ورأيه ضمن هذه «الظواهر العارضة» التي لا تضفي عليها التضحية بعشرة ملايين من المقاتلين أية قيمة خاصة ، وان نستنتج مع لينين : **« أن كلاوزفيتز هو من أعمق المفكرين العسكريين . ومن أعاظم فلاسفة الحرب ومؤرخيها . انه كاتب أضحت أفكاره الاساسية اليوم الزاد الذي لا جدال فيه لكل مفكر »** .

**« كامي روجرون »**

---

(١) ــ من كتــاب كلاوزفيتز « حملة ١٨١٢ » ( كامي روجرون ) .

**( المترجمان )**

# مدخل

## كارل فون كلاوزفيتز ونظرية الحرب

بقلم: بيير نافيل

كثيرا ما يستشهد بأسم كلاوزفيتز ، ولكن قليلون هم الذين قرؤوا لــه ، وقليل أيضا عدد أولئكالذين فهموه. وكثيرا ما يتردد علىاللسان تعبيره انالحرب هي استمرار للسياسة بوسائل أخرى . ولكن ، كم من الاشياء لا نقولها عما يتضمنه هذا التعبير ! ويتفق كل الذين طبقوا هذا التعبير في الاعتراف بعبقرية كلاوزفيتز الفذة، ولكن يكاد لا يوجد شخصواحد بين الذين استوحوا من آرائه وأفكاره ، قد حفظها حفظاً تاماً .

وككل عمل عملاق من هذا النوع ، وما أقل هذه الاعمال العملاقة ، يجد كتاب **في الحرب** معجبين ونقاداً في كل المعسكرات . لقد كان لهذا الكتاب ، تلاميذ في كل أمة ، وفي كل طبقة من طبقات المجتمع الواحد المختلفة . وكان ممن تابعه وأكمله يمينيون ويساريون ، منهم في عصرنا الحالي : ماك آرثر وماوتسي تونج اللذان يستشهدان به .

لقد كانت هيئات الاركان ، هي الهيئات التي اهتمت بهذا الكتاب ، ولا سيما الاركان العامة الالمانية . ومع ذلك فان كل من يتأمل كلاوزفيتزمليا فياثناء العمل، يفهم بسرعة أن مولتكه وشليفن ولودندورف وهتلر مجتمعين، كانوا أسوأ تلاميذه ، اذا ما قمنا بتقييم عصر الحروب الذي عاشوه ، وذلك لاننا ، اذا اعتبرنا أن الحرب ، ليست الا وسيلة لسياسة معينة ، فعلينا ان نتفق على أن السياسة قد أخفقت مع الوسيلة في نهاية المطاف . ان الضباط الالمان لم يستخلصوا من حكمة كلاوزفيتز بعد انهيار نابليون والقضاء على ثورة عام ١٨٤٨ ، الا استنتاجا واحداً هو ان الدولة ينبغي ان تخضع للجيش ، لان السياسة والحرب تتشابكان. وكان هذا في نظرهم «التقليد البروسيلكلاوزفيتز ومولتكه وبرنهاردي » .

أما الضباط الفرنسيون ، فلم يكونوا يدرسون الاستراتيجي الكبير قبل عام ١٨٧٠ الا قليلا ، فلم يعيدوا قراءة كلاوزفيتز ، الا بعد عام ١٨٧١ (أي بعد غامبيتا وشانزي وبلانكي وتروشو وماكماهون) ، وكان ذلك لرفض «فلسفته الضبابية» أولا ، لكي لا يروا فيه الا قدوة سيئة في الاركان العامة الالمانية ، ثم ليتذكروا بعد ذلك ، أن كلاوزفيتز قد بنى نظريته في عصر بونابرت ونابليون(١) .

---

(١) — يستخدم الفرنسيون كلمة بونابرت للدلالة على نابليون بونابرت قبل أن يصبح امبراطورا في ١٨ مايو (مايس) ١٨٠٤ ، كما يستخدمون كلمة نابليون للدلالة عليه بعد هذا التاريخ .

وسنلاحظ أن كلاوزفيتز يستخدم غالباً كلمة بونابرت وهو يعرض أحداثاً وقعت بعد عام ١٨٠٤ ، وذلك تعبيراً عن سخطه على الامبراطور وعدم اعترافه بشرعيته .

(المعربان)

واصبحوا لا يرون في كلاوزفيتز الا الرجل الاستراتيجي الذي كان يريد دوماً شن المعركة والاغراق في الدماء .

وهكذا يمكننا القول ، ان كلاوزفيتز لم تفهمه قط ، بكل امتداده وشموله، لا الشعوب والدول ، ولا محبة الوطن في البلدان التي توجه اليهـا في ما كتب ، وذلك لانه هو نفسه لم يستطع ان يلاحظ الامر التالي : وهو ان عصر الثورات الوطنية البورجوازية قد آل الى الزوال في اوروبا على الاقل. أما الدول والشعوب التي كان يستشهد بها او يفكر فيها ، فقد كانت تنتقل سريعا الى قبضة سياسة التوسع الامبريالي . ولم يكن لدى هذه السياسة الرغبة ، او القدرة والاهتمام ، في أن تتشرب مبادىء من الممكن ان تحلل باسمها ازماتها الخاصة و الفشل الذي منيت به . ويصدق هذا الكلام في السياسة الاستعمارية أكثر من سواها .

ولهذه الاسباب نفسها ، نجد اسم كلاوزفيتز يلمع تدريجيا في الطبقات الثورية الجديدة من المجتمع. وقد قرأ ماركس وآنجلس كلاوزفيتز بعد ١٨٥٠ . وفي عام ١٨٥٣ كتب آنجلس الى صديقه وايدماير الذي قاتل في صفوف الديموقراطيين عام ١٨٤٨ ، ثم أضحى بعد ذلك ضابطاً لدى الامريكيين الشماليين أثناء الحرب الاهلية : « ان جوميني في النهاية هو أحسن مؤرخ (لمعارك نابليون)، ولكن على الرغم من الاعمال الباهرة التي قام بها كلاوزفيتز ، فان عبقريته الفطرية لا تعجبني » ، وكان عليه ان يعدل حكمه عليه بعد ذلك ، اذ كتب في عام ١٨٥٨ الى ماركس : «اني أقرأ الآن من جملة ما أقرأ كتاب **في الحرب** لكلاوزفيتز . انه طريقة جديدة في التفكير ، ولكنه في واقعه كتاب ممتاز . وهو يجيب عن السؤال التالي : هل ينبغي علينا ان نستخدم تعبير الفن العسكري أم العلم العسكري ؟ انه يجيب بما يلي : « ان الحرب تشبه التجارة على أفضل شكل . فالقتال ، في الحرب ، هو كالدفع نقداً في التجارة ، ومع ان هذا الدفع لا يحتاج الى التدخل في الحقيقة، الا ان كل شيء يتجه اليه وينبغي التوصل اليه في النهاية. وهو الذي يشكل العنصر الحاسم » . ويجيب ماركس : « فيما يتعلق ببلوخر، لقد تصفحت كلاوزفيتز بعض الوقت . ان لهذا الرجل حساً سليماً يسترعي الانتباه » . وهو تقدير معتدل أيضاً كما نراه . ولكن آنجلس عاد الى قراءة كلاوزفيتز ودراسته عن قرب ، ثم تبعه لينين في هذه الدراسة وقد كتب لينين بعد فترة من الوقت (وكرر ما كتبه أكثر من مرة) : **«ان كلاوزفيتز هو من أعمق المفكرين العسكريين ومن أعاظم فلاسفة الحرب ومؤرخيها . انه كاتب أضحت أفكاره الاساسية اليوم الزاد الذي لا ينكر ، لكل مفكر» . ولم يكن هذا التقدير** الموجه لكلاوزفيتز تقدير مؤرخ ، **ولكنه حكم زعيم حزب ، أظهر فيما بعد قدرات خارقة على المناورة في صراع الطبقات والحرب بينها .**

وقد يعتبر جوريس ، بين الاشتراكيين الفرنسيين ، الاشتراكي الوحيد الذي أحس بما يمكن اقتباسه من كلاوزفيتز للرد على أولئك الذين يمتدحون « النابليونية » البورجوازية ، الضيقة والرجعية ويدعون لها ، وذلك في معرض دعم نظرياته عن الدفاع الوطني الديمقراطي . وقد كتب في مجلة **الجيش الجديد** . هذه الصفحة الذكية : « ان القائد جيلبر وتلاميذه لا يدرسون نابليون بالموضوعية وانفتاح الفكر اللذين يدرسه فيهما كلاوزفيتز ، والنظريون الالمان المعجبون به . انهم يدعون ان كلاوزفيتز يناقض نفسه ، لانه بعد ان حلل النتائج الباهرة التي أحرزها نابليون في الهجوم السريع المركز والجريء، خرج بنتيجة تؤكد تفوق الدفاع على الهجوم. ومما لا شك فيه أنه تأثر الى حد كبير بذكريات الحملة على روسيا ، التي تركت أعمق الاثر في تفكيره. لقد قاتل في الجيش الروسي ، وهو جنرال بروسي ، لانه كان يعاني ويقاسي من التحالف المخزي والمشين بين نابليون وبلاده التي جهزت قطعات لجيش نابليون الكبير ، ثم خدم بعد ذلك في الاركان العامة الروسية . وقد قاتل الجنود البروسيين ، مدفوعا بوطنيته البروسية . وقد وصف في كلمات مؤثرة ، فيها كثير من الاعتدال ، في تعليق له عن الحرب في روسيا ، كيف كان شعوره وتأثره عندما اصطدم في ساحة المعركة بجيش يرفرف فوقه علم وطنه ، حيث كان يقاتل أخوه من لحمه ودمه .. لقد كان في خضم الدفاع الروسي الهائل والثقيل ، يرى بأم عينه الحظ يتخلى عن نابليون . لكن ، ألم تبرهن اسبانيا أيضا على ما تستطيع أن تفعله العبقرية الدفاعية في شعب يريد ان يبقى مستقلا، ضد أجرأ عبقرية هجومية وأذكاها ؟ في الحقيقة ! لا يمكن اهمال مثل هذه الدروس. ومن الغريب ان المدرسة الفرنسية الهجومية الجديدة ، قضت على هذه الدروس والتعاليم قضاء تعسفياً ظالماً . وبينما استمدت عقيدتها من تعاليم كلاوزفيتز ، نراها لا تحفظ الا جزءاً من حلوله . فلم يكن جهد هذا المنظر الالماني ، يستهدف فرض خطة كاملة موضوعة على العقول ، بل كان يدعو الى استخلاص قواعد للعمل من خلال تعقيد الحوادث، تتيح الحصول على أحسن نتيجة ممكنة ضمن نطاق فرضية معينة . وبقدر ما كان يوضح فاعلية الهجوم ، والوسائل التي تسمح بتطويره الى أقصى حد ممكن ، كان يقف ضد التمسك بالهجوم ، والتعصب النظري والمجرد له ...» .

ومن المفيد ان نتذكر هذه السطور ، التي تبين لنا جيداً كيف انساق القواد العسكريون في فرنسا والمانيا الى تشويه كلاوزفيتز ، منذ منتصف القرن التاسع عشر ، والى تشويه الاستراتيجية التي كان كلاوزفيتز فيلسوفها ، لان هذه الفلسفة هي، قبل كل شيء، فلسفة الجماهير الوطنية التي أظهرت لاول مرة فضائلها الحربية الظافرة تحت إمرة القيادة الثورية .

ومع ذلك ، لم يكن كلاوزفيتز ثورياً ، فقد قدر العبقرية النابليونية، ورآها أفضل من الجماهير الجمهورية التي كان ينكر تمتعها بأي فكر خلاق . وقبل موته بقليل ، في عام ١٨٣٠ ، كتب خطة سحق الثورة الاوروبية ، ورأى في الايام الظافرة الثلاثة(١) ، الاعلان عن سياسة فرنسية للفتوحات . ولكن قوة عبقرية كعبقريته ، تكمن في تجاوزها نقاط ضعفها الخاصة وفي تقديمها ، في التعبير عن ذاتها ، أكثر مما قصدت اليه .

لقد كتب كلاوزفيتز مؤلفات عدة في تاريخ الحرب ، ومن هذه الكتب نقده لحملات ١٧٩٩ في سويسرا و ١٨١٢ و ١٨١٤—١٨١٥ . ونجد في كل المؤلفات التي تركها ، وفي جميع كتاباته التعليمية ، الافكار التي هي أساس الحرب . ولكن كتاب « في الحرب » هو شيء آخر . انه فلسفة كما يقال في معظم الإحيان ، او بالاحرى نظرية . ولكن مثل هذه الكلمات تعبر تعبيرا سيئا عن موضوع الكتاب . فاننا نفهم من كلمة نظرية ، في غالب الاحيان ، ما يتعلق بأمور الحرب ، والقواعد العامة في استخدام الرجال والعتاد والاوضاع . وعلى مستوى أعلى ، يعني التعميم ان نصل الى درجة نتكلم فيها عن قوانين الحرب ، وتصبح النظرية عندئذ هي التفتيش عن هذه القوانين وعرضها .

قلما وضع الجنرالات الكبار نظرية في مثل هذا الاتجاه ، كما هو معروف ، بل ان المؤرخين ورجال الدولة والساسة والفلاسفة ورجال القانون ، هم الذين حاولوا وضع أسس لنظرية الحرب . بيد أننا نجد في آن واحد ، ان الرجال الذين لم يبقوا في أبحاثهم خارج موضوع الحرب ، أشخاص نادرون كما كيافيلي مثلا . ولقد كان كلاوزفيتز من القلة النادرة التي عرفت كيف تبحث نظرية ما في عصرنا : لقد كان كلاوزفيتز جندياً محترفاً ، لم يتقلد في حياته قيادة عامة كما أنه لم يتول أبداً مسؤوليات كبرى في هيئات الاركان ، ولكنه كان يتمتع بفكر فيلسوف ومرب وعالم ومؤرخ . ومن الواضح ان الطبيعة حبته بصفات الدبلوماسي . ومنذ ان طرح كلاوزفيتز أسس نظرية الحرب ، اضطر كل الذين عالجوها بدورهم وفكروا فيها بشيء من العمق ، ان ينهلوا منه ويستقوا شيئاً ما اي أنهم استقوا منه مفهومه قبل كل شيء عن «النظرية» .

وكما يحدث دائماً ، كان ظهور هذه النظرية مشروطاً شرطاً وثيقاً بالعصر التاريخي الذي نشأ فيه كلاوزفيتز ، وهو عصر الثورة الفرنسية ، والتوسع

---

(١) الايام الظافرة الثلاثة : هي أيام ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ فبراير (شباط) ١٨٤٨ التي ثار فيها الشعب الفرنسي لا سيما في باريس ، وسقط بعدها الملك لويس فيليب وأعلنت الجمهورية الثانية وأعطى الشعب حق التصويت العام .

( المترجمان )

النابليوني ، والحركات الوطنية التي انبعثت في أوروبا بسبب الاحتلال الفرنسي. وضمن اطار هذه المجموعة من الاحداث ، بنى كلاوزفيتز المفاهيم الاساسية لنظريته . ولكن عبقريته تكمن في أنه استطاع أن يجعل منها تحليلا فائق الوضوح في مجال الاعمال الحربية ، التي كان لها دور أساسي في هذه الفترة التاريخية كلها . وفي آن واحد استطاع أن يستخلص من هذا التحليل مفهوماً عاماً يوضح أيضاً ، ولزمن طويل ، تطور العلاقات بين الشعوب ويوضح العلاقات بين الطبقات ، كما يبرهن على ذلك مثال آنجلس ولينين .

وبقول آخر ، ينبغي ألا نعتبر النظرية «تنهيجاً»(١) أو قولبة «أي اعطاء صيغة جامدة »(٢) للحروب التي حدثت في القرن الثامن عشر وفي بداية القرن التاسع عشر . كما ان النظرية لا تكون مجموعة « الدروس » التي أمكن استخلاصها من هذه الحروب ، كما كانت النظريات دوماً عند أسلافه وخلفائه ، ولكنها محاولة لاكتشاف الشروط العامة لكل حرب ، بالاعتماد على التاريخ المعاصر ، ومحاولة اكتشاف جوهر كل نزاع وأصله في المجتمعات البشرية بكل عمقه .

وقد أعطى الكتاب الأول من مؤلفه **« في الحرب »** عنوان « طبيعة الحرب » . وحاول منذ البداية شرح كنه الحرب نفسها ، وطبيعتها ، أي طبيعة النزاع المسلح . ان فهم نظرية الحرب يستند بادىء بدء على فهم هذه الطبيعة التي تتيح استخدام طريقة تحليلية تبتدىء من فهم الطبيعة العامة للحرب الى ظاهرة الحرب نفسها ، أو كما عبر عن ذلك هو نفسه ، من الحرب المطلقة الى الحرب الحقيقية ، وبالعكس ، في حركة استقطابية هي من خاصية كنه الجدلية . ولم يكن عرض هذه النظرية اذن ايضاحا أو بيانا لطريقة ، أو لمجموعة من الوصايا والتعليمات لادارة الحروب في مختلف البلدان ، وعلى مختلف أشكال هذه الحروب ، أو تعليمات للعمل في مختلف أوضاع النزاع ، والأشكال المتعددة للقتال ، بل انها شيء أكثر فلسفة وأكثر تطبيقا من الناحية العملية . وبتعبير آخر لا بد في النهاية من التمييز بين « كنه » الحرب وطبيعتها ، « ونظرية » الحرب نفسها .

ان كنه الحرب ، أو طبيعتها ، تضعنا مباشرة أمام مفهومها ، أي في الحرب « المطلقة » ، أو بالأحرى في مفهوم الشكل المطلق للحرب ( وهو مفهوم ينبغي لنا أن لانخلط بينه وبين فكرة الحرب وأشكالها التي تدعى اليوم بالحرب «الشاملة» ) . وفلسفياً ، يقتضي هذا المفهوم ويتضمن ما سماه كلاوزفيتز « تطويراً الى الحدود

---

(١) Systématisation .

(٢) Formalisation .

القصوى » ، بكل القوى والطاقات ، أي حركة العنف الخالص . ان المفهوم الخاص للعنف المطوّر ، هو التدمير . ولكن تدمير الخصم لا يمكن أن يكون انكارا منطقيا ، بل على النقيض هو رفض وانكار ديالكتيكي ( جدلي ) ،يولد النزاع وينتج عنه . وعندما ينشب النزاع يعبر عن نفسه كقوة ليست لذاتها فقط وانما هي قوة توجد وتصبح حقيقية بواسطة المتنازعين الحقيقيين . هذه التظاهرة «الحقيقية» التي هي عمل الطرفين المتنازعين المتبادل ، مقابل روح الحرب أو شكلها المطلق، تسمح بدورها بانشاء «نظرية» . ولكن هذه النظرية لن تكون البيان البسيط للقواعد الجيدة والصائبة لانها لو كانت ، لجعلها ذلك في تناقض دائم مع الأحداث . أنها قبل كل شيء ملاحظة الوقائع ، ملاحظة الظاهرة الطبيعية ، ولا تستطيع أن تكون الا في خدمة تفسير هذه الوقائع ، والأحداث . وليست نظرية الحرب موجودة هنا لتقول لنا ما علينا **عمله** ، في كل حالة من الحالات ، ولكن لتقول لنا **ما سينتج** ، **بلا شك** ، عندما يحدد كل من المتنازعين تدابيره ويتخذ قراراته .

وضمن اطار هذه الشروط، لا تستطيع النظرية أن تتعارض مع الحقيقة. وقد قال كلاوزفيتز: « ان وجهة نظري **تجعل ايجاد** نظرية مقبولة عن ادارة الحرب أمراً ممكناً، نظرية تصبح مجدية ونافعة ، ولا تتعارض **أبدا مع الواقع** . نظرية يتوقف التوفيق بينها وبين التطبيق العملي بصورة كاملة على نشاط فكري ذكي ، وعندئذ لن يكون ، بين النظرية والتطبيق العملي ، هذا الفرق السخيف الذي تمارسه في غالب الأحيان نظرية غبية محرومة من الحس السليم .. » وهكذا ، وبهذا الشكل يقف كلاوزفيتز الكتاب الأول من مؤلفه على كنه الحرب ، ويخصص الثاني لنظرية الحرب .

ومن الطبيعي ، في هذه الشروط ، أن تتجاوز نظرية الحرب المتعلقة بغايات العمل العنيف ووسائله ، مفهومها المطلق ، وأن تتقابل في الواقع مع النظرية ، لا مع المفهوم . وهذا لا يعني أنه ينبغي أن يغيب عن نظرنا المفهوم الخالص للحرب ، وذلك لسببين اثنين : أولا ، لان هذا المفهوم وحده يعيدنا عندما يقتضي الامر الى النظر بعين الاعتبار الى دائرة كاملة اجمالية لجدلية النزاعات . وثانيا ، لأنه يتضمن كنها لا يمكن نسيانه أبدا ، وهو كنه التطرف في النزاعات أو بمعنى آخر ، جوهر أو كنه التوسع المطلق للعنف . ان أهمية هذين الوجهين لمفهوم الحرب نفسها ، يأخذ مكانه في الواقع ، وذلك لان الحرب عملية بشرية ، من الناحية المجردة ، الانسان فيها هو السبب والهدف ، كما أنه الوسيلة والغاية . وان النزاع ليس نزاعا بين أي جسمين أو أي عدة أجسام بدون تحديد ، ولكنه نزاع بين مجموعتين من الرجال ، أو بين رجلين ، تحاول ارادة كل منهما القضاء على الآخر . وان الحرب كعمل من أعمال البشر عبارة عن نشاط اجتماعي إكثر

من أن تكون فناً أو علماً ، وبالتالي انها اتجاه نحو المفهوم الخالص أو المطلق واتجاه الى الحركة وتجربة العلم التطبيقي .

ليست الحرب نزاعاً او صراعاً بين عناصر الطبيعة : انها قبل كل شيء واقع بشري ، وبتعبير أصح « هي شكل من أشكال العلاقات البشرية » . وبهذا الشكل، تشمل الحرب المفهوم الاجمالي للنزاعات الشرية الممكنة ، التي يميل عامل العنف فيها دوماً الى التفتح الى أقصى ما يمكن . اذن فالحرب بهذا الشكل تمثل أحرج لحظات النزاع بين الرجال ، وامتدادها وفورانها لا يمكن ان يكونا من طبيعة أخرى تخالف طبيعتهم . ويقول كلاوزفيتز في هذا المقطع الذي نال اعجاب آنجلس « ان الحرب لا تخص ميدان الفنون والعلوم ، ولكنها تخص الوجود الاجتماعي . انها نزاع بين المصالح الكبرى يسويه الدم ، وبهذا فقط تختلف عن النزاعات الاخرى . ومن الافضل ، بدلا من مقارنتها بأي فن من الفنون ، مقارنتها بالتجارة التي هي ايضا نزاع بين المصالح والنشاطات البشرية ، وهي أكثر شبهاً بالسياسة التي تعتبر بدورها ، ولو بجزء منها في الاقل ، نوعاً من التجارة على مستوى عال . ان السياسة هي الرحم الذي تنمو فيه الحرب ، وتختفي فيه الملامح التي تشكلت بصورة أولية ، كما تختفي خصائص المخلوقات الحية في أجنتها » .

هكذا يقدم كلاوزفيتز في الواقع ودفعة واحدة ، ابتداء من مفهوم الحرب نفسها ، نظام سير وجود الحرب . ان الحرب لحظة حاسمة في كل النزاعات البشرية . فهي تعطي بهذا الشكل المعنى لحياة المجتمع وموته ولضميره السياسي، بمحتواه « التجاري » و « النفعي » ، أي اقتصادياً وسياسياً ، كما نقول اليوم عن الحرب . وبتصوير كل التركيبات او البنيات الممكنة لكل هذه الحروب ، كما يمكن أن تحدث في العالم الواقعي ، نجد ان منظر الحرب يعمل عمل لاعب الشطرنج الذي يستطيع بسهولة رسم عدد كبير من الترتيبات ، الا انه ، مهما كانت عبقريته، لا يستطيع كتابة مؤلف فيه من الوصايا والتعليمات ما يتيح الربح بصورة أكيدة . وفي عالم الحرب الحقيقية، نجد أن مفهوم الحرب ينحسر ليصبح مسألة بشرية . والذي يربح الحرب هو الذي استخدم لصالحه أقصى ما يمكنه من ارادته ومن قواه ، ومن حظوظه ــ الى أن يطرأ وضع جديد ، يجعل من الغالب مغلوباً للأسباب ذاتها التي ذكرناها الآن. ان كتاب كلاوزفيتز هو بالضبط، هذا الوصف الحي لكل **الشروط الممكنة في الحرب** ، مدروسة في مظاهرها المعاصرة .

والنقطة الثانية ، التي تنتج عن التمييز بين الجوهر أو الكنه والنظرية ، وبين الحرب المطلقة والحرب الحقيقية ، هو ان من الممكن اعتبار العلاقة بين السياسة والحرب علاقة بين المفاهيم ، وكعلاقة بين مظاهر حقيقية . وينبغي

ان لا يغيب عن بالنا ، كما قال كلاوزفيتز « ان الحرب الحقيقية ليست جهـــدا منطقياً متسلسلا كل التسلسل يتجه الى نهاياته القصوى ، كما ينبغي ان تكون تبعاً لمفهومها ، ولكنها شيء مخفف ، وتناقض بحد ذاته ، وهي بهذا الشكل ، لا تستطيع ان تتبع قوانينها الخاصة بل ينبغي ان تعتبر كجزء من كل ــ وهذا الكل هو السياسة . واذا كانت الحرب تخص السياسة ، فانها تتسم بطابعها وخصائصها . فاذا كانت السياسة عظيمة وفعــالة ، تصبح الحــرب كذلك ، وتستطيع ان تندفع الى القمم حيث ترتدي طابعها المطلق » .

فمفهوم السياســـة العليا اذن يسيطر على مفهوم الحرب . وللمفهـــــوم الاول منطقه الداخلي ، وهو منطق الصراع في العلاقات الانسانية . وللسياسة أيضا شكلها المطلق ، وميلها للتطرف كما أكد نابليون : **القدر هو السياسة** . ولكن مفهوم السياسة ، وكنه العلاقات السياسية نفسها يبقى تجريداً لا يمكن تحقيقه أبداً تحقيقاً كاملا( الا في أشد اللحظات الثورية حماسة في بعض الاحيان وأقصرها عمراً في الحياة الاجتماعية ) ، بينما تعبر السياسة الحقيقية عن نفسها ، بعدد لا نهاية له من الاشكال النسبية والمحدودة ، مثلها مثل الحرب ، أداتها النهائية في الغالب . اذن فهناك سياسةحقيقية مرتبطةبسياسة مطلقة. وفي عهد كلاوزفيتز، كان الموضوع قبل كل شيء ، موضوع السياسة الخارجية للدول، وهو ما يسمى بسياسة الوزارات والمكاتب . والدولة الحديثة بالنسبة لكلاوزفيتز ، شعبيــة كانت أم ملكية ، أم جمهورية ، تجسد هــذه السياسة الحقيقية التي باسمها تحقق الحرب أجرأ أشكالها وأكثرها كمالا ، وهذا ما نسميه بالسياسة الوطنية. ان الحرب الحقيقية هي العنف الوطني الموجه في خدمة الاهداف الوطنية للدولة. وتجسد الحكومة اذن السياسة الوطنية قبل كل شيء ، ويجسد هذه السياسة ايضاً الحاكم الفرد في الدولة ، سواء أكان حاكمــاً شرعياً أم غير شرعي . ان السياسة الخارجية هي التي تدير عجلة الدولــة ، وفيهــا تتلخص السياسة الداخلية التي يستند اليها استقرار الامة او عدم استقرارها .

اذن فكلاوزفيتز كان يفكر بصورة خاصة بالسياسة الوطنية للدولة عندما كان يؤكد أن الحرب هي امتداد للسياسة بوسائل أخرى (عنيفة ودموية) . وقد استخلص الفكر العسكري البروسي هذا الشيء بصورة دائمة من هذه التعاليم . ولنكرر انه لا ينبغي ان تؤخذ السياسة فقط ، بشكلها « الحقيقي » ، بل لا بد من فهمها بشكلها « المطلق » كمجال للنزاع بين المصالح في حد ذاته . فاذا لم يغب عن نظرنا المفهوم الخالص للسياسة ، كما الح على ذلك كلاوزفيتز في عدة مناسبات في كتــابه ، (ولم يغب غن نظرنا أيضــاً مفهوم الحرب) ، لاحظنا أن « سياسة الدولة » او بالتالي السياسة البورجوازية ، ليست الا شكلاً مــن الاشكال التي ترتديها السياسة الحقيقية . **ولا بد من ظهور أشكال سياسية جديدة ، وهي السياسات التي ظهرت خلال القرن التاسع عشر : لقد انتقلت**

**روح السياسة من محيط الشعوب ، الى ميدان الطبقات ، ومن الصدام بين الشعوب الى الصراعات الاجتماعية ، حتى أن نظرية الحرب الاهلية بدأت تتجاوز بالتدرج ، نظرية الحرب الوطنية . وكان لينين أول من قام بتحليل هذا التشابك بعمق ، بين عامي ١٩١٤ ـ ١٩٢٠ .**

لقد كتب لينين في نشرته عام ١٩١٥ عن افلاس الاممية الثانية ما يلي : « ان تطبيق القاعدة الرئيسية للديالكتيك (الجدلي)، على الحرب يعلمنا ان الحرب ليست الا امتداداً للسياسة بوسائل أخرى» . (لنوضح: بوساطة العنف). تلك هي تعابير كلاوزفيتز أحد كبار كتاب التاريخ العسكري، الذي استقى من هيجل، فزادته أفكاره خصوبة(١) . وفي هذه النقطة ذاتها ، ووجهة النظر هذه ، توقف ماركس وآنجلس ، معتبرين كل حرب امتداداً لسياسة القوى أو الدول المعنية بها ـ ولمختلف الطبقات الاجتماعية الموجودة في هذه الدول ـ في مدة معينة» . وعلينا أن نلاحظ الكلمة المعترضة ، في الجملة الاخيرة التي تبرهن على أهمية كلاوزفيتز للحركة الاشتراكية : ان الحرب لا تهم فقط سياسة الدول ، لانها دول ، ولكنها تهم أيضا مختلف الطبقات الاجتماعية التي تتصادم ضمن اطار الدولة ، والتي لها طابع دولي . وبناء على ما تقدم سيكون هناك تظاهرات للعنف وحروب ، ستؤلف الشكل الذي ستستمر ضمن اطاره السياسات الطبقية ، حتى ولو كانت متطابقة مع سياسة الدولة . ان نظرية الصراع المتعلقة بالحروب الوطنية الصرفة ، تجد تطورها بهذا الشكل في نظرية الحروب الطبقات وفي صراع الطبقات بصورة أعم . ولكن ينبغي الا يغيب عن بالنا ان هذا الاستمرار قد احتفظ بكل

---

(١) لنصحح هذا الخطأ . لقد وقع فيه العقيد كامون في كتابه (كلاوزفيتز ـ باريس ١٩١١) كما ارتكب المقدم كروزينغر الخطأ ذاته في كتابه (هيجلية كلاوزفيتز ـ ١٩١١) ، فالواقع أن الطريقة الديالكتيكية (الجدلية) لكلاوزفيتز جديدة ، ولا يبدو أنه درس هيجل ، وقد لا يكون قرأ كتاباته قط . فعندما وصل هيجل الى برلين عام ١٨١٨ ، كانت أفكار كلاوزفيتز قد تكونت . لقد عرف كلاوزفيتز كانت وفيخته وتابع محاضرات الاستاذ كيسويتر الذي كان من أتباع كانت بعد عام ١٨٠٦ ، وارادة «الأنا» لدى فيخته تركت آثاراً فيه . ويبدو ان كانت ، كان معلمه الاول في الديالكتيك ، ولكن الفكر الديالكتيكي لماكيافيلي هو الذي كان له أكبر الاثر فيه ، بالاضافة الى فكر مونتيسكيو ، ولا بد هنا من الاشارة الى ان ماكيافيلي كان أحد اساتذة هيجل . ومن ناحية أخرى كان كلاوزفيتز يتمتع بثقافة رياضية قوية ، وكان يهتم بالمنطق . واذا كان هناك تقارب لا جدال فيه بين طريقة بحثه وطريقة بحث هيجل وماركس ، فنحن لا نستطيع ان نقول أنه كان « جنرالاً هيجلياً » . (بيير نافيل ) .

**ملاحظة :** لقد أكد الجنرال جان بيريه في كتابه ( الذكاء والقوى المعنوية في الحرب هذا المعنى، فقال: ان فلسفة كلاوزفيتز ليست هيجلية كما تردد هذا القول كثيراً، بل كانتيه وفيختيه.

**( المترجمان )**

شدته ، بقدر ما كان يرجع الى مفهوم الحرب « المطلقة » التي هي مفتاح التحليل الكلاوزفيتزي .

ان تبعية الحرب للسياسة ، والتمييز بين حرب حقيقية ، وحرب مطلقة يلجان ساحة المحاكمة داخل عالم المصالح ، والمهل الزمنية ، والتوازن ، أي انهما يدخلان أنماط الحياة الاقتصادية والاجتماعية . ومن وجهة النظر هذه، يكون العنف الذي يقوم بدور رئيسي في التاريخ ، بعيداً عن ان يصبح المحرك الاول أو أداة الاستخدام الدائم ، في خدمة المصالح أو المثل العليا المتعارضة : ان العنف المسلح لا يتدخل ولم يتدخل ، الا كملاذ أخير لحسم النزاعات التي لا يمكن حلها ، او للعب ورقة قد تربح او تخسر . والحياة السياسية والاجتماعية في حد ذاتها ، ليست مصنوعة من العنف الخالص . **ولقد خدع بهذه النظرة السابقة كثير من الرجال مثل سوريل ونيتشه بعد هوبس ، كما خدع رجال آخرون ، وقد استطاع ماركس وآنجلس اللذان فعلا أكثر من غيرهما ، في محاولة اكتشاف القوى المتصارعة وحركات العنف في تاريخ المجتمعات ، استطاعا دوماً التمييز بين مختلف مظاهر العنف والقوة ، التي لا يؤلف فيها الشكل المسلح والدموي سوى التعبير المتقطع والنهائي . وقد أظهر آنجلس ، في أكثر من مناسبة ، ان العنف المسلح ، وهو أداة الحسم القاطعة في بعض النزاعات الاجتماعية ، لم يكن أساس الحياة الاجتماعية الوحيد ، ولكنه نابع من نمو المصالح الاقتصادية وتضاربها واختلافها ، هذه المصالح التي لها في الاصل طابع سلمي نسبياً . وان ضرورة سحق الخصم للاستيلاء على خيراته أو على موقعه، تتطلب ان يكون مفهوم الملكية موجوداً من قبل . ولا يمكن أن يبنى واقع الملكية ومفهومها الا بأسلوب اقتصادي واجتماعي لا يخلو من الضغوط والاكراه . ولكنه بلا شك لا يعتمد ، أساساً ، على العنف الدموي ضد الخصم أي على القتل أو الاستعباد .**

ان نظرية الحزب اذن ، تبلغ أقصى قوتها وذروتها في نظرية السياسة والاقتصاد ، أو بمعنى آخر ، ينبغي ان تستند الحرب الحقيقية الى الحياة الاجتماعية الحقيقية . وللتكنيك والاستراتيجية قواعد تتعلق ببنية المجتمع، وبموارده وبطاقاته الانتاجية ، وبعبقريته التقنية(١) . ولا يمكن ، حالياً ، قيادة أي حرب واسعة النطاق بعض الشيء ، قيادة جيدة النهاية ، اذا أسأنا

---

(١) لقد تعقدت اليوم معضلات الحرب والسلام ، بسبب تقدم التقنية العلمية ، والتقنية النفسية، وبالتالي فان الاستراتيجية تتجه اليوم الى القيام بدراسات عقلانية للعوامل اللا عقلانية التي تلعب فيها دوراً هاماً ، ولكل بلد ، طبقاً لوضعه السياسي ، والاقتصادي ، والجغرافي استراتيجية وتكتيكات ، تتلاءم مع امكانياته ، وامكانيات عدوه المحتل . **(المعربان)**

تقدير هذه العوامل الحاسمة أو قدرناها تقديراً غير صحيح . وهذا ما يفسر الخطوات ألدقيقة والبطيئة في الشؤون الادارية (اللوجيستيكية) مع التطور الحالي للتسليح ، وحالة التوتر المستمر التي تسببها هذه الخطوات ، وعنف الضربات والضربات المضادة التي يتبادلها الخصوم في المفارك وقصر مدة هذه الضـربات .

واذا كانت الحـركة الاشتراكية قد استطاعت هضم مفاهيم كلاوزفيتز الاساسية وتمثلها بنجاح وهي تحولها ، فان الدول البورجوازية ، على النقيض ، جنحت على الدوام الى اعادتها الى مستوى بعض الحكم الاولية من النموذج التالي : ينبغي ان يكون العسكري تابعاً للمدني ، أو : ينبغي ان يكون لدينا جيش يلائم السياسة التي يرسمها . وباسناد السياسة الى العنصر (المدني) ، حاولت البورجوازية قبل كل شيء ، حماية نفسها ضد مخاطر القيصرية ، ومع ذلك فهي تستفيد من هذه القيصرية اذا سنحت لها الفرصة ، وفي الواقع ، ان هذا التمييز لا يحمل أي هدف ، اذ يستطيع المدني أن يصبح قائداً حربياً حقيقياً ، يتخذ القرارات الاستراتيجية الكبرى (مثلاً تشرشل في بريطانيا ، وستالين في الاتحاد السوفييتي) ، كما أن العسكري يستطيع ان يتخذ موقف مدني عادي . فالرجال الذين تجسدت فيهم ثورات كبرى وصاغوا أفكاراً جديدة ككرومويل أو لينين ، كانوا مدنيين كما كانوا عسكريين ، واستطاعوا بالاحرى ان يسيطروا سيطرة كاملة على المظهر السياسي، والمظهر الحربي للنزاعات التيكانوا يقودونها . وبالاضافة الى هذا يكفي أن نتذكر ، ان من الممكن قيادة السياسة والحرب من قبل رأس واحد ، قد يكون ملكا ، عند الحاجة ، كفريدريك الثاني ، وبونابرت ، وهما نموذجان للرجال السياسيين والعسكريين في آن واحـد .

أما الحكمة البسيطة القائلة « بضرورة انشاء جيش يلائم السياسة التي نرسمها »، فيفهم منها عادة انه بموارد ضعيفة، وجيش غير كاف ينبغي أن تقتصر الدولة في سياستها العالمية على سياسة متواضعة ، بينما تتمكن الدولة الغنية بتسليحها وباحتياطيها من الرجال والموارد الاولية ، ان تكون ذات « سياسة » كبرى . ولاول وهلة تبدو وجهة النظر هذه ، وجهة نظر تتميز بالحس السليم الا انها تقود الى أخطاء مميتة . لقـد كان لدى هتلر الجهـاز العسكري الملائم لسياسته في عام ١٩٤٠ ، ومع ذلك فقد قاد هذا الجهاز الى الكارثة . ولم يكن يبدو أن ماوتسي تونج يملك عام ١٩٤٧ الجيش الملائم لسياسته ، ومـع ذلك استطاع أن يقود بهذا الجيش حرباً كان الانتصار فيهـا انتصاراً لسياسته . والسبب في هذا ، أن الرأي العادي يرى نوعاً من **التوازي** البسيط بين الحرب والسياسة ، بينما يطور كلاوزفيتز في هذا المجال ، نوعاً من الديالكتيك القوي والمعقد . **أي منطق الاعمال المتحركة المتداخلة في ما بينها** ، ذلك لان الجيش ليس

أداة السياسة ، في المعنى ذاته الذي تكون فيه المطرقة أداة في اليد . انه كل مفهوم الحرب والصراع الذي هو أعلى شكل من اشكال السياسة في بعض الاحيان . وقد تبتدىء السياسة بجيش ضعيف(١) . ان السياسة تحتل واجهة المسرح او تتخلى عنه كالحرب نفسها ، وان امتزاجهما هو الذي يصنع النصر . فليست الحرب في الواقع **تابعة للسياسة** (كما يتبع العسكري المدني) . ان الحرب هي أعلى أشكال السياسة ، ونهايتها المؤقتة في بعض الظروف ؛ كما أن التمرد هو اللحظة الحاسمة للثورة ، بدون أن يكون ، لذلك ، كل الثورة .

من المعلوم انه لم يكن لمفاهيم كلاوزفيتز الا أنصار ومؤيدون فقط ، فكتابه مع الاسف قد طبع بعد وفاته . فلم يستطع كلاوزفيتز ان يشهد اعتراضات معاصريه ، وان فكرا بقوة فكر كلاوزفيتز حري بأن يتوقع مثل هذا النقد . وقد انتقده جوميني وقال ، انه دمر في الواقع كل نظرية ، وأعاق انشاء أية نظرية في المستقبل ، وانه ترك القائد ورجل الدولة معلقين بين تجريدات واحتمالات ، وبين المفاهيم المتعددة ، والحدس الشخصي لكل منهما حتى ان ما هو نظرية الحرب نفسها وقواعد تكوين الجيوش وادارتها وسيرها في القتال يذوب في تمازج غير مؤكد من القوانين الضخمة والتفاصيل المتروكة لعبقرية القادة . ونحن نرى أن من الممكن فهم وجهة نظره ، لان السياسة العليا تبقى خارجة عن محيطه. ان كلاوزفيتز لاحظ عن قرب وعلى الارض ، مسيرة نابليون ، ونابليون كان مناقضاً لاصحاب النظريات ، لانه كان يجسد النظرية بنفسه . ان جوميني يعتبر اذن ، أن لا جدوى من محاولة ايجاد «فلسفة» للحرب ، وانه يكفي ان نفسر فن الحرب مستندين الى أحسن معلميها وقادتها . فالنظرية ليست نظرية الا بالمعنى التالي ، عندما نعلم المجندين الاعمال الاولية لاستخدام السلاح . وتصل بنا النظرية الى أكثر العمليات الاستراتيجية تعقيدا ، وهي العمليات التي

---

(١) ان هذا المنطق ينطبق على سوريا ومصر عام ١٩٥٧ ، فعلى الرغم من ان الجيش السوري كان في ذلك الوقت ، جيشاً صغيراً ، الا انه استطاع أن يقف في وجه كل التحديات الاستعمارية الكبرى ، فقد وقف ضد الاحلاف ، وضد الحشود على حدوده الشمالية وضد حلف بغداد ، وضد مبدأ أيزنهاور . وكذلك وقفت مصر ضد كل التحديات ، وآزرت سورية . وشدت من عضدها . الا أن هناك حقيقة أساسية قد ينساها بعضهم ، وهي ان اي جيش من الجيوش ، صغيرا كان أم كبيرا ، لا يستطيع أن يقف ، وان يقابل التحدي ، اذا لم يكن ملتحما مع شعبه التحاماً كاملاً ، واذا لم يزوده شعبه بالرجال المستعدين للتضحية ، للذود عن الوطن .... وفي العالم اليوم جيوش صغيرة ، تقف ضد جيوش دول كبرى ، بمعونة شعبها المسلح بكامله .

ولقد قدمت كوريا كما تقدم فييتنام الشمالية ، أصدق صورة لدولة صغيرة عبأت شعبها وجيشها للوقوف بكل بسالة وصمود ، ضد عدوان دولة من أقوى دول العالم عسكرياً .

**( المترجم )**

وجه عليها جوميني كثيراً من الاضواء الهامة. ويتمسك جوميني بالامثلة والقواعد، بينما يذهب كلاوزفيتز بعيداً جداً الى جوهر الحرب، متجاوزاً الشروط الضرورية والمحددة للحرب، الى أن يصل الى كل شروطها الضرورية من جهة، ومن جهة أخرى، يربط العمل الحربي بالمجال السياسي الذي كان يراه جوميني مجال عمل خاص بنابليون. ومن الطبيعي أن المنظر الذي يشبه الحرب بالتجارة يبدو في عيني جوميني شخصاً غير مألوف. ومع ذلك فقد كتب جوميني ان كلاوزفيتز لو كان حياً لأعطاه الحق بدون شك.

وقد أنصف كل رؤساء الاركان البروسيين منذ عام ١٨٥٠ كلاوزفيتز، وان كان هذا الانصاف مشوباً أحياناً ببعض التحفظ والنقد. والواقع ان بسمارك وسياسته البورجوازية، تلك السياسة العنيفة البارعة الحيلة، قد أفادت رؤساء الاركان، وقدمت اليهم أكثر مما قدم اليهم كلاوزفيتز ونظرياته. ولكنهم اعتبروا نجاح بورجوازية الامبراطورية الناهضة على أرض المعركة في عام ١٨٦٦ و ١٨٧٠، على أنها نجاح لنظرياتهم العسكرية(١). وفي عام ١٩١٨ تعرضت هذه النظريات في الظاهر الى الاخفاق. واستنتج لودندورف من هذا الفشل نقداً تاريخياً لكلاوزفيتز فصله وعرضه في الفصل الاول من كتابه عن **الحرب الشاملة**. ولكن لودندورف أخطأ في عدم فهمه الاستخدام الخاطىء لتعاليم كلاوزفيتز من قبل الاركان العامة الالمانية، وانهارت محاولته في رسم استراتيجية جديدة للحرب «الشاملة» في مشاريع هتلر الهائلة والرجعية.

وقد كتب لودندورف «اني بعيد عن فكرة كتابة نظرية للحرب، لاني كما قلت مراراً وتكراراً، معارض لكل نظرية». ان هذا الكلام هو وفاء سيىء للمفاهيم الكلاوزفيتزية التي كانت، حسب رأيه، سبب الكوارث الالمانية عام ١٩١٨. وهنا يقول لودندورف «ان معارك ١٨٦٦ و ١٨٧٠ لم تقدم ايضاحات جديدة عن طبيعة الحرب، كما أن الحرب في فرنسا، تحت قيادة حكومة غامبيتا، قد اتخذت أشكالاً أبرزت قوة القيادة الاستراتيجية ودعماً شعبياً لم يتلاءما مع بعضهما حتى هذا اليوم. وعلي أن أعترف ان الاستراتيجية الالمانية، من عام ١٨٧٠، قد وجدت نفسها عاجزة أمام هذا الحدث الجديد. ففي المانيا بقيت الحرب، رغم كل شيء، المهمة الوحيدة للجيوش. فهل التزمت هيئة أركاننا بالمفاهيم الكلاوزفيتزية أيضا ...». ثم يضيف فيما بعد: «ان كلاوزفيتز لا يبحث الا السياسة الخارجية، التي تسوي العلاقات بين الدول، وتعلن

---

(١) يقصد المعلّق هنا بالحرب البروسية ـ النمساوية او حرب الاسابيع السبعة في عام ١٨٦٦، والحروب البروسية ـ الفرنسية في عام ١٨٧٠ـ١٨٧١ اللتان انتصرت فيهما بروسيا انتصاراً ساحقاً سريعاً. (المعربان)

الحرب ، وتبرم السلم . ولم يكن كلاوزفيتز يفكر لحظة واحدة ، ان من الممكن وجود سياسة أخرى ... فهو يعتبر السياسة الخارجية أهم بكثير من الحرب، ويولي أيضاً بعض الاهتمام للاركان العامة أي بالقائد العام. والحرب الاستراتيجية العسكرية من زاويته الفكرية ، ترتبط ارتباطاً وثيقاً وأساسياً بالسياسة الخارجيــة » .

وينطلق لودندورف من هنا ليبرهن ، أن على « السياسة » والحرب ان تغيرا طبيعتهما ، وان تهتما قبل كل شيء في هــذه الايام ، **بالشعب** ، وتصبح الحرب ، هذه المرة ، حقيقة و « شاملة » لانها تربط الشعب بالحرب برباط لا ينفصم : وهذا ما حاول هتلر القيام به(١) . ولكن لودندورف ، وهو يطرح جانبا كل « نظرية » وكل مفهوم عن الحرب « المطلقة » التي تتيح . بعد ذلك ، تحليل طابع الحروب الحقيقية **المختلفة** ، يعتقد أنه يتجاوز بذلك كلاوزفيتز ، بينما هو في الواقع يشوه أفكاره . فهو يحول مفهوم الحرب المطلقة ، الى حقيقة الحرب « الشاملة » ، أي الى حرب ينبغي ان تتلاحم فيها مع الشعب بصورة وثيقة كل حياة البلاد الاجتماعية ، بدلا من ان يدعمها هذا الشعب . وينبغي ان يساق الرجال والنساء والاطفال وأن تعبىء آلة الحرب كل الموارد ، وان تخضعها لارادتها . **وينبغي ان يستهدف العمل الحربي ، بناء على ذلك ، لا تدمير جيش العدو فحسب ، بل ابادة سكان الدولة المعادية أيضا** . فضمن هذا الاطار الهمجي ، حاول لودندورف أن يراجع كلاوزفيتز . ولقــد عرف هتلر ، الذي كان المنفذ لوجهة النظر هذه ، في بضع سنوات ، آثار هذه النظرة على شعبه وفي بلده . فلقد كانت الضربة المضادة لابادة السكان المعادين لهتلر هي ابادة الشعب الالماني لفترة طويلة من الزمن على الاقــل .

---

(١) ان مفهوم لودندورف عن الشعب مفهوم غريب ، وهو مفهوم جرماني رجعي سيطرت عليه فكرة تسلسل الطبقات ، وقيام المجتمع على أساس «الروح» و «الدم» أي فكرة العنصر التاريخي . وبموجب هذا المفهوم على الشعب ان يكون في «السياسة الداخلية» «أداة للسياسة الخارجية». ومن وجهة النظر هذه يبالغ لودندورف في التشبيه الكلاوزفيتزي المذكور أعلاه ، بين السياسة والسياسة الخارجية والواقع ان كلاوزفيتز ينطلق من تقدير اكثر دقة للسياسة الداخلية ، اي للحياة الشعبية الوطنية وبشكل اكثر تحررا من نظرة لودندورف . ان كلاوزفيتز هو الذي اظهر الدور الرئيسي لهذه السياسة الداخلية في الحملة الاسبانية (١٨٠٨-١٨١٠) وفي الحملة الروسية (١٨١٢) . ولكنه لم يكن ليفكر ان هذه السياسة عندما تصل الى الحرب ، قادرة على ان تترجم بشيء آخر غير العمل الحكومي في المجال الدولي ، أي كسياسة خارجية للدولة. ان الحكومات التي تقوم بمغامرات امبريالية خارجية هي وحدها ، وبتأثير خبثها ودهائها ، التي انتقدت بصورة غامضة الدور الرئيسي للسياسة الخارجية لدى كلاوزفيتز .

**( بيير نافيــل )**

أن الحركة التاريخية ، لم تسمح أبداً للبورجوازية ، لا سيما في شكلها الفاشستي ان تبنى نظرية جديدة للحرب ، تتفق مع مرحلةجديدة منالانتصارات الكبرى . وما كان حقيقة في الدول الفاشستية في أوربا، قد حدث أيضا للدول الديمقراطية على أنقاض امبراطورياتها الاستعمارية. لقد جاء لودندورف متأخراً، وانتقلت شعلة نظرية الحرب من يده الى يد أخرى .

رب معترض يقول ، ان هتلر ولودندورف ، اذا لم ينجحا بتوسيع نظرية كلاوزفيتز ، الا أن هذا التوسع قد أعطى ثماره عند خصومهما ، في الولايات المتحدةوبريطانيا، ولا سيما في الاتحاد السوفييتي . ولكننا سنقتصر ، بدون الدخول في تفصيلات هذا الموضوع ، على الملاحظة التالية وهي : اذا كان التسليح الانجلو سكسوني ، قد تفوق على تسليح المانيا ، فهذا الواقع ذو علاقة مباشرة بتفوق المصالح الاقتصادية المتضاربة من جهة ، وبدور التحالفات من جهة أخرى . وعلى كل حال فان المجال الذي حسمت ضمن اطاره نهاية الحرب العالمية الثانية ، على الرغم من أنها صراع بين الانجلو سكسون والالمان ، يدل على أنها لم تحسم ضمن اطار المبادىء، أو النظرية بالمعنىالذي يفهمه كلاوزفيتز. وعلى الذين يريدون تحليل الحرب العالمية الثانية من ١٩٣٩–١٩٤٥ ، الا ينسوا أنها تشتمل بصورة أولية وبالتتابع على ثلاثة معسكرات رئيسية وطنية لا معسكرين اثنين ، وهي : معسكر ألماني وآخر آنجلو سكسوني وثالث روسي.

لقد توسع المفهوم الكلاوزفيتزي ، كما قلنا سابقاً ، في اتجاه اختلاط الحرب الاجتماعية بالحروب القومية الصرفة اختلاطاً تدريجياً ، حيث اختلط المحتوىالطبقيبالمحتوىالوطني. هذا هو الموقف التاريخي وهذه هي روحالتحليل النظرية ، اللذان سمحا بهذا التوسع . ومع ذلك نجد أن بعض القادة في الاتحاد السوفييتي ، لا يرون في أفكار كلاوزفيتز الا عقيدة عسكرية « ألمانية » بالية ، أكد انكسار هتلر وهزيمته افلاسها . وهذه هي وجهة النظر ، التي فرضها ستالين على الجيش السوفييتي بعد عام ١٩٤٥ ، ولكنها عادت من جديد بعد موته . ففي رسالة مؤرخة في ٢٣ شباط (فبراير) ١٩٤٦ ، عارض ستالين بصورة قاطعة رأي لينين الذي لم يكن ، في نظره ، أهلاً (لخوض هذا الموضوع) وكفوآً ، وقد كتب « ان لينين في المذكرات التي وضعها عن كتاب كلاوزفيتز لم يتعرض للمسائل العسكرية الصرفة ، كالاستراتيجية والتكتيك ، وعلاقات بعضهما ببعض ع كما لم يتعرض للعلاقات بين الاعمال الهجومية والتراجع والاعمال الدفاعية ، والاعمال الهجومية المضادة ... » ويستنتج ستالين من ذلك قائلاً ، ما يلي « هل علينا ان ننتقد أساس عقيدة كلاوزفيتز العسكرية ؟ » ويجيب عن ذلك : « نعم – بالتأكيد . فنحن ملزمون لمصلحة مسؤولياتنا ،

ولمصلحة العلم العسكري في العصر الذي نعيش فيه ، أن لا ننتقد كلاوزفيتز وحده ، بل مولتكه وشليفن ولودندورف وكيتـل ، وأصحاب الايديولوجيـة العسكرية الالمانية الاخرين . لقد فرضت المانيا على العالم ، في خلال ثلاثين عاما، حربين من الحروب الدامية وغلبت فيهما . فهل كان هـذا بمحض الصدفة ؟ بالتأكيد ـ لا . أفلا يعني هذا ان المانيا بمجموعها، وكذلك ايديولوجيتها العسكرية، لم تصمد أمام هذا الاختبار ؟ وكلنا يعلم بدون أدنى شك . كم يكن العسكريون في العالم كله ، وبما فيهم رجالنا العسكريون الروس ، من الاحترام للسلطات العسكرية الالمانية . ان علينا ان ننتهي من هذا التقدير الذي لا يستحقونه . ولذلك فالنقد ضروري ، لا سيما منا ، نحن ، الذين غلبنا المانيا »(١) .

ويتابع ستالين قائلاً « ففيما يتعلق بكلاوزفيتز ، بصورة خاصة ، فقـد تقادم عليه العهد كسلطة عسكرية . ان كلاوزفيتز يمثل المرحلة التجارية في تاريخ الحرب . ولكن هذه الحرب قد دخلت اليوم عصر الآلة . ومن الطبيعي ان تتطلب هذه **المرحلة الجديدة منظرين** عسكريين جدا . ومن المضحك اليوم أن نأخذ دروساً عن كلاوزفيتز ... ان تعاريف كلاوزفيتز ومصطلحاته التي تتناول منطق الحرب ، وعلم تركيبها **تؤذي** آذاننا » .

ولكن هل يمكن اعتبار مفهوم كلاوزفيتز نظرية عسكرية ألمانية صرفة ؟ لقد نهل كلاوزفيتز تجربته من كل الصراعات التي حدثت في عصره ، وكان لهذه الصراعات طابع معين محدد . ولكن الحروب الحقيقية التي ساهم فيها كانت بحد ذاتها تناقضات لنزاعات سياسية واسعة . وبانطلاق كلاوزفيتز من هـذه المعطيات الشاملة لهذه النزاعات ، حاول الوصول الى مبادىء أكثر شمولاً . فقد علمته الثورة الفرنسية ، والدفاع الاسباني ، والمقاومة الروسية ، مثـل ما علمته مؤلفات جنيسنو وشارنهورست . وقد علمته استراتيجية نابليون أكثر مما علمته استراتيجية فريدريك الثاني . وبنهاية **المطاف** ، لقـد زجت القيادة العليا الالمانية الامبراطورية نفسها في طريق لم تعرف فيها، **بعد الانتصارات** الاولية التي حققتها ، سوى الهزائم النهائية ، **لانها قلصت الفكر الكلاوزفيتزي** حسب مبادئها الخاصة وأخضعته لوسائلها الخاصة . **ان كلاوزفيتز هو الذي**

---

(١) ان فكرة اعتبار السوفييت القوة الحقيقية التي انتصرت على المانيا في الحرب العالمية الثانية فكرة صحيحة الى حد ما ، فالمعارك الحقيقية الحاسمة التي حدثت في أوروبا ، هي المعارك التي حدثت في الشرق بين الاتحاد السوفييتي والمانيا الهتلرية . ويعتبر العسكريون الروس ان معارك الغربيين على الجبهة الغربية مع الالمان عبارة عن مناوشات اذا ما قورنت بمعاركهم الطاحنة ، وكان مقياس المقارنة ضخامة القوات المشتبكة من الطرفين وجسامة الخسائر .

**( المترجمان )**

يتيح لنا تفسير الهزائم العسكرية الالمانية بأفضل مما يتيح تفسير انتصاراتها الاولية ، لان أساس فكر كلاوزفيتز هو أن التحليل يكشف الارتباط الذي يقود الى الفشل الجزئي والمؤقت ، أو الى الهزيمة النهائية . فمثلا ، يحتوي تحليل كلاوزفيتز في ذاتيته نقداً **للحرب الخاطفة** . وقد وضع الدفاع (الاعمال الدفاعية) في المقام الاول(١) ، فهل يمكن أن نقول أن الحرب العالمية الثانية قد ثبتت خطأه في هذه النقطة الرئيسية ؟ أما انتصارات الجنرالات السوفييت في مقاومتهم ضد القوى النازية الهتلرية ، ثم في هجومهم المضاد ، فاننا نجد مبادىء هذه المقاومة ومبادىء هذا الهجوم المضاد لدى كلاوزفيتز ، وبوسعنا الآن أن نقول أننا نكاد نجد وصفها أيضاً .

لا شك في أن كلاوزفيتز لم يعرف الطيران والمدرعات والسكك الديدية، كما لم يعرف الاجهزة اللاسلكية والهاتف والتفاعل الذري ، وكثيراً من الاشياء التي أضحت اليوم ، ومنذ زمن طويل ، عوامل أساسية في ادارة الحرب . ان كلاوزفيتز لم يعرف الصناعة أو النظام الاجتماعي المنتج لها . والحرب « الحقيقية » التي عرفها في عصره تختلف عن الحرب التي نعرفها في عصرنا هذا، كما ان الحروب الحقيقية التي جرت في القرون التي سبقته ، أو في العصور الغابرة ، لم تكن مشابهة للحروب التي نعيشها اليوم . فالحروب التي قادها سن تسي ، لم تكن مماثلة للحروب التي قادها ماوتسي تونج ، وان استقى ماو منه كما استقى نابليون من يوليوس قيصر . ان المرحلة الحاضرة ، في الواقع ومن وجهة نظر الحرب الحقيقية ، هي « الحرب الميكانيكية » ، حرب الانتاج الصناعي على نطاق واسع ، والى حد لم يكن من الممكن تخمينه بوجودها قبل عام ١٩٣٩، وعندما لم يكن التوصل الى انتاج الطاقة الذرية قد تحقق . فالتطور التقني والاقتصادي في المجتمع الحديث ، يطرح اذن عدداً كبيراً من المسائل الادارية (اللوجيستيكية) المعقدة ، وهذه المسائل تبلغ من الاتساع ما لم يكن متوقعاً في مطلع العصر الصناعي للقرن التاسع عشر ، والذي يترجم في الواقع بالسيادة المتزايدة للمكتب الرابع للدولة على المكتب الثالث(١) . وهذا يعني اننا

---

(١) يقول ليدل هارت في كتابه « الاختيار الصعب بين الهجوم والدفاع » ان الدفاع قد أخذ نفوذا أو سيادة على الهجوم مادية خلال أقل من قرن ونصف القرن . ولم تستطع الحرب الآلية نفسها أن تحمل تغييراً جذرياً الى هذا الميل الاساسي ...

**( المترجمان )**

(١) يقصد بالمكتب الرابع، حسب التنظيم الفرنسي، الادارة التي تهتم بالشؤون الادارية من تموين وتسليح ونقل واصلاح واخلاء .. الخ . كما يقصد بالمكتب الثالث الادارة التي تهتم بادارة العمليات والتدريب والتنظيم ، أما في التشكيلات الحديثة للجيوش فلكل من العمليات والتدريب والتنظيم ادارة خاصة قائمة بذاتها . **( المترجمان )**

نربح ثلاثة أرباع المعركة او العمليات باعدادها اعــداداً جيداً . وهكذا نعيــد الشؤون الادارية (اللوجيستيكية) الى مكانها اللائق ، بدون ان ننسى انه اذا كان اعداد هذه الشؤون الادارية يعادل ثلاثة أرباع النجاح ، فان هذا لا ينفي ان الربع الرابع والاخير (التكتيك والاستراتيجية) هو الربع الحاسم .

ومع ذلك ، لا يمكنا أن نستنتج من هذا أن الصراعات الحالية بمختلــف أشكالها ، ينبغي ان تزعزع شمول القوة الميكانيكية الحديثة . فالتجربة الآنية تعلمنا العكس ، ان الاستخدام الجــزئي للوسائط الجاهزة يفترض نوعاً مــن التوازن بين القوى الشاملة للمتحاربين . فمع تعادل أولي تقريبي في الوسائط والموارد وارادة الانتصــار ، يمكننا ان ننتظر تطور الحــرب بسرعة نحو شكل متطرف في طريقة استخدامها . ولكن اذا لم يكن هناك تعادل تقريبي بين القوى، فقد لا يستخدم الخصمان في بادىء الامر الا بعض الموارد المحدودة ، اذا لم تغب عن نظرهما كل الظروف التي تتجاوز ساحة المعركة التي يقودانها . تلك هي الحالة اليوم في آسية حيث يصنع الاضعف ظاهرياً ، بالمستوى الآلي ، انتصاره على المدى الطويــل .

والخلاصة ، ان التمييز بين حرب حقيقية وحرب مطلقة يحتفظ بصحــة كبرى في مستوى كون الحروب الحقيقية لعصرنا تميل منذ قرن الى ابراز كنه الحرب والى التحول الى حرب مطلقة ، أي الى حرب تضع في المعركة كــل التوازن الاجتماعي ، وذلك للسببين الرئيسيين التاليــين : الاول هو شمول الصراع واتساعه ، على مستوى عالمي ، أما الآخر فهو طابعه الاجتماعي . غير ان هذين الاتجاهين ليسا سوى اتجاهين عامين ، فالمسرح العام للحرب يتجزأ الى فصول خاصة ، وتتجزأ الصراعات الطبقية العالمية الى صراعات محلية ووطنية. وفي ترابط هذه الاجزاء من المعارك المحلية والوطنية مع الصراعات الشاملة ، يكمن سر الاعمال الحاسمة في المستقبل . واذا كان لا بد من ان تتقدم نظريــة الحرب فذلك من هذه الزاوية ، دونما شك .

**بيير نافيــل**

* * *

## مقدمة المؤلف

ان كون مفهوم العلم لا يتلخص فقط او جوهريا ، بأسلوب معين أو بمنهج تعليمي تامين ، لا يحتاج في أيامنا هذه الى أي تفسير . ولن يجد القارىء في هذا العرض لاول وهلة أية طريقة معينة ، وبدلا من أن يجد منهج تعليم نهائي ، يكتشف عددا من المواد المجمعة .

ويكمن الجانب العلمي من هذا العرض في ارادة اكتشاف كنه ظواهر الحرب وطبيعتها ، وابراز ارتباطها بطبيعة الشيء نفسه . فأنا لم اتفاد قط النتائج الفلسفية ، الا أنني عندما كنت أرى الخيط يضيق كثيرا ، كنت أفضل قطعه وربطه بالأحداث المتلائمة مع التجربة . فكما أن بعض النباتات لا تعطي ثمارا الا اذا لم يرتفع الزرع كثيرا عن الارض ، كذلك ينبغي الا نترك الاوراق تنمو كثيرا ، ولا الازهار النظرية للفنون العملية ، بل علينا أن نقربها من التجربة التي هي أرضها الطبيعية .

وانه لخطأ لا يمكن انكاره أن نريد استخدام المركبات الكيماوية لحبة من القمح ، لدراسة شكل السنبلة ، فيكفي ان نذهب الى الحقول لرؤية السنابل . ان الاستقصاء والملاحظة والفلسفة والتجربة ، لا ينبغي أن تطغى كل منها على الاخرى ، كما ينبغي أن لا تطرد احداهما الاخرى ، فكل واحدة منهما ضمانة للاخرى . فاقتراحات هذا الكتاب ، والهندسة الضيقة لضروراتها الداخلية تستند الى التجربة أو الى مفهوم الحرب نفسها ، كنقطة علام خارجية ، بشكل لا تكون فيه هذه الاقتراحات عديمة الاساس (١) .

وقد لا يكون من المستحيل أن نقيم نظرية قياسية للحرب ، غنية بالافكار وبعيدة المدى ، الا أن الافكار التي نملكها حتى الآن بعيدة عن ذلك . وبدون

---

(١) وبصورة عامة ينطبق هذا الكلام على النقاد العسكريين ، لا سيما على أولئك الذين تطوعوا لمعالجة الحرب نفسها بصورة علمية ، فيكفي أن نعود الى الامثلة المتعددة حيث نرى الايجابي والسلبي في محاكماتهم ، يتناقض بعضه مع بعضه الآخر الى درجة لا تبقي منه سوى الذيل كما لدى الاسدين المشهورين .

— مترجمة النص الالماني —

أن نتحدث عن الفكر اللا علمي الذي يسيطر عليها ، فهي ليست سوى نسيج من الامور التافهة المعروفة ، والخرافات ، بينما يزعمون أنها متلاحمة وكاملة . ويمكن أن نكون عنها فكرة عند قراءة « نظام في حالة الحريق » ، الذي الفه ليشتنبرغ :

« عندما يحترق منزل من المنازل ، ينبغي أن نحاول قبل كل شيء حماية الجدار اليميني للبيت اليساري ، والجدار اليساري للبيت اليميني ، لاننا لو أردنا مثلا حماية الجدار اليساري للبيت اليساري ، فان الجدار اليميني للمنزل سيكون الى يمين الجدار اليساري . وما دامت النار في يمين هذا الحائط ويمين الجدار اليميني ( لاننا افترضنا أن المنزل واقع الى يسار الحريق ) ، فان الجدار اليميني سيكون أقرب الى النار من الجدار اليساري ، ومن الممكن أن يدمر الجدار اليميني بالنيران اذا لم تؤمن حمايته قبل أن تبلغ النار الجدار اليساري المحمي . وبناء على ذلك فان شيئا غير محمي ، من الممكن أن يدمر ، وأن يدمر بصورة أسرع من أي شيء آخر ، حتى ولو لم نقم بحماية هذا الشيء الآخر ، وبالتالي ينبغي التخلي عن هذا الجدار وحماية ذاك . ولكي نمثل هذا الشيء لانفسنا، لنذكر أيضا ما يلي : اذا كان المنزل على يمين الحريق ، فالجدار اليساري هو الذي ينبغي لنا حمايته ، واذا كان المنزل الى اليسار ، فيجب حماية الجدار اليميني » .

ولكي لا نثقل على القارىء ، وهو رجل فكر ، بمثل هذه الاباطيل والتفاهات ، فقد فضلنا تقديم أفكار هذا الكتاب بشكل بذور صغيرة من المعدن الخالص ، وهي أفكار ولدتها ورسختها في ذهن المؤلف سنوات من التأملات والتفكير في الحرب ومعالجة رجال أذكياء يعرفونها وتجارب شخصية متعددة وكثيرة .

ذلك هو منشأ فصول هذا الكتاب وأصلها . وقد يبدو رباطها الخارجي رباطا ضعيفا ، الا أنها كما أرجو ، لا تخلو من التماسك والترابط الداخلي . ولعلنا نرى في المستقبل القريب فكرا أقوى ، يكون قادرا على تقديم مجموع متماسك وصاف ، بدلا من هذه البذور المشتتة .



# الجزء الأول

# طبيعة الحرب

# الفصل الأول

# ماهي الحرب؟

## ١ ــ مدخل :

سنعمد أولا الى دراسة مختلف عناصر موضوعنا ، ثم أجزاءه وأقسامه المتنوعة ، وأخيرا ندرس الموضوع بكامله ، مع ترابطه الداخلي . وسنبدأ من البسيط لنصل الى المركب . ولكن ( موضوع الحرب ) يتطلب أكثر من أي موضوع آخر ، القاء نظرة أولية على طبيعة مجمله ، اذ هنا ، ينبغي ، أكثر من أي ميدان آخر ، أن ندرس الجزء والكل معا .

## ٢ ــ تعريف :

اننا لن نحاول البدء في تعريف الحرب تعريفاً متحذلقاً وثقيلا . ولنكتف بروح هذه الحرب اي لنكتف بالمبارزة . فالحرب ليست شيئا مختلفا عن المبارزة على نطاق واسع . واذا ما أردنا أن نجمع في مفهوم واحد النزاعات الخاصة المتعددة التي تتألف الحرب منها ، يحسن بأن نفكر في اثنين من المتقاتلين يحاول كل منهما ، بقوته البدنية اخضاع خصمه لارادته . ان هدفه الفوري المباشر هو القاء خصمه أرضا ليجعله عاجزا عن أية مقاومة .

**فالحرب اذن ، وبهذا الشكل ، عمل من أعمال العنف ، يستهدف اكراه الخصم على تنفيذ ارادتنا .**

ويتسلح العنف ، في مجابهته للعنف ، بالفنون والعلوم : ويقترن بقيود صغيرة تكاد لا تذكر ، تأخذ اسم قوانين حقوق الافراد . الا أن هذه القيود لا تضعف من فاعلية العنف . فالعنف ، بمعنى العنف البدني ( لانه لا وجود للعنف الاخلاقي الا في مفهوم الدول والقانون ) هو اذن الوسيلة ، أما الغاية فهي فرض ارادتنا على الخصم . ولكي نحقق هذه الغاية بكل أمان ، ينبغي نزع سلاح العدو ونزع السلاح

هذا هو ، بالتعريف ، هدف العمليات الحربية الخاص . ويتخذ هذا الهدف مكان الغاية ويبعدها ، اذا صح التعبير ، كأنها شيء لا يمت الى الحرب نفسها بصلة .

### ٣ ـ استخدام القوة ، اللا محدود :

قد تتخيل بعض النفوس الطيبة ، أن هناك وسيلة اصطناعية لنزع سلاح العدو والقضاء عليه بدون اهراق كثير من الدماء (١) وأن فن الحرب الحقيقي يستهدف تحقيق هذا الهدف . ومهما بدا هذا أمرا مرغوبا فيه ، فانه خطأ شائع ، ينبغي تجنبه . ففي قضية خطرة كقضية الحرب ، تعتبر الاخطاء الناتجة عن طيبة النفس أسوأ الاخطاء . وكما أن استخدام القوة البدنية ، لا يستبعد استخدام الذكاء ، فان الذي يستخدم هذه القوة بدون رحمة ، ولا يتراجع أمام أي هدر للدم ، يتغلب على خصمه ان لم ينسج هذا على منواله . وبهذا الشكل ، يملي على الخصم قانونه الخاص حتى أن كلا منهما يدفع الآخر الى حدود من العنف لا يستطيع أن يرسم نهايتها الا الوزن المعاكس لدى الخصم .

وهكذا يتبين لنا ، كيف ينبغي أن نواجه الامور . فاهمال عامل الشراسة ، لما يوحي به من اشمئزاز ، هو تبديد للقوة ، ان لم نقل خطأ كبير .

فاذا كانت الحروب بين الامم المتحضرة أقل شراسة ودمارا من حروب الامم المتخلفة ، فذلك ناجم عن وضع هذه الدول الاجتماعي (٢) ، الوضع الاجتماعي

---

(١) يعارض أصحاب نظرية الاستراتيجية غير المباشرة هذا الرأي ، ويرون أن احتلال موقع استراتيجي أفضل ، أو استخدام أسلوب قتالي يحقق مفاجأة العدو بكل أنواعها ، أو تهديد مؤخرته وطرق انسحابه ، أو أي تقرب غير مباشر مادي أو معنوي ، أو غير ذلك من الامور ، يكفي لشل ارادة قيادة جيش العدو ، وتفتيت هذا الجيش ونزع سلاحه بصورة أسرع وأقل اراقة للدماء . ويتصدر هذه المدرسة اليوم المعلق العسكري البريطاني ب . هـ ليدل هارت ، الذي ينقض رأي كلاوزفيتز ويعارض فكرة البحث عن الحل بالمعركة ، ويشرح فكرة الاستراتيجية غير المباشرة في عدة مؤلفات منها كتاب الاستراتيجية وتاريخها في العالم ـ منشورات دار الطليعة ـ بيروت ١٩٦٧ .. **( المترجمان )**

(٢) لا يعتبر مثل هذا التفكير ، مقبولا من المؤلف، في الوقت الحاضر ، لا سيما بعد أن أثبتت الدول المتحضرة انها شرسة ومدمرة . فكل الحروب الاستعمارية كانت دموية رهيبة ، كما أن العالم لم ينس حتى الآن شراسة الولايات المتحدة الامريكية،عندما القت قنبلتيها الذريتين علىهيروشيما، وناغازاكي . ويرقب العالم اليوم عملية دمار وحشية وتقوم بها أمريكا ضد فيتنام الشمالية لم يشهد لها مثيلا في التاريخ . وسنرى أن المؤلف يعود الى هذا الموضوع في الصفحات التالية ويدحض بنفسه هذه الفكرة . **( المترجمان )**

الخاص بكل أمـة منها ، بقـدر ما هو ناجم عـن الوضع الذي يملي علاقاتها المتبادلة . ومن هذا الوضع ومما هو رهن به ، تنبثق الحرب . هذه هي الظروف التي تصوغ الحرب ، وتحددها وتعدل من حدتها . الا أن هذه العناصر ، في حـد ذاتها لا تنتمي الى الحرب . انها موجودة قبلها . وليس بالامكان ادخال مبدأ معدل في فلسفة الحرب نفسها بدون أن نرتكب خطيئة خمقـاء .

والواقع أن النزاع بين الرجال يتعلق بعنصرين مختلفين : **الشعور بالعـداء ، والنية العدوانية** . ولقد اخترنا من هذين العاملين العامل الاخير ، لنطبع تعريفنا بعلامته المميزة ، لانه أكثر التعاريف شمولا . فلا يمكن فهم الشعور شبه الفريزي المتأجج بالحقد ، والمفعم بالوحشية ، اذا كان مجردا من النوايا العدوانية ، بينمـا هناك كثير من النوايا العدوانية المجردة من الحقد ، أو أنها لا يشوبها ، على الاقل ، أي شعور يسوده الحقد . فلدى البدائيين المتوحشين ، تتغلب النوايا التي يوحي بها الاحساس . أما لدى الشعوب المتحضرة ، فتتغلب النوايا التي يمليها الذكاء . ومع ذلك فلا يعود هذا الفرق الى الطبيعة الذاتية للوحشية والمدنية ، بل الى الظروف السائدة والمؤسسات الخ . . وهذا الفرق لا يتحتم وجوده في كل حالـة خاصة بل يتفوق في معظم الحالات . وبكلمة واحدة ، من الممكن أن يجرف الحقـد الشرس أكثر الامم تمدنا وتحضرا .

ونرى من هذا التحليل ، كم نبتعد عن الحقيقة اذا ما أرجعنا الحرب بـين الشعوب المتحضرة الى عمل عقلاني بحت تقوم به الحكومات. وقد يبدو لنا عملا يتخلص أكثر فأكثر من كل الاهواء ، تخلصاً لا يصبح فيه ضغط القوات المسلحة ضروريا في نهاية المطاف ، اذ تكفي عندئذ العلاقات النظرية بين الحكومات .

وكانت النظرية في طريقها الى سلوك هذا السبيل عندما طبعتها أحداث الحروب الاخيرة (١) بمجرى جديد . فاذا كانت الحرب عملا من أعمال العنف ، فالحساسية تنتمي اليها وترتبط بهـا بالضرورة . واذا لم تنجـم الحرب عن الحساسية ، فانها تؤثر فيها تأثيرا متفاوتا . وهذا التفاوت لا يرتبط بدرجـة التمدين ، بل بأهمية المصالح المعاديّة ومدتها .

فعندما نجد الشعوب المتحضرة ، تمتنع عن قتل الاسرى ، وعن نهب المدن والارياف ، فذلك لان الذكاء يحتل مكانا واسعا في ادارتها للحرب ، وأن هذا الذكاء قد علمها استخدام القوة بصورة أكثر فاعلية ، مما علمها ظهور الفريزة الشرس هـذا .

---

(١) الحروب النابليونيـة .

**ـ مترجمة النص الالماني ـ**

أن اختراع البارود ، والتقدم المطرد في تطور الاسلحة النارية ، يبرهنان بذاتهما على أن تقدم الحضارة لم يعق أو لم يكبت الاتجاه لتدمير العدو ، المتلاحم مع مفهوم الحرب .

ونحن نكرر اذن رأينا وهو : ان الحرب عمل من أعمال العنف ، وليس هناك من حدود للتعبير عن هذا العنف . فكل من الخصمين يصنع قانون الآخر . ومن هنا ينتج عمل متبادل ، يصعد الامور الى الحدود القصوى . ذلك هو العمل الاول المتبادل ، والحد الاقصى الاول الذي نصادفه . .

## ٤ ـ الهدف هو نزع سلاح العدو :

لقد قلنا أن هدف الحرب هو نزع سلاح الخصم ، وسنبرهن نظرياعلى الاقل على ضرورة تحقيق هذا الهدف .

فلكي يخضع الخصم لارادتنا ، ينبغي أن نضعه في وضع أسوأ من التضحيات التي قد نفرضها عليه . ومع ذلك ينبغي أن لا يكون هذا الوضع السيىء وضعا مؤقتا ، كما ينبغي ألا يبدو كذلك على الاقل ، والا انتظر الخصم وقتا ملائما بالنسبة اليه ، ليمتنع عن الخضوع . وبناء على ذلك ، من شأن كل تغيير للوضع تؤدي اليه متابعة النشاط الحربي ، نظريا على الاقل ، أن يوصله أيضا الى وضع أسوأ . وأسوأ وضع بالنسبة للمحارب ، هو الوضع الذي يجد فيه نفسه أعزل من السلاح. فاذا أردنا اجبار الخصم بعمل حربي على تنفيذ ارادتنا ، وجب علينا أن ننزع سلاحه نزعا شاملا ، أو أن نضعه في ظروف يحس فيها بأنه مهدد بمثل هذا الاحتمال . ويتأتى عن ذلك أن هزيمة العدو أو نزع سلاحه ، هما الهدف الحتمي من كل عمل عسكري .

غير أن الحرب ليست عمل قوة حية وتأثيرها على كتلة ميتة ، لان انعدام المقاومة انعداما مطلقا هو نفي الحرب أصلا . فالحرب هي دوماً صدام بين قوتين حيتين ، وما قلناه عن الهدف الاكبر من أعمال الحرب ينطبق ضمنا على الطرفين. وهنا أيضا يكون العمل متبادلا . لذلك فان عدم قضائي على الخصم ، يجعلني أخشى أن يقضي علي . فلست سيد نفسي ، ما دام بامكانه أن يملي علي ارادته ، كما أملي عليه ارادتي . ذلك هو العمل المتبادل الثاني الذي يقودنا الى النهاية الثانية .

## ٥ ـ انتشار القوات الاقصى :

اذا أردنا القضاء على الخصم ، علينا أن نجعل جهدنا يتناسب مع قوة مقاومته . فقوة مقاومته هذه ، هي محصلة عاملين لا ينفصلان عن بعضهما وهما : **وفرة الامكانات التي يمتلكها ، وقوة ارادته .**

وبامكاننا أن نحسب وفرة وسائطه المختلفة ، لان هذه الوسائط تستند الى أرقام محددة(١) ، (وان لم يكن ذلك بصورة كاملة) . ولكن لا يمكننا حساب قوة ارادته الا تقريبياً ، وحسب قوة السبب الذي أوحى بهذه الارادة . واذا افترضنا أن تقديرنا قوة مقاومة العدو كان صحيحاً الى حد ما ، فيسعنا عندئذ أن نكيف جهودنا حسب ذلك وان نعزز هذه الجهود بالقدر الذي يحقق لنا التفوق ، أو أن نعمل قدر المستطاع اذا لم نكن نملك من الوسائل ما يعزز هذه الجهود . ويلجأ الخصم الى الاسلوب الذي لجأنا اليه ذاته ، فتقوم عندئذ مبارزة تتطلب ، في المجال النظري البحت ، اندفاعا الى النهايات . وهنا نصادف العمل المتبادل الثالث أو النهاية الثالثة .

## ٦ ـ تعديلات تحدث في الواقع :

لا يرتاح التفكير ، في المجال المجرد للمفهوم الخالص ، قبل أن يبلغ مداه الاقصى ، لان التفكير يجد نفسه وجهاً لوجه أمام هذا الحد الاقصى متكافحاً واياه ، وهذا هو نزاع القوات المتروكة لنفسها ، والتي لا تخضع الا لقوانينها الخاصة . فاذا أردنا أن نستنتج من المفهوم النظري الخالص للحرب ، هدفا مطلقا مرسوما مسبقا ، ووسائط لبلوغ هذا الهدف ، فان هذه الاعمال المستمرة المتبادلة ، قد تقودنا الى الحدود القصوى ، التي لن تكون الا لعبة من لعب الخيال المحض ، ونتاج تشابك غير واضح لبعض الحجج المنطقية . واذا أردنا تجنب كل الصعوبات بتأكيد بسيط ، مع تمسكنا بالاشياء المطلقة ، وبتأكيدنا أيضا ، من وجهة نظر منطقية فقط ، ان علينا ان نكون مستعدين لكل شيء ، وان نجابه هذا التطرف الاقصى بالجهد الاقصى ، فان تأكيدنا قد يبقى حرفاً ميتاً ، لا تطبيق له في عالم الواقع .

وبقبولنا أيضاً أن أقصى الجهد هذا هو شيء مطلق من السهل اكتشافه ، يتحتم علينا أن نعترف بأن الفكر البشري لن يخضع بسهولة الى مثل هذه الخواطر المنطقية . وفي كثير من الحالات ، تصبح النتيجة تبديدا للقوة بلا جدوى ، ينبغي على فن الحكم تعويضها بمبادىء أخرى . ويتطلب كل ذلك جهدا اراديا لا يتناسب مع الغرض المطلوب ، ومن المحال توليده لان ارادة الانسان لا تستقي أبدا قواها من الدقة المنطقية .

ولكن كل هذا يتخذ شكلا مختلفاً اذا انتقلنا من التجريد الى الحقيقة . ففي

---

(١) يدخل حساب الوسائط في ميزان القوى التفصيلي ، وهو حساب عدد قطعات الخصم ، وعدد أسلحته ( طيران ـ دبابات ـ آليات مجنزرة ـ مدافع ، على اختلاف أنواعها .. الخ ) كما يؤخذ عامل التدريب وعوامل اخرى بعين الاعتبار .

( المترجم )

التجريد ، ينبغي أن يقدر كل شيء بنظرة متفائلة . وكان من الواجب أن نــدرك أن كلا المعسكرين ، لم يكن يتجه قط الى الكمال ، بل كان يبلغه أيضا . فهل يتحقق ذلك في الواقع ؟ سيكون كذلك لو تمت الامور التالية :

(أ) اذا كانت الحرب عملا منعزلا كل الآنعزال واندلعت فجأة ، بدون أية علاقــة مع الحياة السابقة في الدولــة .

(ب) اذا كانت الحرب تتضمن نتيجة حاسمة وحيدة ، أو عدة نتائج حاسمة معا .

(جـ) اذا كانت الحرب قد سببت بنفسها نتيجة حاسمة كاملة ، واذا لم يؤخــذ الوضع السياسي الذي سينتج عنها وينعكس عليها بعين الاعتبار .

## ٧ ـ ليست الحرب أبدا عملا منعزلا :

بصدد النقطة الاولى ، ينبغي أن نتذكر أن أيا من المتنازعين لا يشكل بالنسبة للآخر شخصا مجردا ، حتى فيما يتعلق بعامل المقاومة الذي لا يرتبط بالاشياء الخارجية بل يرتبط بالارادة التي ليست شيئا مجهولا كل الجهل . فوضعها اليوم يعلمنا ماذا ستكون عليه غدا . فالحرب لا تنفجر أبدا بصورة مفاجئة : وليس امتدادها من صنع لحظة من اللحظات . ويستطيع كل خصم من الخصمين اذن ، أن يكون رأيه عن الآخر الى حد كبير ، حسب ما هو عليه وما يقوم به من عمل في الحقيقة ، لاتبعا لما يحتمل أن يكون عليه نظريا وما يحتمل أن يقوم به من عمل . ومع ذلك فان الانسان يبقى بتنظيمه غير الكامل ، خلف الخط الافضل المطلق ، وما دامت هذه النواقص تعمل في كلا الجانبين ، فانها تصبح مبدأ معدلا .

## ٨ ـ ليست الحرب ضربة واحدة ، بدون مدة زمنية :

وتعطي النقطة الثانية المجال للملاحظات التالية :

اذا كانت نهاية الحرب تتعلق بنتيجة حاسمة وحيدة أو عدة نتائج حاسمة معا ، فينبغي عندئذ ، طبيعيا ، دفع الاعداد لهذه النتيجة أو لهذه النتائج المتعددة، الى الحدود القصوى . فالفرصة الضائعة لا يمكن استعادتها أبدا . والدلالــة الوحيدة التي يستطيع العالم الواقعي اتاحتها لنا في موضوع التدابير الواجب اتخاذها ، هي على الاكثر تدابير خصمنا ، اذا كنا نعرفها . وينبغي بعد ذلــك تحويل كل الباقي الى عالم التجريد . ولكن اذا كان القرار مشتملا على عدة اعمال متتابعة فان كل عمل من هذه الاعمال ، مضافــا الى الظروف التي يرتبط بها ، قادر على تزويدنا بالتدبير الذي يليه . وفي هذه الحالة أيضاً يحل العالم الواقعي محل العالم المجرد ، ويخفف بالتالي الاتجاه الى الحدود القصوى .

ومع ذلك ، فان كل حرب تقتصر بالضرورة على عمل حاسم واحد ، أو عدة أعمال ، حاسمة في آن واحد ، اذا كانت الوسائط الجاهزة للمعركة قد وضعت أو من الممكن أن توضع قيد التنفيذ في الوقت ذاته . وان مخرجا غير ملائم أو غير صالح يقلل هذه الوسائط حتما. فلو استخدمت هذه الوسائط كلها لصالح نتيجة حاسمة واحدة ، فان عملا حاسما ثانيا يصبح أمرا لا يمكن التفكير فيه . فكل أعمال الحرب التي قد تتبع ، ستكون اساسا جزءا من العمل الاول ، ولن تكون في الحقيقة الا امتدادا لـه .

ولكننا **رأينا ، منذ بدء الاعداد للحرب**، أن العالم الواقعي احتل مكان المفهوم الخالص ، وان تدابير حقيقية حلت محل النهايات الفرضية . ولهذا السبب وحده على الاقل ، فان على كل من المتنازعين اذن أن يتوقف أثناء العمل المتبادل قبل خط من الجهد الاقصى ؛ ولن تكون قوات الطرفين المتنازعين مجندة اذن في آن واحـد .

الا أن طبيعة هذه القوى نفسها ، وطبيعة استخدامها ، تجعل من المحال استخدامها في آن واحد . وهذه القوى هي : **القوات العسكرية نفسها ، والارض** بمساحتها وسكانها ، **والحلفاء** .

فليست الارض بمساحتها وشعبها ، منبع كل قوة عسكرية فحسب ، بل انها تشكل أيضا جزءا لا يتجزأ من العوامل المؤثرة في الحرب ، لانها تكون على الاقل مسرح العمليات ، أو تمارس عليه تأثيرا هاما .

ومن الممكن تجنيد كل الملاكات العسكرية المتحركة في آن واحد ، ولكن لا يمكن تجنيد كل القلاع ، والانهار، والجبال والسكان الخ . . . والخلاصة، لا يمكن تجنيد البلد بكامله ، الا اذا كان البلد صغيراً جداً، والى حد يشمله فيه ويغطيه العمل الحربي الاول بكامله . كما أن تعاون الحلفاء لا يرتبط بارادة المتنازعين ، وكذلك تتجه طبيعة العلاقات السياسية نفسها ، في الغالب الى ان لا تجعل هـذا التعاون فعليا وواقعيا ، الا بعد ذلك ، أو أن يتعزز هذا التعاون لتقويم التوازن المفقـود .

وقد يحدث أن جزءا من وسائط المقاومة ، لا يمكن استخدامه على الفور . وقد يكون هذا الجزء في كثير من الحالات أهم بكثير مما كان يظن لاول وهلة . وبناء على ذلك ، قد يكون هذا الجزء قادرا على اعادة توازن القوات ، بينما يكون العمل الحاسم الاول قد نفذ بدرجة من العنف زعزعت التوازن بصورة جدية . هـذا ما سنحاول الاسهاب في تفسيره . ويكفينا الآن اظهار ما يلي : **ان جمع القوات كلها، جمعاً تاماً في وقت واحد**، أمر معاكس لطبيعة الحرب. وليس في ذلك ما يدعو

لتقليل حدة الجهود في سبيل العمل الحاسم الاول ، لانه حتى لو تلت العمليـــة الاولى عمليات أخرى ، فان هذه العملية الاولى ، يزداد تأثيرها في هذه العمليـــات بقدر ما تكون حاسمة . الا أن نفور الانسان من بذل جهد كبير منذ البداية ، يدفعه الى الاختفاء وراء امكان عمل حاسم لاحق، حتى أن درجة حشد كل الموارد وتوترها في العمل الحاسم الاول، تكون أدنى مما يسعها ان تكون عليه في الحالة المعاكسة. ومهما كان التوقف الذي يتجه اليه أحـــد الخصمين بدافع الضعف ، فان هذا التوقف يصبح للخصم الآخر سببا موضوعيا حقيقيا لتخفيف جهوده الخاصة. وهكذا ، وبفضل هذا العمل المتبادل ، يجد اتجاه التصعيد الى الحدود القصوى نفسه مرة أخرى ، قد عاد الى درجة معينة من الجهـــد .

## ٩ ـ ليست الحرب أبدا شيئا مطلقا في نتيجته :

وأخيرا ، لا ينبغي أن تعتبر النتيجة الحاسمة لاية حرب من الحروب أمرا مطلقا . فغالبا ما ترى الدولة المهزومة أن هزيمتها شر مؤقت ، تستطيع الظروف السياسية اللاحقة ايجاد حل له . ومن الطبيعي ان يخفف هذا الوضع الى حد كبير من عنف التوتر ومن حدة الجهـــد .

## ١٠ ـ ان احتمالات الحياة الحقيقية تحل محل ما في المفهوم من الحد الاقصى ومن المطلق :

وهكذا ، يكف عمل الحرب عن الخضوع الى القوانين الدقيقة التي تدفع القوات الى الحدود القصوى . فاذا لم نفتش أبدا عن الحدود القصوى ، ولـم نتهرب منها ، فان حد الجهد الواجب بذله هو مسألة ينبغي تحديدها بالمنطق ، ولا يمكن القيام بذلك الا بواسطة استنتاجات ، استنادا الى قوانين حســـاب **الاحتمالات** ، منطلقين من معطيات تتيحها حوادث العالم الواقعي . فعندما لا يكون الخصمان تجريدات صرفة ، بل دولا وحكومات فردية ، وعندما تكون الحرب عملا يجري طبقاً لقوانينه الخاصة، لا عملا نظرياً، فان الوضع الحقيقي يتيح لنا عناصر المعلومات اللازمة عما يمكن التنبؤ به، وعن المجهول الذي يبقى علينا ان نكتشفه. وسيحاول كل طرف من الاطراف التنبؤ بعمل الآخر واستخلاص استنتاجاته ، من طبيعة الخصم ومؤسساته ، ومن الوضع والشروط التي يوجد فيها ، ويطابقها مع وضعه الخاص ، مستخدما قوانين حساب الاحتمالات .

## ١١ ـ الهدف السياسي يعود الى الظهور :

وهنا يقوم موضوع تخلينا عنه كي نبحثه في المقطع الثاني، موضوع **هدف**

الحرب السياسي ، وهو يجذب انتباهنا مرة أخرى . فقد غاص هذا الهدف حتى الآن ، الى حد ما ، في قانون الحدود القصوى أو التصعيد-الاقصى ، بغية نزع سلاح العدو وضربه . فعندما تخف حدة تنفيذ هذا القانون ، وتفقد هذه النيـة هدفها ، يعود هدف الحرب السياسي الى الظهور حتميا . واذا اعيدت كـل تقديراتنا الى حساب الاحتمالات ، انطلاقا من أشخاص وظروف محددين ، فان الهدف السياسي، كعامل متحرك أولي، يصبح عاملا أساسيا جدا في هذا الحاصل . وبقدر ماتكون التضحية التي نطالب العدو بها تضحية ضئيلة، استطعنا أن ننتظر منه جهودا ضئيلة كي يمتنع عن هذه التضحية . ولكن كلما كانت جهود الخصم التي نتوقعها ضئيلة وضعيفة ، أصبحت جهودنا أيضا مماثلة لجهوده . وبالاضافة الى ذلك ، كلما تضاءلت أهمية هدفنا السياسي ، قلت قيمته في نظرنا ، وأصبحنـا مستعدين للتخلي عنه : وهذا سبب اضافي لتخفيف جهودنا الخاصة .

وهكذا فان الهدف السياسي ، كدافع أولي للحرب ، يتيح التدبير الضروري لبلوغ الهدف بالعمل العسكري ، والجهود الضرورية لذلك . ولا يمكن أن يكون تدبيرا في حد ذاته ، أو لغرض الهدف نفسه . ولكن ما دمنا أمام حقائق لا أمـام مفاهيم خالصة ، فان هذا التدبير يصبح تدبيرا أو اجراء متعلقـا بالدولتيـن المتصادمتين . وقد يؤدي الهدف السياسي ذاته أو الهدف السياسي الواحد في أمم مختلفة ، وفي الامة نفسها الى ردود فعل مختلفة في عهود مختلفة . ولهذا لا يمكن للهدف السياسي أن يستخدم كتدبير أو اجراء ، الا اذا أخذنا بعين الاعتبار تأثيره في الجماهير التي يهمها أمره . اذن ينبغي أن نأخذ بعين الاعتبـار طبيعـة هذه الجماهير . وسنفهم بدون جهد ، أن النتيجة ستكون مختلفة كل الاختلاف ، وحسبما تبديه هذه الجماهير من عوامل ، وما اذا كانت هذه العوامل عوامل تعزيز للعمل أو اضعافه . وقد يبلغ التوتر القائم بين شعبين أو دولتـين ، ومجموعـة العناصر المعادية بينهما ، مبلغا يستطيع معه سبب للحرب ، ضعيف جدا في حد ذاته ، أن يحدث أثرا لا يتناسب مع السبب ، وانفجارا حقيقيا .

ويصح هذا أيضا ، في الجهود التي يولدها الهدف السياسي في الدولتين ، كما يصح بالنسبة للهدف المرسوم للعمل العسكري . واحيانا ، قـد يصبح هذا الهـدف الهدف السياسي ، عندما يكون الموضوع احتلال احدى المقاطعات مثلا ، وأحيانا لا يكون الهدف السياسي من طبيعة تتيح له أن يجسد هـدف العمل العسكري . وعندئذ ، ينبغي أن ننتقي هدفا من الاهداف يسعه أن يوازيه، وأن نأخذه بعين الاعتبار عند اقرار السلام . ولكننا نفترض مسبقا ، هنا أيضا ، أن خصائص الدول العاملة قد أخذت بعين الاعتبار بصورة صحيحة . وتتطلب بعض الظروف أن يكون الهدف البديل، أكبر من الهدف السياسي، اذا كان المطلوب

بلوغ الاخير بوساطة الاول . وكلما كانت الكتل الجماهيرية لامبالية، تضاءلت قوة التوتر ، هذا التوتر الموجود في مجالات أخرى في كلتا الدولتين وفي علاقاتهما وكلما أضحى الهدف السياسي عاملا مسيطرا كتدبير وحاسما في حد ذاته . وفي بعض الحالات ، يكون الهدف السياسي وحده العامل الحاسم .

واذا كان الهدف من العمل الحربي ، هو هدف بديل للهدف السياسي ، فان هذا العمل يتضاءل بصورة عامة كلما تضاءل الهدف السياسي ، وكلما كان هذا الهدف مسيطرا ، كان العمل على هذا الشكل . ويفسر هذا الوضع ، امكان قيام حروب مختلفة الاهمية ، وعلى درجات حدة مختلفة ، من حرب الابادة الى حرب الاستكشاف المسلح .

## ١٢ ـ ان ما قلناه لا يفسر أيضا ايقاف عمل الحرب :

مهما كانت مطالب الخصمين السياسية عديمة الاهمية، ومهما كانت الوسائل المستخدمة ضعيفة، ومهما كان الهدف الذي تقترحه هذه الوسائل للعمل الحربي، متواضعا ، فهل يستطيع هذا العمل الحربي ان يعرف لحظة واحدة من الهدنة ؟ هنا سؤال يخترق بعمق جوهر الموضوع نفسه .

يتطلب كل عمل ، ليكون تاما ، وقتا معينا نطلق عليه اسم ( المدة الزمنية ) . وتقصر هذه المدة أو تطول ، حسب سرعة الشخص الذي يقوم بالعمل .

فاذا أتحنا لكل عمل من أعمال الحرب المدة الزمنية الضرورية له ، ينبغي لنا عندئذ أن نقبل، لاول وهلة على الاقل ، أن كل تبديد في الزمن يتجاوز حدود هذه المدة الزمنية ، أي أن كل ايقاف لعمل الحرب يبدو عملا غير مصيب . وينبغي دوما أن نتذكر ، في هذا المجال أن الموضوع لا يتعلق بتقدم طرف أو آخر من الخصمين ، بل بتقدم العمل الحربي بكامله .

## ١٣ ـ ليس هناك الا سبب واحد لايقاف العمل ، ويبدو أن هذا السبب لا يمكن أن يوجد الا في طرف واحد .

اذا تسلح طرفان من أجل القتال ، فمعنى ذلك انهما كانا مدفوعين الى ذلك بمبدأ العداء . فما دام الطرفان تحت السلاح ، ولم يتفقا على السلم ، فمعنى ذلك أن هذا المبدأ ينبغي أن يبقى . ولا ينفك هذا المبدأ يؤثر على أحد الخصمين ، ولو لسبب وحيد ، **هو رغبته في انتظار فرصة أكثر ملاءمة للعمل** . ويبدو لاول وهلة أن هذا السبب لا يمكن أبدا أن يتحقق الا لمعسكر من المعسكرين، لانه يؤثر من ذاته

في اتجاه معاكس على الآخر . فاذا كان من مصلحة احدهما أن يعمل ، ينبغي أن تكون مصلحة الآخر ان ينتظـر .

ولا يمكن لتوازن تام في القوات ، ان يكون سببا في ايقاف العمل ، لان الذي يتابع الهدف الايجابي ( أي الذي يهاجم ) يستفيد من هذا الايقاف للحفاظ عـلى المبـادأة .

ولكن ، لو فرضنا أن هناك توازنا ، يملك فيه الطرف الذي يتابع الهدف الايجابي أقل الموارد واضعفها ، ويخضع بالتالي لدافع أقوى من الدافع الذي يحرك الطرف الآخر بشكل تنتج فيه المعادلـة من مجموع الدوافـع والقوات ، عندئذ نستطيع ان نقول : اذا لم نتوقع اي تعديل في هذا التوازن ، فان المعسكرين سيضطران الى اقرار السلام . ولكن اذا كان هناك توقع للتعديل ، فانه سيكون لصالح معسكر واحد فقط ، الامر الذي لابد من ان يستحث الطرف الآخر على العمل . وهكذا نرى اذن أن فكرة التوازن لا تفسر هدنة المعارك ، الا أنها تعادل دومـــا فكرة انتظار لحظة أكثر ملاءمة . ولنفترض اذن أن لاحدى الدولتين هدفا ايجابيا : انها تريد الاستيلاء على مقاطعة للعدو لتنتفع بها عند اقرار السلم . وبعد احتلالها وتحقيق تخطيطها السياسي ، فان ضرورة العمل لديها لا وجود لها ، وبامكانها أن تستريح . واذا اراد الخصم أن يتيح لها فعلا هذا النجاح فسيبرم معها السلم ، والا فينبغي عليه أن يعمل . وقد يكون ، في خلال شهر من العمل ، أكثر تنظيما ، عندئذ يكون لديه سبب كاف لتأخير عملـه .

وابتداء من هذه اللحظة ، يبدو أن المبادأة ينبغي ، منطقيا ، أن تعود للخصم ، كي لا يترك للمهزوم الوقت الـلازم للعمـل . وفي كل هـذا ، يبـدو أن على كل معسكر أن يكون على معرفة كاملة بالوقائع .

## ١٤ ـ وبذلك يستمر العمل العسكري ، ويزيد هذا الاستمرار حدة كل شيء مرة اخرى .

اذا بقي هذا الاستمرار في العمل الحربي واقعيا ، فقد يدفع مرة اخرى كل شيء الى الحدود القصوى . وبدون أن نحسب أن هذا النشاط المستمر سيزيـد من حدة المشاعر ويرفع درجة القوى الاولية ، فان استمرار العمل يولد ايضـا تداخلا أشد للاحداث ، تعاق فيه بصورة أقل النسب بين الاسباب والنتـائج ، ويصبح كل عمل بهذا الشكل اكبر شأنا وأشد خطورة .

ومن المعروف ، مع ذلك ، ان العمل العسكري قلما يكون بهذا الاستمرار ، ان لم نقل انه لا يمكن أن يكون ابدا بهذا الاستمرار . وان هناك عددا من الحروب يحتل

العمل فيها أصغر جزء من الوقت على حين تحتل العطالة بقية الوقت . ومن المستحيل أن يكون ذلك شذوذا على الدوام ، وينبغي أن يكون ايقاف العمل العسكري اذن ، أمرا ممكنا ، أي أن لا يكون تناقضا في حد ذاته . وسنظهر فيما يلي ان هذا شأنه في الواقع ، كما سنظهر السبب .

## ١٥ ـ يدخل اذن هنا مبدأ «القطبية» في العمل .

لقد سلمنا بأنه اذا كانت مصالح أحد القائدين العامين هي دائما في اتساع أو كبر يتعارض مع مصالح القائد الآخر ، فان ذلك يشتمل على قطبية حقيقية. وسنعمد الى تخصيص فصل خاص لهذا المبدأ . ومع ذلك علينا أن نقدم هنا ملاحظة في موضوعه .

لا يكون مبدأ القطبية صالحا ، الا اذا كانت هذه القطبية تتعلق بغرض وحيد، وبالغرض نفسه ، حيث المبدأ الايجابي وعكسه (المبدأ السلبي) ، لا بد من ان يلغي كل منهما الآخر . فكل معسكر من المعسكرين في المعركة يريد أن ينتصر . هذه هي القطبية الحقيقية ، لان انتصار الواحد يلغي انتصار الآخر . ولكن عندما يكون الموضوع متعلقا بشيئين مختلفين لهما علاقة مشتركة خارجة عنهما ، تنطبق هذه القطبية عندئذ على علاقاتهما ، لا على هذين الشيئين .

## ١٦ ـ الهجوم والدفاع شيئان من طبيعة مختلفة ومن قوة غير متكافئة ، فالقطبية لا تنطبق عليهما اذن .

لو لم يكن هناك سوى شكل واحد من أشكال الحرب هو الهجوم ، أي لو لم يكن هناك دفاع بالتالي ، وبعبارات أخرى : لو تميز الهجوم عن الدفاع فقط ، بالدافع الايجابي الذي يملكه ، والذي يفتقر اليه الدفاع ، وكانت طرق الصراع واحدة ، فان كل ميزة لاحدهما ستقابلها سيئة للآخر في أثناء الصراع، ويكون هناك قطبية حقيقية .

الا أن النشاط الحربي يتخذ شكلين متميزين هما الهجوم والدفاع. يختلفان عن بعضهما اختلافا كبيرا ويتمتعان بقوة غير متكافئة كما سنبرهن عمليا . فالقطبية تكمن اذن في الشيء الذي يرتبط به هذان الشكلان ، أي بالحسم ، لا بالهجوم والدفاع .

فلو أراد أحد القائدين تأخير العمل الحاسم ، فان القائد الآخر يرغب في التعجيل في تنفيذه ، على أن يكون العمل الحاسم متعلقا باسلوب القتال ذاته . فاذا كان من مصلحة القائد (أ) أن لا يهاجم خصمه على الفور ، بل بعد أربعة أسابيع مثلا ،

فان القائد (ب) يجد من مصلحته أن يهاجمه (آ) على الفور ، لا بعد أربعة أسابيع . وهنا يقوم تضاد مباشر ، ولكن هذا لا يعني أن من مصلحة (ب) أن يهاجم (أ) لساعته . وهذا بدون شبك شيء مختلف كل الاختلاف .

## ١٧ ـ غالبا ما يزول أثر القطبية بتفوق الدفاع على الهجوم ، وهذا ما يفسر ايقاف العمل الحربي .

اذا كان شكل الدفاع أقوى من شكل الهجوم ، كما سيأتي بيانه ، فقد نتساءل عما اذا كانت ميزة عمل حاسم مؤجل ، لها في أحد المعسكرين أهمية الدفاع في المعسكر الآخر ، ذاتها . فاذا لم تكن لها هذه الاهمية ، فانه لا يستطيع تعويض هذه الميزة بنقيضها ، وأن يؤثر بذلك على تقدم العمل العسكري . نرى اذن أن قوة الدفع الكامنة في قطبية المصالح ، قد تضيع في الاختلاف بين قوة الهجوم وقوة الدفاع ، وستصبح ، من جراء ذلك ، عديمة الفعالية .

وبناء على ذلك ، اذا كان المعسكر الذي تلائمه اللحظة الحالية ( الوضع الحالي ) هو أضعف من أن يستغني عن ميزة الاعمال الدفاعية ، فينبغي عليه أن يرضى بمواجهة مستقبل أقل ملاءمة له ، اذ قد يكون شن معركة دفاعية في مستقبل غير ملائم ، أفضل من خوض معركة هجومية في الوقت الحاضر أو اقرار السلم . وما دمنا مقتنعين بأن تفوق الدفاع ( المفهوم فهما جيدا ) هو تفوق هائل ، وأكبر مما يبدو لاول وهلة ، فأن جزءا كبيرا من فترات عدم العمل المتولدة في زمن الحرب تفسر نفسها عندئذ بكل وضوح . وكلما ازدادت دوافع العمل ضعفا ، طغا عليها الفرق بين هجوم ودفاع وأبطلها . وبناء على ذلك ، سيكون هناك في معظم الاحيان هدنة في العمل العسكري ، وهذا ما تؤكده التجربة .

## ١٨ ـ هنالك سبب آخر يكمن في عدم معرفة الوضع معرفة تامة .

الا ان هناك سببا آخر يستطيع ايقاف العمل الحربي ، وهو معرفة الوضع معرفة ناقصة . ان كل قائد لا يعرف بدقة الا وضعا واحدا : هو وضعه الخاص ، لا يعرف وضع العدو الا بنسب غير مؤكدة . وهو معرض اذن لارتكاب خطأ في التقدير والاعتقاد ، بناء على هذا الخطأ ، بأن المبادرة للخصم ، بينما تكون المبادرة في الواقع بيده . وقد يسبب نقص المعرفة هذا عملا في غير أوانه ، وعطالة في غير وقتها أيضاً . ولا يسهم في تأجيل العمل العسكري ولا في تعجيله . لذا ينبغي دوما أن يعتبر نقص المعرفة أحد الاسباب الطبيعية القادرة على ايقاف العمل الحربي . ولكن اذا فكرنا اننا أكثر ميلا واندفاعا الى المبالغة في تقدير قوة الخصم ،

منا الى التقليل من شأنها ، توصلنا الى أن المعرفة غير التامة بالوضع ، **تسهم في** ايقاف العمل العسكري وفي تعديل مبدئه .

ويدخل امكان الهدنة في العمل الحربي تعديلا جديدا ويخفف من حدته ، ضمن اطار عامل الزمن ، ويوقف خطر تقدمه ويزيد وسائل اعادة **توازن القوات** . وكلما كان التوتر الذي انبعثت منه الحرب كبيرا ، **زادت طاقة خوض هذه** الحرب ، وقصرت فيها فترات العطالة . **وكلما كان مبدأ التنازع والصراع ضعيفا،** كانت هذه الفترات طويلة ، لان دوافع أقوى تحرك الطاقة . **ونحن نعرف أن هذه** الطاقة هي دوما عامل من العوامل ، ومحصلة قوى .

**١٩ – ان الهدنة المتكررة في العمل الحربي ، تبعد الحرب دوما عن الشيء المطلق، وتقربها باستمرار من حساب الاحتمالات .**

ومع **ذلك** ، فكلما سار العمل العسكري ببطء ، **كانت فترات العطالة** طويلة ومتكررة ، وغدا من الممكن بالتالي اصلاح اية **خطيئة** بصورة سريعة ، وتصبح فرضيات القائد بناء على ذلك أكثر ثباتا . ويبقى القائد بهذا الشكل ، تحت خط الحدود القصوى ، بانيا كل نشاطه على احتمالات وتخمينات . ويتيح المجرى البطيء للعمل العسكري وقتا طويلا،الى حد ما،**لما تتطلبه طبيعة الحدث الواقعي،** أي لحساب الاحتمالات تبعا للظروف المحددة .

**٢٠ – لا نفتقر اذن الا الى الصدفة ، لنجعل من الحرب لعبة ، وهنا تكون هي الشكل الغالب .**

كل هذا،يظهر الى أي **مدى تقوم طبيعة الحرب الموضوعية بتقريب الحرب من** حساب الاحتمالات . فهي لا ينقصها الا عنصر **واحد كي تجعل منها لعبة . وليس** هذا العنصر ، بالتأكيد عنصرا مفقودا : انه الصدفة . **فليس هناك نشاط بشري** يتعلق بالصدفة بصورة كاملة كالحرب . **فالحدث العارض والحظ لهما اذن دور** كبير في الحرب الى جانب الصدفة .

**٢١ – تصبح الحرب لعبة بطبيعتها الذاتية ، وبطبيعتها الموضوعية .**

لو ألقينا الآن نظرة على **الطبيعة الذاتية** للحرب ، أي على القوى الضرورية لخوضها ، بدت لنا أيضا كأنها لعبة . **فالخطر هو العنصر الذي تتحرك من خلاله** نشاطات الحرب . فما هي قوة النفس السامية ، **التي تبرز في معمعان الخطر ؟** انها **الشجاعة** ، وفي وسع الشجاعة **ان تقترن اقترانا جيدا بالحساب الرصين** ،

على الرغم من أن الشجاعة والحساب شيئان مختلفان، ينبعان من جانبين متباينين من جوانب النفس . ومن ناحية أخرى ، فان الجسارة ، والثقة بالنجاح ، والاقدام والجرأة ليست كلها سوى تعبيرا عن الشجاعة ، ومن مظاهرها ، وان كل هذه الميول النفسية تفتش عن الحدث العارض الذي هو عنصرها .

ونرى اذن ، انه منذ الاصل ، لا يجد عنصر الحرب المطلق، والذي هو رياضي بصورة ما ، أية قاعدة أكيدة تستند اليها حساباته المتعلقة بفن الحرب فتختلط فيه، دفعة واحدة، مجموعة من الامكانات والاحتمالات والحظوظ . وهذا ما يجعل من الحرب نشاطا بشريا يشبه المقامرة .

## ٢٢ ـ انه العنصر الذي يلائم بصورة أفضل الفكر البشري عامة .

على الرغم من أن فهمنا ، يبدو متجها دوما الى الوضوح واليقين ، فان فكرنا يجذبه الشك في كثير من الاحيان . فبدلا من أن يشق الفهم الطريق عبر منعطفات الاستقصاء الفلسفي وتعرجاته وعبر الاستنتاجات المنطقية ، ليصل وهو واثق من نفسه الى دوائر خارجية تحتوي أمورا معروفة ، نراه يتخلى عن هذا الطريق ، مفضلا التأخر داخل مملكة الصدفة والحظ . وبدلا من الانحناء للضرورة المتواضعة نراه يرتع في مملكة الامكانات . وتندفع الشجاعة مسرعة ، حتى لتصبح الجسارة والخطر العنصر الرئيسي الذي ترتمي فيه هذه الشجاعة .

فهل تتخلى النظرية عنها هنا وهي راضية عن نفسها ، لتتابع طريقها الى استنتاجات وقواعد مطلقة ؟ في هذه الحالة لن يكون للنظرية اية فائدة عملية ، فعلى النظرية أن تأخذ العنصر البشري بعين الاعتبار وأن تخلي مكانا للشجاعة والبطولة والجرأة والاقدام أيضا . وينطبق فن الحرب على قوى حية ومعنوية ، فهو لا يستطيع أبدا أن يبلغ المطلق واليقين ، اذ يبقى هناك دائما هامش للحوادث العارضة سواء في الاشياء الكبرى أو الصغرى . فما دام هذا الحدث العارض موجودا من ناحية ، فعلى الشجاعة ورباطة الجأش أن تكونا موجودتين في ناحية أخرى، لسد الفراغ . فكلما كانت الشجاعة ورباطة الجأش كبيرتين ، ازداد امكان افساح المجال أمام الحدث العارض . فالشجاعة والحزم هما اذن مبدءان أساسيان في الحرب . وبناء على ذلك لا ينبغي على النظرية أن تضع الا قوانين خاصة ، تفسح المجال لكل درجات ولكل تنوعات الفضائل العسكرية ، التي هي أنبل الفضائل وألزمها . حتى أن التهور نفسه ، لا يخلو من التعقل والحكمة ، سوى أن مقاييس قيمة هذه الصفات ليست واحدة .

## ٢٣ ـ لكن الحرب تبقى وسيلة جدية لتحقيق هدف جدي . ـ تعاريف تكميلية .

تكون الحرب كما يكون القائد الذي يقودها ، وكما تكون النظرية التي تحكمها، فليست الحرب تسلية أو ولعا بسيطا وخالصا بالانتصار والمخاطرة ، كما أنه

ليست أبدا عملا حماسيا أطلق من عقاله : ان الحرب وسيلة جدية تستهدف غاية جدية ، فليست الهيبة البراقة التي تسبغها الحرب ، وكل رعشات الاهواء والشجاعة ، والتخيل والحماسة التي تتضمنها ، ليست كل هذه الصفات ، سوى المميزات الخاصة في هذه الوسيلة .

فحرب مجموعة أمم بكاملها ، لا سيما أمم متمدنة ــ تنبع دوما من وضع سياسي ، ولا تنجم الا عن سبب سياسي . ولهذا فالحرب عمل سياسي . ومع ذلك ، لو كانت الحرب عملا كاملا ، لا يحول دونه شيء ، أي لو كانت الحرب تعبيرا عن عنف مطلق ، كما يمكن استنتاجه من مفهومها الخالص، لحلت محل السياسة، منذ اللحظة التي تثيرها هذه السياسة ، ولقضت عندئذ على السياسة واتبعت قوانينها الخاصة ، كشيء مستقل كل الاستقلال . وبهذا الشكل عولج الموضوع حتى الآن، أي منذ أن كان انعدام التوافق والانسجام بين السياسة وادارة الحرب يوجد تمييزات نظرية من هذا النوع ويبرزها . الا أن الموضوع يختلف عن ذلك ، وهذا المفهوم خاطيء من جذوره . وقد رأينا أن الحرب ، في العالم الواقعي، ليست تصعيدا أقصى كهذا ، يتراخى توترها مرة واحدة . انها بالاحرى تعمل بواسطة قوى لا تنمو وتتطور على منوال واحد ونسبة واحدة في كل حالة من الحالات، لكنها قوى ترتفع في وقت من الاوقات الى درجة كافية لقهر المقاومة التي تقدمها العطالة والاختلاف ، بينما تبدو هذه القوى في لحظة أخرى وكأنها عاجزة عن احداث أقل الآثار . فالحرب هي اذن ، والى حد ما ، خفقان منتظم للعنف ، تتفاوت سرعته في ارخاء توتراته ونزف قواه ــ وبعبارة أخرى ، يبلغ هدفه بسرعة ما ، تقل أو تزداد ، لكنه يستمر مع ذلك وقتا كافيا ليمارس تأثيرا على هذا الهدف، في أثناء تطوره ، وليوجهه في هذا الاتجاه أو ذاك. والخلاصة، يستمر هذا الخفقان وقتا كافيا للبقاء خاضعا لارادة ذكاء موجه . اذن ، لو فكرنا أن الحرب تنجم عن تصميم سياسي ، فمن الطبيعي ان هذا السبب الاولي ، الذي انبثقت منه ، يبقى الاعتبار الاول والاعلى الذي سيفرض سيرها واتجاهها . وليس الهدف السياسي مع ذلك ، مشرعا مستبدا ، بل عليه أن يتلاءم وطبيعة الوسائط التي يملكها . وهذا ما يدعوه غالبا الى التحول تحولا كاملا . ويبقى مع ذلك دوما في المقام الاول من تقديراتنا . وهكذا تخترق السياسة العمل الحربي بكامله، ممارسة تأثيرا دائما عليه ، ضمن الحد الذي تسمح به طبيعة القوى المتفجرة التي تمارس هذا التأثير .

## ٢٤ ــ الحرب هي استمرار السياسة بوسائل أخرى .

وهكذا نرى أن الحرب ليست عملا سياسيا فحسب ، ولكنها أداة سياسية حقيقية ، واستمرار للعلاقات السياسية ، وتحقيق لهذه العلاقات بوسائل أخرى .

وأن السمات الخاصة بالحرب ناجمة عن صفات الوسائل التي تستخدمها . ويتطلب فن الحرب العام ، وفن القائد ايضا ، أن لا تتضارب ميول السياسة ونواياها مع هذه الوسائل . وهذا الامر مطلب لا يمكن تجاهله . ومع أن الوسائل تؤثر في بعض الحالات تأثيراقويا على النوايا السياسية، فان هذا التأثير يبقى مجرد تعديل للنوايا التي تبقى غاية الغايات ، وما الحرب سوى وسيلة ، ولا يمكن تصور الوسيلة مستقلة عن الغاية .

## ٢٥ ـ تنوع طبيعة الحرب .

بقدر ما تكون دوافع الحرب كبيرة وقوية وبقدر ما تؤثر في وجود الامة ذاته ويزداد عنف التوتر الذي يسبق الحرب ، تطابق الحرب شكلها المجرد . وبقدر ما يكون السعي الى تدمير العدو حثيثاً ، ويتطابق الهدف العسكري مع الاهداف السياسية ، تبدو الحرب عسكرية بحتة وتقل مظاهرها السياسية... لكن ، بقدر ما تكون الدوافع والتوترات ضعيفة ، ينطبق العنف ـ وهو الميل الطبيعي للحرب ـ على متطلبات السياسة ، وتبتعد الحرب عن ميلها الطبيعي ويزداد الفرق عمقا بين الصورة السياسية وهدف الحرب المثالية ، وتبدو الحرب وكأنها سياسة .

ولئلا تتكون لدى القارىءافكار خاطئة،علينا أن نلاحظ هنا أننا عندمانتحدث عن الميل الطبيعي للحرب ، فاننا نقصد ميلها الفلسفي فقط ، ومنطقها البحت ، لا ميل القوات المشتبكة فعلا في الصراع وأهواء المقاتلين وانفعالاتهم . ومما لا شك فيه أننا قد نثير هذه الاهواء والانفعالات في بعض الحالات لدرجة تجعل من الصعب ضبطها داخل الخط السياسي . ولكن هذه التناقضات لا تقع غالبا ، لان وجود انفعالات قوية يتطلب وجود مخطط كبير يتلاءم معها . فاذا كان هدف المخطط صغيرا ، لا بد من ان تبلغ انفعالات الجماهير مبلغا تحتاج معه لدفع لا لايقاف .

## ٢٦ ـ يمكن اعتبار كل حرب عملا سياسيا .

لنعد الى موضوعنا الرئيسي : لقد رأينا في الفقرة السابقة ان السياسة تكاد تختفي نهائيا في نوع معين من الحروب ، على حين انها تعود الى المكان الاول في نوع آخر . ولكن يمكننا أن نؤكد أن النوع الاول من الحروب هو سياسي كالنوع الثاني . فاذا كنا نعتبر السياسة ذكاء الدولة، وجب علينا أن ندخل في كل مجموعات العوامل والدوافع التي تأخذها حسابات السياسة بعين الاعتبار ، المجموعة التي تعمل فيها طبيعة جميع الظروف على أن تكون الحرب حرباً من النوع الأول . ولكن اذا

تجاهلنا أن السياسة هي الذكاء العام في الموقف. وفهمناها بمعناها العادي كخدعة خفية حذرة ماكرة متعارضة مع العنف ، وجدنا أن النوع الثاني من الحرب يتعلق بهذه السياسة أكثر من النوع الاول .

## ٢٧ ـ نتائج هذا الرأي في فهم تاريخ الحرب وفي أسس النظرية .

اننا نرى أن علينا في كل الظروف اعتبار الحرب أداة سياسية ، لا شيئا مستقلا بحد ذاته . وبهذا يمكن أن نتحاشى التناقض مع كل تاريخ الحرب. وتكفي هذه الفكرة لان تفتح امامنا كتاب التاريخ الكبير وتجعلنا نقدر تجاربه تقديرا ذكيا. وهي تدلنا على مدى اختلاف الحروب باختلاف طبيعة دوافعها والظروف التي تولدها .

ان أول محاكمات القائد العام أو رجل الدولة وأعظمها شأنا وحسما، كامنة في التقدير الصحيح لنوع الحرب التي يقوم بها ، كي لا تؤخذ على غير ما هي عليه حقا ، ولكي لا يجعل منها ما تحظره طبيعة الظروف . هذه هي اذن أول المسائل الإستراتيجية وأوسعها .

## ٢٨ ـ نتائج للنظرية .

اذن ليست الحرب حرباءً حقيقية فحسب ، تبدل طبيعتها في كل حالة ملموسة ، ولكنها ، كظاهرة عامة ، ومن حيث الاتجاهات والميول المسيطرة فيها، ثالوث مدهش نجد فيه أولا **العنف** الاساسي في عنصرها والحقد والغضب ، التي ينبغي اعتبارها اندفاعة طبيعية عمياء ، ثم **لعبة الصدفة والاحتمالات** التي تجعل منها عملا حراً من أعمال النفس ، ثم **طبيعتها كتابع للسياسة وأداة من أدواتها** ، تلك الطبيعة التي بها تنتمي الى الفهم أو الادراك الفكري المحض . ويهتم الشعب بالصفة الاولى، وتهتم القيادة والجيش بالثانية، أما الصفة الثالثة فهي أمر يخص الحكومة . فمن الضروري أن يكون الشعب المستعد للحرب مشبعا بالاهواء التي تتأجج خلال الصراع ، على حين يتعلق حجم لعبة الشجاعة والموهبة في حقل الصدفة وتقلباتها بشخصية القائد والجيش ، أما الاهداف السياسية فتحددها الحكومة وحدها .

ان لهذه الميول الثلاثة ، التي تبدو كقوانين تشريعية ، جذورا عميقة في طبيعة

الامر ، مع اختلاف في الحجم والتأثير . وكل نظرية تحاول أن تتجاهل أحد هذه الميول ، أو تخلق بينها علاقات غير متوازنة تضع نفسها على الفور في تناقض مع الحقيقة ، وهذا وحده كاف لاسقاطها واعتبارها عدما .

اذن يجب الاحتفاظ بالنظرية وسط هذه الميول الثلاثة . وكانها معلقة بين مراكز جاذبية ، ثلاثة .

فكيف تجد هذه المعضلة الصعبة أحسن الحلول ؟ هذا ما سنقوم بدراسته في الكتاب الخاص بنظرية الحرب . والتعريف الحالي لفكرة الحرب ، هو على كل حال أول شعاع ضوئي قادر على أنارة أسس النظرية ؛ واستنباط عناصرها الرئيسية ، واتاحة التمييز بينها .



# الفصل الثاني

# الغاية والوسائل في الحرب

لقد أظهر لنا الفصل الماضي طبيعة الحرب المعقدة المتبدلة . فلنر الآن كيف ينعكس هذا التعقيد على غاية الحرب ووسائلها .

اذا ما تساءلنا أولا عن الهدف الذي يجب أن تتجه اليه الحرب بأسرها ، لتكوين أفضل وسيلة للوصول الى غاية الحرب ، السياسية ، لوجدنا أن هذاالهدف متبدل تبدل غرض الحرب أو هدفها السياسي وتبدل ظروفها الخاصة.

فاذا اكتفينا بالمفهوم الخالص للحرب وجدنا أننا مضطرون الى القول : ان هدف الحرب السياسي لا يشكل جزءاً من مجال الحرب ، اذ لو كانت الحرب عملا من أعمال العنف يرمي الى اجبار العدو على تنفيذ ارادتنا ، لاقتصر دوما كل شيء على الانتصار على العدو فقط ، أي تجريده من سلاحه . وأن هذا الهدف ينحدر من مفهوم الحرب ، ولكن هنالك عدد كبير من الحالات المختلفة تقترب منه . وسندرس هذه الحالات فيما يلي وفي ضوء الحقيقة الواقعة .

وعندما سنعالج خطة الحرب ، فاننا سنفحص عن كثب ماذا يعني تجريد دولة من سلاحها . ولكن علينا قبل كل شيء أن نميز على الفور بين ثلاثة أمور تضم ، كأغراض عامة ، كل ما عداها ، وهي **القوات العسكرية ، والاراضي ، وارادة العدو .**

ينبغي تدمير القوات العسكرية المعادية ، وهذا يعني وضع هذه القوات في ظروف تجعلها عاجزة عن متابعة القتال . وانني أشير هنا الى أن هذا هو المعنى المطلوب من تعبير « تدمير القوات العسكرية المعادية » الذي سيتردد كثيرا .

كما أن علينا احتلال اراضي العدو ، فقد تتكون فيها قوى عسكرية جديدة .

ولكن تحقيق هذين الامرين لا يعني توقف الحرب ، أي لا يعني توقف التوتر والعمليات العدوانية،ما دامت ارادة العدو حرة،لم يتم اخضاعها لسيطرتنا ، أي ما دامت حكومة العدو وحليفاتها ترفض توقيع الصلح ، أو ما دام شعبه لم يقرر الخضوع. لان اجتياح بلد كامل لا يعني انتهاء كل شيء ، فقد ينبثق الصراع من الداخل أو من جراء تدخل حلفاء له . وقد ينجم هذا حتى بعد توقيع معاهدة الصلح . ويؤكد هذا الامر وجود حروب لم تصل الى نتيجة حاسمة أونهاية جذرية كاملة . ولكن توقيع السلام يخمد عادة عددا من الجذوات التي كان من المحتمل بقاؤها ملتهبة تحت الرماد ، ويؤدي ذلك الى تخفيف حدة التوتر ، لان الذين يميلون الى السلام — وهم كثرة في كل شعب وكل ظرف — يبتعدون كل الابتعاد عن فكرة المقاومة. لذلك ينبغي أن نعتبر ، رغم كل شيء ، أن الصلح حصيلة تضع حدا لقضايا الحرب .

ومن العناصر الثلاثة المذكورة سابقا ، أن القوات العسكرية هي المهيأة للدفاع عن البلاد ، اذن فحسب التسلسل الطبيعي ، هي التي ينبغي تدميرها أولا، وبعد ذلك يأتي احتلال الاراضي، فاذا حققنا هذين النجاحين، وبقي لدينا مع ذلك قوى كافية، غدا العدو مضطرا التوقيع الصلح. . . ويتم تدمير قوات العدو العسكرية على درجات ، ويسايره احتلال الاراضي بالوتيرة ذاتها . ويؤثر الامران كل منهما في الآخر عادة ، لان فقدان الاراضي يؤدي الى اضعاف القوة العسكرية . ولكن هذا التتابع غير اجباري ، ولا يتحقق بصورة دائمة . اذ يستطيع العدو قبل اضعاف قواته بشكل واضح أن يسحب هذه القوات الى أقاصي البلاد ، أو الى البلاد الصديقة المجاورة . وعندها يتم احتلال معظم أجزاء البلاد قبل تدمير القوات .

غير ان تحقيق **نزع سلاح العدو** — وهو هدف الحرب والوسيلة الاخيرة للوصول الى الهدف السياسي الذي يشمل كل الاهداف — لا يتم عمليا بصورة دائمة ، ولا يمكن اعتباره شرطاً ضرورياً للسلام ، وهو لا يستطيع ، بأي شكل ، بلوغ مستوى القانون في النظرية. فهنالك امثلة تم فيها توقيع معاهدات الصلح ، قبل ان يتم تجريد العدو من سلاحه ، وقبل ان ينقلب توازن القوى انقلاباً واضحاً . وعندما نفحص الحالات الملموسة ، نلاحظ ان هنالك سلسلة من الحالات لا تكون هزيمة العدو فيها الا نزوة فكرية عادية ، وهي الحالة التي يكون فيها العدو متفوقاً تفوقاً لا سبيل الى الشك فيه .

ان هدف الحرب الناجم عن مفهومها لا يتلاءم دائماً مع الحرب الحقيقية، ويرجع ذلك الى الاختلاف بين نوعي الحرب اللذين تحدثنا عنهما في الفصل

السابق . ان المفهوم الخالص للحرب يرى أن كل صراع بين دول لا توازن في القوى بينها ، عبارة عن حماقة ، ومن المحال . وينبغي ان لا يتجاوز عدم توازن القوى المادية الحدود التي يمكن فيها ان تعادله القوى المعنوية . فاذا ما وقعت حرب بين دول تملك قوات مادية متفاوتة او غير متعادلة ، فذلك لان الحرب في الواقع ، تبتعد ، أحياناً كثيرة ، عن مفهومها الاساسي .

وهنالك شيئان قادران ، في الواقع ، على تحقيق استحالة المقاومة ، واتاحة دوافع لتحقيق السلم ، أولهما هو عدم احتمال النجاح ، والثاني ، الثمن الفادح الذي يقتضيه النصر .

ان على الحرب ، ان تتحرر في مجموعها من القانون القاسي للضرورة الداخلية ، وان تلجأ الى حساب الاحتمالات . وبقدر ما ترجع الى هذا الحساب بناء على الظروف التي بعثتها ، يكن تحررها صحيحاً ، أي أن الدوافع والتوترات القائمة تكون عندئذ أضعف . لهذا يمكننا ان نلاحظ ان حساب الاحتمالات يمكن ان يكون حافزاً للسلم . فليس من الضروري دائماً اجراء القتال حتى يفنى أحد الخصمين . ويمكننا ان نتصور وضعاً تكون فيه الدوافع والتوترات ضعيفة الى حد يجعل أبسط الاحتمالات كافية لاجبار الطرف الاضعف على الخضوع . فاذا كان الطرف الآخر مقتنعاً بذلك مسبقاً ، أصبح من الطبيعي ان يبذل كل جهوده ليؤمن رجحان هذا الاحتمال بدون أن يبحث عن منعطف عبر طريق هزيمة العدو الكاملة .

والاعتبار الذي يؤثر ، تأثيرا أشمل ، في قرار اللجوء الى السلم ، هو تبديد القوى الذي وقع والتبديد الذي يتوقع حدوثه . وبما ان الحرب عمل لا يتبع الهوى الاعمى ، بل يتحكم به مخطط سياسي محدد ، فان قيمة هذا المخطط تحدد مدى التضحيات الضرورية لتحقيقه . وينطبق هذا القول على حجم التضحيات الضرورية كما ينطبق على مدتها . وما ان يغدو تبديد القوى كبيراً لا يتلاءم مع أهمية الهدف السياسي ، حتى يصبح من الضروري التخلي عن هذا الهدف وتوقيع الصلح .

**وهذا يعني ، أن الحرب التي يعجز فيها أحد الطرفين عن نزع سلاح خصمه نزعاً كاملاً ، تجعل دوافع السلم تظهر أو تختفي في المعسكرين تبعاً لاحتمالات النجاح في المستقبل ، وحسب حجم تبديد القوى الواقع أو المحتمل. فاذا كانت قوة الدوافع السلمية متساوية لدى الخصمين ، فانهما يلتقيان في مركز اختلافهما السياسي ، والقوة التي يحصلان عليها من هذه الجهة يفقدانها من الجهة الاخرى، وما دام حاصل جمع القوى كافياً فان السلام يبقى مستمراً، لمصلحة الطرف الذي تبدو لديه دوافع السلم بشكل أضعف .**

والآن فاننا سنتجاهل ، عامدين ، الفرق الذي تبعثه صفة المخطط السياسي ،

الايجابية أو السلبية ، في التطبيق العملي ، ومع أن لهذا الفرق أهمية كبرى كما سنرى. وسنكتفي الآن بوجهة نظر أوسع، لان النوايا السياسية الاولية تتعرض لتعديل مستمر خلال الحرب وقد تغدو في النهاية مختلفة اختلافاً كلياً عما كانت عليه ، ولا سيما **لان هذه النوايا يحددها جزئياً النجاح والنتائج المحتملة .**

وسؤالنا الآن هو : كيف يمكن أن نؤثر في احتمالات النجاح ؟ اننا نؤثر قبل كل شيء في الوسائل التي تساعد على اخضاع العدو ، أي بتدمير قواه العسكرية واحتلال أراضيه . علماً بأن هاتين الوسيلتين لا يبقى ، كل منهما كما هو ، الا عندما نستخدمهما لاخضاع العدو . اذ يختلف الهجوم الموجه ضد قوى العدو ، وذلك حسب تصميمنا على الحاق الضربة الاولى بضربات تالية حتى يتم تدمير كل شيء ، او حسب ارادتنا في الاكتفاء بانتصار واحد غايته تحطيم الشعور بالامن لدى العدو ، واشعاره بتفوقنا ، والايحاء اليه بالخوف من المستقبل . اذ اننا في هذه الحالة ، لا ندفع لتدمير قوى العدو المسلحة ثمناً يتجاوز هذا المطلب . وكذلك ، ان احتلال مقاطعات العدو يتم بقياس مختلف اذا لم نكن نبغي هزيمة العدو هزيمة كاملة . أما اذا كانت هزيمته مرمانا ، فان تدمير موارده يصبح العمل الفعال الحقيقي . ولا يكون احتلال المقاطعات عندئذ سوى نتيجة لذلك . لان احتلال مقاطعات العدو قبل تدمير قواه عبارة عن شر لا بد منه . . أما اذا كنا لا نبغي الانتصار على القوات المعادية ، وكنا مقتنعين بأن العدو لا يبحث عن الحل الدامي بل يخشاه ، فان احتلال مقاطعة ضعيفة او بدون دفاع يشكل في حد ذاته ميزة تكفي لان توحي للعدو بالخوف من نتيجة الصراع العامة ، وقد يمكن اعتبار هذا الاحتلال طريقاً أقصر للوصول الي السلم .

**اننا نتوصل الآن الى وسيلة خاصة أخرى للتأثير على احتمالات النجاح بدون أن يتم تدمير قوات العدو تدميراً كاملاً ، أي أننا نصل الى العمليات المرتبطة ارتباطاً مباشراً بالسياسة . فاذا استطعنا اجراء عمليات قادرة على تحطيم تحالفات الخصم أو ابطال مفعولها ، أو ضم حلفاء جدد الى صفنا ، أو خلق نشاطات سياسية لمصلحتنا ، لاحظنا بلا صعوبة كم تزيد هذه الوسائل من امكان النجاح ، وكيف تقودنا الى الهدف بسرعة تفوق سرعة تحقيق هزيمة القوات المسلحة المعادية .**

**والسؤال الثاني هو أن نعرف كيف نؤثر على تبديد قوة العدو ، أي على ثمن نجاحه .**

يتضمن تبديد قوة العدو : **استنزاف قواته** الناجم عن **التدمير** الذي نلحقه بها ، **أو فقدانه بعض مقاطعاته** التي **احتللناها .**

فاذا ما أجرينا دراسة أعمق ، تبين لنا أن قيمة هذين الغرضين مختلفة ، وان طبيعة العمليات التي يحددانها تختلف باختلاف الهدف الذي ترمي اليه هذه العمليات . ولكن ، ينبغي الآ تضللنا ضآلة قيمة هذه الاختلافات ، لان ضعف الدوافع يجعل اصغر اختلاف كافيا لدفعنا الى تبني هذا النوع من تطبيق القوى او ذاك . ويهمنا الآن ان ندلل على وجود اساليب أخرى لبلوغ الهدف ، لا تحمل في طياتها أي تناقض داخلي او حماقة أو خطأ .

فبالاضافة الى هاتين الوسيلتين ، هنالك ثلاثة سبل أخرى لزيادة تبديد قوى العدو عن طريق مباشر . وأول هذه السبل هو الغزو **أي احتلال مناطق من أرض العدو احتلالا لا يستهدف الاحتفاظ بها بصورة دائمة** ، لكنه يتم لتدمير هذه المناطق او جمع الاموال منها . وليس الهدف المباشر هنا، كمانرى، هو احتلال أراضي العدو أو تدمير قواته المسلحة ، بل **ايقاع أضرار عامة به.** والسبيل الثاني هو ان نضرب بصورة خاصة نقاط العدو الحساسة ، لايقاع الخسائر بأكبر عددمنها . ويسهل علينا ان نلاحظ اختلاف هذين السبيلين في توجيه جهودنا . والسبيل الاول هو الافضل عندما نود الانتصار على العدو، بينما يتضمن الثاني كثيراً من المزايا عندما لا يكون هدفنا الانتصار النهائي ، وذلك لضعف قواتنا ضعفاً يجعل مثل هذا النصر مستحيلا . وهنا يمكننا أن نقول : ان السبيل الاول يكاد يكون عسكرياً ، أما الثاني فهو أقرب الى السياسة. ولكن اذا نظرنا اليهما على مستوى أعلى ، وجدنا ان لكليهما مظهرا عسكريا. وان تطبيقهما على الهدف لا يتم الا بعد التلاؤم مع الوضع المطروح أمامنا . أما السبيل الثالث ، فيمتاز عن سابقيه بكثرة عدد الحالات التي يطبق فيها ، فهو يقوم على **استنزاف** ، **( استنزاف القوى المادية وارادة الصراع لديه شيئا فشيئا ، بأستمرار العمل ومدته )** .

ولكن اذا شئنا المثابرة على الصراع اكثر من العدو ، فعلينا الأكتفاء بنتائج متواضعة قدر ألامكان . لان طبيعة الاشياء تتطلب ممن يبغي هدفاً كبيراً ان يبدد قوى تفوق ما يبدده طالب الهدف الصغير . **واصغر هدف يمكن تحديده هو المقاومة البحتة البسيطة ، أي القتال الذي لا يحمل أية نوايا ايجابية. وفي هذه الحالة يتأكد ضمان النتيجة أكثر اذا كانت وسائلنا قوية نسبيا . ولكن الى أي مدى يمكن ان نذهب في هذا السبيل السلبي الصرف ؟ اننا لا نستطيع السير بلا شك حتى حدود السلبية المطلقة ، لان الاستمرار والجلد وحدهما لا يعتبران قتالا ، والمقاومة عبارة عن نشاط يرمي الى تدمير مجموعة من قوى العدو ، تبلغ ما يدفعه الى التخلي عن مخططه . وهذا هو كل ما نود الحصول عليه في كل عمل من أعمالنا ، وهذا ما يتضمن الصفة السلبية لنوايانا .**

ان هذه النية السلبية المتمثلة بعمل واحد، هي أقل فعالية ولا شك من عمل ايجابي موجه في الاتجاه ذاته ، على ان ينجح هذا العمل . والفرق بينهما هو ان النية السلبية أسهل نجاحاً من العمل الايجابي ، وتقدم ضمانات أكبر . وان ما تفقده من الفعالية بوحدانيتها تستردده بفضل الوقت ، أي بفضل استمرار القتال . لهذا فأن النية السلبية التي تكون المبدأ الاساسي للمقاومة الصرفة ، هي عبارة عن وسيلة طبيعية للاستمرار في القتال مدة اطول من مدة العدو . انها عبارة عن استنزافه وانهاكه .

وهذا هو في الحقيقة أصل الفرق بين **الدفاع والهجوم** . وهو فرق يبرز كل ما يتعلق بالحرب . ولكننا لا نستطيع الذهاب الى مدى أبعد في هذا السبيل، ولتكفنا هنا الملاحظة ، ان من هذه النية السلبية تنجم جميع الميزات وكل أشكال القتال الاقسى التي هي لمصلحتنا ، والتي يتحقق فيها بالتالي التناسب الفلسفي ــ الديناميكي بين حجم العمل وضمان النجاح . وسنتعمق بعد قليل في دراسة هذا الجزء من الموضوع .

والنتيجة : اذا استطاعت النية السلبية تجميع كل الموارد بغية المقاومة البحتة ، وتحقيق التفوق في القتال واذا بلغ التفوق مبلغاً كافياً لموازنة التفوق المحتمل لدى العدو ، فان استمرار المعركة كاف وحده لتبديد قوى العدو شيئا فشيئا وحتى يصبح هدفه السياسي غير ملائم لجهوده ، عندها يضطر الى التخلي عن القتال .. وهكذا فأننا نرى ان طريقة انهاك العدو واستنزافه تشمل الحالات المتعددة التي يجب على الضعيف فيها مجابهة القوي .

وهكذا نرى أن ثمة طرقاً عدة ، في الحرب للوصول الى الهدف ، وانها لا تؤدي كلها الى هزيمة العدو العسكرية ، لان تدمير قوات العدو المسلحة ، والاستيلاء على مقاطعاته واحتلالها او مجرد غزوها ، والاعمال الموجهة مباشرة الى علاقاته السياسية ، والانتظار السلبي لانقضاضه، عبارة عن وسائل تساعد كل واحدة منها على اخضاع ارادة العدو . ويتم اختيار هذه الوسيلة او تلك حسب الظروف الخاصة بكل حالة خاصة . ويمكن أن نضيف الى هذه الوسائل سلسلة اخرى تختصر الطريق الى الهدف قد نستطيع ان نسميها : محاربة العدو بسلاحه. وهل هنالك ميدان معين للنشاط البشري لا تظهر فيه شخصية فذة ما، تتحدى كل الشروط المادية؟ وتظهر هذه الشخصيات في الحرب أكثر من أي مكان آخر . وتحتل شخصية المقاتل مكاناً واسعاً في الوزارة وحقل المعركة . فلنكتف الآن بالاشارة الى هذا الواقع بدون شرح لان محاولة تصنيف هذه الوسائل الجديدة تحذلق لا مبرر له ... ولنقل في النهاية ان عدد الإمكانات التي تؤدي بنا الى الهدف عدد غير محدود .

وحتى لا يقلل بعضهم من قيمة هذه الطرق المختلفة القصيرة ، فيعتبرها

استثناءات نادرة ، أو يرى أنها لا تؤدي الا ألى أختلاف يكاد لا يذكر في ادارة الحرب ، علينا ان نتذكر تعـدد الاسباب السياسية التي يمكن ان تؤدي الى اندلاع الحرب ، أو أن نقيس بنظرة فاحصة الفرق الذي يفصل بين الصراع حتى الموت من أجل بقاء الوجود السياسي والحرب التي نضطر الى خوض غمارها ضد ارادتنا ، تنفيذا لاتفاق تحالفي موقع بالاكراه أو غير ثابت... وبين هذين النوعين من الحروب درجات عديدة جدا . فان حاولت النظرية الغـاء واحدة من هذه الدرجات ، كان عليها الغاؤها كلها ، لان مثل هذا العمل عبارة عن تجريد العالم الواقعي تجريداً كاملا .

هذه هي المسائل المتعلقة بالهدف الذي يجب على الحرب ان تتابعه ، فلنر الآن الوسائل . ليس هناك سوى وسيلة واحدة وهي القتال . ويتطلب مفهوم الحرب ان تكون جميع التأثيرات الظاهرة في الحرب سببها القتال ، مهما تباين شكل القتال ، وحتى عندما يكون هذا القتال بعيدا عن انفجار العدوان والحقد الظاهرين في الصراع انفجارا عنيفا ، ومهما كان عدد العناصر المختلطة بالقتال ، بدون ان تمت بالصلة الى القتال الحقيقي .

وسنثبت بشكل بسيط ان هذا ما يجري دائما ، حتى في الحالات المختلفة وفي أكثر الحقائق الواقعة تعقيداً . ان كل ما يجري في الحرب ، مرده الى القوى العسكرية ، ولكن، ما ان نستخدم القوة العسكرية، أي الرجال المسلحين، حتى تصبح فكرة القتال أساس كل شيء

وبالتالي ، ان كل ما له علاقة بالقوات العسكرية ، وكل ما يدخل في خلقها واستخدامها ، يتعلق بالنشاط الحـربي .

ان انشاء القوات العسكرية والحفاظ عليها هما بلا شك مجرد وسيلة ، أما استخدام هذه القوات فهو الهدف .

ليس القتال في الحرب صراع فرد ضد آخر ، ولكنه مجموع أو كل منظم، مؤلف من عدة أجزاء . ونلاحظ في هذا المجموع الكبير نوعين من الوحدات : الاولى محددة **بالموضوع أو (الوسيلة)** والاخرى بالغرض أو الهدف . وتتجمـع العناصر المقاتلة في جيش ما في وحدات جديدة تشكل بدورها عناصر لنسق أعلى. ويشكل قتال كل عنصر من هذه العناصر **وحدة** متميزة الى حد ما . كما ان هدف القتال ، وبالتالي غرضه ، يشكل في حد ذاته **وحدة** .

وسنعطي لكل **وحدة عمل** في القتال اسم « **اشتباك** » .

فاذا كانت فكرة القتال موجودة في قاعدة كل استخدام للقوات العسكرية، فان استخدام هذه القوة المسلحـة عبارة عن أتخـاذ القرار لاجـراء عـدد من الاشتباكات وتنظيم هذه الاشتباكات .

ويتعلق كل نشاط حربي بالاشتباك تعلقاً مباشراً أو غير مباشر . ويتم تجنيد المقاتل والباسه وتسليحه وتدريبه لهذه الغاية ، وهو ينام ويأكل ويشرب ويمشي بغية **القتال في الزمان والمكان المناسبين** .

فاذا كانت جميع خيوط النشاط الحربي مؤدية الى الاشتباك ، فان اعداد عملية الاشتباك يتطلب الامساك بهذه الخيوط جميعا . وهذا الاعداد وتنفيذه يحددان النتائج ، ولا تنجم هذه النتائج ابدا عن الشروط المباشرة التي تسبقها ،.. ولكن النشاط في الاشتباك يهدف الى تدمير العدو او **تدمير قدرته القتالية** ، وبهذا يتلخص مفهوم الاشتباك نفسه. وهكذا، فان تدمير القوات المعادية هو دوماً الوسيلة للوصول الى هدف الاشتباك .

وقد يتمثل هذا الهدف بتدمير القوات المسلحة المعادية فقط ، وان لم يكن ذلك ، ضروريا ابدا او كان الهدف مختلفا عن ذلك كل الاختلاف . وعندما لا تكون ابادة العدو الوسيلة الوحيدة للوصول الى الهدف السياسي كما رأينا من قبل ، وعندما يكون هدف الحرب الذي تتوخاه ممثلا بأمور أخرى ، فمن الطبيعي ان تصبح هذه الامور هدف رهان لاعمال خاصة، وبالتالي هدف رهان الاشتباك .

ومع ذلك فان الاشتباكات الثانوية الرامية عادة الى ابادة قوات العدو المسلحة ، لا يتحتم ان يكون هدفها المباشر تدمير هذه القوات .

فاذا فكرنا في ما هي عليه القوات المسلحة الكبيرة من التنظيم المعقد ، وفي ضخامة عدد التفصيلات التي تؤثر في العمل في لحظة وقوعه ، فهمنا أن قتال مثل هذه القوات يتطلب تنظيماً وبناءً معقداً تتعلق أجزاؤه بعضها ببعض ، ويظهر في هذا الجزء أو ذاك عدد كبير من الاهداف ، وهي لا تعمل بنفسها على تدمير القوات المسلحة ، ولكنها تشترك حتماً في هذا التدمير بصورة غير مباشرة . فاذا تلقت كتيبة ، مثلا ، أمراً بطرد العدو من هضبة أو جسر ، كان احتلال هذا الموضع هدفها الحقيقي وليس تدمير العدو هنا الا وسيلة أو مسألة ثانوية . فاذا كانت المظاهرة وعرض القوة كافيين لطرد العدو ، تم الوصول الى الهدف ايضا . ولكن لن تحتل الهضبة أو الجسر عادة ، الا لايقاع خسائر اكبر بالقوات المسلحة المعادية واذا كان الامر كذلك في حقل المعركة ، فبالاحرى ان يكون كذلك ايضا في مجموع مسرح الحرب ، حيث لا يقتصر الامر على جيش يجابه جيشا آخر ، بل دول وأمم تقف بعضها لبعض بالمرصاد . وينبغي عندئذ مضاعفة عدد العلاقات والتركيبات الممكنة ، وزيادة عدد التدابير وأنواعها ، وهكذا تبتعد الوسيلة الإسباسية عن الهدف النهائي من جراء تدرج الاهداف وتعلق كل واحد منها بالآخر .

ولاسباب عديدة ، قد لا يهدف الاشتباك الى تدمير القوات المعادية ، اي القوات ألتي تجابهنا ، كما يمكن ان يبدو هذا التدمير عندئذ وسيلة فقط . ولا

يعود لتدمير القوة ، في كل الحالات أية قيمة ، لان الاشتباك في هذه الحالة هو مجرد اختبار للقوة. وليس له قيمة في حد ذاته ، وانما يتخذ فقط القيمة التي تقاس بالنتائج ، أي بنتائج قراره وتأثيره الحاسم .

ولكن عندما يكون عدم توازن القوى بين الخصمين واضحاً ، فان نظرة بسيطة تكفي للتأكد من ذلك ولتحديد درجة عدم التوازن ، الامر الذي يؤدي الى الغاء الاشتباك ، ويذعن الطرف الاضعف عندئذ على الفور .

فاذا عرفنا ان الاشتباكات لا تهدف دائماً الى تدمير قوات العدو ، وانه يمكن الوصول الى هدفها بدون اشتباك ، تقديراً لنتيجة هذا الاشتباك وما ينجم عنه ، اذا عرفنا كل ذلك ، فهمنا كيف يمكن اجراء حملات كاملة وفعالة بدون ان يكون للاشتباك الحقيقي فيها مكان هام .

وفي التاريخ العسكري مائة مثال تثبت امكان وقوع هذا الامر . ولكن هل الحصول على النتيجة أو على الهدف المقرر بدون سفك دماء ، قد كان له دائما تفسيره وتبريره ؟ أي ، ألم يكن ذلك ينطوي على بعض التناقضات الداخلية ؟ وهل يمكن ان تصمد هذهالامثلة التاريخية وسمعة بعض مشاهير القادة فيها أمام النقد ؟ إننا لن نتعرض الى الاجابة عن هذه الاسئلة . وكل ما يهمنا هو اظهار امكان سير الاحداث بهذا الشكل خلال الحرب .

اذن فوسيلتنا الوحيدة في الحرب هي الاشتباك ، ولكن تبـاين اشكال الاشتباك يدفعنا الى السير على سبل مختلفة ناجمة عن تعدد الاهداف وتباينها غير ان وحدة الوسيلة تنسج خيطاً نتابعه بأبصارنا وهو يجتاز لحمة الفعاليـة العسكرية كلها ويؤمن في الواقع تلاحمهـا .

ولقد رأينا مع ذلك أن تدمير قوات العدو هو أحد الاهداف التي يمكن ان تسعى الحرب اليه ، ولكننا لم نحدد أهمية هذا الهدف اذا ما قورن بالاهداف الاخرى . ويتعلق الامر ، في الحالات النوعية ، بالظروف . أما بالنسبة للمبدأ العام (تدمير قوى العدو) فلقد امتنعنا عن تحديد قيمته ، وها نحن نعود اليه لنقر بما له من قيمـة .

ان الاشتباك هو النشاط الفعال الوحيد في الحرب ، وفيه وعن طريقه ، يكون تدمـير القوات المعـادية الوسيلة المؤديـة الى غايتنـا . انـه الوسيلة الوحيدة ، حتى لو لم يتم الاشتباك فعلا ، لان النتيجة الحاسمة ناجمة ، في كل حالة ، عن قناعة الخصم بأن التدمير لا بد منه . وينتج عن ذلك ان تدمير قوات العدو هو حجـر المحك لكل عمل حربي . وهو السند النهائي لكل التركيبات التي تستند عليه كما يستند الجسر على نقاط استناده . وكل عمل مبني اذن على الفكرة القائلة بان النتيجة التي تحققها القوة المسلحة ، ستكون النتيجة الملائمة

اذ ما تحققت في الواقع ، لان بلوغ النتيجة الحاسمة بقوة السلاح يمثل في كل عملية حربية ، صغيرة كانت أم كبيرة ، ما يمثله الدفع نقداً في الاعمال المالية . ومهما كانت العلاقات بين العمليات النقدية والعمليات الحربية غامضة ، فان العمليات الحربية هي في النهاية تسديد للحساب ، حتى ولو كان هذا التسديد نادراً .

فاذا كان الحسم بقوة السلاح أساس كل التركيبات ، فان الخصم ، بالتالي ، قادر على جعل أحد التركيبات غير مجد ، بتحقيقه نتيجة حاسمة بقوة السلاح ، لا لان ذلك يتعلق بتأثيره على تركيبنا مباشرة ، فحسب بل قد يكون موجهاً الى هدف آخر على ان يتمتع هذا الهدف بأهمية كافية . لان كل نتيجة حاسمة كبيرة بقوة السلاح ـ أي كل تدمير للقوات المعادية ـ ينعكس على الاعمال السابقة ، لانها تسعى كجسم سائل ، الى تحقيق ما يسمى بتوازن السوائل .

وهكذا يبدو تدمير قوات العدو دائما أعلى الوسائل وأكثرها فعالية وعلى الوسائل الاخرى ان تتوارى أمامه .

غير انه لا سبيل الى ان تعزى الى تدمير القوات فاعلية قصوى الا عندما نتوقع تساوياً في المجالات الاخرى ، ومن الخطأ ان نعتقد ان انقضاضاً في غير محله قادر دائماً على انزال هزيمة بالمهارة الحذرة . لان الانقضاض الغبي يؤدي الى تدمير قواتنا بدلاً من تدمير قوات العدو وهذا ما لا نبحث عنه او نرجوه . والفاعلية القصوى لا تمت **الى الوسيلة بل الى الغاية** . وسنكتفي بمقارنة تأثير غاية تم الحصول عليها ، بتأثير غاية أخرى .

وعلينا ان نؤكد هنا بأن حديثنا عن القوة القتالية العدوة لا يعني تحديد هذا التعبير في اطار المادية ، ولكنه يعني القوة المعنوية أيضاً . لان القوتين مختلطتان في الحقيقة حتى في أدق التفاصيل ، ولا سبيل الى فصلهما . ولقد تحدثنا عن التأثير الاكيد الناجم عن عمل ابادة كبير (انتصار كبير) ، على جميع النتائج الحاسمة التي يتم الحصول عليها بقوة السلاح . والعنصر المعنوي هو أكثر العناصر سيولة وقدرة على الانتشار في مختلف الاجزاء بسرعة . ولتدمير القوات المعادية قيمة تفوق قيمة الوسائل الاخرى ، ولكن أخطار مثل هذا الحل وتكاليفه تدفعنا الى تحاشيه باللجوء الى استخدام وسائل أخرى .

واننا لنفهم جيداً سبب زيادة تكاليف الوسيلة المستخدمة ، فالامور كلها تتعادل ، ويزداد تبديدنا لقوتنا بقدر ما تكون نيتنا متجهة الى ابادة قوات العدو .

والخطر الكامن في هذه الوسيلة ، هو ان الفاعلية القصوى المطلوبة تنصب على رأسنا عند الاخفاق ، وتؤدي الى أسوأ العواقب .

والاساليب الاخرى اذن أقل تكلفة في حالة النجاح وأقل خطورة عند الفشل، على الا يستخدم العدو ضدها الا وسائل مشابهة . فاذا ما اختار العدو سبيل الحل الحاسم الكبير بقوة السلاح ، **اضطررنا الى قلب وسيلتنا لجعلها متلائمة ووسيلته** . اذن فكل شيء يتعلق بعمل الابادة . ومن البدهي ان يعود علينا هذا العمل بالضرر اذا تساوت كل الامور ، ذلك لاننا نكون قد شغلنا نوايانا ووسائلنا ، من قبل، بهدف آخر ، على حين لم يفعل العدو ذلك . واذا قرر أحد الخصمين السير على طريق الحل الحاسم الكبير بقوة السلاح، أصبحت احتمالات نجاحه كبيرة اذا لم يحاول الطرف الآخر السير على الطريق نفسه ، بل سعى ، على العكس ، لمتابعة هدف آخر ، ومن يخطط للوصول الى الهدف الآخر يتصرف بشكل منطقي معقول ، لانه يعتقد ان خصمه راغب مثله عن الوصول الى الحل الحاسم الكبير بقوة السلاح .

على ان حديثنا عن النوايا والقوى المتجهة نحو أهداف أخرى ، يقصد به فقط **الاهداف الايجابية الاخرى** التي تستحق ان تتابع بالحرب خارج اطار تدمير قوات العدو ، ولكنه لا يتعلق بالمقاومة البحتة التي نستخدمها لاستنزاف قوة العدو . فالنية الايجابية مفقودة في المقاومة البحتة ، وقواتنا عاجزة فيها عن التوجه الى أهداف أخرى ، وهي لا تفيد الا لاحباط نوايا العدو ومخططاته .

وعلينا الآن أن نشرح بشكل أعمق الناحية السلبية في تدمير القوات المعادية، أي الحفاظ على قواتنا . وهذان جهدان يسيران معا ، ويؤثر كل واحد منهما في الآخر ، انهما جزءان متلاحمان من مقصد واحد، ويكفي ان نفحص التأثير الناجم عند رجحان الاول او الثاني . وتهدف ارادة تدمير القوات المعادية الى الهدف الايجابي ، وتتوصل الى نتائج ايجابية هدفها النهائي هزيمة العدو ، بينما يحقق الحفاظ على قواعدنا هدفا سلبيا ، ويؤدي الى احباط نوايا العدو ، أي أنه يؤدي الى المقاومة البحتة التي لا تهدف الا الى اطالة مدة العمل ، بغية انهاك العدو . ويؤدي الجهد المطلوب من الهدف الايجابي الى الابادة ، أما الجهد اللازم للهدف السلبي ، فيكتفى بانتظار هذه الابادة .

فالى أي مدى يستطيع هذا الترقب أن يذهب ؟ والى أين ينبغي له أن يسير ؟ هذا ما سنراه عن كثب في الفصل المخصص لنظرية الهجوم والدفاع . ونكتفي الآن بالقول : أن على الترقب ان لا يكون مجرد عملية تحمل سلبي فقط ، وان العمل الذي يستجره هذا الترقب ، باستطاعته ان يهدف الى تدمير القوات المعادية المشتبكة في الصراع ، او ان يتوخى أي هدف آخر . وانه

لخطأ أساسي ان نعتقد ان الجهد السلبي يؤدي الى عدم اختيار تدمير القوات المعادية ، كهدف ، انما الى اعطاء الافضلية الى حل حاسم لا يؤدي الى سفك الدماء . ان رجحان الجهد السلبي قد يؤدي الى هذه النتيجة ولكن قد لا تكون هذه الطريقة هنا افضل الطرق ، اذ يتعلق الامر بالشروط الخاصة بالعدو لا بقواتنا . ولكن لا يمكن ان نعتبر الطريقة الاخرى، بدون سفك دماء، وسيلة طبيعية للحفاظ على قوانا مع ان هذا الحفاظ هو شغلنا الشاغل الاول . وعلى العكس ، اذا لم تساعد الظروف على مثل هذا العمل ، فقد ندفع قوانا الى الابادة الكاملة .

ولقد ارتكب عدد كبير من القادة هذا الخطأ الذي أدى الى اخفاقهم . والنتيجة الوحيدة الاكيدة لرجحان الجهد السلبي ، هي تأخير الحل الحاسم . ويعتمد الدفاع في هذه الحالة على انتظار اللحظة الحاسمة الملائمة . ويؤدي هذا الموقف عادة الى **تأخير العمل** في المكان والزمان ، ضمن الحدود التي تتيحها الظروف . وعندما تأتي اللحظة التي يتعذر فيها القيام بهذا العمل بدون التعرض لاخطار جسيمة ، تختفي ميزة الجهد السلبي لتترك مكانها للجهد الثابت والضروري لابادة القوات المعادية ، ذلك الجهد الذي وضع قبل ذلك في الخلف ، بدون ان يلغى نهائيا .

ونستدل من كل ما تقدم على ان هنالك عددا من الاشكال والطرق للوصول الى هدف الحرب، أي الى هدفها السياسي. ولكن الوسيلة الوحيدة للوصول اليه هي الاشتباك . لذا يخضع كل شيء في الاشتباك الى القانون الاعلى **للحل الحاسم بقوة السلاح** . وعندما يستخدم العدو هذا السبيل، فاننا نجد أنفسنا مضطرين الى السير على منواله . وعلى الطرف الذي يود استخدام طريقة أخرى ان يتأكد من ان خصمه لن يستخدم الحل الحاسم بقوة السلاح ، والا خسرت قضيته أمام هذا الحكم الفصل . والخلاصة : **ان تدمير قوات العدو هو أهم هدف رهان في الحرب قاطبة** .

أما ما يمكن الحصول عليه في الحرب بتركيبات من النوع الآخر، فسنراه فيما بعد بالتسلسل . وسنكتفي هنا بأن نلاحظ وجود هذه التركيبات ، لندلل على مقدار اختلاف النظرية عن التطبيق العملي ، ولنظهر تأثير الظروف الخاصة، ولكن علينا ان نقول على الفور : **إن الحل الدامي للأزمة** ، أي الجهد الرامي الى ابادة القوات العادية ، هو الابن الشرعي للحرب . فاذا كانت الاهداف السياسية قليلة الشأن ، والدوافع ضعيفة ، وتوتر القوى محدودا ، فان قائدا حذرا ماهرا قادر على استخدام عدة سبل مختلفة ، ليشق لنفسه طريقا الى السلام، عبر نقاط ضعف عدوه في المجالين الدبلوماسي والعسكري . فاذا وجد هذا القائد أمامه دوافع هامة للسير على هذا السبيل ، وكانت هذه الدوافع كافية لضمان النج

كان اختياره صحيحا لا يقبل النقض . ولكن علينا ان نذكره بأن هذا الطريق وعر وخطير ، وقد يفاجئه‌عليه إله الحرب. كما ان علينا ان ننصحه‌بأن لا يترك العدو يفلت لحظة من مراقبته، لئلا يقف في موقف، يدافع فيه بسيف مبارزة مثلوم، حيال عدو مسلخ بسيف صارم .

ان علينا الا ننسى أبدا النتائج التي تؤدي اليها طبيعة الحرب ، والطريقة التي تعمل بها وسائلها وغاياتها . وكيف تبتعد الحرب وتقترب من مفهومهـــا الاصلي في‌الحياة العملية، وكيف‌تخضع لتبدلات كبيرة‌نسبيا ، رغم بقائهاخاضعة للمفهوم نفسه كقانون أعلى . ان علينا ان نتذكر كل هذا ، خلال فحص جميــع المسائل التي سنتحدث عنها ، اذا شئنا فهم علاقاتنا الحقيقية‌واهميتها الخاصة، بدون ان نقع في تناقض كبير مع الحقيقة ، او مع أنفسنا .



# الفصل الثالث

# العبقرية الحربية

ان كل نشاط خاص يتطلب ، ليتم تنفيذه بمهارة ، استعدادات معينة من الفهم والاحساس . وعندما تبلغ هذه الاستعدادات درجة عالية ، وتعبر عن ذاتها بمآثر خارقة ، يوصف الفكر المنبعثة منه بالعبقرية .

وتستخدم كلمة « العبقرية » في معان جد مختلفة ، ومداها كثير التغير ، ولكنني سأكتفي بمعنى الكلمة الشائع ، وسأفهم كلمة العبقرية على أنها « قدرة فكرية كبيرة وبارزة ، في بعض مجالات النشاط » .

فلنقف لحظة عند هذه الكلمة، عند هذه الميزةالعقلية من الذكاء، لكي نبين مبررها ، ونلج بأكثر ما يمكن من العمق محتوى مفهومها . بيد أننا لا نستطيع التوقف عند العبقرية المنبعثة من موهبة متفوقة جدا ، أي عند **العبقرية** في معناها الحقيقي الدقيق ، لأن هذا المفهوم لا حدود واضحة له . ولكننا سنأخذ بعين الاعتبار تناسق كل قوى النفس الموجهة نحو النشاط العسكري ، والتي نستطيع اعتبارها **روح العبقرية** العسكرية . ولقد استخدمنا كلمة «التناسق» لان العبقرية لا تتألف من صفة واحدة تتعلق بالحرب ، كالشجاعة مثلا ، بينما تنعدم قدرات الفهم والاحساس الاخرى ، او تتجه اتجاهات لا تصلح للاستخدام في الحرب ، ولكنها تقوم على **تنسيق** القوى تنسيقا منسجما،ترجح فيها هذهالقوة أو تلك، بدون أن يعارض بعضها بعضا ... ولو كان علينا ان لا نقبل في جيوشنا الا كل مقاتل يملك نسبة معينة من العبقرية العسكرية، لكان عدد جيوشنا بدون شك صغيرا جدا . ذلك لان هذه العبقرية بحاجة الى ميل خاص للقوى المعنوية النفسية ، وهذا ما يجعل ظهورها نادرا ، في حين أن قوة النفس التي يتمتع بها

شعب ما تمارس وتنمو بطرق وصور كثيرة جداً . ولكن كلما قلت النشاطات المختلفة لدى شعب من الشعوب رجح فيه النشاط الحربي، وزاد نصيب احتمال ظهور العبقرية الحربية في صفوفه . بيد أن هذا يحدد اتساع عدد فرص ظهور هذه العبقرية لا مستواها ، لان المستوى يتعلق بالتطور الفكري والمعنوي عند الشعب بصورة عامة . واننا نجد في شعب بدائي نزّاع الى الحرب عدداً من الرجال المقاتلين يفوق ما نصادفه في شعب متحضر ، لان جميع المقاتلين في الشعب البدائي تحفزهم روح الحرب. على حين ان معظم جماهير الشعب المتحضر ، تجند للقتال عند الضرورة ، لا بدافع ميلها الطبيعي للحرب. ولكننا لا نرى أبدا قائدا كبيرا جدا أنجبه شعب بدائي ، والعبقرية الحربية في هذا الشعب نادرة لانها تتطلب تطورا فكريا من المحال الوصول اليه في شعب محروم من الثقافة(١) .

ومن الطبيعي ان للشعوب المتحضرة ميلا وتطورا حربيين من مستوى معين. وكلما ازداد هذان العاملان ، ازداد ظهور الروح العسكرية عند الافراد المنخرطين في جيوشها . وما دامت هذه الروح منبثقة من مستوى حضاري أعلى ، فان هذه الجيوش تقدم دائما أبدع الامثلة في المسائل العسكرية ، كما رأينا ذلك لدى الرومان والفرنسيين . واكبر أسماء لمعت في هذين الشعبين وكل الشعوب التي تمتعت بسمعة حربية حسنة ، ظهرت في مرحلة حضارية سامية . فهل نحن بحاجة الى تأكيد آخر ، لفهم أهمية المستوى الثقافي وعلاقته بالعبقرية العسكرية المتفوقة ؟

الحرب مجال الخطر ، **فالشجاعة** اذن أسمى الفضائل الحربية .

والشجاعة نوعان : الشجاعة الشخصية ، والشجاعة أمام المسؤولية التي تحكمها قوة خارجية أو قوة داخلية هي الضمير . ولن نتكلم هنا الا على الاولى .

---

(١) تتمتع فكرة المؤلف هذه بقسط وافر من الصحة . ولكن بعض الامثلة التاريخية تدحضها ، فقد قدم شعب المغول ، رغم تخلفه وحرمانه من الثقافة ، في زمن غزواته ، قائدا عسكريا فذا لم يعرف التاريخ الكثيرين من أمثاله هو جنكيز خان . كما قدم الشعب العربي وهو في أول انطلاقته الثقافية ، وعلى بداية طريق تقدمه الذي ملأ العالم فيما بعد نورا ، قادة عسكريين ذوي موهبة استراتيجية لا جدال فيها ، كعبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد وغيرهما ...ممن انجبتهم وعجمت عودهم مدرسة الصحراء القاسية ، لا المدارس والكليات العسكرية .

(المعربان)

والشجاعة الشخصية نوعان : النـوع الاول يعـود الى اللا مبـالاة أو الإستهانة سواء أكانت هذه اللا مبالاة او الاستهانة ناجمتين عن التكوين الفردي، او عن ازدراء الموت ا وعن العادة ، فهي اذن حالة دائمة ، أما النوع الثاني فقد ينجم عن أسباب ايجابية ، كالطموح ومحبة الوطن والحماسة بمختلف انواعها . وهنا ، تكون هذه الشجاعة انفعالا وشعورا اكثر منها حالة دائمة .

ومن البدهي ان لكل نوع من النوعين تأثيرا مختلفا عن تأثير الآخر. فالنوع الاول أقوى ، لانه جزء من طبيعة الفرد ، فلا يمكن ان يتخلى عنه . أما الثاني فيقود المقاتل غالبا الى مدى أبعد . ويعود الحزم او الصلابة الى النوع الاول ، على حين يرجع الاقدام الى الثاني . ويستثير الاول الذكاء استثارة أقـل ، ويزيد الثاني أحيانا قدرة الفكر ، ولكنه غالبا ما يضلل هذه القدرة . **ويؤدي توافق هذين النوعين واقترانهما الى أكمل أنواع الشجاعة .**

ان الحرب مجال الجهد والالم البدني ، وعلى من يشاء المقاومة والصمود فيها ان يملك نوعا من القوة البدنية والمعنوية . وسواء أكانت هذه القوة طبيعية أم مكتسبة ، فهي تجعل المرء قادرا على تحمل هذه الآلام . وكل من يتمتع بهذه الصفة، تحت اشراف الحس السليم، يغدو أهلا للعمل كأداة حربية جيدة. ونحن نصادف هذا النوع من الصفات غالبا لدى الشعوب البدائية او نصف المتحضرة. فاذا تعمقنا في البحث عما تتطلبه الحرب ممن يقفون انفسهم عليها ، وجدنا ان الصفة الفكرية تحتـل المكان الاول(١) . ان الحـرب مجـال الشك(٢) ، وثلاثة أرباع العناصر التي يعتمد عليها العمـل غارقة في ضباب هذا الشك .

---

(١) يؤكد الجنرال جان بيريه في كتابه « الذكاء والقيم المعنوية في الحرب » أفضلية التفكير على كل الصفات المسيطرة على ميادين القتال . ويقدم أول قربان من قرابينه الى اثينا (آلهة الفكر) لانها وحدها تحمل في يدها نصرا محتما . (المعربان)

(٢) يشرح الجنرال اندريه بوفر في كتابه « مدخل الى الاستراتيجية العسكرية » أهمية الشك ، عندما يقوم القائد واركانه بتقدير احتمالات ردود فعل الخصم حتى يتم الوصول الى تخمينات ويقول : « لا يبرز من خلال هذه التخمينات الا عامل وحيد ذو قيمة ثابتة هو الشك . وفي الحرب الذرية او الحرب الحديثة» ، يعتبر الشك في نهاية المطاف العامل الاساسي في الردع ، لذا لا بد لكل جيش من الجيوش من بذر الشك في صفوف خصمه ، كي لا يتيح له تقدير نواياه الحقيقيـة . (المعربان)

وهذا ما يؤكد ضرورة تمتع المرء فيها بذكاء ماهر خارق، ليعرف كيف يستشف الحقيقة ويقدرها غريزيا .

وقد يصيب ذكاء متوسط عن طريق الصدفة . وتستطيع الشجاعة الفذة التعويض عن خطأ مرتكب في مناسبة أخرى . ولكن نقص الذكاء يظهر دائما في النتيجـة العـامة

الحرب مجال واسع للصدفة . وليس هنالك مجال من مجالات النشاط البشري يترك مكانا فسيحا لهذه الزائرة الغريبة كالحرب . اذ ان المجالات الاخرى لا تحتك كالحرب مع الصدفة في كل لحظة . والصدفة تزيد ضبـاب الشك في جميع الظروف ، وتعيق سير الاحداث .

وبسبب عدم التأكد من كل المعلومات ومن كل قاعدة متينـة ، وبسبب تدخل الصدفة المستمر ، فان كل من يعمل يجد نفسه وجها لوجه أمام حقائق تختلف عما كان ينتظر . ويؤثر ذلك بوضوح على خططه أو في الاقـــل ، على الافكار التي تكون جزءاً من المخطط . فاذا جعل هذا الانعكاس القرارات غـير صالحةللاستخدام ، كان لزاما عليه استبدالها بغيرها . ولكن المعلـومـات اللازمة لهذا التبديل تكون في هذه اللحظة ناقصة ، وتتطلب الظروف خـلال العمل قرارا مباشرا سريعا ولا تتيح القيام بجولة جديدة في الافق، وقد لا يكون أمامنا وقت كاف للتفكير بامعان . وغالبا ما تتعرض مخططاتنا الى تعـديـل كبير بعد تدقيق أفكارنا ومعرفة الأحداث الطارئة ، ولكن هذا التعديل لا يصل الى درجة الغائها . وتزيد معرفتنا للحقائق مع الزمن ، ولكن شكنا يزداد بدلا من أن يتناقص . ويرجع ذلك الى أن المرء لا يكتسب هـذه التجـارب دفعـة واحدة بل تدريجيا . فقراراتنـا على احتكاك دائم بتجاربنـا ، وعلى فكرنا ان يكون مستنفرا بصورة دائمة ، اذا جاز هذا التعبير .

ولا بد من صفتين هامتين ضروريتين للتمكن من اجتياز الصراع الـدائم مع الأمور غير المتوقعة ، دون التعرض لأضرار كبيرة .

اولا ، ذهن لايفقد ، حتى في قلب هذا الغموض المتكاثف ، كل اثر للوضوح الداخلي اللازم للوصول الى الحقيقة . ثم الشجاعة على متابعة هـذا القبس

الضعيف(١) وتسمى الأولى « الفهم بنظرة خاطفة » ، على حين تدعى الثانية « التصميم » .

الاشتباك ميزة من ميزات الحرب التي جذبت الانتباه قبل أي شيء آخر. والزمان والمكان عنصران هامان للاشتباك . ولقد ازدادت هذه الأهمية في العصر الذي احتلت فيه الخيالة مكانتها بفضل قدرتها على الوصول الى الحل الحاسم بسرعة(٢) . وتعتبر فكرة الحل الحاسم السريع الصحيح نابعة من التقدير الجيد لهذين العنصرين . ولتعريف هذه الفكرة تبنى البعض تعبيرا ينطبق على تصحيح التقدير بناء على المراقبة البصرية . وهو « الفهم بنظرة خاطفة » . ولهذا فهم عدد كبير من أساتذة فن الحرب التعبير بمعناه المحدود الضيق . ثم أصبحنا نستخدمه لوصف كل قرار يؤخذ في لحظة التنفيذ نفسها ، مثل تحديد نقطة الهجوم الخ .... ولكن ليس المقصود ( بنظرة خاطفة ) مجرد نظرة بعين الانسان بل بفكره أيضا . ولهذا التعبير مكانه في التكتيك ، الا أننا لا نستبعده من الاستراتيجية التي قد تضطرنا غالبا الى اتخاذ قرارات سريعة كهذه . فاذا جردنا هذه الفكرة من المعنى المجازي المحدود الذي يوحى به التعبير ، وجدنا أنها تعبر بكل بساطة عن السرعة التي تكشف بها الحقيقة التي لا يستطيع الفكر العادي رؤيتها ، والتي لا تظهر عادة الا بعد فحص طويل وتفكير عميق .

---

(١) يقول الجنرال جان بيريه في كتابه « الذكاء والقيم المعنوية في الحرب » : انني أعرف ككل شخص أن هنالك ثالوثا يهيمن على المعارك هو : الذكاء والشجاعة والسلاح . كما اعرف ان بالاس ذات العيون الصافية ( الهة الحكمة ) لا تستطيع شيئا دون غضب آريس ( اله الحرب ) . وانهما عاجزان اذا لم يمد فولكان الاسود ( اله الحديد والنار ) لهما ، من عتبة كوره ، ذراعا مثقلا بالسيوف والرماح .

( المعربان )

(٢) لاشك في أن أهمية هذين العنصرين قد ازدادت ازديادا ملحوظا في عصر الآلة والحرب الميكانيكية ، ومنذ أن أصبح في امكان القوات المدرعة بالتعاون مع الطائرات أن تقطع مسافات طويلة داخل أراضي العدو ، في فترة زمنية قصيرة جدا ، وتضرب أهدافا حيوية محققة بذلك نتائج حاسمة سريعة . أما في العصر الذري فان لعامل الزمان أهمية قصوى ، ففي عدة دقائق يستطيع المهاجم تدمير خصمه وشل وسائطه النووية ، أو يتمكن المدافع ـ ان سنحت له الفرصة ـ من الرد على الضربة بضربة انتقامية رهيبة .

( المعربان )

أما التصميم فهو الشجاعة المطبقة على حالة خاصة . فاذا غدا صفة من صفات الشخصية أصبح عادة فكرية . ولا نقصد بالشجاعة هنا الشجاعة أمام الخطر المادي ، بل أمام المسؤولية والخطر المعنوي . وهذا ما أسميناه **شجاعة الفكر** لانها منبثقة من الفكر ، ولكنها ليست عملا من أعمال الفكر بل من أعمال الطبع . ان الذكاء المجرد لا يخلق الشجاعة ، لأن أذكى الناس يفتقرون عادة لصفة التصميم وعلى الذكاء قبل كل شيء أن يوقظ الشعور ويدعمه ويحافظ عليه ، اذ يطيع الرجل في اللحظات الحرجة أحاسيسه أكثر مما يطيع أفكاره .

لقد أعطينا التصميم مهمة ابعاد قلق الشك وخطر التردد ، عندما لا تكفي الدوافع لتوجيهنا . الا أن اللغة العادية تستخدم بلا مبالاة كلمة « التصميم » لتصف تذوق الخطر والشجاعة والاقدام والجسارة . ولكن اذا عمل الرجل بتأثير دوافع كافية ، نفسية كانت أم موضوعية ، نبيلة كانت أم تافهة ، فلا مبرر للتحدث عن تصميمه ، لان هذا يعني أننا نضع أنفسنا مكانه ، وندخل في اللعبة شكوكاً لا تخطر على باله مطلقاً .

اننا لا نستطيع التحدث هنا الا عن القوة والضعف ، ولا شيء غير ذلك . ولكننا لن نتحذلق ونفتتح نقاشاً يدور حول المبالغة في استخدام هذه الكلمة . ولا تهدف ملاحظتنا سوى ابعاد الاعتراضات التي لا مبرر لها .

ان التصميم الذي يتغلب على حالة الشك ثمرة من ثمار الذكاء ، ولا يعقل أن يكون شيئاً آخر . ويمكننا أن نقول : انه توجيه خاص بالذكاء ، ولكن مجرد التقاء ذكاء متفوق مع أحاسيس ملائمة ، لا يصنع التصميم . ويبرهن بعض الاشخاص أمام المعضلات الصعبة جدا عن تفكير خارق بدون ان تنقصهم الشجاعة اللازمة لمواجهة مسؤوليات كبيرة ، على حين يقف هؤلاء الاشخاص أمام الاوضاع المتوسطة الصعوبة عاجزين عن اتخاذ أي قرار يتسم بالتصميم . ذلك لان ذكاءهم وشجاعتهم أمران منفصلان لا يتفقان ولا يسيران جنباً الى جنب ، وهذا ما يمنع كل تصميم . فالتصميم لا ينبثق الا من عمل الذكاء الذي يجعل الاقدام ضرورة واعية ، ويحدد الارادة . انه ناجم عن توجيه الذكاء الذي يقهر خوف الانسان ، ويتغلب على تردده ونقاط ضعفه . وهذا ما يصنع التصميم في الطبع القوي . لذلك فان رجالا متوسطي الذكاء ، لا يمكن

أن يتصفوا بالعزيمة الصادقة بكل معنى الكلمة . وقد يتصرفون في الاوضاع الصعبة بدون تردد الا أنهم يفعلون ذلك بلا تفكير ، ولا يخضع الرجل العامل بدون تفكير لمضايقات الشك ، انه قد يتصرف بصواب ، بين آونة وأخرى ، ولكن لا بد لنا من أن نكرر : ان متوسط النتائج الحاصلة هو الذي ينم عن وجود العبقرية العسكرية .

وقد يبدو تأكيدنا غريباً ، لاولئك الذين يعرفون عدداً كبيراً من ضباط الفرسان المصممين ، ولا يتمتعون مع ذلك بأدنى عمق فكري . ولكننا نذكر هؤلاء أن الامر يتعلق هنا بتوجيه خاص للذكاء ، ولا يميل الى التأمل العميق .

اننا نؤمن اذن أن التصميم توجيه خاص بالذكاء ، وهو توجيه يتعلق بفكر قوي أكثر من تعلقه بفكر لامع . ولتأكيد هذه القاعدة نضيف ان هنالك عدداً كبيراً من الرجال الذين أثبتوا تصميماً كبيراً عندما كانوا في مستوى قيادي صغير ، ثم فقدوا هذه الصفة عندما احتلوا مستوى أكبر . لقد كانوا يشعرون بحاجتهم الملحة الى هذا التصميم ، ولكنهم يرون الخطر الكامن وراء خطأ من الاخطاء فيترددون ، ويفقد ذكاؤهم قوته الاساسية ، لانه لم يعتد حل الامور الكبيرة . ويميلون بعد ذلك الى الحذر ، كلما لاحظوا الخطر الذي يؤدي اليه ترددهم ، ذلك التردد الذي يشلهم شللاً أكبر ، لانهم اعتادوا في الماضي على العمل المباشر ، تحت تأثير متطلبات اللحظة .

ويقودنا **التصميم والفهم بنظرة خاطفة** ــ بدون شك ــ الى التحدث عن ميزة **حضور البديهة** . وهي صفة لا بد من أن تأخذ مكاناً كبيراً في مجال عمل مليء بالامور المفاجئة ، لان **حضور البديهة** هو السبيل الى التفوق في حقل الصراع مع الامور الطارئة .

اننا نعجب بحضور بديهة الفرد ، عندما يرد بشكل صحيح على سؤال غير منتظر ، كما نعجب بحضور البديهة الماثل بايجاد الحل الملائم السريع حيال خطر مفاجيء . ولا يهم ان يكون الرد او الحل عاديين وأكثر ما يهمنا هو قدومهما بشكل ملائم ، لان الامر الذي يبدو عديم الاهمية اذا جاء بعد تأمل طويل ، يأخذ أهمية خاصة عندما ينبثق عن تصرف مفاجيء للذكاء . ويحدد **حضور البديهة** بكل دقة سهولة النجدة التي يقدمها لنا الذكاء وسرعتها .

فهل تنجم هذه الصفة البشرية الرائعة عن أسلوب خاص بالفكر ، أم عن طبع متوازن ؟ هذا أمر يختلف باختلاف الحـالات . ولكن **حضور البديهـة** لا يستغني مطلقا عن هذا الامر أو ذاك . فسهولة الاجابة تأتي من عقل مفكر ، اما الرد الذي يصيب كبد الحقيقة في "للحظة الملائمة أمام خطر مفاجيء" فيتطلب توازناً كبيراً في الطبـع .

عندما نلقي نظرة فاحصة على العناصر الاربعة التي تشكل مناخ الحرب وهي : **الخطر ، والجهد البدني ، والشك ، والصدفة** ، نفهم بلا عناء أن المقاتل بحاجة لقوة معنوية وقوة مادية كبيرتين لتحقيق التقدم ، مع ضمان الامن والنجاح في هذا الجو المضطرب . ويسمي الكتّاب العسكريون هذه القوة **بالطاقـة ، والحزم ، والصمود ، وقـوة الشخصية ، وقوة الفكر** ، وتختلف نظريتهـم وتسمياتهم حسب التعديلات المتعددة الناتجة عن تبدل الظروف . ويمكننـا ان نعتبر جميع هذه المظاهر الخاصة بالطبيعة البطولية ، كقوة من قوى الارادة معدلة حسب الظروف . وتنحدر جميع هذه الصفات المعنوية من أصل واحد ، الا أنها لا تكون مع ذلك صفة واحدة ، لذا يبـدو من المفيـد فحصها عن كثب ، لنكشف العلاقات المتبادلة بينها .

ولتحديد أفكارنا بشكل دقيـق ، علينـا ان نلاحظ ان الوزن والحظ والمقاومة أو أي اسم نعطيه لقوة نفس الشخص القائم بالعمل ، لا تتعلق بنشاط العدو ومقاومته وضغطه ، الا بمقدار ضئيل . ولا يؤثر نشاط العدو مباشرة في القائد الا كفرد ، بدون ان يؤثر في عمله كقائد . فان قاوم العدو أربـع ساعات بدلاً من ساعتين تعرض القائد للخطر مدة أربع ساعات بدلاً من ساعتين . وتتناقض قيمة هذا الامر مع تزايد رتبة القائد ، أما أهميتها بالنسبة للقائـد الاعلى فمعدومة كليـاً .

ولكن مقاومة العدو تؤثر مباشرة في القائد نفسه ، وذلك لما تسببه مقاومة طويلة تمس مسؤوليته ، من خسارة في الامكانات . اذ توضع قوة ارادته موضع التجربة لاول مرة وسط جو محاط بالقلق والشك . وليس هذا العبء أصعب أعباء القائد ، فهو معضلة يحلها مع نفسه دون ان يعلم بهـا أحـداً ، الا أن التأثيرات الاخرى الناجمة عن مقاومة العدو تنعكس على المقاتلين الخاضعين لاوامره ، وتؤثر فيه من خلالهـم .

ومن النادر ان ينبغي للقائد بذل قوة ارادة كبيرة للوصول الى هدفه ، اذا كانت شجاعة رجاله متأججة وقواهم المعنوية عالية ، ولكن ما أن تنبعث صعوبات مباشرة — وهذا أمر كبير الاحتمال عندما يتجاوز العمل حدود السير العادي — حتى تتعثر الامور ، فلا تسير وحدها كآلة حسنة التشحيم . وعلى العكس تبدأ الآلة نفسها باظهار شيء من المقاومة . ويتطلب تجاوز هذه المقاومة من القائد قوة ارادة كبيرة ولا تظهر هذه المقاومة على شكل عصيان أو تناقض — رغم وجودهما عند بعض الافراد — ولكنها تظهر على شكل احساس بالتفتت العام لكل القوى المادية والمعنوية ، كما تظهر في المشهد المؤلم لتضحيات دامية .وعلى القائد أن يتغلب على هذه المقاومة فيىنفسه أولا ، ليسيطر عليها بعد ذلك عند الآخرين الذين ينقلون اليه أحاسيسهم ومشاعرهم ومتاعبهم وآمالهم بصورة مباشرة او غير مباشرة . ومع تناقض قوى الافراد وتلاشيها واحدة بعد أخرى ، تتهالك ارادتهم ، وتصبح غير كافية لاثارة هذه القوى والحفاظ عليها ، وينتهي كل ثقل عطالة المرؤوسين بالوقوع رويداً رويداً على ارادة القائد وحدها . وعلى هذا القائد ان يستخدم الحماسة المتأججة فيقلبه ، والنور الساطع في فكره ، لاذكاء الحماسة والتصميم ونور الامل عند الآخرين . وهو لا يستطيع الاحتفاظ بالرقابة على هذه الكتلة ، والبقاء سيداً لها ، الا اذا كان على مستوى هذه المهمة . فاذا أضحت شجاعته غير كافية لاثارة شجاعة الآخرين سقط الى مستوى الكتلة ، وضاع وسط هذه المجالات الدنيا للطبيعة الحيوانية التي تتراجع أمام الخطر ، وتجهل معنى الخجل . هذا هو العبء الذي تضطر شجاعة القائد وقوته المعنوية لتحمله اذا شاء تحقيق عمل كبير . وتزداد أهمية الشجاعة والقوى المعنوية بازدياد عدد الجنود الخاضعين لقيادة القائد . وعليه ، ان شاء تحمل الاعباء الملقاة على عاتقه ، ان يزيد من قيمة هاتين الصفتين كلما ارتفع في المناصب والمراكز . وتعبر طاقة العمل عن قوة الدافع الفكري أو العاطفي الذي يثير هذا العمل ، ونادراً ما ينقص الدافع اذا تطلب العمل اثبات قوة كبيرة .

ولكن أقوى المشاعر الكبيرة وأثبت العواطف الكبيرة التي تملأ الانسان خلال الجهد القتالي العنيف هي : الطموح للشرف والمجد .وتتحدث اللغة الالمانية عن كلمتي الشرف والمجد بشكل يبخسهما بعض حقهما ، عندما تضيف اليهما كلمتين تحملان شيئا من الذم ، وتقول « التعطش للشرف » و «الرغبة في المجد » . ومما لاشك فيه ان المبالغة في استخدام هذين الملهمين في الحرب

سببت للجنس البشري أكبر عمليات الظلم اثارة .ولكن هذا لا يحول دون وضع هذين الاحساسين ،بفضل أصلهما ، مع أنبل صفات الطبيعة البشرية ، فهما يكونان في الحرب الروح الحقيقية الحافزة التي تعطي الحياة لهذا الجسم الضخم . واذا كانت بعض الاحاسيس قادرة على الانتشار بصورة أكبر ، والظهور بشكل أكثر ارتفاعا وسموا مثل ــ حب الوطن ، والإخلاص الحماسي لفكـرة ما ، والثأر، والحماسة من كل نوع ــ فانها لاتيستطيع ان تحل محل الطموح للشرف والمجد. ان الاحاسيس السابقة قادرة على رفع الجماهير العريضة ، والسمو بمستوى احاسيسها ، ولكنها لاتوقظ لدى القائد الرغبة في ان يعمل عمـلا يفوق عمـل زملائه ، وهي رغبة لاغنى عنها مع ذلك ، ان شاء استخدام وضعه للقيــــام بأفعال تستحق التقدير والاحترام . وهي على عكس الطموح ، لاتجعل العمـل العسكري الفردي مجال القائد الذي يحاول الابداع في عمله ، ويحـرث بجـد ويزرع بكل عناية حتى يكون الحصاد مثمرا . مع ان هذه المطامح التي يتقاسمها جميع القادة من اصغر الرتب الى أكبرها هي التي تحفز فعالية الجيش وتعد له النصر. ولنعد الآن الى الانسان ونتساءل : هل رأينا مرة قائدا حربيا كبيرا بلا طمـوح؟ وهل يعقل وجود مثل هذه الظاهرة ؟

ويدل **الحزم** على مقاومة الارادة للصدمة المنعزلة ، اما **الصمود** فيحمل في طياته معنى المدة والاستمرار . ومهما كان التشابه وثيقا بين هاتين الكلمتين ، ورغم استخدام الكلمة الاولى غالبا مكان الثانية ، فان علينا أن نعرف طبيعتهما ، لان الحزم الذي يرد على انفعال واحد عنيف قد يكون ناجما عن مجرد قوة شعور، أما الصمود فيتطلب بلا شك دعم الذكاء . ومما لاشك فيه انه كلما طالت مـدة الفعل ، كلما مال الى التلاؤم مع مخطط معين ، ومن هنا يأخـذ الصمود جزءا من قوته .

واذا مانظرنا بعمق الى **قوة النفس** أو **قـوة الشعور** فأول سؤال يطـرح هو التالي : ماالمقصود أو المفهوم من ذلك ؟ .

ليس هو، بدون شك ، العنف في التعبير عن المشاعر، او الهوى، ولكنه ميزة الاستمتاع الى صوت العقل في خضم أقوى الانفعالات، وفي عصف أشد الاهواء. فهل تتعلق هذه الميزة بقوة الذكاء فقط ؟ هذا أمر مشكوك فيه . ووجـود اشخاص عاجزين عن السيطرة على أنفسهم رغم تمتعهم بذكاء خارق لايدل على شيء ، لان السيطرة على النفس قد تتطلب ذكاء خاصا يتصف بالقوة أكثر من الاتساع.

ونحن نعتقد أننا نقترب من الحقيقة عندما نقول : ان ميزة الخضوع لمراقبة الذكاء في أسوأ لحظات الاضطراب ، تلك الميزة التي يسمونها **السيطرة على النفس** كامنة في المزاج نفسه . والحقيقة ان هناك شعورا آخر يعدل في النفوس القوية الاهواء المضطربة بدون ان يدمرها ، وليس هذا الوزن المعدل الذي يحقق رجحان العقل ، سوى الشعور بالكرامة البشرية ، أنه الكبرياء النبيلة ، أنها حاجة موروثة عميقة داخل الروح ، للعمل بكل الظروف ككائن وهب العقل وحسن التمييز . اذن ، يحق لنا أن نقول : ان النفس القوية هي النفس التي لاتفقد توازنها حتى في أعنف حالات الغليان .

فاذا ألقينا نظرة على الامزجة البشرية ، وجدنا قبل كل شيء أناسا قليلي الانفعال ندعوهم **اللمفاويين** أو البلداء .

ويأتي بعد ذلك الانفعاليون كثيرا ، انما لاتتعدى مشاعرهم درجة معينة ، ونسميهم **الحساسين الهادئين** .

ثم يأتي **أصحاب المزاج الانفعالي** الذين ينفعلون بسهولة ، وتتأجج مشاعرهم بسرعة وعنف كالبارود ، ولكنها تنطفيء بسرعة أيضا .

وهنالك أخيرا من لاينفعلون لابسط الاسباب والمناسبات ، ولا تستيقظ حساسيتهم بسرعة بل بصورة متدرجة ، وتصبح مشاعرهم عندئذ قوية تدوم مدة طويلة من الزمن . انهم المتزنون ذوو الاهواء القوية العميقة الصامتة .

ويقع مكان هذه الاختلافات التكوينية بين الرجال على حدود القوى المادية التي توجه الكائن البشري ، وتتعلق بالجهاز العصبي الغامض ، الذي يمت الى المادة من جهة ، والى الروح من جهة أخرى . ويدفعنا ضعف وسائلنا الفلسفية الى عدم الاندفاع في هذه المجالات المظلمة . ومع هذا ، فأن علينا ان نتوقف برهة أمام انعكاسات هذه الطبائع المختلفة على النشاط العسكري ، وتأثيرها في خلق قوة شخصية كبيرة .

**ان الرجل اللمفاوي لايفقد توازنه بسهولة . ولكن انعدام كل مظاهر الفاعلية لايعني قوة الشخصية . وقد يظهر نوع من الفاعلية لدى أمثال هذا الرجل خلال الحرب . ولكنها فاعلية وحيدة الاتجاه ، تقود الى الثبات الكامل . والحقيقة ان هذا الرجل محروم من الدافع الايجابي للعمل ، أي من الزخم والنشاط ، ولكن هذا الحرمان لايصل مع ذلك الى تدمير كل شيء .**

اما افراد النوع الثاني **الحساسون الهادئون** فهم ينفعلون بسهولة مع الامور الصغيرة ، ولكنهم يقفون عاجزين أمام القضايا الجليلة . انهم سريعو الاندفاع لنجدة شخص بائس ، ولكن منظر بؤس شعب كامل يثقل كواهلهم بدلا من ان يدفعهم الى العمل .

ويعمل هؤلاء الرجال في الحرب بفاعلية وتوازن ، الا انهم لايقدمون أبدا أعمالا كبيرة ، الا اذا زودهم الذكاء الخارق بدافع قوي . ولكن يندر ان يظهر الذكاء القوي المستقل مع هذا النوع من المزاج .

ولا يصلح اصحاب **المزاج الانفعالي المندفع** ، للحياة العملية كما لايصلحون للحرب ، انهم يستفيدون من دفعهم القوي ،ولكنه دفع لايدوم . ويلاحظ ان ميل حساسية هؤلاء الرجال الى الشجاعة والطموح يجعلهم قادرين على القيام بأعمال حسنة في وظائف صغيرة ، ذلك لان أفعال الحرب الخاصة بالمراتب الصغيرة هي عادة افعال محدودة المدى ، ويكفي لتنفيذها قرار شجاع واندفاع وحيد . ان هجوما جريئا مع ايعاز « الى الامام » ينطلق بكل قوة لايدوم الا لحظات بسيطة ، على حين يستمر الصراع العنيف على حقل المعركة طوال اليوم ، وقد تطول الحملة سنة كاملة .

ويجد هؤلاء الرجال بسبب عنف مشاعرهم صعوبة مضاعفة للمحافظة على توازنهم وغالبا مايطيش صوابهم ،وهذه نقيصة خطرة خلال الحروب . الا ان التجربة العملية تبرهن على وجود رجال ذوي مزاج انفعالي جدا ،ولكنهم مع ذلك أقوياء ، أي قادرون على حفظ توازنهم وهم تحت تأثير انفعال قوي . انهم يتمتعون غالبا بهذا الشعور الذي لايجد الوقت الكافي ليعمل بفاعليته . فما ان ينتهي الاندفاع الاول ، حتى يصبحوا فريسة احساس قوي بالهوان . فاذا ما توصلت التربية والمراقبة والتجربة الى تعليمهم كيف ينتبهون الى انفسهم ، ويراقبون في لحظة الانفعال القوة المعاكسة الكامنة في نفوسهم ،أصبحوا قادرين على التصرف بنفس قوية .

واخيرا هنالك الرجال المتزنون الذين ينفعلون بصعوبة ،ولكن انفعالهم عادة عميق . ويعتبر هؤلاء الرجال بالنسبة لسابقيهم كالجمر بالنسبة للهب . وهم بفضل قدرتهم الجبارة ، اقدر الناس على تحريك كتل الجماهير العريضة ، وتشبه مشاعرهم حركات الجماهير التي لا تقاوم رغم بطء مسيرتها .

ولا يقع هؤلاء الاشخاص ضحية مشاعرهم ، ولا تستطيع هذه المشاعر جرهم الى أفعال يخجلون منها بعد ذلك ، كما هي الحالة بالنسبة للنوع السابق. ولكن التجربة تدل رغم كل هذا على انهم يفقدون في بعض الاحيان توازنهم ، ويقعون ضحية هوى اعمى . وهم يقعون في مثل هذه الهاوية اذا لم يتمتعوا بالانفة والسيطرة على النفس ، أو اذا لم يكن لمشاعرهم وزن كاف .

ونرى هذا غالبا لدى الرجال العظماء في شعوب قليلة الحضارة ، حيث يرجح ضعف المستوى الفكري كفة الانفعال . ولكن الطبقات المثقفة جدا في الشعوب المتحضرة تقدم ايضا رجالا كثرا من هذا النوع .

ولنكرر مرة ثانية : ليست النفس القوية ملك من لا يعرف الا الانفعالات القوية ؟ ولكنها ملك من يعرف كيف يبقى سيد نفسه تحت تأثير أعنف الانفعالات وأشدها سوءا ، بحيث تحتفظ قناعته وقدرته على الحكم بكامل مهارتهما ، رغم العاصفة المزمجرة في قلبه ، وتكونان كابرة البوصلة على مركب تائه .

وتدل **قوة الشخصية** أو الشخصية على الاصرار والتمسك بالقناعات ، سواء أكانت هذه القناعات ناجمة عن أحكامنا أو أحكام الآخرين ، وسواء اكانت مستندة الى مبادىء او آراء او الهام مؤقت ، او أي شكل من أشكال النتاج الفكري . ومن المؤكد ان هذا النوع من الصلابة لايظهر عندما تتعرض القناعة لتبديل مستمر ، ولتحولات غير ناجمة بالضرورة عن مؤثرات خارجية ، بل تنبثق من الحركة القلقة الدائبة لذكائنا نفسه ، الامر الذي يدل على عدم ثبات هذا الذكاء . ان من يغير رأيه في كل لحظة عاجز عن ان يكون رجلا قوي الشخصية حتى ولو كانت اسباب التبديل نابعة من ذاته . ولا تدل الصلابة الا على قناعات ثابتة واضحة صافية عميقة الجذور ، وهي لهذا السبب لا تتعرض للتغيير ، اما لأن نقص النشاط الفكري لا يتيح اي مجال للتغير ، كما هي الحالة بالنسبة للرجال اللمفاويين ، أو لان الارادة الناجمة عن عمل فكري من أعمال الذكاء ، قررت عدم تغيير الافكار ضمن حدود معينة . أما في الحرب ، فان الشك يهز كل معلوماتنا وقناعاتنا ، وتتعرض الروح لتأثيرات عنيفة عديدة ، لذا يزداد عدد الدوافع التي تجعل الرجل ينحرف عن الطريق الذي بدأ السير عليه ، كما تجعله يشك بنفسه وبمن حوله ، ويكون هذا الانحراف وذاك الشك في الحرب أقوى منهما في أي نشاط انساني آخر .

ويثير الخطر ومنظر الالم في الحرب مشاعر تسيطر بسهولة على القناعات الفكرية . وبصيص النور الخافت القلق المنتشر في كل مكان ، يجعل الاحساس الواضح العميق في حالة من الاضطراب تصبح التبدلات معها مفهومة ومعقولة اكثر . ان الافعال لا تستند الا على حقائق مخمنة او متوقعة ، لذلك تظهر اختلافات وجهات النظر في الحرب اكثر من أي مكان آخر ، لان تيار الاحاسيس في الحرب يتعارض مع قناعاتنا . ولا يستطيع اكثر الناس لمقاومة حماية نفسه من ذلك ، لان الانطباعات القوية الحية تهاجم دائما وفي آن واحد التفهم والشعور .

اما الافكار والمبادىء العامة التي تنطلق من وجهة نظر عليا وهي توجه العمل ، فلا يمكن أن تكون الا ثمرة تفهم كامل وواضح ، على حين تقف الآراء المتكونة عن الحالات الخاصة وكأنها معلقة امام هذه المبادىء . ولكن الصعوبة كامنة فيأن علينا التمسك بكل صلابة بنتائج التفكير السابق رغم الاحكام والظواهر المتناقضة التي تظهر في العمل .. وبين المبدأ والحالة الخاصة هوة كبيرة لا نستطيع غالبا ردمها بتسلسل منطقي ظاهر . ويفيدنا في هذه الحالة أمران هما : الثقة بالنفس ، ودرجة معينة من التشكك . ولا يمكننا أن نستخدم استخداما جيدا هنا الا المبدأ اللازم الذي يسيطر على التفكير رغم استقلاله عن كل تفكير . وهذا المبدأ هو الاصرار في حالة الشك على وجهة نظرنا الاولى ، والتمسك بها ، وعدم التخلي عنها الا أمام قناعة واضحة جدا . ان الايمان الذي لا يتزعزع بالحقيقة السامية لمبادىء أكيدة ثبتت صحتها مدة طويلة ، يمنعنا من أن ننسى ان «الظواهر العابرة» تبقى رغم قوتها أضعف من المبادىء. ان أولوية القناعة المسبقة في الحالات التي يكتنفها الغموض ، والاخلاص لهذه القناعة ، كافيان لاعطاء تفكيرنا ثباتا واستمرارا ندعوه الشخصية .

من هنا نفهم مدى اسهام المزاج المتزن في بناء قوة الشخصية ، وهذا هو السبب في تمتع أولئك الرجال الحائزين على قوة معنوية كبيرة بشخصية قوية . ويجبرنا الحديث عن قوة الشخصية على ان نتحدث عن شكل معين من أشكال هذه القوة وهو **العناد** .

ويصعب علينا في الحالات الملموسة تحديد بداية قوة الشخصية او نهاية العناد . الا أن ايجاد الفرق المجرد النظري بين هاتين الصفتين ممكن بدون صعوبة .

ليس العناد عيبا من عيوب الذكاء ، ولكنه تعبير يستخدم لتحديد رفض الخضوع لفهم أعلى ، رفضا لا يمكن ان يعزى الى الذكاء الذي هو قدرة كبيرة على التفهم ، بدون ان يكون في ذلك تناقض . والعناد**عيب من عيوب الطبع** . وصلابة الارادة هذه ، وهذا التشدد حيال كل تناقض ، لا ينجمان الا عن أنانية خاصة تريد قبل كل شيء ان تخضع وان تحمل الاخرى على الخضوع الى نشاطها الفكري فقط. وهو في الحقيقة عبارة عن نوع من الصلف ، لو لم يـ أفضل من الصلف بقليل ، لان الصلف يكتفي بالمظهر ، على حين يقوم العناد على التمتع بالشيء .

ويمكننا ان نقول : ان قوة الشخصية تغدو عنادا عندما لا تعتمد المقاومة المعارضة لوجهات نظر ملموسة على قناعة ثابتة او أيمان بمبدأ سام ، بل تستند على مبدأ المعارضة نفسه . وقد لا يكون لهذا التعريف الا قيمة عملية قليلة ، ولكنه يمنعنا من ان نعتبر العناد قوة اكبر من قوة الشخصية مع أنه أمر مختلف عن ذلك كل الاختلاف . انه يسير بصورةمتوازية مع قوة الشخصية، ويلامسها في بعض النقاط ولكنه لا يتزايد نفس تزايدها ، وكثيرا ما نرى رجالا يتصفون بعناد كبير ولكن نقص ذكائهم يجعلهم محرومين من قوة الشخصية .

وتدلنا مزايا القائد المذكورة أعلاه على الصفات التي يؤثر فيها الطبع بالتعاون مع الذكاء . وسندرس الآن صفة خاصة من صفات النشاط الحربي . ويمكن اعتبارها اقوى الصفات مع أنها ليست أهمها . ولا تتطلب الا قوى فكرية بدون أن تسمح لمزايا الطبع بالتدخل في الحساب ، وما هذه الصفة سوى العلاقة بين الحرب والارض أي البلاد او التراب . فاذا درسنا هذه العلاقة بعمق وجدنا :

— أنها أمر دائم ، لان من المحال تصور عملية حربية يقوم بها جيش منظم الا على مساحة محددة .

ان لها أهمية حاسمة ، لانها تعدل تأثيرات او نتائج كل القوى ، وأحيانا تبدلها برمتها .

— انها تمس التفاصيل الدقيقة لمدينة صغيرة وتهمها كما تمس أوسع مساحات البلاد .

وينجم عن ذلك ان العلاقة بين الحرب من جهة ، والأرض والبلاد من جهة أخرى تعطي هذه الحرب صفةخاصة جدا . وعندما ندرس نشاطاتبشرية تتم فوق الارض ـ كالزراعة ، وغرس الورود والازهار ، والبناء ، والمنشآت المائية ، والمناجم ، والصيد ، واستثمار الغابات ـ نلاحظ أن كل هذهالنشاطات تتم على مساحات معينة ، يسهل اكتشافها وتحديدها بسرعة وبدقة كافية ، أما في الحرب فعلى القائد أن يجد في المساحات التي يعمل عليها ، شريكا له في عمله ، وهي مساحات لايستطيع ان يقيسها بعينيه ، ولا يكفي الاندفاع دائما لكشفها ، كما ان من النادر التآلف معها جيدا ، لوجود التبدلات المستمرة . ولكن العدو تحيط به الظروف ذاتها ، وتبقى الصعوبة رغم وقوعها على الطرفين ، صعوبة لا يمكن نكرانها . ويملك من يتغلب عليها بفضل موهبته أو تدريبه ميزة كبيرة ، وبالاضافة الى ذلك ، فان هذه الصعوبة لا تشترك بها الاطراف الا بصورة عامة ، ولا يتحتم ذلك في الحالات الخاصة ، حيث ، على النقيض ، تسير القاعدة على ان يعرف فيها أحد الخصمين ( المدافع ) الارض أكثر من الآخر .

وللتغلب على هذه الصعوبة علينا ان نتمتع بميزة عقلية خاصة ندعوها **حس التوجه** ، وهو تعبير ذو معنى صغير جدا ، انه القدرة على تكوين صورة هندسية صحيحة بكل سرعة لاي بلد من البلاد ، فهو بالتالي القدرة علىالتوجه في هذا البلد ، وأيجاد السبيل بكل سهولة . انه عمل من أعمال التخيل .. نحن نعرف ان الادراك يتكون بفضل العين المجردة بالاضافة الى الصورة التي تحملها محاكمة الذكاء المستندة الى العلم والتجربة . ويقدم الذكاء في هذه الحالة المعطيات الناقصة الضرورية . وتشكل هذه المعطيات مع الاجزاء المرئية بالعين المجردةمجموعا. فلكي يظهر هذا المجموع بشكل حي في الفكر، ولكييصبح صورة خارطة جغرافية مرسومة في المخ ، ولكي تبقى الصورة دائمة لا تتفتت تفاصيلها بلا انقطاع ، على المرء ان يتمتع بقدرة عقلية هي التخيل. ومهما كانت الفائدة هنا قليلة فهي فائدة لا تأتي الا من التخيل ، فاذا اختفى هذا العامل غدا من الصعب تكوين صورة واضحة متماسكة ، او رؤية الامور كما لو كانت تحت أبصارنا . ونحن نعترف ان ذاكرة قوية تقدم لنا في هذا المضمار فائدة جليلة ، ولكن هل يمكن اعتبار الذاكرة صفة مستقلة ، أم ان القدرة على تكوين الصورة تساعد على تثبيت الامور بشكل افضل في الذاكرة ؟ اننا لن نحاول

الرد على هذا السؤال ، ذلك لان من الصعب فصل هاتين القدرتين العقليتين ، وفهم كل واحدة منهما مستقلة عن الاخرى .

ومما لا شك فيه ، ان التدريب والتفهم يقومان هنا بدور كبير . ويكتب يويسيغور رئيس الاركان العامة عند دوق لوكسمبورغ حول هاتين النقطتين قائلا انه لم يكن يعتمد كثيرا على نفسه فيما يتعلق بالارض ، اذ انه كان يخطىء سبيله كلما شاء الذهاب بعيدا لاخذ كلمة السر .

ويزداد الهامش المتروك لهذه الموهبة حتما بقدر ما نرتفع في سلم التسلسل العسكري . ان على الفارس وجندي المشاة ان يتقنا القيام بالدورية في كل مكان . ويكفي لهذه المهمة اتقان بعض اشارات الإستطلاع بالاضافة الى قدرة متوسطة على الفهم وتمثل الامور ، على حين يضطر القائد العام لرفع مستوى معلوماته حتى تشمل كل جغرافية بلد أو مقاطعة ، فيستطيع عندئذ تكوين صورة حية لكل الطرق ومجاري الانهار والمرتفعات بدون ان يستغني عن حس الاتجاه الخاص بالتفاصيل . ومما لا شك فيه أن المعلومات الناجمة عن مختلف المصادر ، كالخرائط والكتب والمذكرات ،تفيده في خطوط عمله العريضة، كما أن وجود المساعدين في هذه الحالة خير معين للقائد في المسائل التفصيلية . وصحيح أيضا ان ادراكه السريع الواضح لمعالم الارض موهبة حقيقية تجعل عمله أشد تماسكا واكثر سهولة ، وتهبه حرية تجعله بمأمن من بعض الاخطاء المعنوية .

لهذا يتطلب النشاط الحربي التخيل ، هذا العمل الآلهي العجيب الذي يضر النشاط الحربي عادة اكثر مما يفيده .

وهكذا تنتهي جولتنا حول الوظائف الفكرية والمعنوية التي يشركها النشاط الحربي في العمل . ويبدو الذكاء في كل مكان قوة كبيرة جليلة الفائدة . وهذا ما يفسر سر عجز الاشخاص الذين لا يتمتعون بقدرة فكرية كبيرة عن ممارسة النشاط الحربي المتمثل بأعمال بسيطة جدا وقليلة التعقيد ، ممارسة لا تخلو من **الاتقان** .

وعندما تتم هذه القناعة ، تبدو لنا الامور البسيطة ، مثل الاحاطة بالعدو وسواها ، مما طبق آلاف المرات ، من الاعمال المتشابهة ، كأعمال لا تتطلب جهدا فكريا كبيرا .

وهنالك فكرة شائعة تقول : ان الجندي الجيد هو نقيض العقل المفكر الغني بالافكار والبداهات والذهن اللامع المزود بكل محاسن الثقافة .. وقد يكون في هذا القول شيء من الصحة ولكنه لا يعني ان الشجاعة وحدها كافية لخلق جندي جيد، فبعض النشاطات والقدرات العقلية ضرورية جدا لتجعل من المرء سيفا صارما . ولا بد لنا هنا من ان نعود الى حقيقة أكيدة شائعة وهي : **أن الرجل يفقد وسائل عمله منذ أن يشغل مركزا أعلى من مستواه ، ولا يتلاءم مع مداركه** ، فاذا تحدثنا عن الحرب ، كان من الطبيعي أن نرى ، ان كل نسق من انساق القيادة يضع نموذجه الخاص من القدرات الفكرية والشرف والمجد.

ان بين القائد الاعلى المتربع على قمة الحرب او على قمة مسرح من مسارحها ، والقيادة المباشرة التي تأتي بعده ، هوة عميقة وبونا شاسعا . ذلك لان هذه القيادة خاضعة لتوجيه ومراقبة مباشرين يحددان حقل بداهاتها الفكرية تحديدا واضحا . وهذا ما حدا بالرأي العام الى اعتبار التفوق الفكري مقصورا على القائد الاعلى ، والى الاعتقاد بأن الذكاء المتوسط كاف في المركز الادنى من ذلك . ويميل البعض الى ظلم مساعد القائد الذي شاب شعره وسط جحيم المعارك ، وتناقص نشاطه الفكري نظرا لعمله الدائم باتجاه واحد، واعتبار هذا المساعد صورة من صور الغباء . وهم يهزؤون ببساطته مع احترامهم لشجاعته البطولية . ولست أنوي الدخول هنا في نقاش دفاعا عن قضية هؤلاء الرجال المتازين ولرفع الضيم عنهم ، اذ لن يساعدهم مثل هذا الدفاع في عملهم ، ولن يجلب لهم قسطا اكبر من السعادة . ولكنني أود أظهار الامور على حقيقتها ، وتحذير الجميع من خطيئة تدفعهم الى الاعتقاد بأن من يحمل السيف في الحرب قادر على تحقيق عمل كبير رغم عدم تمتعه بتفكير أريب .

فاذا ما آمنا بأن مراكز القيادة ، كبيرها وصغيرها ، تتطلب قدرات فكرية رائعة ممن يود ان يكون رائعا في عمله ، واذا عرفنا ان على هذه القدرات ان تتصاعد كلما صعدنا في سلم التسلسل العسكري ، تكون لدينا رأي مختلف كل الاختلاف عن أولئك الذين يقومون بواجباتهم في النسق الثاني من قيادة الجيش بشكل مشرف . ان مقارنة هؤلاء الرجال بالعالم او رجل الدولة تظهر بساطتهم ، ولكن يجب ان لا تخدعنا هذه البساطة الظاهرية وتخفي عنا ذكاءهم العملي .. أننا نرى أحيانا رجالا يحتفظون في مركز عال بالمجد الذي حصلوا

عليه عندما كانوا في نسق قيادي أصغر ، فاذا لم يتعرضوا لمواقف تتطلب منهم حل أمور كبيرة ، وتكتشف نقاط ضعفهم ، بقي الرأي العام مخدوعا بهم لانه لا يبحث عادة بدقة عن حقيقة السمعة التي يستحقونها .

ان المآثر العسكرية الرائعة تتطلب من أصغر الرتب الى أعلاها عبقرية خاصة ، ومع هذا فان التاريخ والاجيال المتعاقبة لا تعطي عادة لقب العبقرية الحقة الا لمن لمع في الصف الاول ، أي كقائد أعلى . والسبب في ذلك هو ان الصفات المعنوية والفكرية المطلوبة ممن يتبوأ مثل هذا المركز كبيرة جدا .

وللوصول الى نتائج ناجحة في الحرب ، او على الاقل في أهم أعمالها ( الحملات والمعارك ) ، ينبغي ان نتمتع بمعرفة عميقة للمعطيات السياسية العليا للدولة . وهنا تنطبق ادارة الحرب على السياسة . ويصبح القائد الاعلى رجل دولة بالاضافة الى عمله .

ان على القائد الاعلى الذي اعتبرناه رجل دولة ان يبقى قائدا ، فهو يحيط من جهة بكل الظروف المادية ، كما يعرف من جهة أخرى المدى الذي يستطيع الوصول اليه بالوسائل التي يملكها .

ان تعدد العلاقات وغموضها وعدم استقرارها في الحرب تدخل في الحساب عددا كبيرا من العوامل المتباينة ، التي لا يمكن تقدير معظمها الا بناء على قوانين الاحتمالات . فاذا لم يتمتع الشخص العامل بقوة البصيرة اللازمة لكشف الحقيقة العامة ، نجم عن ذلك فوضى في الافكار والتقديرات لا حل لها . وما ان يجد المرء نفسه وسط هذه الفوضى حتى يعجز عن ايجاد فكرة تساعده على تحديد موقفه وسط مجموع الافكار .

فماذا يجب ان نتطلب هنا من صفات الفكر العليا ؟ اننا نطلب القدرة على التركيب والحكم ، على ان تكون قدرة مرتفعة تصل الى نظرة فكرية رائعة تلامس وتطرد خلال تحليقها ألف فكرة غامضة يتعرض الذكاء العادي الى صعوبات هائلة قبل كشف غموضها . وقد يؤدي احتكاك القدرة بهذه الصعوبات الى استنزاف نفسها . ولكن ليس لهذا النشاط الفكري العالي ، وتلك الرؤية العبقرية أي حجم تاريخي اذا لم تدعمهما صفات الشخصية والمزاج التي تحدثنا عنها .

والحقيقة ، بذاتها ، دافع ضعيف ، وهناك اختلاف كبير بين العلم والارادة، وبين المعرفة والاستطاعة . ويكون الشعور أهم الدوافع التي تحث المرء على العمل، على حين يتلقى الانسان افضل الدعم من تلاحم الروح والفكر، ذلك التلاحم الذي ندعوه بأسماء متعددة كالتصميم والصلابة والاصرار وقوة الشخصية . وبالاضافة الى ذلك يمكننا ان نقول : لو أن تفوق القائد ، الفكري والمعنوي ، لا يظهر في نتيجة عمله النهائية ، واقتصر تطبيقه على الاخلاص والايمان ، لما اصبح ظاهرة تاريخية الا نادرا .

ان كل ما نعرفه عن سير الاحداث في الحرب بسيط جدا ، وتتشابه الاحداث عندما نكتفي بالحديث عنها. وليس هناك من يتصور حقيقة الصعوبات التي ينبغي التغلب عليها . ويظهر من آن لآخر ، خلال البحث التاريخي ، أو عبر مذكرات رجل من رجال الحرب او أحد خلصائه ، خيط رفيع من خيوط المسألة . فكل دولة من الدول تخفي عامدة متعمدة معظم الجهود والافكار التي تسبق تنفيذ مخطط هام ، لانها ، تمت الى قضايا سياسية كبيرة . كما ان هذه الجهود والافكار تسقط أحيانا في طي النسيان لان أصحابها يعتبرونها « سقالة » خارجية يمكن ازالتها بعد انتهاء البناء .

فاذا ما تساءلنا عن نوع الذكاء الذي يلائم العبقرية العسكرية أكثر من غيره ، دلنا التمحيص وعلمتنا الخبرة على أننا نفضل في الحرب تسليم شرف البلاد وأمنها ومصائر اخوتنا وأولادنا ، الى الافكار المستقصية أكثر من الافكار المبدعة ، والى الذكاء الواسع اكثر من الذكاء الموهوب في اختصاص معين ، والى الادمغة المتزنة اكثر من الادمغة المندفعة .

* *

# الفصل الرابع

# الخطر في الحرب

يرسم المرء لخطر الحرب ، قبل أن يعرفه على حقيقته ، صورة جذابة ليس فيها ما ينفّر . ويتخيله على شكل اندفاع نحو العدو بخطوات الانقضاض في نشوة من الحماسة .. ومن يهتم آنذاك بالرصاص الذي يلعلع والرجال الذين يسقطون ؟ ما دامت العيون مغمضة في لحظة الاندفاع أمام الموت البارد ، وما دام كل أمرىء يجهل مصيره ومصير الآخرين . ويتم كل هذا على عتبة النصر النهائي الذهبية ،وعلى مقربة منتناول الثمرة الشهيةالتي يدفعنا الطموحاليها .. هل يعقل ان يكون هذا صعبا ؟ كلا . وهو يبدو أسهل مما هو عليه في الحقيقة. ولكن هذه اللحظات التي لا تنجم عن دفع منفرد كما يعتقد البعض ، والتي نضطر الى ابتلاعها كمزيج دوائي مخفف ومحلل بمرور الزمن .. هي في الحقيقة لحظات نادرة .

فلنرافق العسكري الغر على حَقل المعركة . فكلما اقتربنا من مكان الاشتباك ظهر هزيم المدافع بشكل أوضح ، مختلطا مع أزيز الرصاص الذي يشد انتباه كل جندي غير مجرب . وتتساقط الرصاصات على مُقربة منا فنسرع لتسلق الهضبة التي يقف عليها الجنرال وأركانه . عندها تنفجر القنابل قريبة منا وتتناثر الرمانات وتنفجر بتواتر سريع يدفع الشباب الغر لان يرى صورة الحياة الجدية . وفجأة يسقط أحد زملائنا .. وتقع قنبلة وسط مجموعة من الرجال خالقة بعض الفوضى . . . ونلاحظ أننا بدأنا نفقد جزءا من هدوئنا وصفاء ذهننا . ويحس أشجعنا بشبه ضياع .. خطوة أخرى الى الامام وندخل خضم المعركة المحتدمة أمامنا والتي كنا نراها حتى الآن من بعيد كما نراقب مشهدا من المشاهد . وها نحن الى جانب أقرب قائد فرقة ، هنا

يزداد أزيز الرصاص بلا انقطاع . ويضخم ضوضاء أسلحتنا صوت الضجيج والهرج .. فلنترك قائد الفرقة لنسير نحو قائد اللواء . ان هذا الضابط المشهور بجرأته يقف بحذر وراء هضبة أو بيت أو أكمة ، الامر الذي يؤكد استفحال الخطر وتصاعده . ان الرصاص يلعلع فوق المنازل والحقول وتتطاير القنابل من كل حدب وصوب ، ونسمع فوقنا وعلى جوانبنا أزيز رصاص البنادق . فلنقترب قليلا من قطعات المشاة التي لا تزال صامدة بأصرار لا يوصف ساعات طويلة تحت النار . ان الجو هنا مليء بالرصاص الذي يعلن عن نفسه بصفير قصير حاد يلامس آذاننا وأرواحنا ، بالاضافة الى مشهد المشوهين الذين يتساقطون من حولنا ليملؤوا قلوبنا الخافقة بالشفقة .

ان الحدث الغر لا يتجاوز هذه المناطق المختلفة المتباينة في درجة خطرها بدون ان يلاحظ ان نور العقل هنا يعمل في وسط آخر ، وينعكس بشكل يختلف عن انعكاسه عندما يكون نشاطه من طراز تأملي .

ويفقد المرء بلا شك قدرته على القرار الفوري عند هذا الاحتكاك الاول ، الا اذا كان شخصا خارقا نادر المثال . وتؤدي العادة في الحقيقة الى فقدان الحساسية بسرعة . وبعد نصف ساعة يظهر المرء غير مبال نسبيا بكل مايحيط به ، ولكن الانسان العادي لا يصل الى الهدوء الكامل أو الى المرونة الطبيعية للروح . وهذا ما يجعلنا نقول ان الصفات العادية لا تكفي هنا . ويزداد تأكيد هذه الحقيقة كلما ازدادت سعة العمل الذي ينبغي القيام به . ونحن بحاجة الى شجاعة طبيعية متحمسة شديدة البأس ، وطموح كبير ، وتلاؤم طويل مع الخطر ، حتى يصل نشاطنا الى مستوى يراه الجالس بين أربعة جدران مستوى عاديا بسيطا .

ويعود خطر الحرب الى مجال الاحتكاك ، ولكي نفهم هذا الامر فهما أعمق ، علينا ان نكوّن فكرة صحيحة عن هذا الاحتكاك ، لهذا رأينا أن من واجبنا ان نتحدث عنه هنا .



# الفصل الخامس

# الجهد البدني في الحرب

اذا لم يعط المرء رأيه في أحداث الحرب الا وهو متجمد من البرد ، او مسحوق تحت وطأة الحر والعطش ، أو منهك من الحرمان والتعب ، فان لرأيه قيمة كبيرة ، ولكنه يتضمن مع ذلك افكارا غير صحيحة موضوعيا ، مع أنها صحيحة من الناحية الشخصية ، أي أنها تحتوي على العلاقة بين من يحكم وما يقع عليه الحكم . ونحن نعرف ان شهود العيان في الاحداث الخطرة يميلون الى بخس هذه الاحداث حقها ، ورؤيتها تحت نور خافت ، لا سيما اذا كانوا في غمارها . ونحن نعتبر هذا دليلا على تأثير الجهد البدني ، وعلينا ان نأخذ هذا التأثير بعين الاعتبار عندما نود اعطاء حكم من الاحكام .

ان علينا دائما ان نحسب حساب الجهد البدني عندما ندرس العوامل العديدة المختلفة التي لا يستطيع أي نظام تحديد مقياسها . فالجهد البدني ان لم يبدد ، عامل يدخل في جميع القوى . ولكننا لا نعرف الى أي مدى يمكنه أن يدفعها ، اذ يشد الفكر المتين قوى الجيش في الحرب كما تشد ذراع الرامي القوية وتر قوسه . ان الجيش المهزوم الذي يتربص به الخطر من كل ناحية يتعرض الى التفتت كجدار ينهار ، ولا يمكن ان يتم انقاذه الا بتوتر قواه المادية الى الحد الاقصى ، توترا يختلف عما يتطلبه جيش منتصر يدفعه شعور الكبرياء والفخار ، ويقوده قائده كما يشاء .

ان الجهد المبذول في الحالة الاولى جهد أليم يستدعي الشفقة ، على حين نظر الى الجهد في الحالة الثانية بعين الاعجاب لان استمراره أشد صعوبة .

ويمكن للعين غير الخبيرة ان ترى هنا أحد الامور التي تقيد ،بكل غموض ، تسلسل عمل الفكر ، وتمتص بشكل خفي قوى الروح .

ان الامر في الحقيقة لا يتعلق هنا الا بالجهد الـــذي يتطلبه القائـــد الاعلى من الجيش ، والقائد من مرؤوسيه ، اذن بالشجاعة التي تتطلب هـــذا الجهد ، وفي المحافظة عليها ، ومع ذلك علينا أن لا نتجاهل الجهود البدنية لكل القادة بما فيهم القائد الاعلى نفسه . والان بعد أن دفعنا تحليل الحرب الى هذا الحد ، لابد لنا من ان نأخذ أهمية ذلك بعين الاعتبار .

لقد تحدثنا عن الجهد البدني لانـــه يتعلق ، كالخطر ، بأسباب الاحتكاك الاساسية ، ولان الشك الذي يخامرنا في مستواه ، يقربه من الاجسام المـــرنة التي يصعب حساب احتكاكهـــا .

ولتحاشي المبالغات التي يمكن أن نقع فيها بسبب هذه الاعتبارات والاحداث المحتملة التي تزيد من صعوبة الحرب ، فقد ألقت الطبيعة علـــى مشاعرنا مهمة توجيه حكمنا . ان الشخص الذي يتعرض لتأنيبنا وزجرنا لا يحصل على أيـــة فائدة اذا حاول الدفاع عن نفسه معللا خطأه بأظهار نقاط ضعفه وسوء تصرفه . ومن الاجدر به ان يجد طريقة ملائمة للدفاع عن نفسه ، أو أن يقوم بعمل لامع يخفف من تأثير غلطه السابق . كما ان القائد او الجيش لا يخففان من تأثـــير هزيمة مخجلة بالتحدث عن الاخطار التي تعرضا لها ، والقـــوى والجهود التي بذلاها وان كان مثل هذا الحديث مفيدا وايجابيا في حالة الانتصار ، لانه يرفـــع شأو النصر بكشف سبيله الوعر . وهكذا تمنعنا مشاعرنا من الميل الى العدالة الظاهرية التي يدفعنا حكمنا نحوها . وتظهر هـــذه المشاعر بذلك **كحكم أعلى** .

* * *

# الفصل السادس

# المعلومات في الحرب

ان كلمة « معلومات » تعني مجموع المعارف المتعلقة بالعدو وبلاده ، فهي بالتالي الاساس الذي نبني عليه أفكارنا وأفعالنا . فاذا عرفنا طبيعة هذا الاساس ، وما يكتنفه من شك وقلق استطعنا ان نلاحظ ان الحرب بناء حساس تكفي ابسط الاشياء لتدميره وردمنا تحت انقاضه . وتؤكد جميع الانظمة العسكرية ان علينا الا نثق الا بالمعلومات الاكيدة وان نتمسك دائما بالحذر التام . ولكن هذه النصائح مدرسية بحتة ، وحكمة نطبقها لعدم وجود ما هو افضل منها .. هذا هو ما يكتبه مؤلفو الانظمة وواضعوها .

تتصف معظم المعلومات التي تأتينا خلال الحرب بالتناقض والخطأ . وكل ما نطلبه من الضابط في هذا الصدد شيئا من التمييز الذي لا يتم الحصول عليه الا بفضل المهارة النفسية والمهنية والقدرة على الحكم . وعلى هذا الضابط ان يعتمد على قانون الاحتمالات . وهذه صعوبة لا يمكن تجاهلها عندما يتعلق الامر بمخططات أولية موضوعة في مكاتب الاركان وخارج نطاق الحرب الحقيقية. وتزداد هذه الصعوبة زيادة واضحة عندما تتوالى المعلومات بصورة سريعة خلال معمعان الحرب ، ولكنها قد تصل في بعض الاحيان صدفة الى التوازن رغم تناقضها ، عندها يبدو الحكم واضحا لاي انسان مهما بلغ به الجهل . الا ان الصعوبة تبلغ ذروتها عندما لا تتدخل مثل هذه الصدفة ، وعندما تأتي المعلومات الجديدة لتدعم المعلومات السابقة وتؤكدها بدلا من ان توازنها .. ثم تأتي لمسات الالوان الاضافية لتكمل اللوحة التي تضطرنا الظروف لان نستنتج منها قرارا سريعا لايلبث سخفه ان يظهر ما دامت جميع المعلومات كاذبة وخاطئة. وجبن الناس وصغارهم مصدر جديد للكذب والخطأ . فالجميع ميالون عادة الى تصديق الاخبار السيئة قبل الاخبار الحسنة ، كما ان معظم البشر ميالون الى

المبالغة بحجم الاخبار السيئة مبالغة تجعل الاخبار المتناقلة بهذا الشكل تتلاطم بعضها فوق بعض بلا انقطاع كأمواج البحر، ثم تنعكس لتعود كهذه الامواج بدون ما سبب واضح . وهنا ينبغي على القائد ان يقف صامدا كالصخرة التي تتحطم عليها الامواج ، بفضل ثقته بنفسه ومعرفته الجيدة لمجرى الامور . وهذا دور صعب جدا .. وعلى من لم تزوده الطبيعة بجنان ثابت ، ولم تصقل مواهبه التجربة العسكرية والتدريب ، ان يبتعد دائما عن طريق الخوف ، ويسلك سبيل الامل رغم قناعته الشخصية المعاكسة ، لانها الوسيلة الوحيدة لتأمين توازنه الحقيقي . أما الرؤية الصحيحة لهذه الصعوبة ، التي تشكل أحد عوامل الاحتكاك الكبيرة في الحرب ، فهي تبدي لنا الامور في ضوء يختلف كل الاختلاف عما قد نعتقده ، تجعلنا عاجزين عن تضييقها . والانطباعات المنقولة بالحواس أقوى من المفاهيم الناجمة عن حساب العقل ، وليس هنالك على ما اعتقد مشروع كبير واحد لم يضطر القائد فيه الى التغلب على شك جديد في لحظة التنفيذ . كما ان الانسان العادي يتبع مقترحات الآخرين ، لذا فهو يضطرب أمام حقيقة الاحداث ، فيعتقد انه واقع في ظروف تختلف عن الظروف التي تخيلها ، والتي استقى صورها من أفكار الآخرين .. ويقع واضع أي مشروع في الخطأ اذا نظر الى هذا المشروع بعينيه فقط ، ولذلك عليه ان يجد في ثقته التي لا تتزعزع بنفسه حاجزا يحميه من الدفع الظاهري في لحظة من اللحظات . وتتأكد قناعاته السابقة فيما بعد خلال تطور الاحداث عندما تزول الشاشات التي يضعها القدر امام مسرح الحرب ، ويرسم الخطر على المسرح بألوان صارخة فوق آفاق فسيحة . وهذه هوة من الهوى السحيقة التي تفصل خطا عريضا عن خط عريض .

* * *

# الفصل السابع

# الاحتكاك في الحرب

ان الانسان الذي يجهل الحرب لايمكن أن يعرف الصعوبات التي يتعرض لها فيها ، كما لايعرف ماتفعله في الحرب العبقرية والقدرات الفكرية الخارقة المطلوبة من القائد . واذا قارنا .معضلات الحرب النظرية مع أبسط مسائل الرياضيات العليا ذات القيمة العلمية الحقة ، وجدنا ان كل شيء في الحرب سهل ، وبدت لنا المعلومات الضرورية بسيطة ، وجميع التركيبات المطلوبة فيها بلا معنى . ولكن عندما نرى الحرب على حقيقتها يبدو لنا كل شيء مفهوما ، ومع ذلك فمن الصعب وصف الباعث على هذا التبديل وتسمية هذا العامل الخفي والفعال دائما .

وكل مافي الحرب بسيط جدا ، ولكن أسهل الامور صعب . وتتراكم الصعوبات فوق بعضها لتخلق احتكاكا لايمكن لاحد أن يتصوره تصورا صحيحا ان لم يشاهد الحرب . وتسير الامور في الحرب ، في غمرة المتاعب والفجاءات وينخفض مستوى كل شيء بسبب احتمالات عديدة ثانوية لايمكن فحصها أو التحقق منها على الورق ، حتى أننا نبقى دائما بعيدين من الهدف . وتستطيع الارادة القوية الحديدية التغلب على هذا الاحتكاك وسحق الحواجز . ولكنها تسحق عندئذ الآلة الحربية نفسها . ان الارادة الصلبة في روح شامخة ، تقف بكل عظمتها في قلب الفن العسكري ، كمايقف العمود وسط ساحة ، تنتهي اليها جميع الشوارع الرئيسية في المدينة .

ومفهوم الاحتكاك هو المفهوم الوحيد الذي يستطيع تمييز الحرب الحقيقية عن الحرب التي نقرؤها في الكتب . والآلة الحربية أو الجيش بجميع أجزائه

شيء سهل جدا ، فهو بالتالي سهل الادارة . ولكن يجب أن نتذكر أن جميع هذه الاجزاء مؤلفة من قطع ( أفراد ) ، ولكل فرد احتكاكه الخاص بكل أشكاله. وتعطى النظرية الحربية صورة جميلة تتمثل فيما يلي : ان قائد الكتيبة مسؤول عن تنفيذ الامر المعطى إليه ، والكتيبة كتلة متلاحمة بالانضباط ، وقائدها الذي يتمتع بمواهب ومزايا معروفة هو محورها الفولاذي الصلب . ويهتز النواس على محور ثقيل من الفولاذ بأقل احتكاك ممكن . ولكن الحقيقة مختلفة عن ذلك ففي الحرب تغيب الحقيقة وتظهر المبالغات . والكتيبة دائمامجموعة من الرجال، وأتفه هؤلاء الرجال قادر اذا ماتدخلت الصدفة على ايقاف الحركة أو عرقلتها. وتأتي أخطار الحرب والجهود البدنية التي تتطلبها لتزيد خطر هذه المساوىء زيادة قد تعتبر معها هذه الجهود والاخطار أسباب الحرب ، الرئيسية .

ان هذا الاحتكاك المتصاعد الذي لايمكن تركيزه على بعض النقاط كما نفعل في الميكانيك ، موجود اذن في كل مكان وبتماس مع الصدفة . وينجم عن ذلك ظواهر غير متوقعة لانها تتعلق بالصدفة قبل اي شيء آخر . ومن الصدف المحتملة ، مثلا ، الطقس ، فقد يمنع الضباب كشف العدو في الوقت الملائم ، او يعوق رمي مدفع في الوقت المحدد، او يعرقل وصول امر من الاوامر الى القائد . وقد يؤدي المطر الى ايقاف كتيبة من الكتائب أومنعها من الوصول عند اللزوم ، لاضطرارها الى المسير ثماني ساعات بدلا من ثلاث . كما قد يمنع الفرسان من القيام بهجوم فعال لان قوائم الخيول تغوص في الارض اللينة ... الخ .

ونحن لا نبغي من ذكر هذه التفاصيل سوى أظهار الاحداث كي نبقى منتبهين لهذا الامر ، ولو شئنا لكتبنا مجلدات في هذه الصعوبات ( ١ ) .

---

(١) لا بد لنا هنا من أن نلفت انتباه القارىء الى ان الصعوبات الناجمة من الظروف الجوية السيئة والتي يتحدث عنها المؤلف كعامل يعوق الاعمال الحربية ، قد تستخدمها الجيوش على العكس لتحقيق المفاجأة بزمان أو مكان المعركة . فالاغارات الليلية في ظروف جوية قاسية (امطار ، رياح الخ ..) تفاجىء المدافع وتكبده خسائر لا تتناسب مع القوة المغيرة . أما الضباب وارتفاع الموج واضطراب البحر فهي أمور تعوق عمليات الانزال ، وتجعل المدافع عن الشواطىء يغفل الدفاع قليلا معتمدا على سوء الاحوال الجوية . ولكن الحلفاء استغلوا هذه الناحية عندما قاموا بانزالهم في النورماندي في يونيه ( حزيران ) ١٩٤٤ وفاجأوا دفاعات الالمان . ولقد استخدم الحلفاء الالمان على السواء الزوابع الرملية الصحراوية لاخفاء تحركاتهم في شمال افريقيا وللسقوط بشكل مفاجىء على عدوهم . والامثلة كثيرة على امكانية الاستفادة من سوء الاحوال الجوية وهو عامل سلبي وقلبه الى عامل ايجابي يساعد المنفذ على تحقيق اغراضه بفضل المفاجأة . ( المعربان )

العمل في الحرب عبارة عن حركة تتم في وسط يزداد تعقيـــــدا بسبب الصعوبات . وكما نعجز عن ان ننفذ في الماء حركة طبيعية بسيطة كالمسير، فاننا في الحرب عاجزون عن تأمين سير الامور بسرعة متوسطة مع الاستعانة بالقوى العادية . ويبدو المنظر العسكري كمدرب السباحة الذي يطلب من تلاميذه أن ينفذوا على اليابسة الحركات المطلوبة في الماء . وتبدو هذه الحركات لمن لايفكرون في الماء سخيفة فيها كثير من المبالغة . لذا فان المنظرين الذين لـم ينزلـوا الماء بأنفسهم ، ولم يستنتجوا من تجاربهم الخاصة أفكارا عامة ، عبارة عن مدربين سخفاء بلا فائدة ، لانهم يعلمون الآخرين أمورا يعرفها كل انسان .

وتمثل كل حرب بالاضافة الى ذلك ظواهر متعددة خاصة ، ويمكن اعتبار كل واحدة بحرا مجهولا محفوفا بالاخطار والصخور التي على القائد أن يتوقعها مع أنه لم يرها بعينيه ، وأن يلتف حولها وسط الظلام الحالك . فاذا ماهبت ريح معاكسة ، أي اذا عملت صدفة كبيرة من الصدف ضده ، كان بحاجة لفن رفيع جدا ، وحضور بديهة ، وجهود كبيرة حتى في الحالات التي تبدو للناظر عن بعد حالات بسيطة تسير بشكل طبيعي . والخبرة العسكرية التي يتحدث عنها الناس ويتصف بها القادة الجيدون خبرة ناجمة عادة عن معرفة هذا الاحتكاك. ونحن نعرف أن أفضل القادة لايأخذ عن الاحتكاك فكرة ضخمة مرعبة كما يفعل القادة المترددون المتخوفون الذين كشفت التجربة العملية عددا كبـيرا منهم . ان على القائد أن يعرف الاحتكاك حتى يتغلب عليه عندما يكـون ذلـك ممكنا ، وان يعرف ان اجراء الحساب الدقيق لهــذا الاحتكاك امـــر مستحيل ، وانـــه لن يستطيع تكوين معرفة نظرية كاملة عنه ، فان حصل على هذه المعرفة وجد انه ما زال يفتقر الى نوع من مران التفكـــير يدعى التمرس ، وهو ، في الميادين الملأى بالتفاصيل الصغيرة والدقيقة والمتنوعة اكثـــر ضرورة منـــه في المـــواقف والقرارات الكبرى ، حيث يعود المرء الى نفسه ويستشير سواه .

وكما يتكلم الرجل المهذب ويعمل ويتصرف دائما بشكـل جيـد ، كذلـك الضابط الذي عجمت عوده الحرب هو وحده الذي يتخذ القرارات والمواقـف الملائمة في المناسبات الكبيرة والصغيرة ، وفي كـل نبضة مـن نبضات الحرب . وترسم له هذه الخبرة وذاك المران خطواته الفكرية ، ويحددان أمامه الامـــور الممكنة وغير الممكنة . وهكذا لا يدع العدو يمسك بتلابيبه ويعرضه لخطر عنيف يهزه من أعماقه .

# الفصل الثامن

# استنتاجات

## الجزء الأول

رأينا أن الخطر والجهد البدني والمعلومات والاحتكاك تتكون منها عناصر تجعل مناخ الحرب يعقد كل نشاط ويزيده صعوبة . ويمكن اختصار المقاومة التي تضعها هذه الامور امام النشاط الحربي بقانون الاحتكاك العام . ولكن أفلا يوجد مادة لزجة قادرة على تخفيف حدة هذا الاحتكاك ؟ ، هنالك مادة واحدة لايستطيع الجيش أو القائد الحصول عليها حسب رغبتهما ، وما هذه المادة سوى التمرس بالصراع وتعود الجيش على الحرب (1) . فهذا

---

(1) يقول الجنرال جان بيرية في كتابه « الذكاء والقيم المعنوية في الحرب » بهذا الصددمايلي: « مهنة حمل السلاح مهنة غريبة • حقا ان ممارسة الحدادة تصنع الحداد ، ولكن علينا ان نصنع حدادين دون ممارسة الحدادة ، وان نعد مقاتلين يتقنون فن الصراع قبل ان يشتركوا في أي قتال» • ومما لا شك فيه ان فكرة بيريه تحمل قسطا كبير من الصحة •ولكن هنالك حالات خاصة تحاول فيها بعض الدول في زمن السلم الاشتراك بصورة سرية أو علنية في حرب محلية صغيرة بغية تجربة بعض الاسلحة والتكتيكات ، وتدريب بعض العناصر والقيادات والوحدات على القتال في ظروف المعركة الحقيقية • ولعل الحرب الاهلية الاسبانية ( ١٩٣٦ ــ ١٩٣٩ ) خير مثال على ذلك اذ تدخلت فيها المانيا وانجلترا وايطاليا وغيرها من الدول وراء ستار دعم هذا الطرف أو ذاك ، واستغلت الصراع الداخلي لمعرفة تأثير الاسلحة الحديثة آنذاك واختيار تكتيكات تعاون القوات البرية مع القوات الجوية • كما ان بعض الجيوش تحاول في زمن السلم القيام باشتباكات محلية ومعارك حدود واغارات مستمرة متوخية تدريب القطعات في خضم القتال، وتعويدها على جو المعركة الحقيقية ، وتدريب الملاكات تحت النار ، بالاضافة الى روح الشراسة والعدوان والمحافظة على المبادرة الهجومية ، ورفع معنويات الجيش والمدنيين •

( المعربان )

التمرس يقوي التعود الجسماني الذي نتطلب منه جهدا كبيرا كما يقوي تمرس الروح التي تجابه الخطر الجسيم . ويمكن لكل فرد ، من الجندي البسيط حتى قائد الفرقة ، ان يكتسب من التمرس قدرة ثمينة على التفكير تسهل مهمة القائد الاعلى .

إن حدقة العين تتوسع في الظلام لتمتص النور الضئيل ، ثم تـ شيئا فشيئا ، وتبدأ بتمييز الاشياء قدر امكانها ، ولا تلبث بعد ذلك أن ترى بشكل جيد .. هكذا يعمل ويتصرف الجندي المتمرس ، اما الحدث الغر فكل شيء امامه غارق في ليل دامس .

ولا يستطيع أي قائد أن يهب قطعاته صفة التمرس بالحرب ، لان مناورات زمن السلم لاتعطي سوى نتائج محدودة ، وهي نتائج صغيرة اذا ماقيست بتجربة الحرب الحقيقية ، ولكنها ذات قيمة على كل حال بالنسبة للجيش الذي نريد أن نصل به الى المهارة الآلية عن طريق التدريب ، على أن نجعل بعض ظروف الاحتكاك هدفا من أهداف التمارين ، الامر الذي يضع قدرة القادة على المحاكمة موضع التجربة .. ولهذا الامر قيمة كبيرة لايعرفها الذين سمعوا بالحرب بدون أن يخوضوا غمارها .

وعلينا أن نتذكر دائما ، بأنه يجب الا تكون الحرب أول مناسبة يحتك بها الجندي بالحقائق التي تخلق في نفسه منذ اللحظة الاولى كثيرا من القلق والمفاجأة . ورؤيته لهذه الحقائق مرة واحدة على الاقل كافية لان يعتاد نسبيا عليها .. وهذا صحيح حتى بالنسبة للجهود البدنية ، ذ ينبغي التدرب عليها ، لالتأهيل الجسم فحسب بل لرياضة الروح أيضا . لان الجندي الغر يميل في الحرب الى اعتبار الجهد غير العادي دليلا على المضايقة . كما يعتقد ان هذا الجهد هو نتيجة خطيئة كبرى ارتكبتها القيادة العليا ، وهذا مايضاعف احساسه بالضيق . ولا يمكن للجندي أن يقع في هذا الخطأ اذا أعدته تمارين زمن السلم لمثل هذه الجهود الكبيرة .

وهناك وسيلة اخرى هامة ، رغم قلة تأثيرها ، لاكتساب عادات الحرب منذ زمن السلم وهي استخدام ضباط مجربين ، من جيوش اخرى ، فاذا تمتـ دولة ما بسلم طويل ، كان عليها أن تستدعي ضباطا من مسارح العمليات

أن يكونوا من المبرزين في هذا المجال . فان لم تشأ ذلك ، كان بوسعها ارسال بعض ضباطها ليتعلموا الحرب وسط أتونها .

وقد يكون عدد هؤلاء الضباط صغيرا في مجموع عـدد الجيش ، ولكـن تأثيرهم يبقى واضحا . ان خبراتهم واتجاههم الفكري وتكوين شخصياتهم تؤثر في مرءوسيهم وزملائهم . كما أن اختصاصهم في مجال عملهم يجعلهم قادريـن على تقديم المشورة الفنية في عدد كثير من الحالات حتـى عندما لايحتلـون أي مركز قيادي .



## الجزء الثانى

# نظرية الحرب

# الفصل الأول

## تقسيم فن الحرب

الحرب صراع بالمعنى الدقيق ، لان الكفاح هو المبدأ الوحيد الذي يؤثر في هذا النشاط المتغير والمتبدل الذي يدعى الحرب . ويشتمل الصراع نفسه على سبر القوى المعنوية والبدنية بواسطة الحرب . ومن الطبيعي الا نهمل أهمية القوى المعنوية ، لان الحالة النفسية تنعكس بصورة حاسمة على قوى الحرب .

ومنذ العصور الضارية في القدم دفعت متطلبات القتال وحاجاته الرجال الى اختراعات تتيح لهم التفوق على خصومهم . وأحدثت هذه الاختراعات تحولات كبرى . ولكن مهما كان طابع القتال فهذا لا يغير شيئا في مفهومه .

وقد شملت الاختراعات في بادىء الامر ، الاسلحة وتجهيزات المحاربين التي كان لابد من صنعها وتجربتها قبل بدء الحرب . وحددت طبيعة القتال بنية هذه الاسلحة ، وفرضت قانونها . وكان الاعداد للقتال ، لاالقتال نفسه ولا ارادة القتال ، هو المرحلة التي تتضمن هذا النشاط . ومن الواضح ان التسليح والتجهيز يلونان جزءا من تصميم القتال ومفهومه ، لان مجرد الاشتباك بالسلاح الابيض بين مقاتلين هو قتال أيضا .

وهكذا حدد القتال وجود الاسلحة والتجهيزات ، وقامت هذه الاسلحة والتجهيزات بدورها بتعديل القتال وتطويره . فهناك عمل متبادل اذن بين الاثنين .

ويبقى القتال نفسه نشاطا خاصا لانه يدور في دائرة خاصة جدا هي دائرة الخطر .

**ففن الحرب ، هو اذن فن معرفة استخدام وسائل معينة في القتال بالمعنى الدقيق .** ونحن لا نستطيع ان نجد له تسمية افضل من تسميته **فن ادارة الحرب .** والحقيقة ، ان فن الحرب ، هو من ناحية اخرى ، فن يشتمل على كل النشاطات التي تسببها الحرب ، اذن عملية انشاء القوات المسلحة برمتها ، اي العملية التي تتضمن التجنيد والتسليح والتجهيز والتدريب .

ولكي تستطيع النظرية تغطية الحقيقة ، ينبغي التفريق بين هذين النشاطين ، لان من الممكن ان ندرك بدون عناء ـ اذا كان على كل فن للحرب ان يبدأ بتنظيم القوات المسلحة وتنسيقها طبقا لقواعده ـ انه لا يصبح قابلا للتطبيق الا في المناسبات النادرة التي تتلاءم فيها القوات المسلحة الموجودة مع هذه القواعد تلاؤما صحيحا . ولكن اذا أردنا ان يكون لدينا نظرية تنطبق على معظم الحالات ، بدون أن تكون غير قابلة للاستخدام ، فينبغي عندئذ ان تستند هذه النظرية الى أكبر عدد من وسائل القتال العادية وآثارها الاساسية .

**فادارة الحرب اذن ، هي ترتيب القتال وادارته .** ولو كان القتال يشتمل على عمل واحد لوجدنا ان اي تقسيم اضافي لامعنى له . الا أن القتال يتكون من عمل أو عدة أعمال يتميز بعضها عن بعض ، وتكون مجموعا واحدا ، يدعى اشتباكات ، كما تكون هذه الاعمال وحدات جديدة . وهذا ماولد النشاط المختلف ، الذي يقوم على ترتيب هذه الاشتباكات المتميزة وادارتها ، والتنسيق بينها بقصد الحرب . سمي النشاط **الاول بالتكتيك** كما سمي النشاط الآخر **بالاستراتيجية .**

وقد أضحى التمييز في المجال العلمي بين التكتيك والاستراتيجية شيئا شبه مألوف اليوم ، كما ان كل فرد يعرف على وجه الدقة ، أين مكان كل حادث من الاحداث في مجالي التكتيك والاستراتيجية ، بدون ان يعرف الدافع الى هذا التمييز .

وبحسب تصنيفنا ، يعتبر التكتيك اذن ، **نظرية استخدام القوات المسلحة في الاشتباك ، أما الاستراتيجية ، فهي نظرية استخدام الاشتباكات في خدمة الحرب .**

فكيف يمكننا تعريف مفهوم الاشتباك الواحد او المستقل ، بصورة أدق ؟ وما هي الشروط التي تحدد وحدانية الاشتباك ؟ من المحال تفسير ذلك بوضوح كاف ، قبل تحليل الاشتباك عن قرب . ولنكتف في الوقت الحاضر بالقول : بانه فيمايتعلق بالمكان أي بالاشتباكات التي تجري بآن واحد ، فان طابعها الموحد لا يتجاوز القيادةالشخصية . أما فيما يتعلق بالزمان ، أي بالاشتباكات المتتابعة بسرعة ، فانها تستمر الى ان تزول الازمة الخاصة بكل اشتباك .

وقد تقع حالات مشكوك فيها ، حيث تعتبر عدة اشتباكات اشتباكا واحدا . ولكن حدوث مثل هذا لا يكون اعتراضا مقبولا على تصنيفنا ، لان من الممكن توجيه مثل هذا النقد عند تصنيف اشياء حقيقية ذات تحولات متدرجة . فهناك أذن بعض الاعمال التي تصنف في مجال الاستراتيجية ، كما تصنف في مجال التكتيك ، كالمواقع الممتدة المتسعة والتي تشبه سلسلة من المخافر ، أو التدابير المتخذة لعبور نهر مثلا .. الخ .

يتعلق أذن التصنيف الذي نقترحه باستخدام **القوات المسلحة** فقط ، ويشملها هذا التصنيف بصورة كاملة . بينما نجد ان الحرب تشتمل على مجموعة من النشاطات او الفعاليات التي تخدم الحرب ، مع انها تختلف عن الحرب ، وقد تبدو متشابهة واياها او غريبة عنها . وتتعلق كل هذه النشاطات بأدامة او صيانة القوات المسلحة . وكما ان انشاء القوات المسلحة وتدريبها يسبقان استخدامها ، فان ادامتها او صيانتها تسير جنبا الى جنب مع هذا الاستخدام ، وتكون الشرط الضروري لبقائها . ولكن اذا نظرنا الى كل هذه النشاطات عن قرب ، وجدنا انها تعتبر كتحضير للقتال ، كما يمس هذا التحضير العمل مسا يؤدي في نهايته الى العمل الحربي ، والى الحرب نفسها . فمن حقنا اذن ان نستبعد من الفن العسكري ، بالمعنى الضيق لادارة الحرب نفسها ، كل نشاط أولي ، كما اننا ملزمون ايضا ، اذا ما شئنا ان تقوم النظرية بدورها الاساسي ، ان نميز كل ما هو مختلف عنها . فلماذا ندخل في صلب ادارة الحرب قائمة طويلة بمختلف خدمات التموين والادارة المرتبطة ارتباطا ثابتا متبادلا مع استخدام القطعات ، بينما هي في الواقع من طبيعة مختلفة كل الاختلاف ؟

لقد قلنا في الفصل الثاني من الكتاب الاول ، ان القتال او الاشتباك هو النشاط الوحيد الذي يشتمل على فاعلية مباشرة ، والذي يوحد خيوط كل انواع النشاط الاخرى لانها تتجمع فيه في النهاية . ونحن نعني بذلك ان كل

النشاطات الاخرى تستهدف غرضا ينبغي عليها تحقيقه طبقا لقواعدها الخاصة. وتحتاج هذه النقطة الى بعض الايضاحات الدقيقة .

فهناك ، باستثناء الاشتباك ، أنواع نشاط مختلفة جدا ، ينتمي جزء منها في بعض النواحي الى القتال نفسه . فهي متشابهة معه الا انها من زاوية أخرى تستخدم صيانة القوات المسلحة ، اما الجزء الآخر فلا يتعلق الا بصيانة القوات، وهو يمارس تأثيرا مشروطا على القتال من جراء العمل المتبادل القائم بينه وبين نتائجـــــه .

فالنشاطات التي تتعلق بالقتال نفسه. **هي المسير**[1] **والاقامة في معسكرات والاقامة في مخيمات** ، وهي نشاطات تتضمن كثيرا من اوضاع القطعات المختلفة التي تمس القتـــال نفســـه .

اما الاغراض الاخرى التي لا تتعلق بأدامة القوات المسلحة او بصيانتها ، فهي التموين والخدمات الطبية ، وتجديد التسليح والتجهيز[2] . ان المسيرات عمليات مطابقة لاستخدام القطعات . ويرتبط المسير للقتال ، الذي نسميـــه بالمناورة ، بالقتال نفسه ارتباطا وثيقـــا ، حتى انه يشـــكل جزء لا يتجزأ مـــن الاشتباك نفسه . وفيما عدا الاشتباك ، فان المسير ليس شيئا آخر غير تنفيـــذ المخطط الاستراتيجي . فالمسير هو الذي يحدد متى ينبغي أن نُشن القتال واين، وبواسطة أية قوة مسلحـــة . ولكي نضع هذا المخطط موضـــع التنفيذ ، ليس هناك وسيلة الا المسير للقتال .

فالمسير خارج الاشتباك ، هو أذن أداة استراتيجية ، ولكنه ليس غرضـــا للاستراتيجية . وما دامت قوة القتال التي تنفذ المسيرة تمثل في كل لحظـــة اشتباكا محتملا، لذلـــك فان تنفيذ هـــذا المسير يخضـــع لقوانين تكتيكيـــة واستراتيجية . فعندما نرسم لرتل من الارتال المسير على طريق محاذ لنهر ، أو سلسلة جبلية، فأننا نتخذ تدبيرا استراتيجيا ، لان هذا الاجراء الاستراتيجي

---

(1) وهو ما يعادل في الحرب الحديثة مفهوم التحرك بالاحتراس ( المعربان )

(2) ان التموين ، وعمليات الاخلاء ، والخدمات الطبية ، تقوم بدور اساسي في القتال اليوم. ويحتاج تنسيقها على طول الجبهة وعمقها ، الى تخطيط دائم ومستمر ، وبذل أهتمام يفـــوق ما كان يبذله القادة أيام كلاووزفيتز . ( المعربان )

يعني النية في القتال على هذا الجانب من النهر ، اكثر من نيتنا في القتال على الجانب الآخر ، اذا أضحى القتال ضروريا أثناء المسير .

وعندما يندفع رتل عبر المرتفعات المشرفة على الوادي ، بدلا من السير على طريق يمتد عبره ، بغية تسهيل المسير ، ثم يتوزع الى عدة ارتال صغيرة ، فإن هذا التدبير هو عبارة عن اجراءات تكتيكية لانها تتعلق بالطريقة التي قررناها لاستخدام قواتنا المسلحة اذا ما وقع القتال .

ويرتبط ترتيب المسير أرتباطا دائما باستعداد القطعة بقصد القتال ( تجهيزها للقتال ) ، أي ان هذا الترتيب هو من طبيعة تكتيكية،لانه ليس الا الترتيب الاول والمؤقت للقتال الذي قد ينشب .

وما دام المسير هو الاداة التي توزع الاستراتيجية مبادئها الفاعلة ، وهي الاشتباكات ، ولما لم يكن من وزن لهذه الاشتباكات ، الا بالنظر لنتيجتها ، لا بالنسبةلمجراها الفعلي ، فقد خلط البعض التحليلات التي قاموا بها بين الاداة والمبدأ الفاعل. وهم يتحدثون هكذا عن مسيرات حاسمة ماهرة ، على حين يتعلق الامر بالتركيبات العسكرية التي توصلت اليها هذه المسيرات .

وعلى سبيل المثال ، نحن على ضلال عندما نعزو للتركيبات او الترتيبات الاستراتيجية قوة مستقلة عن النتائج التكتيكية . فنحن نوحد بين المسير والمناورات ، ونبلغ الهدف المحدود بدون ان يكون موضوع الاشتباك مطروحا ، فنستنتج أن هناك وسائل لقهر الخصم بدون قتال . ولا نستطيع تقدير خطورة هذا الخطأ الا بعد ذلك .

ويمكن أعتبار المسير جزءا لا يتجزء من القتال ، ولكن ذلك لا يحول دون كونه لا يمت الى القتال ، في بعض المظاهر ، غير الاستراتيجية وغير التكتيكية . ففي هذا النوع او الفئة من المظاهر ، تدخل كل الاعمال التي لا تستهدف الا راحة القطعات ، كأنشاء الطرق والجسور الخ ، ... والتي ليست الا شروطا قد تمس في كثير من الاحيان استخدام القطعات عن قرب ، لدرجة تصبح معها شبه متطابقةمع هذا الاستخدام ، كما هي الحالة عندما نبني جسرا تحت سمع العدو وبصره . ولكن لو اخذت كل هذه النشاطات بحد ذاتها ، لبدت من طبيعة مختلفة ، ولبدا ان نظريتها بالتالي لا تمت بصلة لنظرية ادارة الحرب .

ان المخيمات ، على عكس المعسكرات الثابتة ، أمكنة تستريح فيها القطعات المتجمعة والمستعدة للقتال ، اي انها تتجمع فيها كي تستعيد قواها البدنية . ولكن موقع هذه المخيمات يشتمل في آن واحد على تحديد استراتيجي للمكان الذي ننوي أن نخوض المعركة فيه ، وطريقة توزيع القطعات في هذا المخيم هي التصميم الاولي للاشتباك . ويتعلق كل قتال دفاعي بطريقة التوزيع داخل المخيمات . فالمخيمات تدخل كجزء أساسي ، في الاستراتيجية والتكتيك في آن واحد .

والمعسكرات الثابتة تحل محل المخيمات فتتيح للقطعات اعادة تنظيمها ، فهي اذن جزء من الاستراتيجية ، عندما ننظر اليها من زاوية وضعها وسعتها . وهي جزء من التكتيك ، عندما ننظر اليها من زاوية تنظيمها الداخلي الموجه للقتال .

ان للمخيمات والمعسكرات بصورة عامة هدفا آخر غير اعادة التنظيم . فقد يشمل هذا الهدف تغطية مقاطعة من مقاطعات البلاد ، أو مسك موقع من المواقع . ولكن قد لا يكون لوجودها سبب سوى السبب الاول . ولنتذكر أن أهداف الاستراتيجية قد تكون كثيرة التبدل ، لان كل ما يبدو ميزة من الميزات قد يكون هدفا للاشتباك ، وهكذا لابد ، في غالب الاحيان ، من أن تصبح المحافظة على الاداة التي نخوض بها الحرب ، هدف التركيبات أو الترتيبات الاستراتيجية المختلفة .

وعندما لا تفيد الاستراتيجية في مثل هذه الحالة الا في المحافظة على القطعات ، فذلك لا يعني أننا دخلنا مجالا آخر . بل أنه يدل على اننا ما زلنا في مجال استخدام القوات المسلحة ، لانه ليس لتمركز هذه القوات في نقطة ما من مسرح الحرب أي معنى آخر .

ولكن عندما تمارس القطعات ، داخل المخيمات أو المعسكرات ، نشاطات مختلفة في استخدام القوات المسلحة للقتال ، كأن تعمد الى بناء الأكواخ أو نصب الخيام ، أو الخدمات الطبية ، أو تموين المعسكرات والمخيمات ، فان هذه النشاطات لاتدخل في أطار التكتيك و الاستراتيجية .

ولا يدخل التخندق والتحصن – وهما جزء من تدابير القتال ، وجزء من

التكتيك ـ ضمن اطار نظرية ادارة الحرب بما يتعلق ببناء الخنادق والتحصينات. فالمعرفة والمهارة اللتان تتطلبهما اقامة مثل هذه التحصينات أمور اكتسبتها قوى الحرب . وكل هذه الاعمال هي مقدمات لتقنية القتال .

فمن بين العناصر التي تمت الى الحفاظ الصرف على القوات المسلحة ، لا نجد عنصرا منها ينطبق على الاشتباك . مع ان اعاشة القطعات ، كعمل في حد ذاته ، أقرب ما يمكن الى الاشتباك ، لانها عمل يومي ولان الواجب يحتم ايصال الطعام لكل جندي . وبهذا الشكل تطبع اعاشة القطعات كل المركبات الاستراتيجية في العمل الحربي . ونؤكد القول : مركباتها الاستراتيجية . فمن النادر أن يكون لتموين القطعات تأثير كبير في تعديل خطة الاشتباك ، اذا اخذت هذه الخطة بصورة منعزلة ، على الرغم من ان تصور اشتباك بدون خطة تموين هو من المحال . وأهم عمل متبادل هو تلك الصلة القائمة بين الاستراتيجية وتموين القطعات المحاربة . وكثيرا ما تتدخل اعتبارات الأعاشة والتموين ، كأحد العوامل التي تحدد الخطوط الكبرى لحملة او حرب . ومهما كان تأثير تموين القطعات ، ومهما بلغ شأنه من حسم في بعض المواقف ، فانه يبقى نشاطا مختلفا اختلافا أساسيا ، عن استخدام القوات المسلحة ، ولا يؤثر هذا الاستخدام الا بنتائجه .

كما ان النشاطات الادارية الاخرى التي ذكرناها بعيدة ايضا عن استخدام القطعات . والخدمات الطبية ـ التي تعتبر ذات أهمية اساسية لراحة الجيش ـ لا تمس الا جزءا بسيطا من هذا الجيش ولا تمارس الا تأثيرا ضعيفا وغير مباشر على القسم الآخر من الجيش. وان تعويض الخسائر واصلاح التجهيزات وترميمها ، عندما لا تكون نشاطا دائما يدخل ضمن تنظيم القوات المسلحة ، لا تتكرر الا في فواصل زمنية ولذلك لا يتدخل هذا النشاط الا نادرا في الخطط الاستراتيجية .

ولو لخصنا نتائج تحليلنا ، لوجدنا ان النشاطات الحربية تنقسم الى نوعين أساسيين: النشاطات المتعلقة **بالتحضيرات الحربية ، والنشاطات** المتعلقة **بالحرب** نفسها . وينبغي ان تتضمن النظرية اذن هذا التقسيم .

فالمعارف والكفاءات المتعلقة بأعداد القتال تنطبق على انشاء القوات

المسلحة وتدريبها والمحافظة عليها . ولكن نظرية الحرب نفسها ، تهتم باستخدام وسائط الحرب للقتال ، هذه الوسائط التي تم اعدادها وتجهيزها. ولا تحتاج هذه النظرية الا الى معرفة نتائج هذه النشاطات الاولية أي معرفة الخصائص الرئيسية للوسائط الموجودة تحت تصرفها . وهذا ما نسميه بفن الحرب بالمعنى الضيق ، او نظرية ادارة الحرب ، او طريقة استخدام القوات المسلحة ، وكلها تسميات تعبر في رأيي عن الهدف نفسه .

وستعالج هذه النظرية الاشتباك كقتال بالمعنى الحقيقي ، وستعالج السير والاقامة في المعسكرات والمخيمات ، أي انها ستعالج مواقف أقل او أكثر تشابها مع القتال . أما ادامة القطعات ، فأنها لا تدخل في اختصاصات هذه النظرية ، ولن تأخذ هذه النظرية بعين الاعتبار الا نتائج هذه الادامة ،والظروف الاخرى المرافقة لها .

وينقسم فن الحرب هذا بدوره الى **تكتيك واستراتيجية** . ويهتم التكتيك بشكل القتال الخاص ، أما الاستراتيجية فتهتم باستخدام هذا التكتيك . ولا يهتم الاثنان بشروط السير والاقامات والمخيمات الا عبر القتال ومن خلاله ، وتصبح هذه الاشياء تكتيكية او استراتيجية حسب ارتباطها بأسلوب القتال أو بمدلول الاشتباك ومعناه .

ومن المؤكد ان كثيرا من القراء سيجدون أن هذا التمييز الدقيق ، بين شيئين متقاربين ، كالتكتيك والاستراتيجية هو أمر لا جدوى منه ، لان هذا التمييز لا يؤثر تأثيرا مباشرا في ادارة الحرب نفسها . وينبغي ان يكون الانسان في الواقع متحذلقا حتى يرى فوق ساحة المعركة الآثار المباشرة لتمييز نظري من هذا النوع .

ولكن اول مهمة لكل نظرية هي ترتيب الافكار والمفاهيم المتشابكة ، والغامضة في بعض الاحيان . وعندما نتفق على معنى التعابير والمفاهيم ،نستطيع ان نتقدم بوضوح وسهولة في تحليل المسائل ، ويستطيع المؤلف ان يثق من انه يقف مكان وجهة نظر القارىء ، ذاتها . فالاستراتيجية والتكتيك فعاليتان تؤثر كل منهما في الاخرى في الزمان والمكان ، مع اختلاف كل منهما عن الاخرى ، في الاساس . ولا يمكن فهم قوانينهما الداخلية والعلاقات القائمة بينهما بدون تعريف هاتين الفعاليتين تعريفا دقيقا .

# الفصل الثاني

# حول نظرية الحرب

**لم يكن تعبير « فن الحرب » يعني في الاصل الا اعداد القوات المسلحة .**

كان تعبير « فن الحرب » في السابق أو « علم الحرب » لا يعني في الاصل الا مجموع المعارف الملائمة للاشياء المادية . فلقد كان تركيب الاسلحة واعدادها واستخدامها ايضا ، وبناء التحصينات والخنادق ؛ وتنظيم الجيش ، وتنظيم آلية تحركاته ، أعمالا تشكل بمجموعها هدف هذه المعارف والكفاءات التي تسهم كلها في بناء قوة مسلحة قادرة على الحرب . ففد كان ذلك متعلقا بشيء مادي ، وبنشاط وحيد الطرف ، تطور في مجموعه تدريجيا من صناعة يدوية الى فن ميكانيكي أكثر دقة . وكان كل ذلك يرتبط بالقتال الحقيقي ، بعلاقة مماثلة لعلاقة فن صقل الاسلحة بفن المبارزة . ولم تكن مسألة استخدام هذه الاسلحة في وقت الخطر وتحت تأثير أعمالها المتبادلة قد طرحت ، كما لم يكن مطروحا ايضا مسيرة خطوات الفكر الحقيقية والشجاعة الموجهين في اتجاه حدد سابقا .

**ظهرت ادارة الحرب في باديء الامر في فن الحصار .**

وقد ظهر التصميم الاولي لادارة الحرب نفسها لاول مرة ، عند القيام بالحصار . ولم يكن هذا التصميم الاولي سوى عمليات فكرية فرضت نفسها قبل اجرائه . ولم يكن هذا التصميم الاول مرئيا الا عندما كان يجسد بسرعة في مكاسب مادية جديدة ، كخطوط التقرب والخنادق ، وخطوط التقرب المضادة ، بطاريات المدفعية الخ ... وحيث تعبر كل خطوة من هذه الخطوات

عن نفسها بمثل هذا الانتاج . ولم يكن هذا التصميم ، الى ذلك الحين ، سوى الخيط الضروري لربط هذه المبتكرات المادية . وفي مثل هذا النوع من الحروب كان الفكر يعبر عن نفسه فقط عبر هذه الاختراعات والمبتكرات ، وكان ذلك يكاد يكفي لسد الحاجات .

**ثم اقتفى التكتيك هذه الآثار :**

ثم حاول التكتيك فيما بعد ، ان يفرض على آلية ترتيباته او تركيباته طابع تدبيريصلح كل الصلاح ، ويقوم على الميزات الخاصة للاداة المستخدمة . ومآل هذا الى ساحة المعركة ، لا الى نشاط فكري مجرد ، انما الى جيش يحوله تشكيله وترتيبه الحربي الى حالة آلة تتحرك ميكانيكيا ، تحت تأثير الاوامر التي تتلقاها تحرك آلات الساعة .

**ولكن ادارة الحرب الحقيقية لم تكن تظهر الا ظهورا عارضا ومجهولا :**

ان الادارة الحقيقية للحرب ، والاستخدام الحر ( أي الملائم للمطالب الخاصة بكل موقف من المواقف ) لوسائط معينة ومعدة سابقا قد اعتبر لمدة طويلة موضوعا مضادا لكل نظرية ، لا يمت الا الى استعدادات الافراد الفطرية. ثم ، ورويدا رويدا انتقلت الحرب من قتال القرون الوسطى الى شكل أكثر تعقيدا وأشد تنظيما حتى أضحت موضوع تفكير الرجال . ولكن هذه الامور ظهرت في معظم الوقت في مذكرات وقصص

**ان التأملات في حوادث الحرب قد خلقت الحاجة النظرية :**

ولقد أحس المفكرون بالحاجة الملحة للاعتماد على مبادىء وقواعد، كي يتوصل النقاش الطبيعي جدا في التاريخ العسكري والآراء المتصارعة الى استنتاج معين ، لان التأملات في أحداث الحرب ازدادت غزارة ، واتخذ التاريخ شيئا فشيئا طابعا دقيقا . فلم يكن تيار الآراء المشتتة ، الذي لا يعتمد على أي شيء دقيق ، ولا يخضع لاي قانون محسوس ، قادرا على ان يوحي للفكر البشري الا النفور والاشمئزاز .

## جهود لخلق نظرية ايجابية :

بذلت الجهود اذن لوضع مبادىء وقواعد وأساليب متعلقة بأدارة الحرب. وحدد هدف ايجابي ، مع تناسي الصعوبات التي لا حد لها ، والتي تقدمها ادارة الحرب في هذا المجال ، فنحو أي ناحية من النواحي اتجهت انظارنا ، نرى ادارة الحرب تضيع بصورة شبه دائمة في طرق رسمت بطريقة خاطئة ، كما اتضح لنا . ومع ذلك ، فلكل أسلوب ولكل نظرية طبيعة محدودة ، الامر الذي يخلق صراعا محتما بين مثل هذه النظرية والتطبيق العملي .

الاقتصار على الاهداف المادية :

وعندما أحس واضعو النظرية بصعوبات الموضوع ، اعتقدوا أنهم مخولون تجنبه وأهماله ، ببناء مبادئهم وأساليبهم مرة أخرى على أغراض مادية ، وعلى نشاط وحيد الطرف . ولم يكونوا يريدون الحصول الا على نتائج مؤكدة وايجابية ، كما فعلوا في العلوم المتعلقة بالاستعداد للحرب ، لذلك لم يأخذوا بعين الاعتبار الا المعطيات التي يمكن حسابها .

## - التفوق العددي :

التفوق العددي هو معطاة مادية . فمن بين كل العوامل التي ينتج عنها النصر ، اختاروا التفوق العددي ، لان ثمة تركيبات او ترتيبات في الزمان والمكان، تتيح تحويله الى قوانين رياضية . وكان من المستطاع ، كما اعتقدوا ، أن لا يحسبوا حسابا لكل الشروط، الاخرى اذ أنها متساوية لدى الجانبين ويبطل كل منها ( في طرف ) شروط الطرف الآخر . وليس هناك ما يمنع ذلك ، اذ كان ينبغي اللجوء اليه مؤقتا للتعمق في احتمالات هذا العامل المنعزل . ولكن تطبيق هذا المفهوم بصورة نهائية ، واعتبار التفوق العددي القانون الصحيح الوحيد ، واعتبار سر الفن العسكري بأسره في الصيغة التالية : **حشد تفوق عددي في عدد معين من النقاط المعينة ، في زمن معين** . وهكذا ضيقوا قوة الحياة الحقيقية تضيقا غير معقول .

## تموين القطعات :

وقد حاول بعضهم تنهيج عامل آخر في نهج نظري ، متخذين من

تموين القطعات المستند الى جهاز من أجهزة الجيش ، أقصى مرتبــة في ادرة الحرب على مستوى واسع .

وبهذا الاسلوب ، توصلوا ايضا الى أرقام بدون شك .. !! الا انها أرقام، تعتمد على مجموعة من الفرضيات الارتجالية العاجزة عن الصمود أمام الاختبار التجريبـــي .

## القــواعـــد :

وقد حاول مفكر أريب (١) أن يلخص في مفهوم واحد هو مفهوم الاساس ، مجموعة من المعطيات تنساب اليها بعض العوامل المعنوية والفكرية . ونجــد في هذا المفهوم تموين الجيش ، وتعويض الخسائر بالافراد والتجهيزات ، وأمــن التراجع فيحالة الضرورة .وذلك بأحلال مفهوم الاساس هذا محل كل هذه الاعمال الخاصة ، ثم يحل اتساع القاعدة محل القاعــدة نفســـها ، ثم تحــل أخيرا الزاوية التي تشكلها القوة المسلحة مع هذه القاعدة ،محل اتساع هذه الاخيرة .ويتم كل هذا بغية الحصول بكل بساطة على نتيجة هندسية صرفة لاقيمة لها . ولكن الامر الذي لايمكن تجنبه حقا ، هو أننا عندما نفكر ، نجد أن من المتعذر اجراء أي أستبدال من هذا النوع بدون تشويه الحقيقة ،وبدون أهمال جزء من العناصر التي كانت تتضمنها ، رغم كل المفهــوم السابق . ان **مفهــوم الاساس** ضروري للاستراتيجية . ولا يمكن انكار التقدير الذي يستحقه تصور هذا المفهوم . ولكن من المرفوض رفضا باتا استخدامه على الشكل المشار اليه ، هذا الشكل الذي يوصلنا الى نتائج وحيدة الجانب ، اعتمد اصحاب النظريات على توجيهها في اتجاه مخالف للصواب . ولنذكر في هذا المجال الاتجاه الذي وضعوه في تفــوق الهجوم بالالتفاف .

**الخطوط الداخلية**

**الحاشية : (١) و (٢)**

وقد رد بعضهم على هذا الخطأ بمبدأ هندسي آخر ، هو مبدأ الخطوط الداخلية (٢) ومع أن هذا المبدأ يستند الى أرض قاعدة ، أي الى حقيقــة كــون

---

D.H Von Bülow

لجوميني

الاشتباك هو الوسيلة الوحيدة الفعالة في الحرب ، فان الطبيعة الهندسية الصرفة لهذا المبدأ تفرض عليه أن لايفتح الا أفقا جديدا وحيد الجانب ، غير قادر على السيطرة على الحياة الحقيقية .

## ينبغي نبذ كل هذه المحاولات

ان الجزء التحليلي وحده بين هذه المحاولات ، يحقق تقدما في ميدان الحقيقة . وأما الجزء التركيبي وتعليمات هذه المحاولات وقواعدها ، فهي كلها غير صالحة للاستخدام .

وتنظر هذه المحاولات الى أبعاد واضحة وأكيدة ، على حين أن كل شيء في الحرب غير أكيد وان كل حسابات الحرب بأرقام كبرى ، متحولة ومتبدلة .

ولا تقدر هذه المحاولات الا الارقام المادية ، مع اننا نعرف أن العمل الحربي مشبع كل الاشباع بقوى وآثار فكرية ومعنوية .

ولا تأخذ هذه المحاولات بعين الاعتبار الا نشاط معسكر واحد ، على حين تعتمد الحرب على العمل المتواصل الذى يمارسه كل طرف على الطرف الآخر .

## تستبعد العبقرية من القاعدة العامة

ان كل مالم تستطع الحكمة المتواضعة الوحيدة الجانب تحقيقه ، لايتعلق بالميدان الخاص بالعلم ، بل يرتبط ويتعلق بمجال العبقرية **التي ترتفع فوق القاعدة المشتركة** .

ويل للمقاتل الذي قد يلج في متاهة هذه القواعد البائسة ، التي ليست حتى على مستوى العبقرية ، التي يراها هذا المقاتل دون جدارته ويسخر منها. ان ماتفعله العبقرية هو أفضل كل القواعد ، وأفضل ماتستطيع النظرية أن تفعله ، هو أن تظهر لماذا تجري الامور على هذا المنوال وكيف تجري .

ويل للنظرية التي تعاكس الفكر ! انها ستحاول اذلال نفسها دون جدوى كي تتلافى هذه التناقض . وكلما مرغت نفسها في الذل ، طردها الازدراء والسخرية من الحياة الحقيقية .

## صعوبات تواجهها النظرية عندما يتعلق الامر بالقيم المعنوية والفكرية

وعندما تصل النظرية الى مجال القيم الفكرية والمعنوية ، تزداد صعوبة . فالرسم والبناء يعرفان جيدا ماذا عليهما أن يفعلا ، ماداما لايواجهان الا مادة فنهما . وليس ثمة اي خلاف في موضوع البناء الميكانيكي أو الضوئي . ولكن عندما نعالج موضوع تأثير مبتكراتهما وابداعهما على الفكر ، اي عندما نعالج آثار الانطباعات أو العواطف الاخلاقية أو الفكرية ، تنقلب عقدة القواعد والقوانين ،وتتحول الى أفكار غامضة .

## لايجوز استبعاد القيم المعنوية والفكرية من الحرب .

ومع ذلك ، فاننا نرى أن النشاط العدواني لايوجه أبدا ضد المادة وحدها، لان هذا النشاط القتالي يوجه في الوقت نفسه ضد القوة المعنوية والفكرية المحركة للمادة . ومن المحال فصل أحداهما عن الاخرى .

ولكننا لاندرك القوى المعنوية والفكرية الا بالعين الداخلية ، هذه العين التي تختلف من فرد الى آخر ، وتتبدل أيضا لدى الفرد الواحد من لحظة الى أخرى .

ماذام الخطر في الحرب ، هو العنصر العام الذي يتحول، ضمن اطاره كل شيء ، فان الشجاعة أو الشعور بالقوة الخاصة ، هو الذي يؤثر ، قبل اي شيء آخر ،في حكمنا ويعد له . والشجاعة هي بشكل أو بآخر ، العدسة الزجاجية التي تخترقها المفاهيم قبل أن تصل الى الذكاء .

ومما لاشك فيه ، أن معاناة هذه الاشياء وتجربتها وممارستها تسبغ عليها قيمة موضوعية معينة .

ويعرف كل فرد الاثر المعنوي للانقضاض والهجوم على الجناح أو المؤخرات . وتتدنى شجاعة الخصم في ذهن كل فرد عندما يدير ظهره وينسحب . ويخاطر الانسان بنفسه ، في كل حالة من الحالات ،حسبما اذا كان هو الذي يطارد الخصم أو ان الخصم هو الذي يطارده . ويقدر وزن الخصم بسعة مواهبه وعمره وتجربته ، ثم يتقيد بهذا التقدير . ويسعى كل قائد الى فحص وضع قطعاته المعنوي والفكري ووضع خصومه . وقد برزت كل هذه الانعكاسات

الاخرى النابعة من معنويات الطبيعة الانسانية من خلال التجربة ، وهي مافتئت تتكرر . كل ذلك يسمح لنا أن نعتبرها قيما حقيقية في نوعها . فماذا تساوي نظرية تهمل الوقوف عند هذه العوامل ؟

ان التجربة بدون شك هي شهادة الاصل لهذه الحقائق . ولكن لاينبغي على أي نظرية أو أي قائد أن يسترسل وراء أفكار نفسية وفلسفية دقيقة جدا .

## صعوبة رئيسية لنظرية في الحرب

ولكي نميز بوضوح الصعوبة التي يمثلها وضع نظرية في الحرب ، ولكي نستنتج منها الطابع الذي ينبغي أن تتسم به ، ينبغي أن نأخذ بعين الاعتبار الخصائص الاساسية الملازمة لطبيعة النشاط الحربي .

## الخاصة الاولى : القوى المعنوية وآثارها

### ( الشعور بالعداء )

ان أولى هذه الخصائص هي القوى المعنوية وانعكاساتها .

وكل قتال هو في الاصل والاساس تعبير خارجي عن **مشاعر عدائية** . حقا اننا نرى في المعارك الكبرى التي نسميها حربا ، أن الشعور العدائي يقتصر في غالب الاحيان على نية عدوانية ، لايرافقها لدى الفرد على الاقل شعور بالعداء نحو فرد آخر . ومع ذلك لم تنشب الحرب قط بدون أن تحدث فيها حركة من هذا النوع . فالحقد الوطني التي تتسم به معظم حروبنا في الغالب ، يحل الى حدما محل الشعور بالحقد الذي يحس به فرد ضد فرد آخر . ولكن عندما ينعدم وجود هذا الحقد الوطني ، وعندما لايوجد في الاصل نوع من التعصب والعناد، فان الشعور العدائي يلتهب لصالح القتال نفسه ، لان العنف الذي يمارسه الخصم علينا بأمر من سلطة عليا يحفزنا الى الثأر من الخصم الذي مارس العنف علينا أكثر مما يحفزنا ضد السلطة التي أمرته بذلك . ولقد اعتدنا نظريا أن نعتبر القتال تقديرا تجريديا للقوى ليس للشعور فيه أي دور ، وهذه الخطيئة هي احدى الاخطاء التي لاتعد ، والتي ترتكبها النظريات عن عمد لانها لاتنظر الى النتائج بعين الاعتبار .

وبالاضافة الى هذه الحركات العاطفية المستندة الى طبيعة القتال نفسه، توجد حركات نفسية أخرى كالطموح ، وروح السيطرة والحماسة على مختلف أنواعها الخ .. وهذه جمعها ليست ، اساسيا ، جزءا من طبيعة القتال ،ولكنها تختلط وتمتزج بها بحكم تشابهها .

**الاحساس بالخطر . ( الشجاعة ) .**

وأخيرا ، فان القتال يولد عنصرخطر ينبغي فيه على كل الفعاليات الحربية أن تتماسك ، وتتحرك كالعصفور في الاجواء والسمك في الماء . ومع ذلك فان آثار الخطر تنعكس كلها على الاحساس ،اما بصورة مباشرة بطريقة غريزية ،واما عبر الذكاء . ففي الحالة الاولى ، قد تترجم هذه الآثار بالرغبة في تجنب الخطر، واذا لم يكن ذلك ممكنا فان هذه الآثار تترجم عن نفسها بالخشية والخوف . واذا لم يحدث هذا الاثر تقوم الشجاعة عندئذ بموازنة هذه الغريزة . ولكن الشجاعة ليست خطوة من خطوات الذكاء ، وانما هي شعور كالشعور بالخوف. فالشجاعة نوع من المحافظة المعنوية ، بينما الخوف نوع من المحافظة البدنية . فالشجاعة غريزة أكثر نبلا واصالة . ولهذا فان من المتعذر علينا استخدام هذه الغريزة كأداة جامدة بينما تمارس هي آثارها ونتائجها بصورة مرسومة بدقة. اذن ليست الشجاعة مجرد وزن بسيط معاكس للخطر ومخصص لابطال آثار هذا الخطر ، ولكن الشجاعة قيمة نوعية خاصة .

**سعة التأثير الذي يمارسه الخطر :**

ولكي نقدر تأثير الخطر في القادة ، حق قدره ، ينبغي ان لانقصره على الخطر البدني الموقت ، فاذا تمكن تأثير الخطر من القائد وسيطر عليه ، فذلك لايعني انه يهدده وحده فحسب ،بل يهدد كل العناصر الموجودة تحت قيادته ، لافي لحظة الخطر نفسها ، ولكن في كل اللحظات المشابهة أو المرتبطة بتلك اللحظة الراهنة بفضل الخيال . فالخطر موجود دائما ، لاعن طريق القائد بصورة مباشرة ، بل بصورة غير مباشرة بحكم مسؤوليته ، وبسبب الثقل الذي يمارسه الخطر في ذهنه . فكيف يستطيع القائد أن يعطي نصيحة أو يقرر معركة كبرى بدون أن يحس ذهنه بالتوتر والقلق والاضطراب من الخطر والمسؤولية التي تشتمل على نتيجة كبيرة . ويمكننا القول أن العمل الحربي ، ضمن الحد الذي يكوّن فيه عملا حقيقيا لا وجودا بسيطا ، لايخرج أبدا من دائرة الخطر .

## بعض العوامل النفسيه الاخرى

وعندما نأخذ بعين الاعتبار كل العوامل النفسية التي يثيرها العداء والخطر، ونعتبرها عوامل تابعة للحرب ، فاننا لانستبعد كل العوامل الاخرى التي ترافق الانسان على طريق الحياة . فلهذه العوامل مكانها في غالب الاحيان في دائرة الخطر هذه . ويمكننا القول ، أن هذه المهمة الجدية في الحياة هي في الواقع مهمة تسكت كثيرا من المشاعر التافهة . ولكن لاينطبق ذلك الا على القادة في المستويات الدنيا . فهؤلاء القادة الذين يدفعهم الخطر من جهد الى جهد ، ولا ينظرون الى مظاهر الحياة الاخرى ، ويتحللون من عادات الخبث والنفاق التي لامكان لها أمام الموت، يتوصلون بهذا الشكل الى البساطة بطبع عسكري مطلق كان على الدوام افضل مظهر لمهنة السلاح . ولكن ليس الامر هكذا في المستويات العليا ، لان الانسان كلما ارتفع مركزه ، كان عليه أن يتلفت وينظر حوله ، لان المصالح المتشعبة تنبعث ، وكذلك ينبعث معها كثير من الاهواء المختلفة ، السيئة أو الحسنة . فالحسد والكرم والكبرياء والتواضع ، والغضب والانفعال ، كلها مشاعر تظهر كقوة عاملة في المأساة الكبرى .

## خصائص الفكر

وتعتبر الخصائص المعنوية للقائد من الاهمية بمكان كبير الى جانب خصائصه النفسية . فما ننتظره من دماغ متقلب خيالي مندفع في الحماسة قليل النضوج ، لايشبه ماننتظره من ذكاء متزن هادىء وقوي .

## ان تنوع الصفات الفردية المعنوية
## يسبب تنوعا في الطرق لبلوغ الهدف .

يظهر تأثير التنوع الكبير في الصفات الفردية والمعنوية بصورة خاصة في المراكز العليا ، لان هذا التأثير يزداد مع علو الرتبة، وعن هذا التنوع ينجم اختلاف الطرق المؤدية الى الهدف الذي تكلمنا عنه في الكتاب الاول ، والذي يعطي الاحتمالات ولعبة الحظ قسطا لايتساوى وهذه الصفات في سير الاحداث .

## الخاصة الثانية : حيوية رد الفعل

ان الخاصة الثانية للعمل الحربي ، هي حيوية رد الفعل والتأثير المتبادل الذي ينجم عنها . ولايمكننا أن نتنبأ بهذا الرد ، لانه متعلق بالقوى المعنوية

والفكرية كقيم اشرنا اليها . ولكن مادام العمل المتبادل يتملص بطبيعته من كل مخطط معد سلفا ، فان الاثر الذي يحدثه اجراء معين ، لدى الخصم ،هو اقرب المعطيات ، التي يتكون منها العمل ، الى الطابع الشخصي .

**الخاصة الثالثة : عدم صحة كل المعطيات**

واخيرا ، تشكل عدم صحة كل المعطيات صعوبة خاصة في الحرب ؛ لان كل عمل يتم في جو كجو الغسق ، يسم الاشياء ، في أحيان كثيرة بطابع غامض ، ويعطيها حجما مبالغا فيه ، وحركة غريبة .

وينبغي أن تعوض موهبة التنبؤ ، أو عملية التخلي للحظ ؛ عن انعدام الرؤية التي تسببها هذه الانارة الضعيفة . وهنا ينبغي لنا أيضا أن نعتمد على الموهبة الخلاقة ، وعلى منحة الصدفة في غياب التعقل الموضوعي .

**من المحال وجود عقيدة ايجابية**

وحيال طبيعة الموضوع هذه علينا أن نقول لانفسنا ، أن من المحال تزويد فن الحرب ، ببناء عقائدي يتيح لكل من يعمل نقطة ارتكاز خارجية . فكلما حاول القائد الاعتماد على موهبته ، خرج من هذه الدائرة العقائدية وتناقض معها وسيكون لهذه الدائرة النتائج ذاتها التي تحدثنا عنها سابقا مهما تعددت طرق فهمها . فالموهبة والعبقرية تعملان غالبا خارج نطاق القوانين . والنظرية تتعارض والواقع .

**منافذ تتيح استشفاف نظرية .**

**ليست الصعوبات دوما كبيرة**

وهناك مخرجان يتيحان لنا التخلص من هذه الصعوبة .

أولا : ان ما قلناه بصدد موضوع طبيعة النشاط الحربي عامة ، لا ينطبق بالصورة نفسها على كل مستويات هذا النشاط . ففي المستويات الصغرى نعتمد بالاحرى على شجاعة التضحية الفردية ، على حين تكون الصعوبات التي نصادفها في هذه المستويات اقل بكثير من الصعوبات الخاصة بالذكاء والحكم . ففي هذه المستويات ، تتمثل الظواهر بصورة أكثر واقعية ، ولا تتعدد الغايات والوسائل ، كما ان المعطيات اكثر دقة . وتتمثل في الغالب بأغراض حقيقية .

ولكن كلما ارتفعنا في مراتب التسلسل ، كلما زادت الصعوبات ، حتى تبلغ ذروتها القصوى عند الوصول الى شخص القائد العام . ففي هذه المرتبة يعود كل شيء الى العبقرية .

وبالاضافة الى ذلك، لو قسمنا الموضوع ، طبقا **لطبيعة عناصره** . نجد ان الصعوبات لا تتبدى بمظهر واحد في كل مكان . فهي تتناقض كلما ظهرت الجهود في العالم المادي وتزداد كلما انتقلت هذه الجهود الى عالم الفكر ، لتصبح دوافع تحدد الارادة . لذلك من الاسهل ان نخدد بقواعد نظرية ، النظام الداخلي ، والخطة وادارة الاشتباك ، اكثر من تحديد الاستخدام المخصص لكل منها . وما ان تبدأ الاسلحة المادية بالاشتباك حتى يصبح علينا ان نعطي للمادة حقوقها بدون ان ننسى ان الفكر موجود في هذا المجال بصورة دائمة . ولكن ، في أثر الاشتباكات ، حيث تصبح النتائج المادية دوافع ، يتعلق الموضوع فقط بطبيعتها الفكرية . وبكلمة واحدة ، ان انشاء نظرية عن **التكتيك** اسهل من انشاء نظرية عن **الاستراتيجية** .

## ينبغي ان تكون النظرية ملاحظة لا عقيدة :

والمنفذ الثاني الذي يتيح وضع النظرية ، هو الفكرة القائلة بأنه ليس من الضروري ان تكون النظرية عقيدة ايجابية ، اي **طريقة عمل** . وفضلا عن بعض التعديلات الطفيفة ، وعن عدد كبير من المركبات المتنوعة التي نريدها ، فان كل نشاط ينطبق على الاشياء نفسها في معظم الوقت ، ويستخدم الوسائل نفسها لتحقيق الغايات ذاتها . ان مثل هذا النشاط ينبغي ان يكون هدفا لدراسة عقلانية . وتشكل هذه الدراسة الجزء الاساسي من كل **نظرية** . **انها** بحث تحليلي للغرض الذي يؤدي الى معرفتها الدقيقة . وبتطبيق هذا التحليل على التجربة وعلى تاريخ الحرب اذا أمكن ، نتوصل الى الاعتياد على هذا الغموض . وكلما ازداد البحث التحليلي اقترابا من الهدف ، كلما انتقل من الشكل الموضوعي للمعرفة الى الشكل الذاتي للقدرة ، وظهرت فعاليته ، حتى عندما لا تقبل طبيعة الشيء اي قرار غير قرار الموهبة . وبهذا القرار يصبح البحث التحليلي فعالا . وعندما تدرس النظرية الاغراض التي تشكل الحرب وتبعد ما يبدو للوهلة الاولى ملتبسا وغامضا، وعندما تحدد بصورة اشمل خصائص الوسائل الحربية ، وآثارها المحتملة ، وتعين بوضوح طبيعة نواياها ، وتنقل ضوء الفكر الى ساحة المعركة بكاملها — عندما تفعل النظرية كل ذلك ، يؤدي

البحث التحليلي الفرض الرئيسي من مهمته . وعندئذ تصبح النظرية دليلا لمن يريد ان يعتاد عليها بقراءات عن الحرب فتضيء طريقه ، وتسهل خطواته ، وتشكل حكمه وقراره ، وتمنعه من ان يضل سواء السبيل .

ان وجود النظرية ضروري ، لكي يجد الانسان الامور مرتبة وواضحة ، ولكي لا يضطر الى تنظيم طريقه وشقة بنفسه . فالنظرية مخصصة لتثقيف فكر قائد المستقبل . ولنقل أنها الدليل الذي يفيده لتربيته الذاتية .

**ـ تقدر النظرية اذن طبيعة الغايات والوسائل ـ**

**وسيلة التكتيك وغايته .**

ينبغي للنظرية أذن ، ان تقدر طبيعة الوسائل والغايات .

ففي التكتيك ، تتكون الوسائل من القوات المسلحة المدربة التي ستخوض المعركة اما الغاية فهي النصر . وسنعرف هذه الفكرة بصورة أوضح فيما بعد ، عندما نتكلم عن الاشتباك . ولنكتف الآن بالدلالة الى أن اشارة النصر هي تخلي العدوعن ساحة المعركة. وبفضل هذا النصرتبلغ الاستراتيجية الهدف الذي رسمته للقتال ، هذا الهدف الذي يصنع معناها الحقيقي . والحقيقية ان هذه الدلالة تمارس بعض النفوذ على طبيعة النصر . فالنصر الذي يستهدف اضعاف القوة المسلحة المعادية هو شيء آخر ، غير النصر الذي يتيح لنا الاستيلاء فقط على موضع من المواضع . فقد يكون لمعنى الاشتباك أذن نفوذ لا يمكن اهماله على صعيد خطة الاشتباك وادارته ، وتصبح ادارة الاشتباك عندئذ موضوعا من موضوعات تفكير التكتيك .

**ظروف ترافق دائما استخدام الوسائل :**

منذ اللحظة التي ترافق فيها بعض الظروف الخاصة الاشتباك بصورة دائمة ، وهي تمارس عليه نفوذا كبيرا او صغيرا ، منذ هذه اللحظة ، لا بد من أخذ هذه الظروف بعين الاعتبار عند استخدام القوات المسلحة. وهذه الظروف هي : المكان ( الارض ) ، والزمان ، والظروف الجوية .

**المكان :**

يقل تأثير المكان كلما كانت الارض مسهبة وغير مزروعة . وتواجهنا مثل هذه الحالة عمليا في مناطق السهوب ، الا أن هذا المفهوم خيالي في أوربا المتمدنة، وأي اشتباك بين شعوب متمدنة لايكون للارض أو للقطر فيه أي تأثير ، شيء شبه مرفوض .

**الزمان :**

ان للزمان تأثيرا على الاشتباك ، وهذا التأثير ناجم عن الفرق القائم بين الليل والنهار . ويتجاوز هذا التأثير، بصورة طبيعية الحد الدقيق لهذا الفرق القائم ، لان لكل اشتباك مدة زمنية تبلغ عددا كبيرا من الساعات في المعارك الكبرى . فتوقيت المعركة صباحا او بعد الظهر ، يسبب فرقا ينبغي أخذه بعين الاعتبار في خطة معركة كبرى .

ومع ذلك فهناك عدد من الاشتباكات ، لا يكون للزمان فيها اية اهمية ، كما ان هذه الاهمية هي ضعيفة بصورة عامة .

**الشروط الجوية :**

من النادر ايضا ان يكون للظروف الجوية أثر حاسم ، وفي هذه الحالة يقوم الضباب بالدور الوحيد في هذا المجال .

**الغايات والوسائل الاستراتيجية :**

في مجال الاستراتيجية ، ان النصر أي النجاح التكتيكي ، ليس هو في الاصل سوى وسيلة . اما العوامل التي ينبغي ان تقود الى السلم مباشرة ، فهي غرض الاستراتيجية النهائي . ويرافق استخدام وسائل الاستراتيجية ، بغية تحقيق هدفها ، ظروف لها أثرها الى حد ما .

**ظروف ترافق استخدام الوسائل :**

وهذه الظروف هي : القطر او ( المقاطعة ) ، والارض . فالارض تحتوي البلد والشعب في مجموع مسرح الحرب . وهناك الزمان ، وفصول السنة . وأخيرا هناك الظواهر الجوية ، ولا سيما الظواهر الجوية الاستثنائية ، كالصقيع الشديد الخ ...

**انها تتيح وسائل جديدة :**

وبتعاون هذه العوامل مع نتيجة الاشتباك ، تعطي الاستراتيجية للاشتباك ولنتيجته دلالة خاصة . **فهي التي تحدد له هدفا خاصا** ، ضمن الحدود التي

لا يقود فيها هذا الهدف مباشـرة الى السلم ، اذ يعتبر عندئـذ هدفا ثانويا . وينبغي اعتباره ايضا وسيلة من الوسـائل . وما دام نجاح الاشتبـاكات ، أي الانتصارات ، في الاستراتيجية، يحتوي على مختلف الدلالات التي تعنيها هذه الانتصارات ، فينبغي لذلك اعتبار هذه الاشتباكات إو الانتصارات كوسائل . فاكتساح موقع من المواقع ، يشكل نجاحا عمليا مطبقا على الارض. ولا ينبغي اعتبار الاشتباكات المختلفة ، وأهدافها الخاصة كوسائل فقط ، لان من الواجب اعتبار كل تصميم للقيادة العليا ، ينسق بين الاشتباكات الموجهة نحو غايـة موحدة ، كوسيلة من الوسائل ، فحملة في الشتاء مثلا ، هي تنسيق لمثـل هذا النوع من الجهد مطبق على الفصل .

ولا يبقى بعدئذ اذن كهدف ، الا الاغراض المصممة على أنها أغراض تقود مباشرة الى السلم . وتدرس النظرية كل هذه الاهداف والوسائل استنادا الى طبيعة آثارها وعلاقاتها المتبادلة .

**الوسائل والغايات المدروسة في الاستراتيجية لا تؤخذ الا من التجربة :**

ان السؤال الاول المطروح هنا هو ان نعرف كيف تتوصل النظرية الـى تعداد كبير لهذه الاشياء . فلو قمنـا ببحث فلسفي يستهـدف الوصـول الى نتيجة ضرورية من الناحية المنطقية ، لوقع هذا البحث في حيرة من الصعوبات الناتجة عن واقع اساسي ، هو ان الضرورة المنطقية مستبعده من ادارة الحرب ونظريتها . وتتوجه النظرية الى التجربة أذن ، وتحاول جاهدة دراسـة التركيبات التي وضعها التاريخ العسكري . فهي من هذه الناحية أذن نظريـة محدودة بدون شك ، ولكنها متطابقة مع المعطيات التي يزودنا بها هذا التاريخ. أن مثل هذا التحديد في النظريـة أمر لابـد منه . لان علـى النظريـة ان تستقي كل تأكيداتها من التاريخ العسـكري ، أو أن تكون قـد قارنتها علـى الاقل بتعاليمه . والتحديد على كل حال تحديد نظري أكثر من أن يكون حقيقة واقعـة .

وهنا لابد من طرح سؤال آخر ، وهو عن معرفة الحـد الذي ينبغي ان تصل اليه النظرية في تحليل الوسائل . ومن البدهي إن هذا الحد لا يتجـاوز ابعد مما يقتضيه استخدام الخصائص المختلفة لهذه الوسائل استخداما عمليا. فمدى تأثير مختلف الاسلحة ، ذو اهمية قصوى بالنسبة للتكتيك . وليس لصنع

هذه الاسلحة أية أهمية على الرغم من ان الآثار تنجم عنه . فلكي نخوض الحرب ، لا نحتاج الى الفحم والكبريت وملح البارود والنحاس والقصدير المخصصة لصنع البارود والمدافع ، بل نحتاج الى أسلحة جاهزة ، والى آثار هذه الاسلحة . والاستراتيجية تستخدم الخرائط ، بدون ان تهتم بحساب المثلثات . وهي لا تهتم بمؤسسات البلد ، ولا بالطريقة التي ينبغي ان يربي فيها الشعب ويقاد الحكم ، كي يمكن تحقيق نجاحات عسكرية . ان الاستراتيجية تأخذ كل هذه الإشياء كما تجدها وعلى عاتقها في داخل المجموعة الاوروبية ، مع توجيه الانتباه الى الشروط المختلفة التي قد تمارس تأثيرا هاما في الحرب .

**تبسيط كبير للمعارف :**

وسنرى بدون جهد كبير ، ان عدد الاشياء التي تعالجها النظرية عدد ضئيل جدا ، وهذا ما يقلل من المعارف الضرورية لادارة الحرب . وهناك بدون شك كثير من النشاطات المساعدة لاعداد الجيش . والنشاطات الوحيدة التي ينبغي ان يعرفها من يريد ان يدير النشاط الحربي هي النشاطات التي تصب في محيط الحرب مباشرة .

**تفسر النظرية السرعة التي يتكون بها القادة العسكريون الكبار ، ولماذا لا يكون القائد الحربي عالما .**

ان استنتاج تحليلنا هذا ضروري الى حد يبعث لدينا الشك بصحة أي استنتاج آخر . ويفسر هذا الاستنتاج وحده كيف نجح رجال نجاحا باهرا في الحرب ، على مستويات عليا ، وبمناصب قيادات عامة ، مع أن نشاطاتهم قبل الحرب كانت مختلفة عن النشاط الحربي . والواقع أن القادة الكبار لم يخرجوا أبدا من طبقة الضباط المثقفين ثقافة عسكرية عالية ، ولا من طبقة العلماء . ان وضعهم لم يكن يتيح لهم الحصول على معلومات واسعة . ولهذا فالذين كانوا يرون ان اعداد قائد عتيد يتطلب تزويده بأصغر التفاصيل أثاروا الهزء والسخرية وقد يكون مثل هذا التدريب ذا أثر سيء ، لان فكر الانسان ينمو ويتكون عبر المعارف التي يتلقاها ومن خلال التوجيه الفكري الذي يطبعه بطابعه . ان العظمة وحدها هي التي تجعله عظيما ، أما التفاهات فتجعله تافها ، الا اذا كان لديه الاستعداد الكافي للفظ كل هذه التفاهات دفعة واحدة .

**تناقض مسبق**

أن الناس ، اذ أنكروا ببساطة المعرفة الضرورية للحرب ، وخلطوا دائما هذه المعرفة بمجموعة المعارف والكفاءات الثانوية التي ينبغي أن تحركها ، فقد عجزوا عن حل التناقض الخفي الذي يقعون فيه مع ظواهر العالم الحقيقي ، الا اذا ألقوا بكل شيء على عاتق العبقرية التي تستغني عن النظرية ولا يفترض ، في نظرها ، انها مكتوبه .

**لذلك رفضت ضرورة المعرفة ، وأعطي كل شيء للموهبة الطبيعية**

وهكذا شعر أصحاب الحس السليم بالفراغ الكبير الذي لابد من ملئه بين العبقري الفذ ، وبين المثقف ثقافة عسكرية ، فتوصل هؤلاء الى رفض كل نظرية ، واعتبار العمل الحربي نوعا من مهنة طبيعية للرجل ، يقوم بها بشكل جيد أو سيء وحسبمافطر عليه من استعداد لها ومواهب. واننا لا ننكر انهؤلاء كانوا أقرب الى الحقيقة من أولئك الذين أولوا أهمية كبرى لتزويد من يؤهل للحرب بمعارف خاطئة . الا أنهم لم يلبثوا أن أدركوا أن هذا المفهوم عبارة عن مبالغة لفظية . فلا وجود لنشاط ممكن للذكاء الانساني ، بدون وجود كمية معينة من المفاهيم ، ومعظم هذه المفاهيم على الاقل غير موروثة ، ولكنهامكتسبة ومنها تتكون معرفتنا . فالهدف اذن هو معرفة النوع الذي ينبغي ان تتألف منه هذه المفاهيم . والجواب عن ذلك : أن على المفاهيم أن تكون موجهة نحو الامور التي تهمنا مباشرة في الحرب .

**ينبغي أن تكون المعارف مطابقة للمرتبة**

ينبغي أن تتغير هذه المعارف ،فيداخل ساحة النشاط العسكري ،حسب اختلاف مرتبة القائد . وتنطبق هذه المعارف على أشياء أقل شأنا وأكثر تحديدا . أما في المراتب العليا فتنطبق على أمور أهم وأوسع . ولو تسلمبعض من كانوا في القيادات العامة قيادة ألوية لما نجحوا وعكس ذلك صحيح أيضا .

**ان المعرفة بأمور الحرب بسيطة جدا ، الا انها ليست دائما سهلة جدا .**

ان بساطة معرفة الامور الحربية ، المطبقة على عدد قليل من الاشياء التي لاقيمة لها الا بنتيجتها النهائية ، لاتعني أن تطبيقها العملي سهل . ولقد تحدثنا

من قبل ، عن الصعوبات التي يصطدم فيها العمل الحربي بصورة عامة ، ولن نتوقف هنا أمام الصعوبات التي لا يمكن التغلب عليها الا بقوة الشجاعة ، ولكننا نقول أن النشاط الفكري الحربي ، ليس سهلا أو بسيطا الا في المستويات الصغرى . وتزداد الصعوبات تبعا للوظيفة ولعلو مرتبتها في سلم التسلسل . وعلى المستوى الاعلى ، أيعلى مستوى القائدالعام ، يغدو هذا النشاطالفكري من أصعب الصعوبات التي يواجهها الفكر البشري .

**طبيعة هذه المعرفة .**

ليس من الضروري أن يكون **القائد العام** مؤرخا واسع العلم أوكاتبا،ولكن عليه أن يكون مطلعا على شؤون الدولة العليا . وينبغي أن يعرف **القائد العام** كيف يقدر بصورة صحيحة النزعات التقليدية ، والمصالح المهددة، والمسائل الواجب حلها ، كما ينبغي له أن يعرف كل الشخصيات الحاكمة . وليس من الضروري أن يكون عالما نفسيا حاذقا ، أو أن يقوم بتحليلات عميقة للطبيعة البشرية ، الا أن عليه ان يعرف طباع مرؤوسيه ، وطرق تفكيرهم واخلاقهم وصفاتهم وعيوبهم الخاصة .

وتتميز المعرفة الضرورية لمنصب عسكري كبير بتعذر اكتسابها الابفضل موهبة الملاحظة الخاصة ، أي بدراسة وتفكير يستنبطان ، بنوع من الغريزة الفكرية ، العقل الذي يهيمن على ظاهرات الحياة ، ولا يمكن اكتساب هذا العلم أو هذه المعرفة بالملاحظة والدراسة فقط ، بل خلال الحياة ايضا .

وليس في التاريخ رجل كبير أو قائد عسكري بارز محدود الذهن . ولكن الحالات التي برز فيها رجال في الوظائف الدنيا حالات عديدة ، الا أنهم عندما انتقلوا الى الرتب العليا بقوا في مستوى دون المستوى المتوسط ، لعدم كفاية مداركهم الفكرية . لذلك كان من الطبيعي أن نقيم نوعا من التسلسل بين الرجال الذين تولوا قيادات عامة استنادا الى درجة السلطة التي تمتعوا بها .

**ينبغي أن تصبح المعرفة ارادة**

يبقى علينا أن نفهم وجها من وجوه الموضوع ، تحتاج اليه المعرفةالمرتبطة بادارة الحرب ، أكثر مماتحتاج اي أمر آخر . ان هذا الوجه هو ضرورة تمثل هذهالمعرفة وهضمها كاملة في الذهن ، حتى لاتبقى بمثابة شيء موضوعي . ففي

معظم الفنون والنشاطات الاخرى للحياة ، يستطيع الشخص القائم بالعمل أن يستخدم حقائق تعلمها، ويستنتجها من الكتب بدون أن يعيش روحها واتجاهها. ولكن الامور في الحرب لاتجري على هذا المنوال . فرد فعل الفكر ، وشكل الاشياء المتبدل باستمرار ، يضطران القائم بالعمل الى أن يحتفظ بكل علمه في جهازه العقلي ، وأن يكون ، في كل مكان وفي كل لحظة ، قادرا على ان يستخلص من علمه القرار الضروري .

ان هذا التمثل الكامل في ذهنه وفي حياته الخاصة ، يحول المعرفة الى قدرة حقيقية . وهذا هو السبب الذي من أجله يبدو كل شيء سهلا للرجال الذين يبرزون في الحرب ، ويعزى فنهم الى الموهبة الطبيعية ونحن نقول انه يعزى الى الموهبه الطبيعية ، لنميز بينه وبين الفن الذي يتكون ويتحسن وينمو بفضل الملاحظة والدراسة .

بفضل هذه التأملات ، نعتقد أننا عرضنا مهمة نظرية للحرب ،وحددنا الطريقة التي يمكن حلها بوساطتها .



## الفصل الثالث

# فن الحرب.. أو علم الحرب

**ليس هناك اجماع في استخدام التعبيرين : ( قدرة ومعرفة ) . ونحن نستخدم كلمة علم عندما يكون الهدف الوصول الى المعرفة . وكلمة فن عندما يكمن الغرض في القدرة ويقوم عليها .**

أننا لم نحدد اختيار التعبير حتى الآن ، ولم نعرف على أية أسباب أو مبررات نستند في اختيارنا له ، مع كل مايبدو في الامر من بساطة . وقد قلنا سابقا أن المعرفة بالامر شيء ، والقدرة على فعله شيء آخر . فالامران مختلفان اختلافا لايجوز معه أن نغامر بالخلط بينهما . ومن المعقول والمنطقي ان نطلق اسم فن على كل مايستهدف قدرة خلاقة كالفن المعماري مثلا ، واسم علم على كل مالايفترض الا المعرفة ، كالرياضيات وعلم الفلك .

وقد تحتوي كل نظرية للفن على علوم نوعية كاملة ، ولكن ينبغي أن لايوقعنا هذا في الخطأ . الا أن علينا أن نلاحظ أنه لاوجود لاية معرفة حيث يستبعد كل فن . ففي الرياضيات مثلا ، يعتبر الجبر والحساب فنونا . الا أن هذا لايجيب عن السؤال من جميع نواحيه ، للسبب التالي ، وهو أنه ، مهما كان الفرق بين المعرفة والقدرة حساسا وكبيرا في داخل المجموعات المعقدة التي تشكل المعارف الانسانية ، فمن الصعب تحديد الخط الفاصل التام بينهما لدى الرجل نفسه.

## صعوبة الفصل بين الادراك والحكم ( فن الحرب ) .

ان كل عمل فكري هو فن . فالفن يبدأ حيث يرسم رجل منطقي خطأ ، أيعندما تنتهي مقدمات البرهان التي هي نتاج قوة الادراك والتمييز ليأخذ الحكمُ مكانها . كما أن آراء الفكر نفسها هي حكم أيضا ، وبالتالي فهي فن ، وفي نهاية المطاف ، تكون المعارف المكتسبة بواسطة الحواس فنا أيضا بدون شك . وفي كلمة واحدة ، لايمكن أن نتصور كائنا بشريا قد وهب القدرة على المعرفة دون القدرة على الحكم ، كما لا يمكن ان نتصور العكس . لذا يتعذر فصل الفن عن المعرفة فصلا كاملا . فكلما تجسدت عناصر الضوء الدقيقة هذه في إشكال العالم الخارجي ، كلما انفصلت ممالكها . وأكرر مرة ثانية : ان مجال الابداع والانتاج هو مجال الفن ، ولكن عندما نستهدف البحث والمعرفة يسود العلم . ونستنتج من كل هذا أن قولنا : « فن الحرب » أفضل من قولنا : « علم الحرب » .

ولكننا لن نتردد في التأكيد بأن الحرب ليست فنا أو علما بالمعنى الحقيقي الدقيق للتعبير نفسه . وانطلاقا من هنا ارتكبت خطيئة أدت الى تشبيهالحرب بفنون أخرى أو علوم أخرى ،وهذا ماأتاح المجال لمجموعة من **التشبيهات الخاطئة** .

هذا ماأحس به بعضهم في الماضي عندما قيل أنالحرب مهنة ،ولقدخسرنا بهذا التعبير أكثر مما ربحنا ، فليست المهنة الا فنا من درجة دنيا ، كما أن اعتبار الحرب مهنة جعلها خاضعة لقوانين أكثر دقة وجمودا . والواقع أنفن الحرب تطور لفترة من الزمن في عصر الكوندوتييري (١) . ولكنه اتخذ هذا الاتجاه لاسباب خارجية لاداخلية ، وقد أظهر التاريخ الى أي حد كانت هذه التسمية مصطنعة وغير مرضية .

## الحرب شكل من اشكال العلاقات البشرية

وهكذا يمكننا أن نقول أن الحرب لاتخص ميدان العلوم والفنون ، ولكنها تخص الوجود الاجتماعي . انها نزاع بين المصالح الكبرى يسويه الدم ، وبهذا

---

(١) اسم كان يطلق قديما في ايطاليا على قادة الانصار أو الجنود المحترفين .

( المترجمان )

وحده تختلف عن النزاعات الاخرى . ومن الافضل ، بدلا من مقارنتها بأي فن من الفنون ، مقارنتها بالتجارة التي هي أيضا نزاع بين المصالح والنشاطات البشرية . وهي أكثر شبها بالسياسة التي تعتبر بدورها ،ولو بجزء منها على الاقل ، نوعا من التجارة على مستوى عال . ان السياسة هي الرحم الذي تنمو فيه الحرب ، وتختفي فيه الملامح التي تكونت بصورة أولية ؛ كما تختفي خصائص المخلوقات الحية في أجنتها .

## فرق :

ويكمن الفرق الاساسي في أن الحرب ليست نشاطا للارادة مطبقا على مادة جامدة ، كما في الفنون الميكانيكية ، أو مطبقا على شيء حي ، انما سلبي وخاضع بدون مقاومة ، كالفكر البشري والحساسية البشرية في الفنون الجميلة ولكن الحرب نشاط مطبق على شيء يعيش وينفعل . واخضاعها لقوانين ميكانيكية جامدة يؤدي الى الوقوع في أخطاء كبيرة .

فهل هناك قوانين عامة يخضع لها نزاع العنصر الحي الذي نراه يتكون ويجد حلوله في الحرب ، وهل تتيح هذه القوانين قاعدة مفيدة للسلوك في العمل؟ ان هذا الكتاب سيحاول فحص هذا السؤال في بعض أجزائه .



## الجزء الثالث

# فى الاستراتيجية بصورة عامة ..

## الفصل الأول

# الاستراتيجية..

عرفنا مفهوم الاستراتيجية في الفصل الثاني من الجزء الثاني بقولنا : **ان الاستراتيجية هي استخدام الاشتباك وسيلة للوصول الى هدف الحرب (١).** فهي لا تهتم الا بالاشتباك ، ولكن نظريتها تدخل في تقديراتها عامل النشاط الخاص ، أي نشاط القوات المسلحة نفسها ، والعلاقات الرئيسية القائمة بينها ، لان هذه العلاقات هي التي تحدد الاشتباك .

وللاشتباك بدوره آثاره المباشرة عليها . لذلك ينبغي دراسة الاشتباك نفسه ، من زاوية نتائجه الممكنة ومن زاوية أهم القوى المعنوية والفكرية التي يطلقها .

فالاستراجية هي استخدام الاشتباك كوسيلة للوصول الى غايات الحرب، وعليها اذن ان تحدد ، للعمل الحربي بمجموعه ، هدفا يتلاءم مع غرض الحرب.

---

(١) يعارض ليذل هارت هذا التعريف في كتابه « الاستراتيجية وتاريخها في العالم » ويرفض اعتبار الاشتباك الوسيلة الوحيدة للوصول الى هدف الحرب .. ويقدم تعريفا آخر هو : « الاستراتيجية هي فن توزيع واستخدام مختلف الوسائل العسكرية لتحقيق هدف السياسة « ويرى ريمون آرون في كتابه « السلم والحرب بين الامم » « ان الاسترتيجية هي مجمل العمليات العسكرية . أما الدبلوماسية فهي توجيه العلاقات مع الدول الاخرى ، على ان تكون الاستراتيجية والدبلوماسية تابعتين للسياسة . » ولكن الجنرال بوفر يرى ان هذين التعريفين ناقصان ، كما لا يوافق على تعريف كلاوزفيتز ويقدم في كتأبه « مدخل الى الاستراتيجية العسكرية » تعريفا جديدا هو : « الاستراتيجية هي فن استخدام القوة للوصول الى اهداف السياسة » . وهناك تعاريف اخرى متعددة مختلفة تدل اختلافاتها على تعدد وتشابك وغموض العوامل التي تحكم هذا النوع الهام من فن الحرب .

( المترجمان )

أذن ، ينبغي على الاستراتيجية ان تضع خطة الحرب ، وأن تحدد ، طبقا للهدف المحدد ( هدف الحرب ) ، سلسلة من الإعمال الملائمة التي تقود الى تحقيقه .

والإستراتيجية هي التي تصمم اذن خطط الحملات المختلفة كما تنظم الاشتباكات المتعددة فيها . ومادامت معظم القرارات المطلوبة من الاستراتيجية، تعتمد على فرضيات لا تتحقق لها دائما ، وما دام هناك تدابير مفصلة لا يمكن أن تتخذ مسبقا ، فان على الاستراتيجية اذن أن ترافق الجيش الى ساحة المعركة ، لتتخذ هذه التدابير الضرورية على الارض ، ولتقررها ، ولتجري عليها التعديلات العامة التي لابد من اجرائها بصورة مستمرة وهكذا لاتستطيع الستراتيجية أن تنسحب من ساحة المعركة في أي لحظة من اللحظات . ومع ذلك فاننا نرى أن مفهوم وجودها دوما في ساحة العمل لم يكن هو المفهوم السائد دائما ، لان معظم الناس اعتادوا على تسوية الامور الاستراتيجية في الوزارة وليس على مقربة من الجيش ، وهذا لايمكن قبوله الا اذا اعتبرنا الوزارة أركانا عامة بالنسبة للجيش .

فالنظرية أذن ستتبع الاستراتيجية في تصميم هذه الخطة ، وبتعبير أدق ، ستوضح النظرية كل الامور تبعا لعلاقاتها المتبادلة ، مع ابراز بعض المبادىء او القواعد التي تنتج عنها . ولا شك في أن أدراك كل هذه الامور يحتاج الى سعة أفق وعبقرية .

وأفضل دليل على العبقرية يبديه أمير أو قائد ، هو معرفته تنظيم حربه بتطابق صحيح بين وسائله واهدافه ، دون أن يبالغ فيها أو يقصر في استخدامها . ولا تظهر آثار هذه العبقرية في أشكال العمل المذهلة التي يبتكرها مجددا ، بقدر ماتظهر بالمخرج النهائي الناجح لمجمل أعماله . ان مايثير أعجابنا هو التحقق من الافتراضات الضمنية ، والتنسيق الصامت لكل طريقة العمل ، وهذا أمر لايبرز الا في النتيجة العامة .

ولقد غدت الاشكال والوسائل التي تستخدمها الاستراتيجية بسيطة وشائعة ، نظرا لتكرارها المستمر ، واعتياد الحس السليم عليها حتى ليبدو فيه النقد الذي يتحدث عنها باطناب مطول نقدا ممجوجا . فحركة الكماشة التي رأيناها حتى الآن الف مرة ، تمتدح تارة بأنها عمل عبقري استثنائي ،

وتارة أخرى بأنها دليل على عمق البصيرة وعلى سعة العلم أيضا . فهل من الممكن أن نتخيل مثل هذا السخف في عالم المثقفين ؟

ومما يثير السخرية ، أن الذين يوجهون هذا النقد ، يستبعدون من النظرية كل المعطيات المعنوية . ويتفق معهم في ذلك رأي عام مبتذل ، لايريد الاعتراف الا بقوة مادية يرجع فيه كل شيء الى بعض العلاقات الرياضية في التوازن ، وتفوق القوى في الزمان والمكان ، بالاضافة الى بعض الزوايا والخطوط المستقيمة . ولو اقتصر الموضوع على ذلك ، لما كانت هذه التفاهة بحاجة الى اي جهد أو عناء .

ان العلاقات المادية بسيطة جدا . ولكن فهم القوى المعنوية الداخلة في الصراع أصعب بكثير . وحتى فيما يتعلق بهذه القوى ، فان التعقيدات والاختلافات الكبيرة للقيم والمعطيات المعنوية لاتوجد الا في أعلى الدوائر الاستراتيجية حيث تجاور هذه القوى السياسة وادارة الدولة ، أو بالاحرى تختلط معها . وهي تستهدف كما قلنا بعض المسائل المتعلقة بشكل التنفيذ . وعندما يأخذ شكل التنفيذ المقام الاول ، كما يحدث في مختلف الاعمال الكبرى أو الصغرى للحرب ، فان المعطيات المعنوية تنخفض الى عدد صغير .

وهكذا نرى أن كل شيء في الاستراتيجية بسيط جدا ، ولكن ذلك لا يعني أنه سهل جدا .

وعندما تتيح ظروف الدولة تحديد ما تستطيع الحرب تحقيقه ، وما ينبغي عليها بلوغه ، فمن الممكن ايجاد الطرق والوسائل بسهولة . ولكن المتابعة العنيدة لهذا الطريق او ذاك ، وتنفيذ الخطة الموضوعية بدون أن نحيد عنها يتطلب بالاضافة الى ماسبق قوة شخصية كبرى ، وكثيرا من الوضوح وثبات التفكير . فمن بين الف شخص لامع هناك شخص يتمتع بفكر لامع ، وآخر يتميز بقوة البصيرة ، وعدد آخر ممن يتصفون بالشجاعة أو القوة . ولكن من النادر وجود شخص واحد يجمع كل الصفات الضرورية لرفعه الى مرتبة القادة الذين تجاوزوا المستوى العادي .

وقد يبدو ذلك غريبا ، ولكن جميع من يعرفون الحرب من هذه الزاوية ، يعرفون جيدا أن عملا استراتيجيا هاما يتطلب من الارادة أكثر مما يتطلبه عمل حاسم تكتيكي ، حيث يؤثر علينا موقف اللحظة التي نعيشها ، وحيث يحس القائد بأنه مدفوع بتيار لا يتجرأ على مقاومته بدون التعرض لأخطار

كبرى ، فيصد الشكوك المتولدة ويتقدم ببسالة . أما الاستراتيجية ، حيث يجري كل شيء بشكل أبطأ ، فانها تفسح مجالا رحبا للشكوك المنبعثة من الآخرين ومن نفس القائد بالذات ، كما تفسح مجالا للاعتراضات والندم الذي لا مبرر له . وما دمنا في الآستراتيجية ،لا نرى نصف الأشياء بعيوننا الخاصة، كما نراها في التكتيك ، وان علينا أن نتنبأ وأن نفترض ، فان مانقتنع به قابل للزعزعة أيضا . ومن هنا كان كل تردد ينزلق اليه معظم القادة في لحظة العمل.

واذا درسنا عمليات فريدريك الكبير وجدنا أن عظمته لا تكمن في حركاته العسكرية نفسها بل في حكمته. لقد كان يتابع هدفا كبيرا بوسائل قليلة ، فلم يندفع في أية محاولة تتجاوز امكاناته ولكنه لم يتقاعس عن القيام بما ينبغي القيام به . وكان طموحه كبيرا ولكن غروره لم يتجاوز طموحه كما أن روح الانتقام لديه مع غروره ، لم يكونا ليحولاه عن هذا الطريق الذي كان يحقق له النصر .

ولن تكفي هذه الكلمات للتعبير عن عظمة هذا القائد الحربي !! فلو فحصنا عن قرب النتيجة المذهلة لقتاله مع استقصاء الاسباب التي أدت الى هذه النتيجة ، لما أمكننا أن نمتنع عن التفكير بأن فطنة هذا الملك ومهارته ، قادتاه عبر كثير من العثرات والمهالك الى نهاية سعيدة .

وسنتحدث الآن عن مظاهر الاستراتيجية منتقلين من السهل الى المعقد لننتهي الى مايتكون منه هيكل العمل الحربي ، أي خطة الحرب .

ان مجرد ترتيب القوات المسلحة في نقطة معينة ، يجعل الاشتباك ممكنا ومحتملا ، بدون أن يكون هناك دوما مجال للاشتباك ، فهل ينبغي اعتبار هذا الامكان حقيقة أو كشيء حقيقي ؟ والجواب هو ، انهذه الامكانية ،بدون شك، تصبح حقيقة من جراء نتائجها ، ولا تلبث هذه التأثيرات المختلفة والنتائج أن تظهر .

**ينبغي ان نعتبر الاشتباكات المحتملة اشتباكات حقيقية ، نظرا لنتائجها**

عندما تقوم احدى المفارز بقطع طريق التراجع على عدو فار ، ثم نجد أن هذا العدو يستسلم بدون مقاومة ، فان سبب هذا الإستسلام هو الاشتباك المحتمل الذي تمثله هذه المفرزة .

وعندما يحتل جزء من جيشنا بقعة من أرض لايدافع عنها العدو ويحرمه هكذا من وسائل هامة لو استخدمها لعزز جيشه ، فان سبب الاحتلال أيضا هو الاشتباك الذي تهدد به هذه المفرزة الخصم اذا ماأراد استعادة هذهالبقعة. والتهديد بالاشتباك معه هو الذي يتيح لنا الاستيلاء عليها .

ففي الحالتين ، كان للاحتمال البسيط بالاشتباك نتائج نستطيع ادخالها في ترتيب الاشياء الحقيقية . ولنفرض أن العدو ، في الحالتين قد وضع قطعاته في وجه قطعاتنا ، وأن قطعاتنا لاتبلغ من القوة مايمكنها من الصمود أمامه ، فوجدت نفسها مضطرة للتخلي عن هدفها بدون قتال ، فان هدفنا الخاص لن يتحقق حتما ، ولكن الاشتباك الذي اقترحناه أو فرضناه على العدو في هذه النقطة ، لن يبقى دون أثر لانه أجبره على كشف قواته . ولكن اذا باءت محاولتنا بالاخفاق فانه لا يمكننا القول ان هذه الاشتباكات الممكنة ، قد بقيت بدون أية نتيجة . وتشبه هذه الآثار عندئذ اشتباكا خاسرا .

ومن هنا يظهر ، أن تدمير قوى القتال المعادية ، والقضاء على طاقة الخصم ، لاتتم الا بفضل نتائج الاشتباك وآثاره ، سواء أحدث هذا الاشتباك فعلا ، أو كان مطروحا في ساحة المعركة بدون أن يقبله أحد الاطراف .

## هدف الاشتباك ـ هدف مزدوج :

الا أن هذه الآثار التي تكلمنا عنها آثار مزدوجة : فهي مباشرة وغير مباشرة . فهي غير مباشرة عندما تتدخل عوامل اخرى وتصبح هدفا للاشتباك. وهي عوامل لا يمكن اعتبارها في ذاتها تدميرا للقوات المسلحة ، ولكنها عوامل تؤدي اليها بانعطاف حقا ولكن بقوة أيضا . فالاستيلاء على مقاطعات ومدن ومواقع محصنة وطرق وجسور ومخازن كلها أهداف من الممكن أن تكون الهدف المباشر للاشتباك ، الا انها لا تكون أبدا هدفه الاخير . وينبغي اعتبار هذه الاشياء وسائل للحصول على تفوق أكبر فقط ، كي نحاول الاشتباك في النهاية في ظروف يجد فيها الخصم نفسه في جو يستحيل عليه قبوله . وينبغي اذن أن تعتبر هذه الاهداف خطوات وسيطة ، أو دليلا يقود الى المبدأ الفعال ، ولكن لا ينبغي ان نعتبرها بأي حال من الاحوال المبدأ الفعال نفسه .

ومن المؤكد أن هذه الطريقة هي الطريقة الوحيدة في معالجة الاشياء ، وهي تقودنا دوما الى مسألة معرفة النتيجة المحتملة للاشتباكات الكبرى

والصغرى التي يقترحها الطرفان المتصارعان في كل لحظة من لحظات الحرب أو المعركة . وعند وضع خطة الحملة أو خطة الحرب ، تقرر هذه المسألة وحدها دفعة واحدة كل التدابير التي لا بد من اتخاذها .

**في حالة عدم تطبيق وجهة النظر هذه ، تأخذ بعض العناصر الاخرى أهمية لا تستحقها .**

اذا لم نعتد على اعتبار الحرب أو أية حملة منعزلة كحركة آلية دائرية متداخلة ، تشكل الاشباكات تروسها المسننة وتؤثر بعضها على بعض ، واذا رأينا ان الاستيلاء على بعض النقاط الجغرافية ، كالاستيلاء على مقاطعة غير مدافع عنها ، عبارة عن عمل يتمتع بقيمة في حد ذاته ، فاننا نكاد نعتبر هذا الاحتلال ميزة لا نغامر بشيء عندما نحصل عليها في أثناء مسيرنا . فاذا وقعنا في الخطأ واعتبرناه كذلك بدلا من أن نفهمه كحلقة في سلسلة من الاحداث ، نسينا بهذا الشكل أن نسائل انفسنا : هل سيسبب لنا مثل هذا الاحتلال بعض المتاعب في المستقبل أم لا ؟ فكم من مرة صادفنا مثل هذا الخطأ في التاريخ العسكري !! ونحن ميالون للقول : أن التاجر لا يستطيع أن يضع جانبا الربح الذي جناه من عملية تجارية واحدة في أمان تام . وكذلك في الحرب ، لا يمكن وضع ميزة من المزايا التي جنيناها في اشتباك من الاشتباكات منعزلة عن النصر الشامل العام ، وكالتاجر الذي عليه دوما أن يستثمر كل ثروته ، نرى في الحرب أن الموازنة النهائية هي التي تظهر الارباح أو الخسائر في كل معركة .

* * *

## الفصل الثاني

# عناصر الاستراتيجية

من الممكن اذن أن نقسم الاسباب التي تحدد الاستعانة بالاشتباك ، في المجال الاستراتيجي الى عناصر ذات طبيعة مختلفة وهي : العناصر المعنوية والبدنية والهندسية والجغرافية والاحصائية .

وتشمل المجموعة الاولى كل ما يتصل بالصفات والآثار المعنوية والفكرية، وتبحث الثانية حجم القوات العسكرية وتشكيلها ، وتناسب صنوف الاسلحة الخ ... وتتعلق الثالثة بزوايا خطوط العمليات ، والحركات الدائرية أو البعيدة عن المركز اذا أضحت طبيعتها الهندسية عاملا ذا أهمية في حساباتنا ، أما الرابعة فتشمل تأثير الارض ، والنقاط الحاكمة ، والجبال ، والانهار ، والغابات ، والطرقات . واخيرا تبحث المجموعة الخامسة في وسائل التموين الخ ... ومن المفيد أن نتوقف ولو لمرة واحدة عند كل عامل من هذه العوامل بصورة مستقلة ، لنكوّن بهذا الشكل فكرة أدق عنها ، ولنستطيع تقدير القيمة الكبيرة لمختلف هذه المجموعات .

ومع ذلك فان دراسة الاستراتيجية بواسطة هذه العناصر ، قد تكون أكثر الافكار ضررا ، لان هذه العوامل تتداخل بصورة عميقة وبشتى الوسائل في معظم أعمال الحرب المنعزلة ، وقد نضيع في تحليلات عقيمة، ونحس بالارهاق بدون انقطاع ، وذلك من جراء جهود لا جدوى منها نحاول فيها شد القوس منطلقين من قاعدة مجردة نحو أحداث الحياة الحقيقية . وسنقتصر على

ميـدان الظواهر المعقـــدة ، بردون أن نـدفـــع بتحليلنـــا الى ماوراء الضرورات التي تحكمها مطالب كل فكرة من هذه الافكار التي نحاول عرضها ، وهي أفكار لا تدرك بفضل أبحاث نظرية بحتة ، ولكنها أفكار فرضتها الحرب كظاهـــرة شـــاملة .

* * *

# الفصل الثالث

# القيم المعنوية

ينبغي علينا أن نعود الى هذا الموضوع، فالقيم المعنوية هي من أهم العناصر في الحرب . فهي الروح التي تطبع الحرب بطابعها . وهي التي تفرض نفسها مسبقا على الارادة التي تحرك وتوجه كتلة القوات ، ملتحمة واياها ، لان الارادة نفسها أيضا هي قيمة معنوية . وتتوارى هذه الروح ، بكل أسف عن كل معرفة نظرية لانها لا تحسب بالارقام ، ولا تدخل في اطار أية مجموعة ، فمن الضروري أن نحس بها أو أن نلاحظها .

فالفكر وكل صفة معنوية لجيش ما أو لقائد من القادة أو حكومة من الحكومات ، والحالة الفكرية في شعب تدور الحرب على أرضه ، والاثر المعنوي لنصر أو هزيمة ، كلها عوامل من طبيعة مختلفة جدا ، يمكن أن تمارس هي أيضا تأثيرا مختلفا جدا ، بالنسبة لهدفنا ولوضعنا .

ومع أن الكتب لا تذكر الكثير عن هذه الاشياء ، أو انها لا تقول شيئا البتة ، فلا يعني ذلك أن القوى المعنوية ليست جزءا من فن الحرب ، شأنه شأن كل ما تتكون منه الحرب . ومن الواجب أن نكرر : أن أية فلسفة ، تخطىء خطأ كبيرا ، اذا ما استبعدت كل قيمة معنوية من قواعدها ومن مبادئها ، وراحت في سرد الاستثناءات ، عندما تبرز هذه القيمة المعنوية في الحرب ، وهي استثناءات يعزى اليها عندئذ نوع من التبرير العملي بتحويلها بهذا الشكل الى قواعد .

وحتى اذا كان على نظرية فن الحرب أن تقتصر على التذكير بوجود هذه القيم ، وأن تبرهن على ضرورة تقديم القيم المعنوية بقيمتها الحقيقية

وأخذها بعين الاعتبار ، فقد تميزت بأنها وسعت مجالها الى دائرة الفكر هذه ، وأدانت أمام محكمتها كل من يحاول تبرير عدم وجود ميزان القوى غير الميزان المادي . وهي لم تفعل ذلك الا لانها قدرت شأن هذه النقطة .

وليس للنظرية الحق في استبعاد القيم المعنوية من مجالها ، لان تأثيرات القوى المادية تذوب كاملة مع آثار القوى المعنوية ، ولا يمكن الفصل بينهما بطريقة ميكانيكية . وعلى النظرية أن تركز انتباهها على الجزء الذي يعود الى القيم المعنوية ، في كل قاعدة متعلقة بالقوى المادية ، والا فان النظرية ستكون منزلقا لاصدار أحكام مطلقة محدودة وسخيفة . واننا لنجد أن أكثر النظريات سخفا وتفاهة قد قامت بغزوات في ميدان الفكر ، لان نتائج أي انتصار من الانتصارات لا يمكن تفسيرها بدون أن نأخذ بعين الاعتبار بعض الانطباعات المعنوية . وتتألف معظم المواضيع التي نعالجها في هذا الكتاب من أسباب وآثار نصف مادية ، ونصف معنوية . ويمكن القول هنا أن الاسباب والنتائج المادية هي القبضة الخشبية بينما تكون الاسباب والآثار المعنوية المعدن الاصيل والسلاح الحقيقي والنصل اللامع .

ويبرهن التاريخ بصورة أفضل على قيمة الصفات المعنوية عامة ، وتأثيرها الذي يستحق أن نؤمن به . وهذا هو أصدق درس وأنبل درس يستطيع قائد من القادة ان يستخلصه . ولنذكر في هذا الصدد ، أن بذور الحكمة المخصصة لاخصاب الفكر ، لا تنبعث من البراهين الكثيرة ، أو من التحليلات النقدية والبحوث الفكرية ، إنما تنبعث من الانطباعات العامة ، ومن بعض الالهامات المشعة .

ويمكننا أن نستعرض الظواهر المعنوية الرئيسية ، وأن نحاول التفتيش عن الحسنات والسيئات لكل ظاهرة منها كما يفعل أستاذ مجتهد ودقيق . الا أن ذلك قد يوقعنا في تفاهات عديدة ، ويبعدنا عن روح البحث الفكري ، ويصل بنا الى أمور يعرفها الناس جميعا . اننا نفضل اذن أن لا نوفي كل التفاصيل حقها ، مكتفين بما هو اساسي منها ، ومشيرين الى أهميتها العامة ، مع الاشارة الى الذهنية التي تمخضت عنها افكار هذا الكتاب .

* * *

# الفصل الرابع

# القوى المعنوية الرئيسية

ان القوى المعنوية الرئيسية هي القوى التالية :**مواهب القائد الحربي ، وفضائل لجيش الحربية ، وشعوره الوطني** ، ولا يستطيع أي أمرىء أن يحدد بصورة عامة ماهي أكبر هذه القيم واهمها ، لانه من الصعب أن نقول أي شيء عن قوة كل واحدة منها ، كما أن من الصعب أيضا أن نقارن بعض القيم بعض آخر . وان أفضل حل هو الا نبخس أية قيمة حقها . ومن الافضل أن نورد بعض الشواهد التاريخية لنبرز الفعالية الاكيدة في هذه القيم الثلاث .

فبالنسبة للقيمة الاولى ، توصلت كل الجيوش الاوربية الى المستوى ذاته في النظام والتدريب ، وتطورت ادارة الحرب بصورة طبيعية ، واضحى للجيوش الاوربية في الازمنة الحديثة طريقة مشتركة في العمل حتى لم يبق ثمة اعتماد على مواهب القائد الحربي في استخدامه لفنون خاصة في القتال بمعناها الضيق . وليس في استطاعتنا أيضا أنكار امتداد نفوذ الفكر الوطني ، والتمرس في الحرب والاعتياد عليها ،، هذا الامتداد الذي اضحى كبيرا في المرحلة لتي وصلنا اليها . وربما تستطيع فترة سلم طويلة تغيير هذا الوضع .

وينتشر الفكر الوطني للجيش ( الحماسة والتعصب والايمان والآراء ) بصورة اساسية في الحرب الجبلية ،، حيث يضطر كل فرد فيها ، حتى العسكري البسيط ، الى الاعتماد على نفسه . ولهذا فان البلاد الجبلية تعتبر أكثر لميادين ملاءمة لتسليح الشعب .

أن مهارة الجيش التقنية ،والشجاعةالحديديةاللتين تلحمان الصفوف وكانها انصهرت في بوتقة واحدة ، أن هذه الاشياء تبرز بصورة أفضل في أرض منبسطة مكشـــوفة وجـــرداء .

أن الاراضي المتموجة ، مع كثرة الوديان والتضاريس فيها ،، هي التي تتيح للقائد أفضل الفرص لاظهار مواهبه ، اذ لا يستطيع القائد في الجبـــال أن يسيطر على كل اجزاء قطعته لان قيادة مجموع قواته شيء يتجاوز قدراتـــه . اما في السهل ، فهذه القيادة سهلة جدا ولا ترهق قواه .

ومن الضروري الاهتمام بهذه النقاط الدقيقة عند وضع الخطط بصـــورة عـــامـــة .



# الفصل الخامس

# فضيلة الجيش الحربية

تتميز الفضيلة الحربية عن الشجاعة البسيطة ، كما تختلف عن الحماسة لقضية الحرب . وكما قد تأتي الشجاعة ، وهي استعداد طبيعي لدى الفرد بوصفه جزءا صغيرا من الحرب ، عن التدريب والتعود على المخاطر بالنسبة للعسكريين ، كذلك ينبغي لهذه الشجاعة أن تتخذ لديهم وجهة غير الوجهة التي تتخذها لدى الرجال العاديين . فمن الواجب أن لا تبقى تعطشا لنشاط لا يكبح ، وتبديدا للقوى في خدمة فرد معين . بل ينبغي أن تخضع الى مطالب القيادة العسكرية ، ومتطلبات الطاعة والنظام ، والقواعد والمنهج . فالحماسة في سبيل القضية التي نحارب من أجلها تمنح فضيلة الجيش الحربية حياة ونشاطا ، ولكنها مع ذلك تؤلف عنصرا من هذه الفضيلة لا يمكن الاستغناء عنه .

ان الحرب مهنة دقيقة . وحتى عندما يتخذ الرجال الصالحون للخدمة العسكرية لدى شعب من الشعوب من هذه الحرب مهنة ، فان هذه المهنة تبقى مع ذلك مختلفة ومستقلة عن النشاطات البشرية الاخرى . ان تشبع كل فرد بروح هذه المهنة وجوهرها ، وحفز قوى هذه المهنة وتنميتها في ذاته وتشربها واستخدامه كل ذكائه ، واكتسابه فيها الثقة والسهولة الناتجتين عن التدريب ، وتفتح كل قدراته وخصائصه عندما يمارسها ، وانتقاله فيها من النطاق الانساني الى اداة من ادواتها ، تلك هي فضائل الجيش الحربية الماثلة في الفرد .

وعلى هذا ، مهما حاولنا ان ندرك وجود مقاتل وجندي في فرد واحد وأن نضفي على الحروب ، اكثر فأكثر ، الطابع القومي ، فلن نقضي على خصائص العادة التقليدية ، لان الذين يقفون أنفسهم على الحرب سيعتبرون أنهم دائما نوع من المرشدين الذين يعبرون عن التعليمات والقوانين وعادات الحرب . وهذا ما يحدث في الواقع . فمهما كان عزمنا على أعتبار الحرب انطلاقا من أرفع وجهة نظر ، فاننا نرتكب خطأ جسيما في أهمال « روح القطعة » ، هذه الروح الموجودة في كل جيش ، والتي يتكون منها نوع من الاسمنت للقوى الطبيعية التي تولد ما يسمى بفضيلة الجيش الحربية . وبفضل روح القطعة تتبلور الفضائل الحربية بسهولة أكبر .

فالجيش الذي يحافظ على تشكيلاته العادية تحت النيران الحارقة المدمرة ، ولا ينساق للمخاوف الوهمية ، ويعرف كيف يقاوم أعنف الاوضاع ، ويفخر بضحاياه ، ويحتفظ حتى في وقت الهزيمة بقوة الطاعة واحترام الرؤساء والثقة بهم ! ويعتبر رغم انهاك قواه البدنية من جراء الحرمان والجهد المستمرين ، أن جميع الجهود التي يبذلها في المعارك وسيلة للنصر لا لعنة كتبت على راياته ، وتكفي فكرة المجد لاسلحته وقادته لتذكيره بكل واجباته ، وللعودة به الى كل فضائله . **ان مثل هذا الجيش مشبع بالروح الحربية .**

ويدل التاريخ على أن من الممكن ان نحارب بشجاعة بدون الافادة من هذه الفضيلة التي لا تكوّن في الحقيقة دواء ناجعا في كل الحالات . وهذا ما يدفعنا الى القول بأن الفضيلة الحربية لجيش من الجيوش تظهر اذن كقوة معنوية محددة لا يمكن اهمالها ، وبالتالي لا يمكن حساب تأثيرها ، فهي اذن أداة لا نستطيع حساب قوتها .

والفضيلة الحربية هي للاجزاء المختلفة بمثابة عبقرية القائد للمجموع . ولا يستطيع القائد الا أن يدير المجموع ، لانه لا يستطيع قيادة كل جزء على حدة ، وحيث لا يستطيع القائد ادارة الاجزاء ، ينبغي للفكر العسكري أن يكون دليلا لها وموجها . وينتخب قادة الكتل الكبيرة البارزون بعد دراسة دقيقة . ولكن هذا الانتقاء يتناقص بقدر ما تنخفض المراتب العسكرية . وبامكاننا اذن أن نقلل من الاعتماد على الاستعدادات الفردية كلما نزلنا في سلم التسلسل

العسكري . ومن الواجب في هذه الحالة التعويض عن هذا النقص، بالفضيلة الحربية . وهذا هو الدور الذي تقوم به الصفات الطبيعية لشعب مستعد للحرب :**كالشجاعة والمهارة والجلد والحماسة** . وبامكان هذه الصفات أن تعوض عن الروح الحربية . والعكس صحيح ، ومن هنا نستنتج الملاحظات الآتية :

١ — أن الفضيلة الحربية ، هي صفة خاصة بالجيوش الدائمة ، وتحتاج اليها هذه الجيوش أكثر من غيرها . وعندما تحدث إنتفاضة أو حرب ، يعوض عنها بالصفات الطبيعية التي تنمو عندئذ بسرعة أكبر ، والتي ذكرناها آنفا .

٢ — ان جيشا دائما يقاوم جيشا آخر لا يحتاج الى هذه الفضيلة بقدر مايحتاج اليها جيش دائم يهاجم شعبا مسلحا ، لانه يضطر في هذه الحالة الى توزيع قواته توزيعا أوسع ، ويزداد اعتماد كل جزء فيه على نفسه . فلو استطاع الجيش أن يبقى مركزا ومحشودا ، فان لعبقرية القائد أهمية اكبر في تعويض ما نقص من روح الجيش . وبصورة عامة ،، نحتاج الى الفضيلة الحربية أكثر كلما انتشرت القوات ،، وأثر مسارح العمليات وبعض الحوادث العارضة في الحرب فجعلتها حربا معقدة .

والدرس الوحيد الذي يمكن استخلاصه من هذه الحقائق ، هو ما يلي : عندما تنعدم هذه الصفة في جيش من الجيوش ، لابد من أن تبذل كل الجهود لتنظيم الحرب وتسهيلها قدر الامكان ،، أو أن تضاعف اهتمامنا بنقاط أخرى من الاسلوب العسكري ، وأن لا ننتظر من مجرد أسم الجيش الدائم انجازات لاتنتج الا عن الشيء نفسه .

لهذا يمكن أن نقول أن الفضيلة الحربية هي من أهم قوى الجيش المعنوية في الحرب . وعندما تنعدم هذه الفضيلة لا بد من قوة تحل محلها ، كتفوق القائد وتميزه ، أو حماسة الشعب .

أن كل الامجاد تولدها هذه الروح وقيمة الجيش الحقيقية هذه . ولقد أعطت الشعوب بقيادة عباقرتها العسكريين برهانا ساطعا على ذلك . ومن ينكر هذه الانتصارات العجيبة التي حققها هؤلاء القادة والعظمة التي برهنوا ع

في اصعب الظروف ، ومن يرفض ردها الى هذه الصفات العسكرية ، يكون كمن يغمض عينيه عامدا متعمدا أمام الشواهد التاريخية .

ولا يمكن أن تنبعث هذه الروح الا من منبعين لا يستطيعان توليدها الا معا . أما المنبع الاول فهو سلسلة من الحروب والانتصارات ، والمنبع الثاني هو نشاط الجيش الذي ينبغي أن يدفع الى أقصى حد من الجهد . وعندئذ يستطيع المحارب أن يتعلم بذل كل قواه . وكلما كبر الجهد الذي يطالب القائد به جيشه ، كلما ازدادت ثقته بالحصول عليه . ويعتز الجندي نفسه بتخطي الصعاب أكثر من اعتزازه بالفرار من المخاطر . فالنشاط والجهد المستمران هما اللذان تتكون منهما "أذن الارض التي تتفتح فيها هذه البذرة "، الا إنها تحتاج أيضا الى شمس النصر المشرقة . وعندها تنمو هذه الروح وتصبح شجرة قوية ، فهي تقاوم اسوأ الهزائم والانكسارات "، كما تقاوم العطالة وعدم العمل في من زالسلم . اذ لا يمكن ولادة هذه الروح الا في الحرب ، وفي مدر القادة الكبار ، ولكن من الممكن استمرارها بعد ذلك عدة أجيال تحت قيادة قادة متوسطين .

وليس هناك أي مجال للمقارنة بين روح القطعة هذه ، النبيلة الواسعة الامتداد التي يتمتع بها محاربون مجربون عجمت عودهم الحرب ، وغطت اجسادهم جراحاتها ، وبين الغرور والكبرياء في جيوش دائمة تدين بتماسكها وانسجامها لانظمة الخدمة والتمارين . وقد تطيل الهيبة والانضباط الصارم بقاء الفضيلة العسكرية في جيش من الجيوش ، ولكنها لا تستطيع خلقها . وتحتفظ هذه الهيبة كما يحتفظ هذا الانضباط دوما بقيمة معينة ، الا أن علينا أن لا نبالغ في تقديره . فالنظام والتربية والارادة الطيبة وبعض الكبرياء والمعنويات الممتازة ، تلك هي صفات جيش مدرب أثناء السلم ، تلك الصفات التي ينبغي تقديرها ، الا أنها لا تتمتع بأية قيمة في حد ذاتها "، فالمجموع يدعم المجموع ، وهو كالكأس الزجاجي ، اذا برد دفعة واحدة وكان به شق يسيط كفى هذا الشق لتحطيم المجموع . وعند أول عثرة أو أية ثغرة تتحول أقوى المعنويات بسرعة الى جبن ، ويجتاح الخوف كل مكان ، ويبدأ عندئذ الفرار الذي يحاول فيه كل أمرىء النجاه بنفسه . ولو حقق مثل هذا الجيش نصرا كبيرا فانه مدين به حتما لقائده ، ولا يعود هذا النصر للجيش نفسه . وينبغي أن يقاد مثل هذا الجيش بحكمة نادرة المثال حتى يستطيع ، رويدا رويدا وعبر التجارب والانتصارات التغلب على كل هذه الاوهام . فلنحترس اذن من الالتباس بين معنويات جيش من الجيوش او عقليته الفكرية .

## الفصل السادس

# الاقدام

لقد عرّفنا دور الاقدام ومكانه في الجهاز الديناميكي للقوات حيث يقف الاقدام وجها لوجه أمام الحذر والحيطة . كما بيّنا أن ليس من حق النظرية أن تقلل من أهميته ومع ذلك ، ينبغي أن نعتبر ايضا هذه القوة الدافعة النبيلة كمبدأ خاص عامل ، لان النفس البشرية تقتحم أسوأ المخاطر بفضلها . ولو تساءلنا عن النشاط البشري الذي يطالب الاقدام بحق الاستيطان فيه لوجدنا أن هذا النشاط البشري هو الحرب .

ان الاقدام هو أفضل فضيلة يمكن أن يتسم بها كل فرد مقاتل ، من الجندي البسيط حتى القائد العام ، فهي المعدن الجيد الذي يعطي السلاح مضاءه وبريقه .

وللاقدام في الحرب **مزايا** خاصة . ففضلا عن نتائج الحساب المتعلق بالزمان والمكان والنوعية ، هناك نسبة مئوية اضافية للاقدام ، يستخلصها من ضعف الخصم ، في كل مرة يبدو الاقدام فيها متفوقا . والاقدام قوة خلاقة حقيقية . وليس من الصعب البرهان على ذلك ، حتى من الناحية الفلسفية . وكلما التقى الاقدام بالجبن ، كلما زادت فرص نجاحه وانتصاره ، لان الجبن هو في حد ذاته نوع من انعدام التوازن . ولكن الاقدام لا يتراجع الا عندما يصطدم بالتعقل أو الحذر الواعي الذي نميل الى اعتباره نوعا من **الاقدام** ، لان التعقل مواز في قوته وشدته للاقدام . الا أن هذه الحالات نادرة ، ففي المجموعة الكبرى من العاقلين توجد اغلبية كبرى تعلقت بدافع الخوف .

وفي داخل الجماهير أو الكتل الواسعة ، نجد أن الاقدام قوة لا يضير كمالها وتحسينها القوى الاخرى ، لان الكتل الواسعة ترتبط بارادة اعلى من ارادتها بواسطة الملاكات وبنية القتال والخدمة . فهي بالتالي يوجهها ويقودها ذكاء غريب عن ذكائها . والاقدام يشبه في هذه الحالة النابض الجاهز للوثوب عند أقل تراخ .

وكلما ارتفعت الرتبة ، كلما أضحى من الضروري أن يرافق الاقدام التفكير ، كي لا يصبح الاقدام عقيما أو جموحا أعمى ، لان ارتفاع الرتبة يزيد من ضرورة الحفاظ على حياة الآخرين ، وعلى خير المجموع ، لا على التضحية بالنفس . وفي الكتل الكبرى ، كل ما تنظمه الخدمة التي أصبحت طبيعة ثانية ، ينبغي ان يكون هو نفسه ، لدى القائد ، منبعثا عن التفكير (١) ، وعندئذ يصبح الاقدام في عمل واحد خطأ ولكنه خطأ غير قبيح . وانه لجيش سعيد ، ذلك الجيش الذي يتكرر فيه الاقدام . حتى ولو كان التكرار في أوقات غير منتظرة أو ملائمة. ولا يجوز ازدراء عمل جريء ، أي لا يجوز ازدراء الاقدام الطائش ، لان في أعماقه القوة الروحية نفسها ، الا أنها تمارس عملها ممارسة عاطفية عند غياب أي تحكم للعقل . ولكن ينبغي معاملة الاقدام على أنه شر خطير عندما يرفض الخضوع لمنطق العقل ، كما يرفض الخضوع بازدراء لسلطة أعلى منه ، وعلينا أن نعامله على أنه شر خطير ، وان نحاربه ، لا لسببه ذاته ، بل لانه يرتكب خطأ عدم الطاعة ، ولا شيء في الحرب أهم من الطاعة .

وعلى درجة متساوية من الذكاء يحدث الخوف من الخسائر ما يربو ألف مرة على ما يحدثه الاقدام . ونحن لا نصوغ هذه الحقيقة الا لنثق من موافقة القاريء عليها .

---

(١) ان الشجاعة هي في المرتبة الاولى من فصائل القائد الحربية . فلكي يعلم القائد جنوده كيف يموتون ، لا بد له من أن يضرب المثل ، أي أن يتعرض للموت معهم . ان عيون الجنود تشخص الى القائد في ساعات الخطر ، فلهيبته وهدوئه وسيطرته على نفسه أثر كبير فيهم . وليست الشجاعة المطلوبة للقائد هي الشجاعة البدنية ، بل الشجاعة المعنوية ، انها شجاعة اتخاذ القرارات الحاسمة ، وتنكب المسؤوليات . واتساع الحكم وسداده مع التحلي بقوة النفس .

( المترجمان )

وقد ينبغي لتدخل هدف معقول أن يجعل الاقـــدام أكثر يسرا ، وان يقلل بالتالي من قيمته الذاتية ، ومع ذلك فالعكس هو الصحيح .

أن تدخل الفكر الواضح ، أو بالاحرى ، أن سيادة العقل تسلب من كل القوى الانفعالية جزءا كبيرا من عنفها . ولهذا يصبح الاقدام أكثر **ندرة كلمـــا ارتفعنا في سلم الرتب** ،وحتى عندما لا يكون الحس السليم والذكاء متناسبين مـــع هـــذه الرتب ، فان **المعطيات الموضوعية والظروف والعلاقـــات** تفرض نفسها من الخـــارج على قـــادة مختلف المستويات بقـــوة ومقد ر يبلغان مبلغا **يزداد معه عبئهم ، كلما تناقض العبء الجاثم على ذهنهم** . وهذا هو ، في الاساس مـ يستتند اليه في الحرب حقيقة المثل القائل بأن هناك من يلمعون في الصف الثانـــي ولا يظهرون أي تفرق في الصف الاول . ويكاد يكون جميع القـــادة الذين قدمهم التاريخ لنا كقواد عاديين مترددين ، قد تميزوا في مستويـــات دنيـــا باقدامهم وتصميمهم .

وينبغي التمييز في أسباب عمل مقدام قمنا به تحت ضغط الضرورات . فلهذه الضرورات درجات متفاوتة من الشدة . فاذا كانت الضرورة مباشرة ، وكان على الشخص القائم بالعمل أن يتعرض لاخطار كبرى لكي يسير نحـــو هدفه ، ولكي يتحاشى أخطارا أخرى كبيرة أيضا ، فاننا عندئذ نعجب أشـــد العجب بتصميمه الذي لا يخلو من قيمة ووزن . وعندما يقفز فتى من فـــوق هاوية كي يظهر براعته كفارس ، فهو يبرهن عن بسالة واقدام ، وعندما يقوم بالعمل ذاته لان جماعة من الانكشاريين تطارده لتقطع رأسه ، يكون مصممـــا فقط ، ولكن كلما كبر ت المسافة بين الضرورة والعمل ، وكلما تعددت الظروف التي ينبغي للفكر أن يجتازها كي يعيها ، كلما نقص تأثيرها السيء على الاقدام .

ومع أن الاستراتيجية تراث القواد العاملين ، أو القادة الكبار في أعـــلى المناصب ، فان اقدام كل عناصر الجيش الاخرى لا تهتم لـــه الانستراتيجيـــة الا قليلا وكذلك شأنها في الفضائل العسكرية الاخرى . ومن الممكن أن نباشر من الاعمال ، بجيش يجند من شعب مقدام ،، ترعرع فيه الاقدام دائما ونما ، ما لا

نستطيعه مع جيش يجهل هذه الفضيلة . ولهذا لابد لنا من الضروري ان نذكر هذه الفضيلة بالارتباط مع الجيش . الا أن هدفنا الحقيقي هو البحث عن اقدام القائد (١) .

وكلما ارتفعنا في الهرم التيلسلي للرتب ،ارتفعت مكانة الفكر والذكاء وفهم العمل ، وأعيد الاقدام الذي هو ميزة من ميزات الطبع الى المقام الثاني. ونادرا ما نعثر على هذه الصفة في المستويات العليا . ولكنها توحي عندئذ بمزيد من الاعجاب . فالبسالة التي يوجهها ذكاء متحكم هي علامة البطل . ولاتشتمل مثل هذه البسالة عندئذ على اعمال جريئة مضادة لطبيعة الاشياء ولا على خرق مباشر لقوانين الاحتمالات . أنها على العكس تجيء بقوة لتدعم هذا الحساب الكبير الذي تقوم به العبقرية في لمح البصر ، وتدعم التقدير الغريزي الذي يقود بصورة لاشعورية الى العمل الحاسم . وكلما أعطت البسالة أجنحة للفكر والفهم ، كلما حلقت عاليا واتسعت رؤيتها وصحت النتيجة . ولا ننسى مع ذلك أنه كلما كبر الهدف ، كلما ضخمت الاخطار التي يشتمل عليها . وازدادت الضغوط المعنوية الواقعة على كاهل الشخص المسؤول عن تحقيق هذا الهدف .

اننا نعتقد اذن أن من المحال تخيل ضابط أو قائد ممتاز لا يتميز بالاقدام ، أي أن شخصا غير موهوب منذ ولادته بقوة هذا المزاج الخاصة ، لا يمكن أن يصبح قائداً ، لاننا نعتبر هذه القوة الشرط الاول لمثل هذه المهنة . والمسألة الثانية هي معرفة ما يتبقى من هذه القوة الموروثة التي تنمو وتتطور نتيجة تربية الحياة عندما يصل الانسان الموهوب بها الى مركز القيادة . وكلما احتفظت هذه القوة بحيويتها كلما ازداد جناح العبقرية قوة وارتفع تحليقها .

---

(١) استقى الجنرال جان بيرية هذه الفكرة من كلاوزفيتز ، وطورها ودعمها بالشواهد التاريخية وأكد أنه لا يمكن لجيش أن يحارب بصورة جيدة وببسالة ، اذا لم يزوده شعبه بالرجال القادرين على التضحية .. وكذلك فان أي جيش لا يحس بالتلاحم الوثيق بينه وبين شعبه ، ولا يسمع وهو يذهب الى ساحات القتال صلوات ودعوات كل الشعب ، المبتهل الى الله بانتصاره ، اذا لم يسمع هذه الصلوات ، واذا لم يكن متلاحما كلا التلاحم مع الشعب ، فهو جيش لن ينتصر . كما أن القائد لا يمكن أن يكون قائدا بكل معنى الكلمة ، اذا لم يكن عميق الجذور في شعبه وقطعته وجيشه .

( المترجمان )

ان الخطر يتزايد دائما ولكن الهدف ينمو في الوقت نفسه . فسواء أكان سلوك القائد نابعا من ضرورة بعيدة تحدد له اتجاهه بطابع معين ، أو انه يتوصل الى النقطة الحساسة للبناء الذي اقامه طموحه الفائق ، فان الامور تستوي بالنسبة للاستقصاء الناقد . واذا أثار الاحتمال الثاني الخيال بصورة أكبر بفضل اقدامه الفائق ، فان الاحتمال الاول أدعى للارتياح ، لانه يستجيب لضرورة أعمق .

يبقى علينا تقدير ظرف هام .

فقد يسود الاقدام في جيش من الجيوش ، اما لانه صفة من صفات الشعب واما لانه ثمرة حرب سعيدة قادها ضباط تحلوا بالاقدام . وفي هذه الحالة لا وجود للاقدام في البدء .

ولكن لا سبيل في هذا العصر لتربية روح الشعب في هذا الاتجاه إلا بالحرب، على أن نقودها بجراة . أن الحرب هي السبيل الوحيد لوضع الحواجز أمام الميوعة ، وأمام السعي وراء الشعور بالارتخاء والراحة ، هذا الشعور الذي يفسد شعبا يكون لديه الرخاء ووسائل المواصلات والنشاط التجاري في تقدم مطرد .

ولا يمكن لشعب أن يأمل ذات يوم باحتلال موقع قوي في العالم السياسي الا اذا كان لخصائصه القومية ولاعتياده الحرب تأثير متبادل ومستمر (١) .

* * *

---

(١) يقول فوفينارج في هذا الصدد ما يلي : « ان السلم الذي يحد من المواهب ، ويضعف الشعوب ، ليس شيئا حسنا بالنسبة للأخلاق ، ولا بالنسبة للسياسة » وهو يقول أيضا : « ليس هناك من مجد قد تحقق بدون سلاح » .

( المعربان )

## الفصل السابع

# الصمود

تجري الامور في الحرب بشكل مخالف لما تفترضه مسبقا . وتتخذ الاشياء فيها عن قرب مظهرا يختلف عن مظهرها عن بعد ، ويجد قائد المجموعة الكبيرة نفسه خلال الحرب وسط دوامة من المعلومات الخاطئة والصحيحة ، واخطاء ارتكبت بتأثير الخوف والاهمال او التسرع ، كما يجد نفسه وسط اعمال مستقلة ناتجة عن رأي خاطىء او صحيح ، وارادة سيئة ، وشعور بالواجب جرى التعبير عنه بصورة جيدة او سيئة ، وكسل او انهاك ، وظروف لم يفكر فيها احد . وبالاختصار ، يتعرض هذا القائد الى مائة الف انطباع ، يثير معظمها قلقه على حين يطمئنه منها ويشجعه عدد قليل . غير ان تجربة طويلة في الحرب تتيح اكتساب القدرة على وزن كل هذه الحوادث بسرعة ، واعطائها قيمتها الحقيقية . وتكفى الشجاعة وقوة النفس لمقاومة هذه الانطباعات كما يقاوم الصخر امواج البحر المتلاطمة . ولا يقود القائد الذي يخضع لهذه الانطباعات اي مشروع من مشاريعه نحو النجاح . ولهذا يكون الصمود في العمل الذي شرع فيه وزنا معاكسا ضروريا ، ما دامت لا تدخل اسباب اخرى قاهرة باتجاه معاكس . ثم ، ليس هناك انتصار مجيد بلا جهود وعناء وحرمان . والكائن الطبيعي والمعنوي مستعد دوما للاذعان . ولكن القدرة التي يعبر عنها ثبات يدهش العالم والاجيال الاتية ، هي التي تقودنا الى الهدف .

* * *

# الفصل الثامن

## التفوّق العددي

يعتبر التفوق العددي من وجهة نظر التكتيك والاستراتيجية اكثر مبادىء النصر شمولا . ولذلك سنبحثه في بادىء الامر من وجهة النظر العامة هذه . وسنلجأ من اجل ذلك الى الشرح التالي :

تحدد الاستراتيجية مكان القتال وزمانه والقوى الضرورية لخوضه . ويزودها هذا التحديد الثلاثي ( اين ؟ ومتى ؟ وكيف ) ، بتأثير اساسي في نتيجة القتال . فعندما يخوض التكتيك القتال ، ويحصل على النيجة نصرا او هزيمة ، تستخدم الاستراتيجية هذه النتيجة قدر استطاعتها طبقا لهدف الحرب النهائي . ويكون هذا الهدف في غالب الاحيان من أبعد الاهداف ، ومن النادر ان يكون في متناول اليد . ويتبع هذا الهدف سلسلة من الاهداف الاخرى التي تعمل بالنسبة اليه كوسائل . وقد تتغير هذه الاهداف عمليا ، فهي في الوقت نفسه وسائل لبلوغ اهداف اخرى . ويختلف الهدف النهائي نفسه ، وهو هدف الحرب كلها ، بين حرب واخرى . وسنتعرف كل هذا كلما تعرضنا لمختلف الاغراض المتعلقة بها ، لاننا لاننوي أن نبحث هنا كل الموضوع بتعداد كامل ، حتى ولو كان ذلك في استطاعتنا . وبناء على هذا سنبعد الاشتباك مؤقتا .

ان الامور التي تمارس الاستراتيجية بفضلها تأثيرها في نتيجة الاشتباك ليست من البساطة بحيث يمكن فهمها بتحليل واحد . وتستطيع الاستراتيجية بتحديدها الوقت والمكان والقوات ، أن تتخذ قرارات عملية مختلفة جدا ، يؤثر كل منها في نتيجة الاشتباك وفي نجاحه . وسنتعرف هذه الاشياء تدريجيا ، اي عندما نصل الى المسائل المتعلقة بالنواحي العلمية بصور خاصة .

فاذا جردنا الاشتباك بهذا الشكل من كل التعديلات التي قد تطبعه بهــا دوافعه والشروط التي نجم عنها ، واذا جردنا اخيرا قيمة القطعات التي تعتبر عاملا محددا معينا ، لايبقى الا مفهوم الاشتباك البسيط اي لا يبقى الا مفهــوم قتال لا أسلوب له ولا نذكر منه سوى عدد المقاتلين .

ان عدد المقاتلين اذن هو الذي يحدد النصر . الا أن التجريدات المتعــددة التي اضطررنا للقيام بها للوصول الى هذه النتيجة تبرهن على ان التفوق العددي لا يجعلنا قادرين على ربح كل شيء ، أو الشيء الاساسي على الاقل ، فالتفوق لم يجعلنا نتقدم خطوات كبرى ، لان أهميته تتوقف على الظروف المرافقة له .

ثم ان التفوق العددي ، يشتمل على درجات ، فقد يكون تفوقا بضعفين او بثلاثة أو أربعة أضعاف الخ .. ويفهم كل الناس أن تفوقا كهذا قادر علــــى سحق كــل شيء .

وفي هذه النقطة ، ينبغي أن نعترف أن التفوق**العددي**هو اهم العوامل في نتيجة الاشتباك ، على أن يكون كبيرا الى حــد مــا ، كــي يوازن الظــروف الاخرى . ومن هنا يمكننا أن نستنتج أنمن الواجب **تكتيل أكبر عدد من القطعات في النقطة الحاسمة من الاشتباك .**

وبعد ذلك ، سواء أكانت هذه القطعات كافية أم لا ، فنحن من هذه الناحية قمنا بما كان في استطاعتنا أن نقوم به . ذلك هو المبــدأ الاستراتيجي الاول . وهذا المبدأ ، بالشكل العام الذي قدم به ، يلائم جميــع الجيوش ولكننا سنقتصر بحثنا على الشروط العسكرية في اوروبا .

تتشابــه الجيوش في أوروبا ، اكثــر ما تتشابه ، في التجهيــز والتنظيم والمعلومات الفنية من كل نوع . أما الفروق القائمة بينها ، فتمت الى صفــات الجيوش العسكرية ، والى موهبة القائد العــــام . واذا استعرضنا التاريــخ العسكري لاوروبا الحديثة ، لم نجد فيه آية معركــة مشابهة **لمعركة ماراتون .**

كما لم نجد فيه عددا كبيرا من المعارك التي انتصر فيها جيش صغير على جيش اكبر عددا بكثير .

كل هذا يثبت جيدا انه يصعب على أكثر القادة موهبــة في أوروبا الحالية

انتزاع النصر من جيش اقوى منهم بضعفين . واذا رأينا قوى مقاتلة تفوق خصمها ضعفين ، تلقى بمثل هذا الثقل في الميزان ضد ابرز القادة ، فمما لا شك فيه ،أن مثل هذا التفوق في الاشتباكات الصغيرة أو الكبيرة ، يكفي لضمان النصر حتى عندما لا يتجاوز هذا التفوق الضعف ، أو عندما تكون الظروف الاخرى غير ملائمة . وفي الحقيقة يمكن ان نتخيل مضيقا جبليا لا يستطيع الخصم المتفوق بعشر مرات قهر القوات المتحصنة فيه ، وفي هذه الحالة يمكننا ان لا نتكلم عن الاشتباك أبداً .

وهكذا نصل الى القول ، أن القوة التي نزج بها في النقطة الحاسمة ذات أهمية رئيسية في الشروط التي نعيشها ، وفي الشروط القريبة من شروطنا . وفي الحالات العامة ، يعتبر هذا العامل بلا شك أهم العوامل . وتتعلق القوة المتأهبة في النقطة الحاسمة بالقوة المطلقة للجيش ، وبالمهارة التي تستخدم فيها هذه القوة . والقاعدة الاساسية هي اذن الدخول في المعركة بجيش قوي قدر الاكان . وهذه حقيقة بدهية ، لكنها لم تحترم دائما وفي جميع الحالات .

واذا كنا مقتنعين قناعة تامة بأن تفوقا عدديا هاما يتيح الحصول على كل شيء في معركة رائعة ، فان هذا الاقتناع لا بد من أن ينعكس على تحضيرات الحرب ، لاننا نريد دوما أن نفرض أنفسنا بأقوى قوة ممكنة والحصول على التفوق او التحصن على الاقل ضد تفوق الخصم . وهذا ما يمكن أن نقوله عن القوة المطلقة التي ينبغي أن تقاد الحرب بها .

تحدد الحكومة حدود هذه القوة المطلقة ، على الرغم من أن هذا التحديد هو بدء النشاط الحربي نفسه ، ويكون جزءه الاستراتيجي الاساسي . وينبغي للقائد الذي سيدير قوة القتال هذه أن يعتبر حجمها المطلق ككمية معينة ، سواء لانه لم يتدخل في تحديدها او لان الظروف لم تسمح له باعطائها الحجم الكافي .

**وعندما يكون من المستحيل بلوغ تفوق مطلق ، لا يبقى عندئذ امامه الا أن يؤمن لنفسه تفوقا نسبيا في النقاط الحاسمة بفضل استخدام القوات استخداما صحيحا .**

ويبدو تحديد الزمان والمكان في هذا الصدد أهمُ الاشياء . ولهذا كنا منقادين الى اعتبار هذا العامل في الاستراتيجية عاملا يكاد يغطي وحده كل فن استخدام القوات العسكرية . وقد سرنا في هذا المضمار الى درجة عزونا فيها الى بعض القادة الكبار وظيفة فكريـــة خاصة متلائمة مع هـــذه المطالب في الاستراتيجية والتكتيـــك .

ان تنسيق الزمان والمكان هو قاعدة كل شيء ، وهـــو خبز الاستراتيجية اليومي ، الا انه على كل حال ليس أصعب مهمات الاستراتيجية ، او أكثرها حسما .

واذا تصفحنا التاريخ العسكري من وجهة نظر حيادية ، رأينا أن الحالات التي كانت فيها اخطاء حسابية من هذا النوع سببا في خسائر كبـــيرة ، هي في الواقع حالات نادرة جدا في الاستراتيجية على الاقل .

ان تقدير الخصم تقديرا صحيحا ، والمغامرة بمجابهة الخصم لمدة ما مـــن الزمن بقوة قتال بسيطة ، والشجاعة الضرورية للقيـــام بمسيرات طويلـــة ، والجرأة على انقضاض سريـــع ، وفعالية متصاعدة هي من ميـــزات النفوس الكبيرة في ساعة الخطر ــ تلك هي اسباب هذه الانتصارات . فما علاقتها بالقدرة على التنسيق بصورة صحيحة بين شيئين بسيطين كالزمان والمكان ؟

ان التفوق النسبي ، وهو حشد قوات متفوقة في النقاط الحاسمة ، حشدا ماهرا ، يرجع غالبا الى تقرير هذه النقاط تقديرا صحيحا ، والتوجيـــه الملائم الذي تتلقاه القوات عن هذا التقدير منذ البدء ، والى التصميم علـــى التضحية بالاشياء الثانوية في سبيل تحقيق هدف اساسي ، أي الى اكثر حشد للقوات . هذا هو ما ميز فريدريك الكبير وبونابرتَ .

هكذا نعتقد اننا رددنا للتفوق العددي اهميته الحقيقية . وهذا ما ينبغي اعتباره الفكرة الرئيسية ، وان نسعى اليه دائما وقبل كل شيء آخر .

ومع ذلك قد نخطىء خطأ جسيما في اتجـــاه تحليلنا لو رأينـــا في التفوق العددي شرطا لا غنى عنه للنصر . وان النتيجة الواجب استخلاصها من عرضنا

لا تشتمل على اكثر من تأكيد أهمية حجم قوات القتال في الاشتباك . ويكفي أن نجعل هذه القوة كبيرة قدر الامكان لكي نحترم المبـــدأ . والشروط العامة هـــي وحدها التي تسمح بالقول اذا كان ينبغي تجنب الاشتباك أم لا ، بسبب عدم كفاية القوات عـــدديا (١) .

* * *

---

(١) ما زال تحليل كاوزفيتز يحتفظ بكل قيمته حتى الان فيما يتعلق بالتفوق العددي . فليس الفوق اعددي ، في الحرب الميكانيكية الحديثة ، او في الحرب الذرية ، الشرط اللازم الوحيـد للنصر ، اذ لا بد من تفوق شروط اخـرى . ولكـن التفوق العددي ضـروري في النقطة الحاسمة لخرق الدفاع والتغلب على الخصم ، وقد ثبت ان تفوقا عدديا وناريا يعادل ثلاثة اضعاف هو تفوق كاف للخرق والتغلب على الخصم . الا ان هنـاك معارك في الحـرب العالمية الثانية احتاجت الى تفوق محلي يعادل عشرة الى واحد . ومن الواجب هنا أن نشير الى أن القوات الجوية الحديثة ، والقـوى المعنوية العاليـة والقيادة الحازمـة الفعالة ، والمفاجأة والخدعة والتدريب والمعلومات ، واسبابا عديدة اخرى ، ترفع مـن نسب هذا التفوق ، وتحقق النصر حتى في حالة تعادل ميزان القوى المادي .

( المترجمان )

## الفصل التاسع

# المفاجأة

تولد الارادة العامة لبلوغ تفوق نسبي ارادة اخرى من طبيعة عامة ايضا ، هي مفاجأة العدو . فمفاجأة العدو هي بشكل أو بآخر أساس كل المشاريع العسكرية ، وبدونها لا يمكن فهم التفوق في نقطة حاسمة (١) .

والمفاجأة ، بناء على ذلك ، وسيلة اكتساب التفوق العددي ، ولكن اثرها المعنوي يدفعنا الى اعتبارها مبدءا مستقلا . وعندما تنجح المفاجأة ، فانها تنشر الارتباك ، وتحطم شجاعة الخصم . والامثلة على ذلك كثيرة ، وتظهر كلها سواء أكانت امثلة صغيرة أم كبيرة الى أي مدى يمكن للمفاجأة أن تضاعف النجاح . وليست المفاجأة التي أقصدها هي المفاجأة عند الاغارة التي هي جزء من الهجوم ، ولكنها ارادة مباغتة العدو وبالتدابير العامة التي نتخدها لا سيما بالطريقة التي نوزع بها قواتنا . ويمكن ملاحظة ذلك وفهمه في الدفاع ايضا ، فللمفاجأة أهمية كبرى في الدفاع التكتيكي .

وقد قلنا أن المفاجأة هي أساس كل المشاريع بلا استثناء ، ولكن درجتها تختلف حسب طبيعة المشروع والظروف المرافقة له .

ويعتبر الكتمان والسرعة العاملين الفعالين في تحقيق المفاجأة ، لانهما يفترضان قدرة كبرى لدى الحكومة والقائد العام ، وحسا عميقا بالواجب

---

(١) يمكن تحقيق المفاجأة في الحرب بخدع العدو عن زمان أو مكان المعركة ، أو باستخدام سلاح حديث او باستخدام سلاح معروف باسلوب جديد ، أو باللجوء الى تكتيكات جديدة وتعتبر الخدعة والسرعة والسرية أساس كل مفاجأة .

( المترجمان )

العسكري من جانب الجيش . ومن العبث المغامرة بضربة مفاجئة عندما تسود الميوعة والمبادىء المتراخية بين القوات . والسعي الى المفاجأة أمر ضروري ، ومن حقنا أن نعتبر أن لها رد فعل معين ، ولكن نجاحها نجاحا كاملا أمر استثنائي ، وهذا ناجم عن طبيعتها ذاتها . لذلك من الخطأ الاعتقاد بأن هذه الوسيلة هي أفضل الوسائل لبلوغ ما نريد في الحرب . وفكرة المفاجأة فكرة مغرية جدا ، الا ان عمل الآلة الحربية كلها يجعلها تفشل في معظم الاوقات .

وتكون المفاجأة بالاحرى جزءا من ميدان التكتيك ، لسبب بسيط هو أن كل معطيات الزمان والمكان اقصر بكثير في هذا المجال . أما في الاستراتيجية ، فيزيد امكان تحقيق المفاجأة كلما اقتربت التدابير المتخذة من المجال التكتيكي ، وتزيد صعوبة هذه التدابير ، كلما ارتفعت هذه الوسائل الى مستوى السياسة (١) .

وتتطلب تحضيرات الحرب بصورة عامة عدة أشهر ، كما يتطلب حشد القوات على المواقع الرئيسية ، اقامة مخازن ومستودعات ، ومسيرات هامة من الممكن توقع اتجاهها مسبقا .

فمن النادر اذن أن تفاجىء دوله ما دولة أخرى بالحرب أو بالتوجيه العام لقواتها . وفي القرنين السابع عشر والثامن عشر ، عندما كان الحصار هو المحور الأساسي للحرب ، كان التطويق غير المنتظر لموقع محصن هدفا متكررا يكون فصلا خاصا وهاما في فن الحرب ، فحتى في ذلك الوقت لم يكن هذا الحصار غير المتوقع ينجح الا نادرا .

وعلى العكس ، يمكن ادراك المفاجأة بشكل أفضل ، عندما يتعلق الموضوع بأشياء قابلة التنفيذ بين عشية وضحاها . وهنا أيضا ، ليس من الصعب في غالب الاحيان ، اخفاء مسيرة عن العدو ، أو موقع ، أو نقطة معينة من مكان أو طريق الخ .. ومع ذلك ، فمن الطبيعي أن ماتربحه المفاجأة بسهولة ، تفقده

---

(١) يمكن تحقيق المفاجأة الاستراتيجية في عصرنا نظرا لامكانية اجراء حركات سريعة وواسعة بفضل استخدام المدرعات والطيران والقوات المحمولة .. الخ . كما يمكن تحقيق هذه المفاجأة في أية حرب نووية مقبلة . علما بأن المفاجأة في مثل هذه الحرب عامل أساسي جدا .

( المترجمان )

في الفاعلية ، كما أن هذه الفاعلية تزداد في الاتجاه المعاكس . والاعتقاد بأن مثل هذه المفاجأة الصغيرة ، قادرة على أن تكون نقطة انطلاق لأشياء كبيرة ، كمعركة ظافرة أو الاستيلاء على مخزن مهم ، هو اعتقاد بشيء يمكن ادراكه ، الا أن التاريخ لم يؤكده ولم يثبته ، لاننا نادرا ما رأينا أشياء كبيرة تنتج عن مثل هذا الاثر للمفاجأة .

وهنا تبقى ملاحظة تتعلق بجوهر المسألة . ان أثر المفاجأة لا ينجم الا عن تصرفات من يستطيع فرض قانونه على خصمه ، ويفرض هذا القانون عادة الطرف الذي يجيد طريقة العمل . فاذا نحن فاجأنا العدو بخطوة خاطئة عرضنا انفسنا الى هزيمة قاسية بدلا من النجاح . وعلى كل حال ، لن يحتاج العدو في هذه الحالة الى الاهتمام كثيرا بالضربة المفاجئة ، لأن خطيئتها ستتيح له وسيلة تجنبها . ومادام الهجوم يشتمل على أعمال ايجابية أكثر من الاعمال الايجابية في الدفاع ، فأن المفاجأة بلا شك عمل من أعمال المهاجم ، ولكنها عمل لا يخص المهاجم وحده ، ومن الممكن أن نرى ضربات مفاجئة متبادلة من الهجوم والدفاع ، وتبقى الكلمة الأخيرة للضربة الأفضل .

هكذا ينبغي أن تجري الأمور ، الا أن الحياة العملية لا تتمسك بهذا الخط تمسكا دقيقا ، وذلك لسبب بسيط جدا هو ان الآثار المعنوية التي تسببها المفاجأة تحول ، في غالب الاحيان ، أسوأ العمليات الى عملية جيدة تسير لمصلحة القائم بالمفاجأة ، كما أن هذه الآثار المعنوية لا تترك للطرف الآخر الوقت اللازم لاتخاذ قرار ملائم . ونحن نفكر هنا قبل كل شيء بالقواد العامين ، ولكننا نفكر أيضا بكل فرد على حدة ، لأن للمفاجأة أثرا فريدا من نوعه في تفكيك عرى الوحدة الى أقصى حد ، وبشكل تظهر فيه فردية كل فرد أكثر وضوحا وتميزا .

والمهم هنا هو الميزان العام الذي يشمل الطرفين فاذا اتاح التفوق المعنوي العام التفوق على الخصم ، وزرع اليأس في صفوفه ، فان باستطاعة هذا التفوق الافادة من المفاجأة بنجاح أكبر ، كما أن بامكانه جني ثمار عمله في ظروف كان من الممكن في الواقع أن تنقلب عليه .

* * *

## الفصل العاشر

# الخدعة

تفترض الخدعة وجود نية مستترة ، وتتعارض بالتالي مع الموقف المباشر . فليس بين الحيلة ووسائل الاقناع والمصلحة والقوة أية صلة مشتركة . الا أنها تشبه في كثير من جوانبها التضليل او الخداع الذي يخفي نواياه . فالحيلة المنفذة هي في حصيلتها ، تضليل وخداع ، ولكنها تتميز عن ذلك بأنها لا تشتمل على نقض مباشر للعهد الذي تقطعه على نفسها . فالذي يستخدم الخدعة يستدرج الشخص الذي يريد خداعه الى أن يرتكب بنفسه أخطاء فكرية ، تحجب حقيقة الاشياء الماثلة أمام عينيه بصورة مفاجئة . ويمكننا أن نقول بأن الخدعة جولة من جولات المخاتلة تتعلق بالاعمال .

ولأول وهلة يبدو أن الاستراتيجية كانت على حق ، عندما استعارت اسمها من « الستراتاجم » ( الخدعة والحيلة ) . ولقد بقي هذا التعبير متفقا ومتلائما مع أعمق طبيعة للحرب ، رغم كل التحولات الحقيقية والظاهرة التي تعرضت لها الحرب .

فلو تخلينا للتكتيك عن تنفيذ ضربات العنف ، وعن الاشتباكات نفسها ، واعتبرنا الاستراتيجية فن استخدام الامكانات التي تتيحها هذه ، كالطموح العنيف الذي لا يتراخى ضغطه ، أو الارادة الحديدية التي لا تتراجع أمام شيء ... الخ ... لوجدنا انه ليس هناك ما يستطيع ادارة النشاط الاستراتيجي واذكاءه مثل الخدعة . كما أن الرغبة العامة في المفاجأة التي تكلمنا عنها في الفصل السابق تسمح بهذا الاستنتاج ، لأن كل مفاجأة تتضمن درجة معينة من الحيلة ، حتى لو كانت ضعيفة .

ولكن مهما كان ميلنا لرؤية قادة الحرب يتفوقون على بعضهم بالخدعة والمهارة والتظاهرات المخادعة ، فان من واجبنا أن نعترف أن هذه الأمور كانت قليلة في التاريخ ، ولم تر النور الا نادرا في خضم الأحداث والظروف .

ان نشاط الاستراتيجية الوحيد ، هو تنظيم الاشتباكات والتدابير المتعلقة بها . وعلى عكس ما يحدث في الحياة العادية ، فهي لا تعرف أبدا النشاط المشتمل على أقوال بسيطة ، أي النشاط الذي يتضمن خطبا أو تصريحات الخ .. ومع ذلك ، فان هذه الخطب والتصريحات التي لا تكلف كثيرا ، تخدم المحتال والمخادع في تضليل الناس .

وتشبه التصريحات والخطب في الحرب ، الأوامر والخطط المزيفة ، والاخبار الكاذبة التي تنشر كي تصل الى العدو الخ ... ومع ذلك فان هذه الخطط قليلة الفاعلية في مجال الاستراتيجية ، ولا يمكن الاستعانة بها الا في ظروف منعزلة تظهر من ذاتها . فليس هناك مادة لنشاط مستقل للشخص القائم بالعمل .

الا أن دفع تنظيم الاشتباكات الى حد التأثير على العدو يتطلب تبديدا كبيرا للوقت والطاقة . كما أن هذا التبديد يتضخم كلما كبر هدف الرهان . وبما أننا غير مستعدين بصورة عامة ، للقيام بمثل هذه التضحيات بالطاقة والوقت ، فان قليلا جدا من هذه التظاهرات المزعومة ، يتمتع بالأثر المطلوب منها استراتيجيا ، فمن الخطر أن لا تستخدم قوات هائلة ، الا بشكل تظاهري طوال مدة محددة من الزمن ، لأننا نغامر دوما بعقم مثل هذه التظاهرات ، كما نغامر في أن نرى بعد ذلك ، غياب هذه القوات عن النقطة الحاسمة .

ونستنتج من كل ما سبق ، أن القائد بحاجة الى رؤية صائبة وخارقة ، وهي صفة أكثر ضرورة وفائدة من الحيلة .

ولكن كلما ضعفت القوى الخاضعة للادارة الاستراتيجية ، كانت هذه الادارة ميالة الى استخدام الحيلة . حتى أن الطرف الضعيف والصغير ، قد

يجد نفسه مضطرا الى اللجوء للحيلة كملاذ أخير . فكلمـــا كان وضعه سيئا ، دفعه ذلك الى محاولة القيام بضربة أخيرة يائسة ،فتتحد الحيلة لديه مع الأقدام.

وتزيد الحيلة من حدة الاقدام ، كمــــــا يزيد الاقدام من حدة الحيلة زيادة متبادلة ، مع تركيز نور دقيق من الأمل على نقطة واحدة ، ولكنه نور من الممكن أن يزداد توهجا بعد ذلك .



# الفصل الحادى عشـر

# تجمع القوات في المكان

أن أفضل الاستراتيجيات هي أن نكون **دوما أقوياء جدا** ، بصورة عامــة اولا ، ثم أن نكون أقوياء في النقطة الحاسمة . فاذا استثنينا الجهد الضـروري لانشاء الجيوش ، هذا الجهد الذي لا يتعلق دائما بالقائد ، وجدنا أن أعلـــى قوانين الاستراتيجية وأبسطها هو قانون **حشد القوات وتركيزهـــا** . وينبغي أن لا ينفصل جزء من هذه القوات عن الجيش الرئيسي الا اذا كان هناك دافع هام واضطراري يجبره على ذلك . وسنحافظ بحزم على هذا المقياس الذي نعتبــره دليـــلا جديرا بالثقة . وسنرى تدريجيا الدوافع المعقولة لتجزئـــة القـــوات . وسنفهم عندئذ كيف لا يكون لهذا المبدأ النتائج ذاتها ، وكيف تختلف النتائج حسب الغايـــــة والوسائل .

قد يبدو ما أقوله غير معقول ، مع أن القوات المسلحة جزئت وعزلت عن بعضها مئات المرات لاطاعة تقليد غامض ، بدون معرفة السبب الذي دفع الـــى ذلـــك .

فاذا قبلنا مبدأ حشد كل القوات المسلحة كمقياس ، واعتبرنا فصلهـــــا وتجزئتها انحرافا عن المبدأ ينبغي ان يكون له تبريره واسبابه ، اذا قبلنا هذا ، تجنبنا هذه الحماقة ، وقضينا على كثير من أسباب تجزئة القوات وتقسيمها .

* * *

# الفصل الثاني عشر

# جمع القوات في الزمان

الحرب صدام بين قوى متنازعة . ومن هنا ينتج أن الاقوى لا يدمر الخصم الاضعف فحسب ، بل يجره معه في اندفاعه . وهذا ما يستبعد كل اشتباك منسق متتابع للقوات . الا أن استخدام كل القوات في آن واحد ، ابتغاء القيام بصدام واحد يبدو ، على العكس ، القانون الاساسي للحرب .

وهذا أمر واقع ، انما في الحدود التي يشبه فيها القتال ، فعلا ، الصدمة الميكانيكية . ولكن عندما تكون هذه الصدمة تأثيرا او عملا متبادلا متواصلا بين قوات يدمر بعضها بعضا ، يغدو عندئذ عملها المتتابع ( أي بانساق متتابعة ) شيئا قابلا للفهم والادراك . وهذا مايحدث في التكتيك فعلا ، وبخاصة لأن السلاح الناري هو القاعدة الرئيسية لكل تكتيك . غير ان استخدام قوات كبيرة العدد يصبح سيئة من السيئات . فمهما كانت المزايا التي يتيحها التفوق في المرحلة الاولى من الاشتباك ، فان اللحظة التي تليها قد تكون سببا في تكبيدنا خسائر كبرى ، فنضطر الى دفع ثمن غال لهذا التفوق .

ومع ذلك لا يتجاوز هذا الخطر الذي نتحدث عنه **حدود الفوضى ، وحالة التفتت ، والضعف** . وبكلمة واحدة ، لايتجاوز هذا الخطر مضمون **الازمة** الخاصة بكل قتال حتى بالقتال الظافر . وهكذا يبدو أن تدخل قطعة « طازجة » نسبيا في القتال عامل حاسم اذا أخذنا بعين الاعتبار حالة الضعف والتفكك هذه .

الا أن القوات « الطازجة » غير قادرة على اصلاح الخسائر ، عندما يتوقف أثر التفكك الناجم عن النصر ، وعندما لا يبقى الا التفوق المعنوي الذي يسببه كل انتصار ، لأن مد الانتصار سيجرف القوي الاحتياطية في اكتساحه . فالجيش المهزوم لا يمكن أن يصبح جيشا منتصرا في اليوم التالي لهزيمته بفضل احتياط قوي . **وهنا نقع على الاصل الاساسي للفرق بين التكتيك والاستراتيجية.**

ذلك ان النتائج التكتيكية التي تقع **داخل** الاشتباك وقبل نهايته ، **يمت معظمها الى مرحلة التفتت والضعف هذه** . أما النتائج الاستراتيجية ، فهي تلك النتائج التي **تقع خارج نطاق هذه المرحلة** . ونعني بالنتائج الاستراتيجية النتيجة العامة للاشتباك ، والنصر المحرز ، صغيرا كان او كبيرا . ولا تظهر النتيجة الاستراتيجية الا في الوقت الذي تندمج فيه نتائج الاشتباكات الجزئية لتكون كلا مستقلا . وينعدم الوضع المتأزم ( الازمة ) عندئذ ، وتستعيد القوى شكلها الاولى ، لا ينقصها شيء سوى الجزء الذي دمر بالفعل .

ان نتيجة هذا الفرق هي أن في استطاعة التكتيك أن يلجأ الى استخدام متتابع للقوات بينما لا تستطيع الاستراتيجية استخدام القوات الا معا وبآن واحد .

ولا يكون النجاح الأولي في **التكتيك** ، نجاحا حاسما ، اذا أوحت اللحظة التي تليه بالمخاوف . ومن الطبيعي اننا لن نستخدم ابتغاء النجاح الاول قطعات أكثر مما ينبغي ظاهريا لتحقيقه . كما أننا نضع في الوقت نفسه قطعاتنا الاحتياطية بعيدة عن المنطقة النارية المدمرة ، وعن منطقة الالتحام لنستطيع مجابهة قطعات الخصم « الطازجة » بقطعات « طازجة » ، أو لكي نتغلب بهذه القطعات على قطعات العدو المتعبة .

أما في الاستراتيجية ، فليس الحال على هذا المنوال،ذلك لأن الاستراتيجية لا تخشى ، عندما تحصل على النصر ، تحولا بمثل هذهالسهولة (وقد بينا ذلك). لان هذا النصر يعني بالنسبة اليها نهاية الازمة . كما يندر أن تكون كل القوات المستخدمة استراتيجيا قد ضعفت . اذ لا يضعف من القوات عادة الا القوات التي اشتبكت في صراع **تكتيكي** مع العدو ، أي القوات التي دخلت في قتال جزئي ، الا اذا بددنا القوات المستخدمة استراتيجيا تبديدا غير مجد . ومع ذلك ، يقتصر مثل هذا التبديد بالقوى عادة على الحد الادنى منها ، بدون توريط

كل القوى الموجودة في صراع استراتيجي مع الخصم . فالقطعات التي قاتلت قتالا جزئيا ، أو لم تقاتل أبدا بسبب تفوقها العددي ، والتي كان مجرد وجودها في ساحة القتال كافيا لترجيح كفة التوازن ، تبقى كما كانت قبل العمل الحاسم وبعده ، متأهبة للتدخل مرة أخرى كما لو أنها لم تقاتل . ومن البدهي أن تستطيع هذه القطعات التي هي أساس تفوقنا ، المساهمة في النصر النهائي . ومن السهل أيضا أن نفهم كم تستطيع هذه القطعات التقليل من خسائر قواتنا المشتبكة في الصراع التكتيكي .

وما دام ازدياد الخسائر ، في الاستراتيجية وعدد القطعات فيها لا يتوازيان ، بل على العكس تتناقص الخسائر بسبب ازدياد العدد — وهذا ما يحدث غالبا — وما دام احتمال القيام بعمل حاسم احتمالا مؤكدا بالنسبة الينا ( بالاضافة الى تناقص خسائرنا ) ، فمن البدهي أن نستخدم القوات الموجودة تحت تصرفنا في آن واحد .

ولكننا لم نتحدث حتى الان الا عن الاشتباك نفسه ، وهو النشاط الحربي الحقيقي ، انما ينبغي أيضا أن نحسب حساب الرجال والزمان والمكان ، وكلها من عوامل هذا النشاط ولها تأثيرها ايضا .

ويشكل الجهد والتعب والحرمان في الحرب ، مبدأ مدمرا خاصا ، مرتبطا بالقتال الى حد ما . الا أن هذا المبدأ مرتبط بصورةخاصة بالمجال الاستراتيجي. وقد تؤثر هذه الامور لا سيما ( الجهد والتعب الخ .. ) على التكتيك وتدخل في حسابه أيضا ، ولكن ، مادامت مدة الاعمال التكتيكية أقل من مدة الاعمال الاستراتيجية ، فان آثار التضحيات والجهود أقل ظهورا فيها . أما في الاستراتيجية حيث الزمان والمكان أكبر ، فان مثل هذه التضحيات لا تكون محسوسة فحسب ، بل حاسمة أيضا .

فاذا واجهنا في الاستراتيجية دائرة التدمير هذه ، كما واجهنا في التكتيك دائرة النار والالتحام ، استطعنا أن نتخيل أن كل ما هو معرض لهذا التدمير يكون ، في نهاية حملة من الحملات أو مرحلة استراتيجية أخرى ، في حالة من الضعف يصبح معهاوصول قوات « طازجة » عملا حاسما ، فقد نستطيع الاستنتاج انه ينبغي السعي وراء النصر في هذه الحالة ، كما في الحالة الاولى بأقل الوسائل الممكنة ، كي نحتفظ بهذه القوة « الطازجة » للمرحلة النهائية .

ومن الضروري أن لا نخلط بين مفهوم النجدة البسيطة ، ومفهوم قوة « طازجة » سليمة . فهناك كثير من الحملات يتمنى فيها الغالب والمغلوب وصول مزيد من القوات اليه . فنحن لا نتحدث عن مثل هذا ، لأن هذه الزيادة في القوات ليست ضرورية اذا كانت القوات التي اشتبكت في القتال كبيرة جدا منذ بدء المعركة . ومما ينافي ويناقض كل خبرة او تجربة من تجارب القتال القول بأن الجيش الذي يصل من توه الى ساحة المعركة ، يتمتع بقوة معنوية أفضل من القوة المعنوية للجيش الذي كان فوق هذه الساحة قبله . ولكن مما لا شك فيه ان للاحتياط التكتيكي ، في واقع الامر ، قيمة أكبر من قيمة القطعة التي عانت كثيرا من الآلام في القتال . فكما تنتزع المعركة الخاسرة من القطعات شجاعتها وقوتها المعنوية ، كذلك تساهم المعركة الناجحة الظافرة في اعادة هذه الميزات المفقودة اليها ، فتتعوض هذه المزايا والآثار بصورة عامة ، ويغدو اعتياد القطعات على الحرب ربحا صافيا . وأحرى بنا ، بالاضافة الى هذا ، أن نعتبر المعارك الظافرة هنا أكثر من اعتبارنا المعارك الخاسرة ، لأنه اذا كان التوقع الاخير هو أكثر التوقعات صحة ، فذلك لأن القوات غير كافية على كل حال ، وأنه لا يمكن أن يكون هناك أي مجال لافراز جزء منها كاحتياط لاستخدامه في المرحلة التالية .

بعد أن توصلنا الى هذه النقطة ، يبقى علينا أن نعرف ما اذا كانت الخسائر الناجمة عن الحرمان والجهود تتناسب طردا مع المدة الزمنية ( طالت هذه المدة أو قصرت ) ، كما يحدث في الاشتباك أم لا ؟ والجواب عن ذلك هو . . « كلا » . وازدياد الجهود يأتي من ازدياد ميزان القوى وتخفض الجهود الى الحد الادنى عند العمل ضد عدو ضعيف .

اما الحرمان الذي تتعرض له القطعات ، فالامر فيه يختلف عن ذلك بعض الاختلاف . فالحرمان نوعان هما : نقص المأوى بالنسبة للقطعات ، سواء أكانت مخيمات أو معسكرات ملائمة ، ونقص التموين . ومن الطبيعي ان الجيش كلما كان كبيرا ومحتشدا في نقطة واحدة ، زادت هذه الصعوبة . ومع ذلك ، ألا يشكل التفوق في القوات أفضل وسيلة للانتشار وايجاد أمكنة أكثر ، ووسائل عديدة للاعاشة والمأوى ؟ .

يبقى علينا مع ذلك أن ندرس مسألة هامة عندما نكون حيال أشتباك جزئي ، نستطيع تقدير القوات التقريبية الضرورية للحصول على أي نجاح

نستهدفه ، بدون أن نلاقي صعوبات كبيرة في التقدير ، ونستطيع بالتالي تقدير القوى التي ستفيض عن حاجتنا . ولكن مثل هذا العمل ، في المجال الاستراتيجي ضرب من المحال ، لأن النتيجة الاستراتيجية ليس لها هدف محدد ، أو حدود ضيقة كالنتيجة التكتيكية . والقوات التي تبدو في التكتيك فائضة عن الحد اللازم تعتبر في الاستراتيجية وسيلة لتوسيع النجاح اذا اتاحت الفرصة ذلك . وتزداد النسبة المئوية للربح طردا مع حجم النجاح وسعته ، حتى يبلغ التفوق العددي بسرعة ، مستوى لا يتيح تجاوزه مبدأ الاقتصاد الدقيق في القوى .

ان ما أردنا ابرازه هو أن القوة المقاتلة في المجال التكتيكي تتعرض للنقصان بسبب **مدة استخدامها** الحقيقي فقط ، وهكذا يبدو الزمن في هذا المجال كعامل يؤثر في النتيجة ، بينما يتمتع هذا العامل بتأثير أقل في المجال الاستراتيجي . ويقل الاثر المدمر للزمان ، الموجود في الاستراتيجية ايضا بسبب وجود كتل كبرى من القوات ، كما يعوض عن وجوده وتأثيره بوسيلة أخرى . ولا تستطيع الاستراتيجية ان تسعى الى التحالف مع الزمن ، **بوسائلها الخاصة** ، باستخدامها القطاع بنظام متتابع .

وقد قلنا بالتخصيص : بواسطة وسائلها الخاصة أو **فضيلتها الخاصة** ، لان الاهمية التي يستطيع عامل الزمان الحصول عليها بسبب شروط اخرى يحدثها ، الا انها تختلف عنه ، والتي يتخذها بالضرورة بالنسبة للاستراتيجية أو التكتيك شيء مختلف كل الاختلاف .

- والقانون الذي حاولنا استخلاصه هو اذن القانون التالي : **ينبغي ان تكون كل القوات المتأهبة التي تتوخى هدفا استراتيجيا ، مكرسة لهذا الهدف في ان واحد** . ويغدو استخدام القوات بهذا الشكل أكثر كمالا ، عندما تنصب كل جهود هذه القوات لصالح عمل واحد ، في وقت واحد .



# الفصل الثالث عشر

# الاحتياطي الاستراتيجي

للقوات الاحتياطية وظيفتان تتميزان عن بعضهما تميزا واضحا : الاولى هي اطالة القتال وتجديده ، أما الثانية فهي العمل في الحالات غير المتوقعة . وتشمتل الاولى منها على استخدام متتابع للافراد ( وهو ما بحثناه في الفصل السابق ) ، أي استخدام القوات على انساق متتالية . لذلك فهي لا تتم في الميدان الاستراتيجي . والحالات التي توجه فيها قطعة الى موقع من المواقع هو على وشك السقوط بيد العدو ، تمت الى الوظيفة الثانية ، لان المقاومة التي كان يجدر مجابهة الخصم بها لم تكن متوقعة بالقدر اللازم . أما القطعة المخصصة لاطالة القتال وتجديده ، والموضوعة كاحتياط الى الخلف خارج خط النار مع انها تحت أوامر الضابط الذي يقود القتال وتحت تصرفه ، هي احتياط تكتيكي ، لا احتياط استراتيجي .

وفي الاستراتيجية قد تظهر الحاجة الى قوة متأهبة للتدخل ، عندما تواجهنا حالة غير متوقعة . فمن الممكن أذن وجود احتياطي استراتيجي ؛ انما حيث نستطيع استشفاف أوضاعا . أما في التكتيك ، فينبغي أن ننتظر دائما وقوع مثل هذه الحالات غير المنتظرة ، كي نعزز النقاط التي تبدو ضعيفة جدا ، ولكي نستطيع اللجوء الى ترتيب عام لقواتنا المسلحة يتلاءم مع تنظيمات العدو واجراءاته في غالب الاحيان ، بالرؤية المباشرة (١) . فكل غابة صغيرة ، كل ثنية من ثنايا الارض المتضرسة ، قد تكون مسرحا لاخفاء استعداداته .

---

(١) هناك كثير من التدابير التكتيكية التي اصبحت رؤيتها الآن بالعين المجردة غير ممكنة ، حتى من نقطة قيادة الكتيبة أو من مركز قيادة اللواء الامامية ، بل لا بد من الاستعلام عنها وبذل جهود مختلفة كثيرة في سبيل ذلك . ( المترجمان )

وتقع مثل هذه الحالات ، في المجال الاستراتيجي ، لان العمل الاستراتيجي مرتبط بصورة مباشرة بالعمل التكتيكي . وتتخذ كثير من التدابير والاجراءات ، فهي في المجال الاستراتيجي ، نتيجة الرؤية المباشرة لحركات العدو ، وبسبب معلومات غير مؤكدة قد تصلنا بين يوم وآخر ، عندما نطلع على النتيجة الحقيقية للاشتباك . ان الاحتفاظ بجزء معين من القوات كاحتياط ، بغية استخدامه فيما بعد ، شيء ضروري لمقابلة أوضاع نجد أنفسنا فيها في حالة من الشك والغموض بالنسبة للوضع كله . ووجود مثل هذه الاحتياطية شرط لا بد منه للمبادهة الاستراتيجية كي ما تعمل بنجاح تام .

وتحتفظ القيادة دوما بوحدات احتياطية ، في حالات الدفاع بصورة عامة وفي الدفاع عن التضاريس الارضية كالانهار والجبال ( ٢ ) .

وكلما ابتعد النشاط الاستراتيجي عن النشاط التكتيكي ، تضاءل الشك في الوضع ، وأضحت المعلومات دقيقة ، حتى يكاد هذا الشك يزول كله في المجالات التي تجاور السياسة أو تتاخمها .

ولا يمكن أن يعرف أو يكتشف اتجاه الارتال المعادية التي تتجه الى ساحة المعركة الا بالرؤية المباشرة . واذا أرادت هذه الارتال أن تعبر نهرا من الانهار ، نستدل على مكان العبور ونقاطه من التدابير المعادية المتخذة قبل القيام بعملية العبور ذاتها ، كما أن كل الصحف تعلن بصورة عامة عن الجهة التي تستعد منها

---

(٢) يعتبر الدفاع عن الجبال والانهار دفاعا على جبهة عمل واسعة . وفي كل الحالات التى تعمل فيها القوات على جبهة عمل واسعة ، يكون ترتيبها الدفاعي ترتيبا مخففا ويستند الى ما يلي :

١ ــ منطقة مراقبة تمتد على عرض منطقة العمل .

٢ ــ دفاع ثابت مؤلف من « نقاط حيوية » تمسك دفاعيا بالكثافة الطبيعية للدفاع عن جبهة عادية وتكون قادرة على المقاومة والثبات ريثما تشن هجمات معاكسة من الخلف .

٣ ــ من هجمات معاكسة أساسا ، وهي هجمات معاكسة داخلية ، وهجمات محاكمة خارجية تشنها الوحدات الكبرى ، من المستوى الاعلى .

( المعربان )

القوة المعادية لغزو بلادنا قبل اطلاق رصاصة واحدة في حقل المعركة (١) . وكلما كانت الاستعدادات واسعة النطاق ، ضعف امكان المفاجأة في الحرب . فالزمان والمكان كبيران جدا ، كما أن الشروط التي تنبثق عنها العمليات الحربية ثابتة ومعروفة معرفة تجعل النتيجة متوقعة في الوقت الملائم ، أو من السهل اكتشافها على الاقل .

ومن ناحية أخرى ، يغدو استخدام الاحتياط ، في هذه الدائرة الاستراتيجية ، أقل تأثيرا ، كلما كانت الاستعدادات والتحضيرات الحربية واسعة وشاملة .

وقد رأينا سابقا أن النتيجة الحاسمة للاشتباك الجزئي ، لا تكون شيئا في حد ذاتها ، وأن كل الاشتباكات الجزئية لا تجد حلها النهائي الا في نتيجة الاشتباك الشامل .

ومع ذلك ، ليس لنتيجة الاشتباك الشامل نفسه سوى قيمة نسبية تختلف درجتها اختلافا كبيرا باختلاف اهمية القوة التي انتصرنا عليها ، ومقدار ماتبلغه هذه القوة من مجموع القوات العادية . فمن الممكن تعويض الخسارة التي تعرضت لها قطعة من القطعات العسكرية بانتصار الجيش ، حتى انه ليس من الممكن فحسب موازنة هزيمة جيش من الجيوش ، بل من الممكن أيضا تحويل هزيمته الى نهاية سعيدة بانتصار جيش صديق أكبر منه . هذه الحقيقة لاتقبل الشك ، انما من الطبيعي أن وزن كل انتصار هو مستقل استقلالا كاملا ، عندمايكون الجزء المغلوب مهما جدا ، وبالتالي ، فان امكان تعويضي خسارته ، باشتباك ناجح في المستقبل يقل بالنسب ذاتها . وسندرس هذا الموضوع عن كثب في مناسبة أخرى .

وسنضيف الى هذين الاعتبارين الذين بحثناهما الاعتبار التالي الذي نضعه في المرتبة الثالثة . وهو ان الاستخدام المتتابع للقوات ، في المجال التكتيكي ، يرجىء العمل الحاسم الرئيسي الى نهاية العمل الشامل ، بينمايقوم استخدام كل

---

(١) يتم الحصول في الوقت الحاضر على معلومات عن اتجاه الارتال ونوايا الخصم بوسائل كثيرة منها : الرصد الجوي ، وسائل المخابرات على كل المستويات ، وبكثير من الوسائل ..الخ... وتعتبر الرؤية المباشرة غير واردة في العصر الحاضر الا أثناء المعركة .

( المعربان )

القوات في آن واحد ، في المجال الاستراتيجي ، بادخال العمل الحاسم الرئيسي ( الذي لايعتبر العمل النهائي بالضرورة ) في بدء العمل الكبير . وتتيح لنا هذه الاعتبارات الثلاثة اسبابا كافية تدفعنا الى التفكير بعدم جدوى الاحتياط الاستراتيجي ، واعتباره قوة فائضة وخطرة عندما تكون **مهمته مهمة عامة جدا.**

ولكن ليس من الصعب علينا اكتشاف النقطة التي منها ، تبدأ فكرة الاحتياط الاستراتيجي تصبح فكرة متناقضة : انها تكمن في **العمل الحاسم الرئيسي** . فينبغي أن تتعاون كل القوى في هذا العمل . وكل احتياط ( قوات أو أفراد متأهبون ) يخصص للاستخدام ، بعد تنفيذ هذا العمل ، هو احتياط لا معنى له .

ان القوات الاحتياطية لاتتيح في مجال التكتيك وسيلة لمجابهة أعمال العدو، غير المتوقعة فحسب ، بل أنها أيضا تصحح النهاية التي لم نكن ننتظرها في الاشتباك ، اذا كانت نهاية فاشلة . وعلى الاستراتيجية أن لاتلجأ الى هذه الوسيلة ( تصحيح النهاية ) عندما تقوم بالعمل الحاسم الكبير . وكقاعدة عامة ، لا تستطيع الاستراتيجية اصلاح خلل في نقطة من النقاط ، الا بفضل الميزات التي حصلت عليها في نقاط أخرى من مسرح العمليات . وبنقل قوات من مكان الى آخر في بعض الاحيان . ولكنها لا تستطيع ، كما لاينبغي ان تفكر ، في مجابهة هذا الخطر مسبقا بقوة احتياطية . ومن الطبيعي ان نؤكد ثانية على ضرورة عدم خلق احتياط استراتيجي لايشترك في العمل لان مثل هذا الاحتياط عبارة عن تبديد للقوى بلا مبرر .

* * *

## الفصل الرابع عشر

# اقتصاد القوى

من النادر ، كما قلنا سابقا أن يقتصر طريق الفكر على سلوك خط هندسي بسيط تحدده المبادىء والآراء . فهناك هامش معين لكل هذه المبادىء والآراء . لذلك كان على الشخص القائم بالعمل (القائد) ان يعتمد على نفاذ بصيرته المستندة الى الفطنة الطبيعية ، والموجهة بالتفكير والتحليل . وعندما يفعل ذلك، يبلغ هدفه بدون أن يشعر . وعلى القائد في بعض الاحيان أن يبسط القانون بوضع تعليمات متميزة تشكل قواعده ، وأن يطابق قاعدة سلوكه على الطرق التقليدية.

ويشكل المبدأ الذي يتطلب السهر على تعاون كل القوات ، وعدم ترك أي جزء منها بلاعمل ، يشكل هذا المبدأ في رأينا احدى القواعد المبسطة من هذا النوع، أو شكلا من أشكال التفكير والمحاكمة ، فالقائد الذي يترك بعض القوات في أمكنة لا يقتضي وجود العدو بقاءها فيها ، والقائد الذي يحتفظ بجزء من قواته في حالة المسير كوزن ميت ، على حين تقاتله كل قوات العدو ، ان مثل هؤلاء القادة يستخدمون قواتهم استخداما سيئا . ويمكن ان نتكلم هنا عن تبديد القوات ،وهو أخطر من سوء استخدامها . وما دام ينبغي العمل ، فلا بد من اشتباك كل القوات في القتال ، لان اشتراكها ومساهمتها يدمران جزءا من قوات العدو، وان بدا احيانا أن نشاطها غير ملائم ، لان بقاءها بدون عمل يجعلها في حكم المشلولة شللا تاما . وترتبط هذه الفكرة ارتباطا وثيقا بمبادىء الفصول الثلاثة السابقة، فهي تبحث في الحقيقة ذاتها ، من وجهة نظر اوسع ، مركزة في مفهوم واحد .

# الفصل الخامس عشر

# العامل الهندسي

ان للعامل الهندسي دورا واضحا في المجال التكتيكي ومجال التحصينات، بينما يقل هذا الدور في المجال الاستراتيجي. ويعود ذلك الى أن الزمان والمكان في المجال التكتيكي يتضاءلان بسرعة كبيرة ويبلغان حدهما الادنى المطلق. وعندما يهاجم الخصم قطعة من القطعات الكبرى من الجناح والمؤخرات، يمكن التوصل بسرعة الى الحد الذي يصبح فيه تراجعها مستحيلا. وعندما لا يكون انسحابها ممكنا يصبح وضعها قريبا جدا من المحال المطلق لاستمرارها في المعركة، فيضطر الجيش الى التخلص من الالتفاف، أو الى تجنب الوقوع ضمن نطاقه. ولهذا السبب ذاته، تتخذ كل الترتيبات التي تتوخى مثل هذا الهدف، منذ البداية، أهمية خاصة بسبب ما توحيه نتائجها الى العدو من مخاوف. وهكذا نرى لماذا يدخل الترتيب الهندسي للقوات في النتيجة العامة للمعركة، ويتبوأ مكانا كبيرا فيه.

وينعكس أثر العامل الهندسي انعكاسا طفيفا على الاستراتيجية، اذ يتسع ويمتد فيها الزمان والمكان الى حد كبير. فنحن لانطلق الرصاص من مسرح حرب الى مسرح آخر، وقد تمضي أسابيع وأشهر قبل ان يصبح التفاف استراتيجي مرسوم حقيقة واقعة (١). كما ان المسافات في المجال الاستراتيجي كبيرة جدا،

---

(١) لم يعد مثل هذا الالتفاف يحتاج الى أسابيع وأشهر حتى يحقق هدفه، مع ان هنالك التفافات استراتيجية لم تحقق في الحرب العالمية الثانية أهدافا خلال أشهر، ويتضح للقارىء هنا ان كلاوزفيتر يتحدث عن مدة الالتفاف الاستراتيجي من مسرح حرب الى مسرح حرب آخر، حينما لم تكن القوات الآلية معروفة.

( المترجمان )

حتى ان احتمال توجيه الضربة النهائية في المكان الملائم ، يبقى احتمالا ضعيفامهما كانت التحضيرات دقيقة .

ان قيمة العامل الهندسي للتركيبات في المجال الاستراتيجي أقل بكثير من قيمتها في التكتيك . ولهذا فان أهمية ماحصلنا عليه وماحققناه فعلا ومؤقتا في نقطعة معينة أكبر بكثير من قيمة هذا العامل . وتتمتع هذه الميزة ، التي حصلنا عليها ، بالوقت الكافي لابراز كل نتائجها وآثارها على الوضع ، قبل ان يجابهها الخصم أو يدمرها بمخاوف مضادة . ولن نتردد اذن في ان نعتبر المبدأ التالي كحقيقة لاتدحض : **ان عدد الاشتباكات الظافرة وحجمها أهم في الاستراتيجية من شكل الخطوط الهندسية الكبرى التي تربطها بعضا ببعض .**

ولقد ساد في العقائد الحديثة رأي معارض لرأينا ، اذ اعتقد بعضهم أن تبنيهم للعامل الهندسي يمنح الاستراتيجية أهمية أكبر باعتبارها وظيفة عليا للفكر ، ويجعل الحرب بهذا الشكل أكثر نبلا وعلمية . وفي اعتقادنا أن من المهام الرئيسية لعقيدة كاملة ، ان تميط القناع عن هذا النوع من الرؤية الخاطئة . وقد حرصنا متعمدين على الاشارة الى هذه النقطة ، لان العامل الهندسي هو الفكرة الاساسية التي تنبثق منها عادة كل الافكار الاخرى .

* * *

## الفصل السادس عشر

# إيقاف عمل الحرب

اذا اعتبرنا الحرب عملا تدميريا متبادلا ، فينبغي أن نتخيل أن كلا الطرفين في تقدم عام . ولكن في كل لحظة تالية ينبغي أن نتخيل بالضرورة ، وفي آن واحد، أحد الطرفين في وضع الترقب والانتظار ، بينما يتقدم الطرف الآخر ، لان الظروف لا يمكن أن تتشابه في كلا المعسكرين ، أو أنها لن تبقى متشابهة فترة طويلة من الزمن . ومع مرور الوقت ، تتبدى لحظة من اللحظات أكثر ملاءمة لطرف دون الآخر .

واذا افترضنا أن القائدين العامين للطرفين على علم تام بهذه الظروف التي تحيط بهما ، فان هذه المعرفة ستكون سببا لأحدهما لكي يعمل ، على حين تغدو بالنسبة للآخر سببا في انتظاره . وبناء على ذلك ، فليس من مصلحة الطرفين أن يتقدما في آن واحد ، كما أنه لا مصلحة لهما في أن يبقيا على وضع الترقب والانتظار معا . ويأتي هذا الاستثناء من أن الشيء نفسه أصبح بالنسبة للقائدين سببا محددا يشتمل على احتمال تحسين وضعهما أو زيادته سوءاً بعمل مقبل .

ولو افترضنا امكان التشابه الكامل بين ظروف من هذا النوع ، ومع افتراض أن المعرفة غير الكاملة للاوضاع المتبادلة ، قد توهم القائدين بهذا التشابه ، فان تباين الهدف السياسي يمكن أن يلغى امكان ايقاف العمل الحربي. ومن الناحية السياسية ، لا بد من ان يكون أحد المعسكرين مهاجما ، لأن نوايا الطرفين الدفاعية لا تجر الى الحرب أبدا . ومع ذلك فان للمهاجم هد

ايجابيا بينما المدافع هدف سلبي . فيعود العمل الايجابي اذن الى الأول ، لأنه يستطيع بفضله أن يبلغ هدفا ايجابيا . وفي الحالات التي تتشابه فيها الظروف لكلا المعسكرين ، يدفع الهدف الايجابي المهاجم الى العمل .

ومن هذه الزاوية ، وبدراسة الموضوع دراسة عميقة ، نرى أن ايقاف العمل الحربي يتعارض مع طبيعته الخاصة ، لأن على الجيشين ، كعاملين متناقضين ، ان يفترسا بعضهما بدون رحمة ، فهما كالماء والنار ، عاملان لا يمكن أن يتوازنا أبدا ، ولكنهما يعملان الواحد ضد الآخر حتى يزول أحدهما . ومع ذلك ، ومهما كانت الحرب وحشية بطبيعتها ، الا أنها تحمل دوما علامة الضعف البشري . والتناقض الذي نلاحظه هنا ، هو أن الانسان يفتش عن الخطر ويخلقه أحيانا مع خوفه وارتيابه منه .

اذا ألقينا نظرة على التاريخ العسكري بصورة عامة ، وجدنا أن ما يحدث ، هو ، بكل دقة ، عكس التقدم المستمر نحو الهدف ، **وأن التوقف وعدم العمل ،** هما عادة **حالة الجيش الطبيعية** في الحرب ، وأن القتال المستمر هو شيء **استثنائي** . حتى اننا نكاد نشك في صحة مفاهيمنا .

ونلاحظ هنا ثلاثة أسباب تظهر كأوزان ( اثقال )معاكسة داخلية من طبيعتها أن توقف حركة الساعة السريعة المستمرة .

أما السبب الأول ، فهو الذي يولد ميلا مستمرا للراحة ، وهكذا يصبح مبدآ تأخيريا مشتملا على طبيعة الخوف وعدم التقرير . هذه الطبيعة الخاصة بالفكر البشري هي نوع من الثقل المعنوي ناجم عن قوى منفرة لا عن قوى جاذبة، أي أنه ناجم عن الخوف من الخطر ومن المسؤوليات .

ان عنصر الحرب هو النار ، أي أنه عنصر تتثاقل فيه الطبائع العادية . وينبغي أن يكون الزخم والدفع أقوى وأكبر لتكون الحركة مستمرة . ومن النادر أن تكون فكرة الهدف الذي من أجله تسلح الجنود ، كافية وحدها للتغلب على هذه العطالة .

واذا لم يكن قائد هؤلاء الجنود ذا فكر حربي مغامر ، واذا لم يخضعوا لضغط مسؤولية كبرى آتية من أعلى ، فان توقف القتال يصبح قاعدة ، بينما يغدو التقدم استثناء .

ويكمن السبب الثاني في نقص الفهم والحكم الانسانيين ، وهو نقص يظهر في الحرب اكثر من أي مكان آخر ، لان الوضع الصحيح الذي نوجد فيه ، في كل

لحظة ، معروف بصورة سيئة ، كمـا لا يمكن التنبؤ بوضع العدو الا من خـلال ستار من الحدس والتخمين . وتبعا لذلك ، فان الطرفين يعتبران غالبا الوضع ذاته وضعا مميزا لأحدهما على الآخر ، بينما تتغلب في الواقع مصلحـة طرف منهما على مصلحة الطرف الآخر ، بشكل يستطيع فيه كل واحد منهما الاعتقاد بأنه يعمل بتعقل ، اذا ما انتظر ، فرصة أكثر ملاءمة .

اما السبب الثالث ( وهو تفوق قوة الدفاع ) ، فيوقف آلات السـاعـة كزناد ايقاف ، ويسبب من وقت لآخر توقفا كاملا .

وفي داخل فن الحرب نفسه نجد الحكمة البعيدة النظر والخوف من الخطر المتزايد ، نافعين لكبح جماح الاندفاع العنيف الاولي في الحرب .

ومع ذلك ، فان هذه الاسباب لاتفسر أبدا الهدنات الطويلة التي نلاحظها في الحروب الغابرة ، فليس هناك من سبب كبير يحددها ، مع أن تسعة اعشار الوقت فيها كان ينقضي في عطالة تامة . وتنجم هذه الظاهرة ، في المقـام الاول ، عن التأثير الذي تحدثه مطالب طرف من الاطراف ومزاج الطرف الآخر ، على ادارة الحرب ، كما قلنا في الفصل المتعلق بروح الحرب وغرضها .

وتستطيع هذه الاشياء أن تبلغ من الرجحان مايجعل من الحرب شيئا فقد خصائصه الاصلية . فليست الحرب في الغالب سوى حياد مسلح ، أو هي موقف مهدد يستهدف دعم المفاوضات ، أو محاولة معتدلة للحصول على ميـزة صغيرة بانتظار النتيجة التي قد تجر اليها ، أو التزام مزعج تجاه حليف ينفذه صاحبـه بأدنى حد ممكن .

وفي كل الحالات التي ذكرناها ، لايكون للاندفاع في الحرب الـذي تسببـه المصلحة الوطنية سوى دفع خفيف ، كما أن مبدأ العداء فيها ضعيف جدا . وكثيرا ما نحرص في مثل هذه الحروب على عدم ايذاء العدو ، لانه ليس هناك أي مبرر لخوفنا منه . والخلاصة، في حالة عدم وجود دافع قوي يضايق ويوخز ، فالحكومات ترفض التورط . وهنا تكون الحرب حربا مخففة تنعـدم فيها الـروح الانتقامية الموجودة في الحرب الحقيقية .

وكلما تحولت الحرب الى شبه حرب ، حرمت نظريتها من الاساس الـذي

تستند اليه ومن المحاور الضرورية لجدلها المنطقي ، وقل فيها العنصر الضروري تدريجيا ونما عنصر الصدفة فيها باستمرار .

ومع ذلك ، فلهذا النوع من الحروب منطقه أيضا . وربما كانت مناورته أكثر تنوعا واتساعا من الحرب الاخرى . وفي هذا المجال تتحول الحرب الى مناوشات صغيرة بين المخافر الامامية، في مناورات طويلة لا تؤدي الى أي نتيجة، والى مواقع ومسيرات يقال عنها فيما بعد أنها مناورات أريبة لانه غاب عن نظرنا موقعها الصغير التافه . وفي هذا المجال بالتأكيد ، وجد بعض منظري الحرب مادتهم . فهذه المراوغات ، وهذه الاستعراضات، وانصاف الضربات في الحروب القديمة وأرباعها ، هي في نظرهم هدف كل نظرية ، وهي تفوق الفكر على المادة. لذلك تبدو لهم الحروب الحديثة ضربات قوية صاعقة لايتعلم المرء منها شيئا وينبغي أعتبارها عودة الى البربرية . وتفاهة هذا الرأي تعادل تفاهة موضوعه . ففي غياب القدرات الكبرى ، والمشاعر العظيمة ، تنتشر الحذاقة بسهولة أكبر . ولكن ، الا يعتبر تحريك قوات كبرى وقيادة سفينة عبر العاصفة والامواج ، وكل هذه النشاطات ، نشاطات عليا للفكر ؟ وهذا النوع من المبارزة بالسيف ، اليس مطلوبا في القيادة العليا للحرب ؟ الا يقوم بالنسبة اليها مقام حركة السفينة نفسها ؟ ان هذه الحرب الدنيا لاتوجد الا بشرط ضمني ، هو ان يتقيد الخصم بها . وويل للدولة التي تواجه بسياسة نصف التدابير ، وبجهاز عسكري عتيق ، خصما كالعاصفة الهوجاء ، لا يعرف قانونا غير قانون قوته الذاتية .

وينتج عن كل هذه الاسباب التي ذكرناها ، ان العمل الحربي في معركة من المعارك لايسير كحركة مستمرة ، ولكنه يتقدم على وثبات ، وان مختلف الاعمال الدامية مفصولة عن بعضها بلحظات من المراقبة ، يجد فيهما الطرفان نفسيهما في حالة الدفاع ، كما ان هدفا كبيرا جدا يفرض على أحد الطرفين مبدأ الهجوم وموقفا عاما يستهدف التقدم ، الامر الذي يعدل بعض الشيء طريقة عمله .

* * *

# الفصل السابع عشر

# في طبيعة .. الحرب الحديثة

ينبغي ان نلاحظ ان طابع الحرب الحديثة قد أثر تأثيراً كبيراً في كل المستويات، ولاسيما على المستويات الاستراتيجية . فقد تقوضت كل الطرق العسكرية القديمة، التي تعارف عليها الاقدمون بسبب جرأة بونابرت وحظه ، وقضي على دول من الدرجة الاولى بضربة واحدة وأظهر الاسبانيون بقتالهم المستميت أن تسليح كل الشعب ، والقيام بالثورة والتمرد في كل انحاء الوطن ذو تأثير كبير رغم ضعف الامة وغموض تفاصيل كفاحها . وقد علمتنا روسيا ايضا ، في معركة ١٨١٢ مايلي :

أولا : من المحال احتلال امبراطورية فسيحة الارجاء ، مترامية الاطراف ( وكان من الممكن للعسكريين البارزين معرفة ذلك قبل هذا التاريخ ) .

ثانيا : ان احتمال النصر النهائي لايتضاءل بمقدار مانخسر من معارك وعواصم ومقاطعات ( وقد كان مثل هذا الاحتلال في الماضي يدفع الدبلوماسيين الى قبول أي نوع من أنواع السلم المؤقت ، حتى ولو كان ضد مصلحة الامة ) . وعلى العكس، برهنت روسيا ان الامة أقوى من خصمها داخل حدود بلدها ، عندما يتم استنزاف قوته الهجومية ، كما أظهرت روسيا لنا أيضا القوة الهائلة التي يتيحها الدفاع في خدمة الهجوم . وأظهرت بروسيا ، بالاضافة الى ماتقدم ، في عام ١٨١٣ ان

بامكان جهود مفاجئة أن تضاعف قوات الجيش ست مرات بفضل أعدادالمليشيا، وان هذه المليشيا قادرة على العمل خارج بلادها وفي داخلها .

واخيرا ، ان كل هذه الاحداث أبرزت أهمية هذا العامل غير المحدود ، المتمثل بقلب الامة وشعورها وقدرته على مضاعفة قوات الدولـة بمجموعهـا ، وقوات الحرب ، وقوات القتال . واليوم، بعد أن أدركت الحكومات اهمية كل هذه الوسائل التكميلية وتعلمتها ، ينبغي ان لا ننتظر ان تدعها مكتوفة اليدين في الحروب المقبلة اذا ما هدد الخطر وجودها ذاتـه ، أو اذا ما دفعها طموح محموم الـى خوض هـذه الحروب .



## الفصل الثامن عشر

# التوتر والراحة

# قانون الحرب الديناميكي

عندما يتوقف العمل الحربي ، أي عندما لايريد الطرفان القيام بأي عمل ايجابي ، تنتج عن ذلك راحة ثم حالة من التوازن بالمعنى الواسع . ولا يعني هذا التوازن ، توازن قوى القتال البدنية والمعنوية فحسب ، وانما يعني امتداد هذا التوازن الى كل قوى الطرفين وتوازنهما . ولا يحدث التوتر بين قوات الطرفين الاعندما يحدد أحد الطرفين لنفسه هدفا ايجابيا ، ويبدأ العمل لتحقيقه ، حتى ولو كان شروعه بذلك لايتضمن سوى تحضيرات واستعدادات بسيطة ، يردعليها خصمه بمجابهة هذه التدابير بتدابير معاكسة . ويستمر هذا التوتر بين الطرفين حتى يضع العمل الحاسم حدا له ، أي حتى اللحظة التي يتخلى فيها أحد الخصمين عن هدفه ، أو يتخلى عنه الطرف الآخر .

وتكمن أسباب هذا العمل الحاسم في الآثار التي تسببها تركيبات الاشتباكات من الطرفين ، وتتبعه دوما حركة جديدة في هذا الاتجاه أو ذاك .

وعندما تستهلك هذه الحركة الجديدة في مجابهة صعوبات لابد لها من التغلب عليها ، اما بسبب احتكاكها الخاص ، أو بسبب وجود قوى مضادة جديدة ، عندما يحدث ذلك ، تنتج حركة جديدة باتجاه معاكس في معظم الاحيان .

وهذا التمييز النظري ، بين التوازن والتوتر والحركة ، له في العمل التطبيقي أهمية أكثر عمقا مما يبدو للوهلة الاولى .

ففي حالة الاستراحة والتوازن ، من الممكن وجود كثير من النشاطات ، لا سيما تلك النشاطات التي لا تنتج الا عن أسباب عرضية ، ولا تستهدف تغييرات كبرى . ويستطيع هذا النوع من النشاط ان يتضمن اشتباكات هامة كما يتضمن معارك رئيسية ايضا ، الا ان طبيعته تبقى مختلفة كل الاختلاف عن طبيعة المعركة الرئيسية ، كما تختلف آثاره ونتائجه أيضا .

فعندما يكون هناك توتر ، يكون العمل الحاسم دوما فعالا ، من جهة ، لان قدرا أكثر من الارادة يظهر فيه ضغط الاحداث القوي ، ومن جهة ، لان كل الاستعدادات قد اتخذت في حالة التوتر ، ووجهت الى القيام بحركة كبرى . ويشبه العمل الحاسم في هذه الحالة اثر لغم مدفون بعناية في الارض ، بينما يشبه حادث هام يقع في مرحلة الاستراحة ، شحنة من البارود تنفجر في الهواء الطلق .

ومن الطبيعي أن نتمثل حالة التوتر كحالة تتباين شدتها . وقد تقترب هذه الحالة من حالة الراحة بطريق متدرجة حتى تنعدم الفروق في النهاية بين حالة التوتر وحالة الراحة .

والدرس الاساسي الذي نستنتجه من هذه الافكار ، هو ان كل اجراء يتخذ في لحظة من لحظات التوتر هو اكثر اهمية من الاجراء المتخذ في حالة التوازن ، وان هذه الاهمية تزداد بصورة مطردة في لحظة التوتر الاقصى .

ونستطيع ان نتمركز في أرض تخلى العدو عنها لعدم استطاعته الدفاع عنها ، بصورة تختلف اختلافا بينا عن تمركزنا في أرض جرى التراجع عنها للحصول على النصر في ظروف أكثر ملاءمة . وخلال شن هجوم استراتيجي ، يصبح لموضع ضعيف أو لمسيرة سيئة واحدة آثار حاسمة على تنفيذ هذا الهجوم ، بينما في حالة التوازن لا بد من ان تكون هذه الاخطاء فاحشة جدا ، لتحدث النشاط لدى العدو . لقد تجمدت كل الحروب السابقة في معظم الاحيان في حالة التوازن هذه ، أو في وضع كان التوتر فيه خفيفا وذا أثر ضعيف الى حد لم يكن فيه للاحداث التي جرت في هذه الحروب نتائج كبيرة . وكانت الحرب تارة « تظاهرة » بمناسبة ميلاد ملكي ( هوشكيرش ) ، وتارة اخرى تعبيرا بسيطا لارضاء الشرف العسكري كما جرى في ( كنرسدورف ) . أو لارضاء الغرور الشخصي في القائد كما جرى في ( فريبرغ ) . ولا بد لكل قائد ان يعلم هذه الامور ويطابق سلوكه على معلوماته .

## الجزء الرابع

# الاشتباك

## الفصل الأول

# لمحة عامة

بعد ان درسنا في الكتاب السابق مادة العناصر التي يمكن اعتبارها عناصر الحرب الفعالة ، فاننا سنتوقف الان عند الاشتباك ، الذي يعتبر نشاطا حقيقيا من نشاطات الحرب ، يشمل بتأثيراته المادية والمعنوية هدف الحرب كلها ، سواء أكان ذلك بشكل بسيط أو معقد . ومن الطبيعي أن نرى العناصر المذكورة تظهر ثانية في هذا النشاط وتأثيراته .

ان بنية الاشتباك ذات طبيعة تكتيكية ، وسنلقي عليها هنا نظرة عابرة تساعد على تكوين فكرة عامة . ان الاهداف المباشرة في الحياة العملية تعطي لكل اشتباك مظهرا خاصا وسنفحص هذه الاهداف المباشرة في فصل مقبل . ومع هذا يُمكننا أن نقول أن معظم الصفات الخاصة لا تتمتع بأهمية كبيرة بالنسبة لصفات الاشتباك العامة ، وهي في معظمها متشابهة .

لتحاشي تكرار مثل هذه المبادىء العامة ، علينا أن نعرف هذه الصفات قبل الاهتمام بأي تطبيق عملي .

وفي الفصل التالي ، سنذكر قبل كل شيء بعض الكلمات عن الملامح المميزة في المعركة الحديثة من وجهة نظر سيرها التكتيكي ، لان هذا هو اساس مفهومنا عن الاشتباك .

# الفصل الثاني

# صفات المعركة الحديثة

لقد اكتسبنا من التكتيك والاستراتيجية معلومات اولية يتأتى منها ان كل تبدل في طبيعة الاولى ينعكس بصورة حتمية على الثانية . فان تبدلت الظواهر التكتيكية في حالة من الحالات ، تبدلت بالتالي الظواهر الاستراتيجية ، والا غدت ظواهر غير معقولة او غير منطقية . لذلك يجب ان نصف شكل المعركة الرئيسية الحالي ، قبل ان نرى استخدام هذه المعركة في الاستراتيجية .

فكيف تقع المعركة الكبيرة ؟ تأخذ القوات المتحاربة مواضعها بهدوء وعلى شكل كتل كبيرة متجاورة ومتعاقبة . ولا يستخدم في المعركة وينتشر الا جزء محدود من مجموع القوات ، ويترك هذا الجزء ليتعب تحت نار القتال ساعات طويلة . ويتخلل القتال من وقت الى اخر بعض الهزات الصغيرة الناجمة عن هجوم المشاة او انقضاض الخيالة ، أو المشاة بالحراب . تلك هي الهزات التي تحرك القطعات هنا وهناك . وعندما يستهلك هذا الجزء ويفقد جذوته الحربيةولا يبقى منه الا ما يشبه الحطام نقوم بتبديله بجزء آخر (١) . وتشتعل المعركة هكذا بوتيرة معتدلة وكأنها بارود رطب . وعندما يحل الظلام ، تخلد القطعات

---

(١) يختلف السير التكتيكي للمعركة والاشتباك في ايامنا هذه عن الشكل الذي وصفه المؤلف في كتابه ، لان اختلاف الاسلحة والاعتدة يؤثر على اساليب القتال وتكتيكات المعركة تأثيرا كبيرا . ولكن وزن ومعنى الاشتباك والمعركة في ديناميكية الصراع ، ومكانتهما بالنسبة للاستراتيجية تبقى كلها كما هي تقريبا على مر العصور .

( المعربان )

الى الراحة نظرا لتعذر الرؤية، وخوفا من الوقوع في براثن الاحداث المفاجئة(١)، ويعمد الخصمان الى حساب القوى السليمة الباقية التي يعتقد كل منهما انه قادر على جمعها ، أي القوات التي لم تنهار نهائيا وتصبح كبركان خامد . ويدخل في حسابه الارض التي ربحها او خسرها ، وحيطة المؤخرات ، ومظاهر الشجاعة والجبن والمهارة والغباء التي لاحظها بين صفوف الاعداد أو في صفوف قطعاته . ويختصر كل شيء في النهاية بانطباع واحد عام ، يفرض عليه اتخاذ قرار بالتخلي عن ساحة المعركة او البقاء لاعادة الاشتباك في اليوم التالي . (١)

ان هذا الوصف ، الذي لا يهدف الى رسم لوحة كاملة لمعركة حديثة ، بل يحدد المفهوم العام ، ينطبق على الدفاع والهجوم معا . ويمكن أن ندخل فيه الصفات الخاصة الناجمة عن الهدف والارض .. الخ . دون أن نعرض ذلك الى تعديل كبير .

ولم تأخذ المعارك صورتها المذكورة آنفا بدون سبب وعن طريق الصدفة، فجميع مظاهرها ناجمة عن أن الخصمين المتحاربين وصلا الى المستوى ذاته من

---

(٢) ادى تطور المعدات ( الحرب ) الحديثة في الوقت الحاضر ، وتزويد القطعات بقنابل تضيء ساحة المعركة ، بالاضافة الى دبابات ومدافع وبنادق تعمل ليلا بدقة كافية بفضل مناظير الاشعة تحت الحمراء والوسائل العلمية الاخرى ، وتزويد الطائرات باجهزة تسديد للعمل الليلي ، = الى امكان متابعة العمل ليلا لاستثمار جهد اولي ثم الحصول عليه في ساعات القتال النهاري ، او للقيام بهجوم ليلي اساسي واسع النطاق . ولم يعد الليل كما كان في الماضي لباسا يساعد القطعات على التجمع او الانسحاب وقطع التماس فحسب بل غدت العمليات الليلية كثيرة متعددة الاهداف ، ولكنها رغم امكانية استخدامها تبقى حالة خاصة من حالات القتال ، تحتاج تجهيزا وتدريبا خاصين ، بالاضافة الى اعداد معنوي معين للقادة والقطعات .

( المترجمان )

(١) رغم تبدل شكل المعركة التكتيكي ، فان اتخاذ القرار اليوم يتم بالاسلوب المذكور نفسه . فما ان يتوقف الاشتباك لحلول الظلام او لاي سبب من الاسباب ، بل وفي خلال الاشتباك نفسه يقدر القائد واركانه الموقف الجديد بكل تفاصيله ( العدو ) قطعات الصديق ، الخسائر ، القوى الاحتياطية ، ميزان القوى الجديد ، النوايا الجديدة .. الخ ثم يقرر القائد بناء على ذلك متابعة الجهد الاساسي ( الهجومي او الدفاعي ) او تعديله ليتلاءم مع الموقف المتطور ، او التخلي عنه وقطع التماس استعدادا لمرحلة قتالية اخرى .

( المترجمان )

التنظيم العسكري وفن الحرب او كادا يصلان . ولان العنف الحربي المنبثق من مصالح وطنية كبيرة قد حطم حواجزه الاصطناعية ، لينطلق على سبله الطبيعية. ولهذا تحتفظ المعارك بكل مظاهرها التـــي تحدثنا عنهـــا عندما يتحقق هـــذان الشرطان (٢) وسيخدمنا هذا المفهوم عن المعركة اكثر من مـــرة ، عندما سنحدد قيمة مختلف العوامل كالقوة والارض .. الخ .

وان وصفنا هـــذا لا يستهدف ســـوى الاشتباكات الكبيرة ذات النتائـــج الحاسمة وما يرتبط بها ، اما الاشتباكات الصغيرة فلقد تطورت في الاتجاه ذاته ، ولكن تطورها بقي اقل من تطور الاشتباكات الكبيرة ، وستتاح لنا الفرصة لالقاء الضوء على بعض جوانب هذا الموضوع واشكاله .

* * *

(٢) تجري المعارك بشكل مختلف تماما عندما لا يتحقق الشرط الاول اي عندما يكون مستوى تدريب وتنظيم الخصمين الحربي متباينا ( كما هي الحالة في الحروب الاستعمارية او الحروب التحررية الثورية في عصرنا الحاضر ) . اما اذا لم يتحقق الشرط الثاني ولم يكن وراء الحرب مصالح = وطنية سامية ذات قيمة حياتية وقوة دافعة واحدة لـــدى الطرفين ، فـــان عنف المعـــارك واستمرارها وتصميمها تفقد كثيرا من قوتها ، وينسحب الطرف الذي يكون الدافع عنده اضعف قبل ان يتكبد خسائر كبيرة في الاشتباك ، او يرفض الاشتباك نفسه بمجرد توقع اخطار كبيرة فيه.
( المترجمان )

# الفصل الثالث

# الاشتباك بصورة عامة

الاشتباك هو النشاط الحربي بمعناه الحقيقي ، وما عدا ذلك او كل ما تبقى يسهم فيه . والاشتباك يعني القتال ، وهدف القتال هو ابادة العدو أو السيطرة عليه . ويتمثل الخصم في الاشتباك الفردي بقوة عسكرية تجابهنا .

هذا هو المفهوم البسيط البحث ، وسنعود اليه ايضا ، ولكننا لن تستطيع القيام بهذه العودة قبل أن ندخل سلسلة من المفاهيم الاخرى .

فاذا تصورنا الدولة وقدرتها العسكرية كوحدة ، فمن الطبيعي ان نتصور الحرب كاشتباك واحد كبير . وتكاد تجري الامور لدى الشعوب البدائية المتوحشة على هذا المنوال ، ولكن حروبنا مختلفة عن ذلك ، وتتضمن مجموعة من الاشتباكات الكبيرة او الصغيرة التي تتم متعاقبة أو في آن واحد . ويعتمد توزع النشاط في هذا العدد العديد من الافعال الخاصة على تعدد الظروف التي تنبثق منها حروبنا ، وعلى تباينها الكبير .

والحقيقة ، ان هدف حروبنا النهائي ، أي هدفها الاساسي لا يتمتع بالبساطة دائما ، فان وجدناه في بعض الحالات بسيطا ، رأينا أن العمل مرتبط بعدد كبير من الشروط والاعتبارات ، فلا يمكن الوصول الى الهدف بفضل عمل واحد كبير ، بل عن طريق عدد كبير من الافعال الاساسية متباينة الاهمية ، تشكل بمجملها كلا . وكل واحد من هذه النشاطات الخاصة هو اذن جزء من مجموع ، ويتوخى هدفا خاصا يربطه بهذا المجموع .

ولقد قلنا ان كل عمل استراتيجي عبارة عن استخدام القوة العسكرية ، وهذا ما يجعله يعود الى فكرة الاشتباك ، التـــي تستند بدورها على القـــوة العسكرية . ويمكن لكل عمل حربي أن يصبح ، في مجال الاستراتيجية ، وحدة مكونة من اشتباك منفرد . لذلك ليس علينا أن نهتم الا بأهداف هذا الاشتباك . وسنتعرف هذه الأهـــداف الخاصة شيئا فشيئا عندما سنتحدث عـــن الاسباب المؤدية اليها . ولنكتف الان بأن نلاحظ ان لكل اشتباك ، كبيرا كان أم صغيرا ، هدفه الخاص التابع للمجموع . وان ابادة الخصم والسيطرة عليه ليستا سوى وسيلتين للوصول الى هذا الهدف .

وليست هذه النتيجة حقيقية الا في شكلهـــا ، وهـــي لا تتمتع بالاهمية الا بفضل التماسك الداخلي للمفاهيم ، ونحن لم ندرسها ونبحث عنهـــا الا للتخلص منهـــــا .

ماذا تعني السيطرة على العدو ؟ انها تـــدل على تدمير قـــواه العسكرية بالقتل والجرح او بالوسائل الاخرى (١) سواء أكان التدمير كاملا أو كافيا ، على الاقل ، ليمنعه من متابعة القتال . فاذا وضعنا الهدف الخاص للاشتباك جانبا ، وجدنا أن تدمير العدو تدميرا كاملا أو جزئيا هو الهدف الوحيد لكل اشتباك .

ونحن نزعم ان ، في معظم الحالات ، ولا سيما في الاشتباكات الهامـــة ، لا يكون الهدف الخاص ، الـــذي يأخـــذ الاشتباك بفضله صفة خاصـــة تربطه بالمجموع ، سوى تعديل طفيف لهذا الهدف العام ، أو هدف اضافي يرتبط بالهدف العام ، تكفي اهميته لاعطاء الاشتباك صفة خاصة ، لكنها مع ذلك ضئيلةالاهمية جدا بالنسبة للهدف العام . أي أن الوصول الى الهدف الاضافي ، لا يعني تحقيق وظيفة الهدف العام الا بشكل جزئي . وبناء على ذلك فان الفكرة القائلة بـــأن تدمير قوات العدو المسلحة عبارة عـــن وسيلة ، وأن الهـــدف مختلف عن ذلك

---

(١) وسائل التدمير الاخرى الناجمة عن تطور الاسلحة في الوقت الحاضـــر هي : الحـــرق بالنابالم والصدمة المادية والنفسية الناجمة عن الانفجار في الحرب التقليدية ، والتسمم والامراض المعدية في الحروب الجرثومية ، والاختناق والشلل وفقدان الارادة والعمى ... الخ في الحرب الشاملة التي تستخدم فيها الغازات ، والاصابة بالحروق والصدمـــة الانفجاريـــة والاشعاعات والتلوث بالغبار الذري في الحرب النووية .

( المترجمان )

دائما ، هي فكرة غير صحيحة الا بشكلها فقط . وهـــي تؤدي الى استنتاجات خاطئة ، اذا ماتجاهلنا أن تدمير القوات المسلحة المعادية جزءمن هـــذا الهدف الذي هو في حد ذاته تعديل بسيط .

ولقد أتاح هذا التجاهل ، قبل حروب العصر الحاضر ، المجال الى أفكـــار خاطئة ، ونجم عنه ميول ومذاهب كانت النظرية فيها تحاول الارتفاع فوق " العملي ، مع عدم اهتمامها بالحصول على وسيلة خاصة بها وهي تدمير قوات العـــدو .

لم تكن مثل هذه المذاهب لتظهر لو لم تستند الى فرضيات أخرى خاطئة ، ولو لم تستبدل تدمير قوات العدو بأشياء اخرى نسبت اليها تأثيرا لا تملكه حقا . اننا سنثبت خطأ هذه الامور كلما استطعنا الى ذلك سبيلا ، ولكننا لن نستطيع تحليل الاشتباك اذا لم نؤكد اهميته وقيمته الحقيقية ، واذا لم نحذر القارىء من الاخطاء التي قد تؤدي اليها كل حقيقة ظاهرية ، شكلية .

ولكن كيف نبرهن على ان تدمير قوات العدو المسلحة هو الامر الاساسي في اكثر الحالات واشدها أهمية ؟ وكيف نقاوم الفكرة المغرية القائلة : بأنه يمكن الوصول ، بفضل اسلوب او منهج دقيق اريب ، بتدمير صغير مباشر للقـــوات المسلحة المعادية ، الى تدمير أكبر يتم الحصول عليه بصورة غير مباشرة ، أو أن من الممكن تحقيق شلل العدو وانهيار ارادته الشامل بفضل هجمات صغيرة يتم اختيارها بتعقل وذكاء ، وبشكل تصبح معه هذه الطريقة سبيلا مختصرا للوصول الى الهـــدف ؟

من البدهي أن للاشتباك في مكـــان ما أهمية أكبـــر من أهميته في مكـــان آخر . وان هنالك طريقة حاذقة لتحقيق تناسق الاشتباكات حتى في الاستراتيجية — وليست الاستراتيجية في الحقيقة سوى ذلك — اننا لا نريد تجاهل كل هذا ، ولكننا نؤكد ان تدمير قوات العدو المسلحة تدميرا مباشرا هو العامل الرئيسي في كل مكان . وسنحاول الان اثبات الاهمية الاساسية لمبدأ التدمـــير ورجحان هذا المبـــدأ .

وعلينا ان نتذكر هنا أننا نبحث في مجال الاستراتيجية لا التكتيك . وأننـــا لا نتحدث عن الوسائل التي يملكها هذا التكتيك ، والتي ستطيع تدمـــير كمية كبيرة من قوات العدو بأقل التكاليف . ونحن نعني بتعبير التدمير المباشر

النجاح التكتيكي . وتأكيدنا يعني أن النجاحات التكتيكية الكبيرة وحـدها قادرة على تحقيق نجاحات استراتيجية كبيرة . ولنكـرر ما قلناه سابقا بشكل اكثـر وضوحا : ان النجاحات التكتيكية تؤثر على ادارة الحرب تأثيرا كبيرا .

ومن السهل اعطاء الدليل على هذا التأكيد ، وهو كامن في الزمن الـذي تتطلبه التركيبات المعقدة . اما مسألة ما اذا كان هجوم بسيط هو اكثر فعالية من هجوم معقد حاذق ودقيق ، فيمكن ان تحل لصالح الثاني بلا تردد ، ما دام يفترض بقاء الخصم في حالة سلبية تامة . ولكن كل هجوم معقد يتطلب وقتـا أكبر لا بد من الحصول عليه ، على أن لا يكون الهجوم المعاكس المعادي المتجـه الى أحد أجزائه قادرا على احباط المجموع المعقد كله ، خلال فترة التحضيرات الضرورية للوصول الى التأثـير المنتظر .. فـاذا ما قرر الخصم القيام بهجوم بسيط يتم خلال فترة قصيرة من الزمن ، فسيفوقنا سرعة ويقلب كل مخططاتنا . اذن فان اعداد هجوم معقد يتطلب منا أن نحسب حساب الاخطار التي نتعرض لها خلال فترة التحضير ، وان لا نتبنى مثل هذا النوع من الهجوم ، الا اذا تأكدنا اننا في مأمن من أن نرى العدو يقلب مخططاتنا رأسا على عقب بهجوم أسرع .. وعندما نتوقع احتمال هذا الخطر ، علينا أن نختار أسرع مخطط ونختصره ضمن الحدود الممكنة التي تفرضها صفة العدو ووضعيته . فاذا تركنا جانبا الانطباع الغامض الناجم عن المفاهيم المجردة ، وانتقلنا الى الشكل العملي ، وجدنا أن الخصم المصمم الجسور السريع لن يترك لنا الوقت اللازم لتنظيم تركيبات طويلة المدى . واننا نحتاج ، في مجابهة مثل هذا العدو ، الى استخدام علمنا وعقلنا ، حتى نرجح النجاح البسيط المباشر على النتائج المعقدة .

اننا لا نعتبر أن الهجوم الابسط هـو أفضل النوعين ، ولكـن علينا أن لا نستهدف ما يفوق امكاناتنا . ويؤدي هذا المبدأ الى الصراع المباشـر ، ما دام الخصم مفعما بروح قتالية عالية . وفي هذه الحالة ينبغي الا نحاول منافسةالعدو في البحث عن المخططات المعقدة ، بل على العكس أن نسعى الى البحث في اتجاه المخططات الهجومية البسيطة .

فاذا بحثنا عن أسس هـذه التناقضات ، وجدنا أن اسس النـوع الاول ( الهجوم البسيط ) موجودة في الذكاء ، أمـا اسس الثاني ( الهجـوم المعقد ) فكامنه في الشجاعة . ولكن من المغري جدا أن نعتقد أن شجاعة متوسطة تعمل

مع ذكاء باهر ، أكثر فاعلية من ذكاء متوسط يعمل مع شجاعة خارقة . ولكننا لا نستطيع اعطاء الذكاء أفضلية كبيرة على الشجاعة في مجال الخطر ، أي في مجال الشجاعة ، الا اذا تخيلنا أن هذين العنصرين موجودان معا بنسب غير منطقية .

بعد هذه الملاحظات المجردة ، بقي علينا أن نضيف الى ذلك ، أن التجر ... ، ما دامت لا تؤدي الى استنتاجات مختلفة ، فقد دفعتنا الى اتخاذ هذا السبيل واملت علينا هذه الاعتبارات .

ويلاحظ من يدرس التاريخ بلا تحيز ، أن المزايا الحربية والفاعلية في ادارة العمليات ساهمت في جميع العصور بتحقيق القسط الاكبر من النجاح والنصر .

لقد أكدنا من قبل أن تدمير قوات العدو هو هدف الاشتباك . وسنوضح في الفصل التالي الاهداف الاخرى التي قد تختلط معتدمير قوات العدو والسيطرة عليه . أما الان فسنبعد الاشتباك نهائيا عن هذه الاهداف ، على اعتبار أن تدمير العدو هدف كاف للاشتباك الخاص .

فماذا نقصد اذن من تدمير قوات العدو المسلحة ؟ اننا نقصد من ذلك انقاص هذه القوات بشكل يفوق النقصان الذي يصيب قواتنا . فاذا كنا نتمتع بتفوق عددي كبير كان عدد واحد من الخسائر يؤثر علينا أقل مما يؤثر على الخصم . ويمكن اعتبار ذلك ميزة حسنة . وما دمنا ندرس هنا الاشتباك نفسه، بعيدا عن كل أهدافه ، فان علينا أن نستبعد من هذه الدراسة الحالة التي لا يؤدي فيها هذا الاشتباك الى تدمير قوات العدو المسلحة الا بطريقة غير مباشرة . وبالتالي فاننا نعتبر أن الهدف هو الفائدة المباشرة الناجمة عن سير عمليات التدمير المتبادل ، لانها فائدة مطلقة ، وتمتد على طول مدة الحملة العسكرية ، وتحسب دائما في نهاية الحملة على شكل ربح صاف . وان كل نوع آخر من الانتصار على العدو ستسببه أهداف أخرى لن نتعرض لها هنا . أو انه لن يؤدي الا الى سبق نسبي وعابر ، وسيساعدنا المثال التالي على شرح فكرتنا .

عندما نستطيع ، بتدابيرنا الماهرة ، ان نضع الخصم في موقف يبلغ من الصعوبة ما يجعله عاجزا عن متابعة الاشتباك بلا تعرض للاخطار وينتهي ،

الامر بعد بعض المقاومة الى الانسحاب ، يمكننا أن نقول اننا انتصرنا عليه في هذه النقطة المحددة . ولكن اذا كلفتنا هذه العملية ثمنا يعادل ما تكبده العدو ، لم يبق من هذا الانتصار ( اذا أسمينا هذه النتيجة انتصارا ) ما يمكن ان ندخله في حساب الارباح والخسائر . اذن فالسيطرة على العدو ، أي وضعه في موقف يضطر الى تجنب الاشتباك ، عمل لا أهمية له في حد ذاته ، ولا يمكن أن يدخل في تعريف الهدف . والمهم ، كما رأينا ، هو الربح المباشر الصافي الذي تم الحصول عليه خلال سير التدمير . وهو لا يشمل الخسائر الواقعة خلال الاشتباك فحسب ، بل يشمل كل الخسائر التي تقع بعد انسحاب الطرف المهزوم ، والتي يمكن اعتبارها نتيجة مباشرة للاشتباك .

وتدل التجربة ، على أن الفرق بين الخسائر المادية التي تقع خلال الاشتباك في صفوف المنتصر والمهزوم ، هو فرق بسيط في معظم الاحيان . وينعدم هذا الفرق أو يكون معكوسا ، ولا يصاب المهزوم بالخسارة الحاسمة الا في لحظة الانسحاب ، وفي هذه الحالة لا يتعرض المنتصر الى خسائر ذات بال . وتبدأ خيالة المنتصر بافناء البقايا الضعيفة من الافواج المحطمة (١) . ويبقى الرجال المنهمكون على الارض المحتلة ، وتهجر المدافع وصناديق الذخيرة ( العتاد ) (٢) ، لتعذر نقلها بسرعة كافية على طرق سيئة ، فتستولي الخيالة عليها ، وتضيع بعض الجماعات في الليل لتسقط وهي عزلاء بين يدي العدو . وهكذا فان الانتصار لا يظهر بوضوح الا بعد الضربة بفترة من الزمن . ولا يبدو هذا الامر معقولا الا بعد تفسيره كما سنرى .

---

(١) اذا استبدلنا في الفكرة السابقة كلمة الخيالة بتعبير قوات المطاردة واستثمار النصر ، المؤلفة عادة من المدرعات والمشاة المحمولة على الآليات والمدفعية ذاتية الحركة والخيالة الجوية ( المحمولة على طائرات الهليكوبتر ) والمهندسين .. الخ أمكننا تطبيق فكرة كلاوزفيتز السابقة على الحرب المعاصرة التقليدية بدون اي تعديل آخر . وسنتحدث عن هذا الموضوع بتفصيل أكبر عند التعليق على الفصل الخاص بالوسيلة الاستراتيجية لاستخدام النصر .

( المترجمان )

( ٢ ، ٣ ) التعبيران الموجودان بين قوسين هنا غير مذكورين في النص الاصلي =

= ولقد اضطررنا الى وضعها لتقريب المفهوم الاصلي للمؤلف من مصطلحات العصر . وسنضعهما داخل قوسين في الصفحات التالية كلما كان ذلك ضروريا للغرض ذاته .

( المترجمان )

ليست خسارة القوات المسلحة هي كل ما يتعرض لـــه الخصمان خلال الاشتباك ، فالقوى المعنوية تهتز وتتحطم وتتدمر ايضا . وعندما يتساءل القائد : هل ينبغي متابعة الاشتباك أم لا ؟ فان سؤاله لا ينبثق عن خسائره من الرجـــال والخيول والمدافع ، ( الرجال والعتاد ) (٣) ، بـــل عن فقدان النظام والاقـــدام والثقة والتلاحم والتنظيم بين قواته . أي أن القوى المعنوية هي التي تدفعه الى هذا التساؤل . وتدل التجربة والملاحظة ، على أن القوى المعنوية كانت العامل الحاسم في القرارات ، كلما تساوت الخسائر المادية لدى المنتصر والمهزوم .

وعلى كل حال ، يصعب تحديد العلاقة النسبية بـــين خســـائر الطرفين المادية خلال الاشتباك ، بينما يسهل تقدير العلاقات النسبية للخسائر المعنوية . وتنجم خسارة القوى المعنوية من أمرين هما : فقدان الارض التي تجري المعركة فوقها ، وتفوق القوات المعادية الاحتياطية . فكلما تناقصت قواتنا الاحتياطيـــة بالنسبة لاحتياط العدو ، وكلما بذلنا قوة أكبر لتحقيق التوازن كان هـــذا البـــذل برهانا ساطعا على تفوق الخصم معنويا . ولا يلبث هذا الامر ان يسبب لنـــا مرارة اليمة ، ويحس القائد بازدراء ضمني لقطعاتـــــه .. وعلينـــا أن نعتبر القطعات التي قاتلت طويلا بلا استراحة ، بقايا ضعيفة ، لنفاذ دخيرتهـــا ، واستنزاف قواها المادية والمعنوية ، وتحطم شجاعتها ، بالاضافة الـــى تناقص عددها تناقصا واضحا . ولا تبدو مثل هذه القطعات مشابهة لما كانت عليه قبل الاشتباك ، كمجموعة عضوية متماسكة . وهذا ما يفسر امكان قياس خســـارة القوى المعنوية بمقياس دقيق بعد معرفة كمية القوات الاحتياطيـــة المستهلكة في القتـــــال .

اذن فخسارة الارض ونقصان القوات الاحتياطية الطازجة همـــا السببان الرئيسيان للانسحاب ، وهناك بدون شك أسباب أخرى لا يمكن تجاهلها ، مثل نقص التلاحم بين الاجزاء في المخطط العام .. الخ .

فكل اشتباك هو اذن سباق دام مدمر للقوى المادية والمعنوية . والمنتصر هو الذي يملك في النهاية مجموعة أكبر من هذه القوى .

والخسائر المعنوية في الحرب هي السبب الرئيسي في الوصول الى النتيجة

---

(١) راجع التعليق رقم (٢) في الصفحة السابقة .

الحاسمة ، وبعد هذه النتيجة تزداد الخسائر حتى تصل الى نقطة الذروة في نهاية العمل كله . وهكذا تصبح هي الوسيلة التي تستخدم تدمير قوات العدو للوصول الى الربح الذي كان هدف الاشتباك الحقيقي . ان اختفاء النظام والوحدة داخل القطعات يجعل المقاومة الفردية نفسها ضعيفة ، وتتحطم الشجاعة الجماعية ، ويختفي الهيجان الاولى الذي يجعلنا ننسى الخطر . ويغدو الخطر بالنسبة للكثيرين عقابا اليما بدلا من أن يكون حافزا على الاقدام . وما ان تضعف الأداة ( القوات المسلحة ) وينثلم حدها في لحظات انتصار العدو الاولى ، حتى تصبح في وضع لا يتيح لها مجابهة الخطر .

عندها ينبغي للمنتصر أن يستغل الفرصة لتحقيق ربحه الحقيقي الماثل في تدمير قوى العدو المادية ، وهو يحصل على هذا الربح بلا ثمن . وقد اسمينا تدمير القوة المادية بالربح الحقيقي ، لأن القوى المعنوية لا تلبث أن تتماسك وتتكون لدى الخصم مرة اخرى ، ولأن النظام يعود مع الزمن كما تستثار الشجاعة باستمرار . ولا يبقى لدى المنتصر في معظم الحالات الا جزء يسير من التفوق الذي حصل عليه ، وقد لا يبقى له من التفوق أي شيء ، بل على العكس ، قد تزيد روح العدوان والانتقام لدى المهزوم حتى تقلب ميزان التفوق . اما الخسارة المادية من القتلى والجرحى والاسرى والمدافع ( الرجال والعتاد )، فتبقى ماثلة دائما في حساب الارباح والخسائر .

وتشمل الخسائر خلال المعركة القتلى والجرحى . أما الخسائر بعد المعركة فتشمل الاسرى والاسلحة والخسائر الاولى مشتركة بين الطرفين ، وليست الثانية كذلك . ويمكننا أن نقول : ان الخسارة الثانية لاتقع الا في أحد المعسكرين المتحاربين ، أو انها تكون في أحد المعسكرين أكبر مما هي عليه في المعسكر الآخر .

لذلك كانت المدافع ( الاسلحة ) والاسرى دائما غنائم النصر الحقيقية وهي تعطي قيمة هذا النصر ، لانها تظهر أبعاده بحجمها الحقيقي . انها تتيح اكثر من اي شيء آخر تحديد درجة التفوق المعنوي . لذا فهي عامل جديد لقياس القوى المعنوية .

لقد قلنا : ان الخسائر المعنوية الناجمة عن الاشتباك ونتائجه الاولى لا تلبث أن تختفي شيئا فشيئا بدون أن تترك أي أثر . وينطبق هذا القول

على الاجزاء الصغيرة ، ولكنه أصعب وأندر في الحالات الأكبر . وقد يقع هذا في الجيش ، ولكن نادرا مايحدث في الدولة او الحكومة .

وليست كمية الغنائم التي ربحها العدو ونسبتها اذا ما قورنت بالقتلى والجرحى ، الا دليلا واضحا على ضعفنا . ان علينا أن لا نبخس فقدان توازن القوى المعنوية أهميته ، مدعين أن التوازن لا يحمل قيمة مطلقة ، ولا يبدو بصورة أكيدة في المجموع العام للنجاح . فهذا التوازن قادر ، على العكس ، أن يبلغ أهمية كبيرة تقلب كل شيء بقوة لا تقاوم ، كما يستطيع أن يكون في كل وقت دافعا كبيرا للعمل . وسنتحدث عن ذلك في مكان آخر . ولكننا سنكتفي الآن بذكر بعض الملاحظات العامة في هذا الشأن .

لا يزيد التأثير المعنوي لانتصار ما زيادة متناسبة وكبر القوات المسلحة فحسب ، بل يزيد أكثر ، لانه يتزايد بالحجم والقوة . وان فرقه مغلوبة لقادرة على استعادة نظامها بسرعة ، اذ يمكن استثارة شجاعة هذه الفرقة بشجاعة الجيش منذ التحاقها به ، ومثلها هنا كمثل عضو مخدر من البرد يستعيد نشاطه بعد أن يستمد الدفء من الجسم كله . ان تأثيرات الانتصارات الصغيرة تفقد جزءا من أهميتها بدون أن تختفي نهائيا . أما هزيمة الجيش كله في معركة فاشلة فتعني انهيار كل شيء في آن واحد .

وهناك أمر آخر يحدد قيمة النصر ووزنه المعنوي ، وهو ميزان القوى بين القوات المتحاربة . فاذا استطاع جيش صغير الانتصار على جيش أكبر منه ، كان ربحه مضاعفا ، ودل على تفوقه العام الذي يخشاه المهزوم بعد ذلك خشية دائمة . ولا يلاحظ هذا التأثير العميق عند وقوعه ، لان المرء يكون خلال العمل فكرة غير واضحة عن قوى الخصم الحقيقية ، وفكرة خاطئة عن قواته نفسها ، لدرجة يرفض الخصم الاقوى معها أن يعترف بعدم تناسب القوى ، أو يرفض قبوله بكل حقيقته ، وهو ينجو بهذا الشكل من الضرر المعنوي الذي كان من المحتمل أن يصيبه . ولكن لا تلبث هذه القوة بعد قليل أن تخرج من الظلام الذي وضعتها فيه عوامل التبجح والجهل والحسابات الاولية . ولا تلبث أن تكلل الجيش المنتصر وقائده بأكاليل الفخر . ولكن وزنها المعنوي لا يستطيع أن يعود الى الوراء ليغير من أحداث الماضي شيئا .

وما دام أسر الرجال والمدافع ( المعدات ) هو العامل الاساسي الذي يمثل الانتصار ويبلوره جيدا ، فانه هو الذي يحدد خطة الاشتباك . ويبدو تدمير الخصم بالجرح والقتل ، وسيلة فقط .

فما هو تأثير هذا على ترتيب الاشتباك ؟ هــذا أمر لايهم **الاستراتيجية** . ولكن ترتيب الاشتباك ذاته يرتبط بها ارتباطا وثيقا ، وان لم يكن ذلك الا لحماية مؤخراتنا وتهديد مؤخرات العدو . ويتعلق عدد الاسرى والمدافع ( المعــدات ) التي يتم الاستيلاء عليها، الى حد كبير، بهذه المسألة التي تتجاوز التكتيك فيبعض الحالات ، لا سيما عندما لا تكون الظروف الاستراتيجية ملائمة له . ان مساوىء القتال في اتجاهين ، والمخاطر الناجمة عن قطع طريق الانســحاب ، تشــل الحركات وقوى المقاومة ، وتنعكس على احتمالات النجاح والفشل . وبالاضافة الى ذلك ، تنجم عند الفشل زيادة في الخسارة تصل الى الحــد الاقصــى ، أي الى حــد الابـــادة .

ان **تهديد** المؤخرات يزيد من احتمـــالات الهزيمة ويجعلهـــا أكثر **حسما** .

ويخلق هذا الامر غريزة حقيقية في كل ما يتعلق بادارة الحـــرب لا سيما في الاشتباكات الكبيرة والصغيرة : **تامين طريق انسحابنا ، والسيطرة علـــى طريق انسحاب العدو** . وتنجم هذه الغريزة عن مفهوم النصر الذي تحدثنا عنه ، **والذي لا يعني قتل العدو فقط** .

وينم هذا الجهد ( لتأمين انسحابنا وقطع انسحاب العدو ) اذن ، عن الهدف الاول الدقيق والعام للقتال ، ويظهره . ومن المستحيل أن نتصور اشتباكا لايرافق فيه هذ الجهد ، بشكله المفــرد أو المــزدوج ، العنف الاساسي الضروري . ان أصغر مفرزة تنطلق نحو العدو تفكر في انسحابها ، كما تبحث عن طريــــق انسحاب العدو في معظم الحالات .

فاذا شئنا أن نظهر الى أي حد تعاق الغريزة في الحالات المعقدة ، أوتضطر الى الاختفاء أمام الصعوبات التي تفرضها متطلبات أخرى هامة ، كان عملنا هذا ابتعادا عن موضوعنا الاساسي . فلنكتف بأن نؤكد بأن **تامين انسحابنا ومحاولة قطع سبيل انسحاب الخصم** هو قانون طبيعي عام للاشتباك .

انه ينطبق اذن في كل مكان ، ويؤثر دائما بثقله الطبيعي ، فيصبح بذلـــك المحور لكل المناورات التكتيكية والاستراتيجية .

فاذا وقفنا الآن لحظة أمام فكرة النصر بصورة عامة لاحظنا فيها ثلاثـــة عناصـــر :

١ ـــ تحمل العدو خسائر مادية جسيمة .

٢ ـــ تحمل العدو خسائر معنوية كبيرة .

٣ ـــ انه يعترف بكل ذلك جهارا ، ويتخلى عن مقاصده .

ويصعب عادة تحديد خسائر العدو المادية ، كما يقوم الكثيرون باخفاء خسائر قواتهم وتضخيم خسائر العدو . ولا يمكن تقدير الخسائر المعنوية بميزان دقيق ، ولكن التخلي عن المقاصد او النوايا لا يشبه مغادرة ساحة المعركة ، حتى عندما يكون الصراع طويلا عنيدا . ولا يستطيع أي امرىء أن يتهم مخفرا أماميا ينسحب بعد مقاومة عنيفة ، بأنه ترك نواياه . كما أن ترك ساحة المعركة، حتى في الاشتباك الرامي الى تدمير قوات العدو ، لا يعتبر دليلا على التخلي عن النوايا ويمكننا أن نذكر على سبيل المثال حالة الانسحاب المعد مسبقا ( القتال التراجعي ) (١) الذي يتم الصراع فيه على الارض شبرا شبرا . و كل ذلك جزء من أهداف الاشتباك الخاصة . وهنا لابد لنا من أن نلفت انتباه القارىء الى أن التمييز بين التخلي عن النوايا وترك ساحة المعركة عمل صعب في جميع الاحوال . وأن علينا أن لا نتجاهل أهمية الانطباع السيىء الذي تؤدي اليه مغادرة ميدان المعركة داخل الجيش وخارجه .

وهذا أمر حساس بالنسبة للقيادات والجيوش التي لم تثبت جدارتها ، اذ تبدو الطريقة المحددة بالظروف ، والتي تنتهي فيها الاشتباكات بعمليات انسحاب ، كأنها هزيمة مع انها غير ذلك . ولكن هذا المظهر قد يؤدي الى نتائج وخيمة ، لان من يترك المكان لخصمه عاجز عن ابطال التأثير المعنوي يشرح نيته الحقيقية ، لان مثل هذا الشرح لا يكون فعالا الا اذا كشف مخططاته ، وهذا ما يتعارض مع مصلحته الاساسية .

وبصورة خاصة ، اذا ما تزعزعت القوى المعنوية بالنصر ، وكان حجم الغنائم كبيرا كبرا غير طبيعي ، انقلب الاشتباك الخاسر في هذه الحالة الى هزيمة . وهي هزيمة لا تتعدل بأي انتصار ، لان قوى المغلوب المعنوية التي

---

(١) نفس الملاحظة المذكورة في الصفحة ٢٩٨ ـــ (٢) و (٣) .

حطمتها هذه الهزيمة تجعل المقاومة متعذرة ، ولا يبقى أمام المهزوم سوى عمـــل واحد هو قطع التماس ، أي الفرار .

و هكذا يمكننا أن نقول بأن هناك نوعين من الانتصار : الانتصار الناجم عن هزيمة العدو ، والانتصار الناجم عن نقص مقاومة العدو . والاختلاف بينهما هو اختلاف في الدرجة فقط .



# الفصل الرابع

# معنى الاشتباك

لقد درسنا في الفصل السابق الاشتباك في مظهره المطلق ، وبشكل ما ، كموجز للحرب كلها . فلنفحصه الآن كجزء من كل ، وسنبدأ بأن نتساءل ما هو مدلول الاشتباك ، الدقيق ؟.

ليست الحرب سوى تدميرا متبادلا ، لذلك فان الفكرة التي تنطبق أكثر من غيرها على النظرية او على الحقيقة ، كامنة في تركيز جميع قوى الطرفين في كتلة واحدة ، وتجميع كل النتائج في صدام هاتين الكتلتين . وفي هذه الفكرة كثير من الصحة ، وعلينا أن نتبعها فلا نعتبر الاشتباكات الصغيرة الا بقايا لا بد منها . ولكن على الرغم من ذلك ، فالامور ليست في هذه البساطة .

ومن الطبيعي ، أن تعدد الاشتباكات ناجم عن تقسيم القوات المسلحة ، ويمكن بفضل هذا التقسيم تفسير الاهداف الدقيقة للاشتباكات المختلفة وتوضيحها . ويمكن تنسيق مجموع الاشتباكات داخل مجموعات ، ومعرفتها تساعدنا على توضيح أفكارنا .

ان تدمير قوات العدو المسلحة هو ، بلا شك ، هدف كل اشتباك . وهناك أهداف اخرى يمكن أن ترتبط به أو تسمو عليه . لذلك علينا أن نميز الحالات التي يكون فيها تدمير قوات العدو هدفا رئيسيا ، والحالات التي يعتبر فيها هذا التدمير وسيلة . فاذا استثنينا تدمير القوات المسلحة ، وجدنا أن احتلال مكان أو هدف ، قد يشكل السبب الاساسي لاشتباك أو عدة اشتباكات . اذن فأن الشكلين الاساسين للحرب : الدفاع والهجوم ، متفقان بالنسبة

للدافع الاول (تدمير القوات المسلحة) ولكنهما يعدلان الدافعين الآخرين (احتلال مكان أو هدف) . فاذا وضعنا هذه الفكرة بشكل جدول وجدنا ما يلي :

| **اشتباك هجومي** | **اشتباك دفاعي** |
|---|---|
| ١ ــ تدمير قوات العدو المسلحة | ١ ــ تدمير قوات العدو المسلحة |
| ٢ ــ احتلال مكان | ٢ ــ الدفاع عن مكان |
| ٣ ــ احتلال هدف | ٣ ــ الدفاع عن هدف . |

غير ان هذه الدوافع لا تضم كل أطراف الموضوع ، ويكفي أن نتذكر الاستطلاع والتظاهرات التي لا يعتبر فيها أي دافع من الدوافع الثلاثة، المذكورة سابقا، هدفا للاشتباك، حتى نعرف أن علينا تحديدنوع رابع من الاشتباك. ففي الاستطلاع ، حيث نسعى الى كشف العدو ، والانذار ، حيث نسعى الى انهاكه ، وفي التظاهرات الرامية الى منعه من ترك موضعه أو الانتقال الى موضع آخر ، نجد أنه لا يمكن الوصول الى هذه الاهداف في النهاية الا بصورة غير مباشرة ، **وبالارتباط مع أحد الدوافع الثلاثة المذكورة سابقا وبخاصة الدافع الثاني** ، لان على العدو الذي يود الاستطلاع أن يتظاهر بالهجوم الحقيقي لقهرنا أو طردنا.. الخ. ولكن هذه الخدعة ليست الهدف الحقيقي ، ونحن نبحث هنا عن هذا الهدف الحقيقي . لذا يجب أن نضع هدفا رابعا نضيفه الى الاهداف الثلاثة السابقة ، وهو الذي نريد بواسطته دفع العدو الى القيام بمناورة خاطئة ، أي الذي نود القيام فيه باشتباك كاذب . ومن البدهي أن هذا الهدف لا يظهر الا في الهجوم .. ويمكننا أن نلاحظ أيضا أن الدفاع عن مكان ما يتم بشكلين : فقد يكون دفاعا مطلقا لا يسمح بترك الموضع بأي شكل من الاشكال ، أو دفاعا نسبيا يهدف الى المحافظة على الموضع فترة معينة من الزمن . وتتم هذه الحالة دائما في قتال المخافر الامامية والمؤخرات .

وتؤثر هذه الاهداف ، بلا شك ، على تنظيم الاشتباك . وتختلف طريقة طرد العدو من مكانه عن الاسلوب الرامي الى تحقيق الابادة الشاملة . وهي

تختلف في حالة الدفاع بأي ثمن ( دون فكرة تراجع ) ، عن الدفاع لايقاف العدو فترة معينة من الزمن ، لاننا لا نعير التراجع في الحالة الاولى اهتماما جديا ، على حين نعتبره في الحالة الثانية أمرا أساسيا .. الخ .

ولكن هذه الملاحظات تتعلق بالتكتيك ، أما بالنسبة للاستراتيجية فعلينا التقيد بالافكار الاساسية التالية :

أولا : ان أهمية الاهداف عادة هي ، الى حد بسيط ، معاكس تسلسل الترتيب الذي ذكرناها فيه . ( أي أن تسلسل أهميتها هو كما يلي : احتلال هدف ، احتلال مكان ، تدمير قوات العدو المسلحة ) .

ثانيا : ان الهدف الاول ( تدمير قوات العدو المسلحة ) ينبغي أن يفوق ، في المعركة الرئيسية ، الاهداف الاخرى .

ثالثا : في الاشتباك الدفاعي ، لا يعطي الهدفان الاخيران ( الدفاع عن مكان والدفاع عن هدف ) ، بحد ذاتهما ، ثمارا ، لانهما سلبيان كل السلبية ، ولا يقدمان الفائدة المرجوة الا بصورة غير مباشرة ، وذلك بتسهيلهما تحقيق أمور أخرى أكثر ايجابية . **فاذا ما تكررت كثيرا الاشتباكات من هذا النوع ، دل ذلك على ان الوضع الاستراتيجي وضع خطير .**



# الفصل الخامس

# مدة الاشتباك

أن مدة اشتباك ما ، هي في شكل ما ايضا ، نجاح ثان ، تابع للنجاح الاول. ويرى المنتصر دائما ان النتيجة الحاسمة لاشتباك ما لا تأتي بالسرعة المطلوبة. أما المهزوم فيجد أن هذه النتيجة جاءت قبل أوانها . ويمكن اعتبار الانتصار السريع أكثر روعة من غيره . كما أن تأخير النتيجة الحاسمة تعويض للمهزوم عن بعض خسارته .

هذه حقيقة عامة جدا . ولكن هذة الحقيقة تأخذ أهمية عملية في الاشتباكات ذات الطابع الدفاعي النسبي . ففي هذه الحالة يكمن كل نجاح في المدة نفسها ، لذلك علينا ان ندخل المدة في سلسلة العناصر الاستراتيجية .

وترتبط مدة اشتباك ما بالعناصر الرئيسية التي يتكون منها . وهذه العناصر هي : القيمة المطلقة للقوى ، الميزان المتبادل للقوى والاسلحة ، طبيعة الارض ومدة مقاومة جيش لجيش يعادل ضعفه أو ثلاثة أضعافه هي أقل من مدة مقاومته لجيش يعادل قوته . ويتم الحل الحاسم باشتباكات الخيالة بسرعة أكبر من حالة اشتباكات المشاة . وتزداد سرعة الحسم في اشتباك بين المشاة اذا ما تدخلت المدفعية (١) . ويمكن التقدم في الجبال والغابات بسرعة تقل عن سرعة التقدم في السهول . كل ذلك واضح لا يحتاج الى تفسير .

وينجم عن ذلك أن القوة ، والميزان المتبادل للقوى ، والاسلحة

(١) تزيد سرعة الحسم في الحروب التقليدية المعاصرة ، باستخدام المدرعات والطائرات والمدفعية الصاروخية والمشاة المحمولة بالآليات أو المحمولة جوا .

المستخدمة ، والموضع نفسه ، أمور هامة لابد من أخذهـــا بعين الاعتبار ، اذا كان على الاشتباك ان ينفذ مهمته بفضل طول مدته . ولكن هـــذا النـــوع مـــن الاشتباك حالة خاصة ، ولقد كانت القاعدة عند دراسته أقـــل أهمية بالنســـبة الينا من ضرورة ربط القاعدة بالنتائج الرئيسية التي تقدمها لنا التجربـــة بهـــذا الصـــــدد .

ويستطيع الفيلق مقاومة عدو متفوق مدة تعادل ضعف مقاومة الفرقة أمـــام عدو يتفوق عليها ، اما مدة مقاومة الجيش فتعادل ٣ ــ ٤ أضعاف مدة مقاومة الفيلق . فاذا ما استقدمنا الى أرض المعركة خلال هذا الوقت قوات أخـرى ، اختلط نشاطها سريعا بنتيجة الاشتباك العام ولم يبد كأشتباك مستقل .. ويكون مجموع النشاطات عندئذ كلا لايتجزأ .



---

لقد أثبتت الحرب العالمية الثانية صحة هذا المبدأ ، ولكن الحروب المحليـــة ضد قـــوات العصابات المسلحة بالفكر وروح التضحية ، والعاملة لاهداف سامية على أرض صالحة لمثل هـــذا النوع من الحروب ، افتقدت هذا المبدأ كثيرا من قيمته ، واعطت امثلة عديدة لم تســـتطع فيهـــا قوات متفوقة بالعتاد أن تحصل على الحسم بسرعة .

أما حروب المستقبل ( الحروب النووية ) فينتظر أن يكون الحسم فيهـــا سريعا جـــدا ، اذا ماتوفرت المفاجأة والتفوق الاكيد الذي لا جدال فيه بعدد القذائف النووية وعدد المعدات التي تحملها ( طائرات ، صواريخ بعيدة المدى .. الخ ) اذ تكفي ضربة واحدة مفاجئة ومعدة جيدا ( معاكســـة للقوى ) للحصول على الحسم بشل الخصم وجعله عاجزا عن اي صد ، ومستعدا للتخلي عـــن الصـــراع .

**( المترجمان )**

# الفصل السادس

# الحسم في الاشتباك

لا يتم تقرير مصير اي اشتباك في لحظة واحدة ، ولكن في كل اشتباك لحظات حاسمة ذات أهمية كبيرة بالنسبة لنتيجة الاشتباك كله . وخسارة اشتباك ما ، تعني انخفاضا متدرجا في كفة الميزان . ومع هذا ، ففي كل اشتباك ، لحظة معينة يمكن اعتباره فيها أمرا منتهيا ، بشكل تصبح معه العودة الى الصراع اشتباكا جديدا ، لا متابعة للاشتباك القديم . ومن الضروري تكوين فكرة واضحة عن هذه اللحظة لمعرفة ما اذا كان الاشتباك قادرا على تحقيق بعض النجاح بفضل دعم يأتي من نجدة سريعة .

أما الاشتباكات التي لا أمل بتحسين نتيجتها فأنها تمتص القوى الجديدة وتضحي بها بلا جدوى . وكثيرا ما كانت تفوت الفرصة في قلب الموقف عندما يكون هذا الأمر ممكنا ومتيسرا .

ان اي اشتباك هو كل ، تتركب الاشتباكات الجزئية في داخله ضمن نتيجة عامة تكمن فيها نتيجة الاشتباك الحاسمة . وليست هذه النتيجة دائما عبارة عن انتصار واضح كما رأينا من قبل فغالبا ما يكون المنتصر غير مستعد لذلك ، أو أن الفرصة لا تتاح ، لا سيما عندما يعجل العدو كثيرًا في التواري . وتقع النتيجة الحاسمة في معظم الحالات قبل أن يصل النجاح الى درجة الوضوح المتلائمة مع مفهوم النصر الحقيقي .

لذا فاننا نتساءل : ماهي في الحقيقة لحظة الحسم ، اي اللحظة التي لا تستطيع فيها قوة مسلحة جديدة ان تقلب الموقف الا اذا كانت قوة كبيرة جدا؟

اذا وضعنا جانبا الاشتباكات التظاهرية التي لا تحمل في طياتها بالاصل حلا حاسما ، امكننا أن نقول :

١ ـ اذا كان الاستيلاء على غرض متحرك هو الهدف المنشود ، فأن خسارة هذا الهدف تؤدي الى الحسم .

٢ ـ اذا كان الاشتباك يرمي الى احتلال ارض ، جاء الحسم عندئذ فقدان هذه الارض . ولا يقع هذا الا عندما يكون للارض قيمة خاصة . ومن الممكن استعادة اية مقاطعة يسهل الاستيلاء عليها بدون أن نتعرض خلال الاستعادة الى خطر كبير ، مهما كانت هذه المقاطعة هامة .

٣ ـ وفي جميع الحالات التي لا يبت فيها في الاشتباك ، بالطريقتين المذكورتين ، لا سيما اذا كان الهدف الرئيسي تدمير قوات العدو ، فان الحسم يأتي في اللحظة التي يتخلص فيها المنتصر من حالة التفتت أو العجز .

ان اشتباكا حافظت به قوات العدو المهاجمة ، باستثناء جزء منها ، على نظامها وقدرتها القتالية ، على حين تفتتت قوتنا نسبيا ، هو اشتباك لا نستطيع استعادة الموقف فيه لصالحنا . كما لا نستطيع تحقيق هذا الامر عندما يستعيد الخصم قدرته على العمل .

وبقدر ما تكون القوات المشتبكة في القتال صغيرة ، يزداد حجم القوات الاحتياطية التي تشارك في تحقيق الحسم بمجرد ظهورها ، وينقص احتمال قيام قوة معادية جديدة بانتزاع النصر من أيدينا . ان القائد والجيش اللذين يديران الاشتباك ، مع تحقيق الحد الاقصى من الاقتصاد بالقوى ، ويقدران تقديرا سليما الاثر المعنوي لاحتياط كبير ، يتيحان لانفسهما أفضل ضمانة للنصر .

وبالاضافة الى ذلك ، ان سرعة عودة اللحظة التي تتوقف فيها حالة أزمة القتال لدى المنتصر ، ويستعيد فيها قدرته الاولية ، ان هذه السرعة تزداد كلما صغر حجم القطعة العسكرية . ان جماعة تطارد عدوها قادرة على استعادة توازنهما الاساسي بلحظات ، ولا تذهب الازمة عندها ابعد من ذلك . أما الفوج فيحتاج الى وقت أكبر ، وتزداد المدة المطلوبة لاستعادة التوازن في الفرق المؤلفة من مختلف الصنوف ، والتي اندفع جزء منها في هذا الاتجاه بينما اندفع الجزء الآ

في الاتجاه الاخر ، خلال اشتباك يزيد من اضطراب النظام الذي تزداد حـدته لجهل كل جزء بعمل الجزء الاخر . وبالتالي فان حجم مجموع القوات ، وسعة مجال العمل ، يؤديان الى تأخير قدوم اللحظة التي يجد المنتصر فيها من جديد الادوات التي استخدمها قد تشابكت خلال الاستخدام بفعل الفوضى ، أي اللحظة التي يعيد فيها تنظيم هذه الادوات ووضعها في مكانها الملائم ، بالاضافة الى تأمين النظام في ساحة المعركة .

كما أن قدوم هذه اللحظة يتأخر عندما يفاجىء الليل المنتصر وهو في حالة الازمة . واخيرا فانه يتأخر عندما تكون الارض متقطعة ومغطاة وهنا لا بد من أن نعرف ان الليل **وسيلة هامة من وسائل الحماية** ، فنادرا ما تساعد الظروف على تحقيق نجاح هجوم ليلي . كما ان المنتصر الذي يجتاز ازمة انتصار طويلة يتحاشى رد الفعل في أرض متقطعة ومغطاة . ولا يساعد الليل ، والارض المتقطعة والمغطاة على استمرار الاشتباك نفسه ، بل يجعلان هذا الاستمرار أكثر صعوبة .

اننا اعتبرنا حتى الان أن النجدة التي يتلقاها الطرف الواقع في موقف سيء عبارة عن زيادة مجردة في القوة المسلحة ، أي كدعم قادم حديثا من المؤخرة . وهذه هي الحالة العادية الاكثر تكرارا . ولكن الموقف يتغير تغيرا جذريا عندما تسقط القوات « الطازجة » على مجنبة العدو أو مؤخرته .

وسنتحدث في مكان آخر عن فاعلية الهجوم على المجنبات والمؤخرات ضمن حدود دخولها في المجال الاستراتيجي . ولكن هذه الفاعلية التي نراها هنا كجزء من الاشتباك ترجع في الحقيقة الى المستوى التكتيكي . ولقد تكلمنا عنها لاننا نتحدث عن النتائج التكتيكية ، ونحاول التقدم في مجال التكتيك .

وقد تزيد فاعلية قوة موجهة الى مجنبة العدو ومؤخراته زيادة كبيرة . ولكن هذه الزيادة غير حتمية . فقد تجد الفاعلية نفسها مصابة بالوهن . وتقرر ظروف الاشتباك هذا الامر كما تقرر الامور الاخرى ، دون ان نستطيع هنا الدخول في تفصيلات مخططات العدو . ويهمنا في هذا الصدد نقطتان :

**النقطة الاولى هي أن تأثير الانقضاضات على المجنبة والمؤخرات ينعكس على النجاح الذي يخلق الحسم فيما بعد أكثر مما يؤثر على الحسم نفسه .**

اذن فان ما يهمنا في الاشتباك هو النجاح ، لا ضخامة هذا النجاح ، وتدفعنا هذه النقطة الى الاعتقاد بأن قوة تندفع الى الاشتباك مع مؤخرة العدو او مجنبته — أي منفصلة عنا — ، يكون تأثيرها دون التأثير الذي كان بوسعها تحقيقه لو انها انضمت الينا . والحقيقة ان الامر غالبا ما يكون كذلك . ولكن معظم الحالات تؤيد الراي الاخر . ويعود ذلك الى النقطة الثانية التي تهمنا هنا .

النقطة الثانية هي القوة المعنوية . **وتنجم هذه القوة عادة عن دعم** يأتي **بصورة مفاجئة لتحقيق اشتباك** . وتأثير المفاجأة اكثر فاعلية في الهجوم على المجنبات والمؤخرات ، وفي حالة الازمة ، أي في حالة الاضطراب والتبعثر التي يكون المنتصر فيها أقل استعدادا لصد هذا الدعم . ومن منا لا يعلم أن هجوما جبهيا وعلى المؤخرات لا يعطي نتيجة كبيرة في بداية الاشتباك ، وعندما تكون القوى مركزة ومنتظمة وتتوقع مثل هذا الموقف ، على حين أن لمثل هذا الهجوم في اللحظة الاخيرة وزنا اكبر بكثير ؟

اذن يمكننا أن نؤكد بلا تردد أن الدعم الذي يسقط على مؤخرات ومجنبات العدو أكثر فاعلية في معظم الاحيان . أي اننا نستطيع في مثل هذه الظروف تحقيق الاشتباك بقوات لمتكن لتكفي لو اننا أردنا استخدامها استخداما مباشرا . ويكاد يكون توقع النتائج في هذه الحالة مستحيلا ، وتأخذ القوى المعنوية فيها مكان الصدارة ، ويمكن أن تقوم الشجاعة والاقدام هنا بدور هامّ .

كل هذه امور تسترعي الانتباه . وعلينا أن ندرس تعاون كل هذه العوامل ونأخذها بعين الاعتبار عندما نود معرفة امكان اصلاح موقف حرج .

عندما لا نعتبر الاشتباك الاولي منتهيا ، فان الاشتباك الجديد الذي نبدؤه بفضل الدعم يختلط بالاشتباك السابق ، اذن فهنالك نتيجة مشتركة تخفي المساوىء التي تعرضنا لها في البداية . ولكن الامر مختلف عن ذلك عندما يكون مصير الاشتباك الاساسي مقررا بشكل نهائي . وفي هذه الحالة تظهر نتيجتان مختلفتان .

١ — اذا كانت النجدة مؤلفة من قوة بسيطة قادرة على مجابهة الخصم وحدها ، فمن الخطأ انتظار نتيجة ملائمة من الاشتباك الثاني .

٢ — اذ كانت النجدة أهلا للقيام بالاشتباك الثاني بدون أن تأخذ الاشتباك الاول بعين الاعتبار ، فانها تستطيع موازنة نتائج الاول السيئة بنتيجة حد

تخفف من التأثيرات السيئة الاولى ، ولكنها تمسحها نهائيا من حساب النتائج العامة :

ولكن اذا استطعنا اخذ المبادأة من جديد ، واصلحنا اشتباكا سيئا قبل نهايته ، فان نتيجته السلبية لا تختفي من الميزان فحسب ، بل تصبح نقطة انطلاق لانتصار كبير . لاننا عندما نتمثل السر التكتيكي للاشتباك بصورة صحيحة نلاحظ أن جميع نتائج الاشتباكات الجزئية التي تقع قبل نهاية الاشتباك الاساسي عبارة عن قرارات معلقة يمكن أن تختفى لصالح القرار الاساسي ، أو أن تنقلب الى قرار معاكس . وكلما كانت قواتنا متمرسة بالقتال كلما الحقت الاضرار بقوات العدو ، وفي هذه الحالة تزداد الازمة لدى العدو كما يتضاعف تفوق قواتنا الجديدة . فاذا ما كانت النتيجة النهائية والاجمالية لمصلحتنا وتوصلنا الى احتلال ميدان المعركة والاستيلاء على الغنائم ، غدت جميع القوى التي بددها العدو ربحا صافيا بالنسبة الينا . وغدا فشلنا السابق منطلقا لنصر اكبر . أما أروع الاعمال التي كان العدو سيجد لها قيمة كبيرة تنسيه كل ما تجشمه خلالها لو انه انتصر ، فلا تترك بعد الهزيمة سوى الندم . وهكذا يقلب سحر النصر ولعنة الهزيمة وزن العناصر النوعي .

ان علينا أن نتجنب النهاية السيئة لاشتباك هام ، بان نبذل جهدنا لتحقيق انعكاس الموقف ، بدلا من القيام فيما بعد باشتباك ثأري جديد ، حتى لو كان تفوقنا واضحا ، وكان بوسعنا الثأر من انتصار العدو بانتصار أكبر .

لذا ليست الاشتباكات الدامية التي تقوم بها المقدمة قبل المعركة الا شرا لا بد منه ، ومن الافضل تجنبه كلما استطعنا الى ذلك سبيلا .

وعلينا الان أن نستنتج استنتاجا آخر هو أنه ينبغي أن لا تشكل نتيجة ما ، سببا لاشتباك . فعلى الاشتباك الجديد ان يتحدد بشروط اخرى . ولكن هذا الاستنتاج يتعارض ووجود قوة معنوية اخرى لا بد من اخذها بعين الاعتبار ، وهي : الرغبة في الثأر والانتقام ، ويحس الجيش ، من القائد الاعلى حتى أصغر الجنود بهذه الرغبة الجامحة ، لذا فان القطعة العسكرية تتمتع بروح معنوية وحماسة لا مثيل لهما عندما تريد تصفية حسابها مع العدو ، على أن لا يكون الجزء المهزوم كبيرا ، والا ضاعت هذه الرغبة في غمرة الشعور بالعجز .

وفكرة الاستفادة من هذه القوة المعنوية فكرة طبيعية . اذ يود المهـزوم اصلاح الكارثة على الفور بخلق اشتباك جـديد ، لا سيما اذا كانت الظـروف ملائمة . ومن البدهي: أن يكون هذا الاشتباك الثاني هجومياً .

واننا نجد في الاشتباكات الثانوية أمثلة متعددة عن هذه العمليات الانتقامية، اما المعارك الكبرى فتحددها أغراض متعددة شتى حتى انها تحول دون انطلاقها بسبب هذا دافع الانتقام .

اما المسافات الفاصلة بين القطعات المدعوة للقتال معـا فتتعلق بمـدة الاشتباكات وبلحظتها الحاسمة . ويعتبر هذا الترتيب من المستوى التكتيكي عندما يتعلق الامر باشتباك واحد. ولكننا لا نستطيع اعتباره كذلك، الا اذا كانت مواضع القطعات متقاربة تقاربا يمنعنا من اعتبار الاشتباك الواحد كاشتباكين متميزين . وبالتالي فان المساحة التي تحتلها مجموعة القطعات لا تبدو من وجهة النظر الاستراتيجية الا كنقطة واحدة . ولكننـا نضطر في الحرب الـى توزيع القوات المتعددة للقتال توزيعا يتيح جمعها للقيام بعمل مشـترك ، عـلى الا يحول ذلك دون استخدامها في اشتباكات منفردة . ان مثل هـذا الترتيب يتمتع بطبيعة استراتيجية .

ويتألف هذا النوع من : تشكيلات المسير بالارتال ، والمقدمات ، والمجنبات، والاحتياطات المعدة لدعم اكثر من نقطـة استراتيجية ، وحركـة تجميع مختلف القطعات القادمة من معسكرات متباعدة . . . الخ .

* * *

# الفصل السابع

## قبول الطرفين بالاشتباك

لا يمكن ان يقع اي اشتباك اذا لم يتبادل الطرفان القبول به . ولقد اوجدت هذه الفكرة لدى المؤرخين لغوا يخلط مفاهيم غامضة وخاطئة . وينطلق المؤرخون غالبا من فكرة أن أحد الخصمين يفرض على الاخر معركة كان قد رفضها .

ولكن الاشتباك مبارزة خاصة جدا لا تستند فقط على الفكرة القتالية للخصمين اي على موافقتهما ، بل على الاهداف المتعلقة بهذا الاشتباك . وتأتي الاهداف دائما من مجموع ذي قيمة اعلى ، لا سيما وأن الحرب نفسها ، كوحدة قتال ، متعلقة بأهداف وشروط سياسية تعود الى مجموع أوسع . وينجم عن ذلك أن مجرد الرغبة في الفوز على الخصم عبارة عن موضوع ثانوي ، وأن هذه الرغبة لا تستطيع الدخول في الحساب بنفسها ، وليست الا العصب الذي يحرك الإرادة العليا .

في العصور القديمة ثم في اوائل عهود الجيوش الدائمة ، كان لتعبير « عرض المعركة على العدو دون جدوى » معنى أكبر مما له في أيامنا هذه . اذ كان كل شيء لدى القدماء منظما للدخول في معركة على أرض منبسطة ، حيث يتم الصراع بعيدا عن كل حاجز . وكان مجمل فن الحرب يتضمن تنظيم الجيش وتكوينه ، أي ترتيب المعركة .

ولكن الجيوش كانت تعسكر دائما في معسكرات محصنة ، وكانت المواضع في داخل المعسكر نقاطا منيعة لا يمكن الهجوم عليها . ولم تكن المعركة ممكنة الا اذا ترك الخصم معسكره ، وانتظم في صفوف على أرض يسهل الوصول اليها .

وفي بداية عصر الجيوش الحديثة ، كان الوضع في حالة الاشتباك الكبير او المعركة ، يشبه الاوضاع القديمة . وكانت الكتل الكبيرة تدخل القتال وتستمر فيه بترتيب قتالي واحد . وكان هذا المجموع الكبير الذي تصعب ادارته بحاجة لارض منبسطة ، ولا تستطيع تحقيق الهجوم أو الدفاع في ارض متقطعة أو مغطاة . وكان المدافع يجد هنا الوسيلة الكافية لتحاشي المعركة . واستمر الوضع كذلك الا بتغير ضئيل ، حتى جاءت الحروب السيليزية الاولى . ومنذ حرب السنوات السبع غدا الهجوم في بلاد صعبة أكثر احتمالا وأقرب الى التنفيذ . ومع هذا بقيت الارض مصدرا من مصادر القوة لمن يحسن الاستفادة منها . ولكنها كفت عن ان تكون قوة سحرية تطرد القوى الطبيعية للحرب .

ثم تابعت الحرب تطورها في هذا الاتجاه . واصبح كل من يود الحصول على نتيجة حاسمة بالاشتباك قادرا على الوصول الى الاشتباك بدون أن يصادف اية عقبة . فليس عليه الا أن يبحث عن خصمه ويهاجمه . فان لم يفعل ذلك لم يكن ممن يبغون القتال . وعندما نقول : انه عرض المعركة فرفضها خصمه ، فان هذا يعني أن الخصم اعتبر الظروف ليست على ما يكفي من الملائمة للاشتباك بالمعركة ، ولا شيء اكثر من ذلك . وهذا تقدير لا يتماشى أبدا مع التعبير الذي ذكرناه سابقا ولا يعمل الا على اخفائه .

ومما لا شك فيه أن المدافع الذي لم يستطع رفض الاشتباك قادر على تجنبه على الاقل بترك موضعه والدور المرتبط بهذا الموضع . ويمثل هذا للمهاجم نجاحا يساوي نصف انتصار ، واعترافا بتفوقه في تلك الفترة .

ان رؤية الامور بهذا الشكل الذي هو نوع من التحدي ، اصبحت في ايامنا غير منطبقة على متطلبات العصر . ولا يستطيع هذا القول تبرير غطالة المهاجم الذي كان عليه ان يتقدم فلم يفعل ذلك . ويستطيع المدافع ان يدعي بأنه عرض المعركة وطلبها ، ويكون ادعاؤه صحيحا حتى ولو لم يتعرض للهجوم ما دام في مواضعه ولم يتراجع . وهذا أمر مفهوم لا حاجة الى شرحه .

وهكذا نرى أن من الصعب فرض الاشتباك على خصم يريد **التملص** وهو قادر على القيام به . ولكن ما دام المهاجم في احيان كثيرة لا يكتفي بالمزايا التي يقدمها له تملص خصمه ، وهو يرغب في الحصول على النصر الحقيقي ، لذلك

فهو يبحث عن الوسائل القادرة على فــرض الاشتباك على مثل هــذا الخصم ويطبقها بمهارة خاصة .

وهذه الوسائل هي : أولا تطويق العدو تطويقا نقطع به طريق انسحابه ، أو نجعل هذا الانسحاب صعبا لدرجــة تدفعه الى تفضيل قبــول الاشتباك . ثانيا : تأثير **المفاجأة** الذي كانت تفسره وتعلله قديما صعوبة الحركة ، ولقد فقد هذا التأثير الان كثيرا من قوته لمرونة الجيوش الحديثة وقدرتها علــى الحركة اللتين تمكنان الحصم من الانسحاب تحت انظار عدوه ، دون أن يعرقله أي شيء سوى طبيعة الارض (1) .

* * *

(1) كان هذا القول في عصر المؤلف . أما في ايامنا هذه فلم تعد مرونة الجيوش وحركتها قادرتين على مساندة المدافع واقلال تأثير المفاجأة عليه فحسب ، ولكنها قادرة ايضا على زيادة هذا التأثير بالنسبة للمهاجم . ان مهاجما حديثا مزودا بالمدرعات والطائرات والقوات المحمولة على آليات مدرعة أو طائرات ، ويتقن استخدام اساليب الخداع والتمويــه قادر علــى تحقيق المفاجــأة في حرب تقليدية بضربات جبهية او جانبية او عميقة في المؤخرات . كمــا ان مدافعا يملك نفس الامكانات بالاضافة الى جهاز قوي للرصد والانــذار ( الارضي والجــوي ) قادرا علــى تجنب المفاجأة أو صد كل احتمالاتها ، أو قطع التماس والانسحاب بسرعة الى مواضع خلفية ، شريطــة ان يكون ايقاع الانسحاب اكبر من ايقاع المطاردة او يعادله . وأن لا يتم الانسحاب كما ذكر المؤلف تحت انظار العدو ، لان طيران المهاجم ومدرعاته ومدافعه وصواريخه بعيدة المدى قادرة على الحاق خسائر فادحة بالمنسحبين . أما في الحرب النووية فان فكرة كلاوزفيتز تعود لتأخــذ من جديد حجمها ومعناها بضربات ذرية محكمة معاكسة للقوى . والتطبيق المعاصر لهذه الفكرة هو تناقض قيمة القواعد الثابتة لاطلاق الصواريخ الذرية نظرا لجمود هــذه القواعد وتعرضها للتدمير رغم كل تمويه وتحصين ، وتزايــد اهمية الغواصات والمــراكب المزودة بصواريخ ذات رؤوس نووية نظرا لمرونتها وحركيتها في كل المحيطات وظهور الاقمار الصناعية كقواعد ذريــة متحركة حول مدار الارض .

( المترجمان )

# الفصل الثامن

# المعركة الرئيسيّة

### آ ـ حسم المعركة الرئيسية

ما هي المعركة الرئيسية ؟ انها صراع القوى الاساسية لا صراعا صغيراً للوصول الى هدف ثانوي ، انها صراع يتم مع بذل الحد الاقصى من الجهود للوصول الى نصر حقيقي لا مجرد محاولة نتخلى عنها عند أول صعوبة .

وتختلط الاهداف الثانوية في المعركة الرئيسية بالهدف الرئيسي نفسه . وتأخذ المعركة صفاتها الخاصة من الشروط التي خلقتها ، لان المعركة الرئيسية تتعلق بمجموع اكبر ، ليست هي سوى جزء منه . لكن ، ما دام القتال هو روح الحرب وان المعركة الرئيسية مركز ثقل الحرب . وتتصف هذه المعركة بصفة خاصة مميزة هي انها موجودة بذاتها اكثر من اي اشتباك آخر .

وينعكس هذا الامر على **الشكل الذي يتم به حسمها ، وعلى التأثيرات التي يحققها النصر الذي تتطلبه** كما انه يحدد **القيمة التي ينبغي للنظرية ان تمنحها للمعركة كوسيلة لبلوغ هذه الغايات** . لذا فاننا سنجعل من هذه المعركة بدون ابطاء هدف دراسة خاصة ، قبل أن نقوم بتحليل الاهداف الخاصة التي قد ترتبط بها ، والتي لا تغير صفتها بعمق عندما تستحق حقا اسم المعركة الرئيسية .

فان كانت المعركة الرئيسية غاية في حد ذاتها ، فان على دوافع حسمها ان تكون في داخل المعركة نفسها . أو بمعنى آخر : يجب أن نبحث فيها عن الانتصار أطول مدة ممكنة ما دام هنالك أمل في تحقيق هذا الانتصار . كما أن علينا أن نتخلى عن هذا الانتصار لا تحت دافع هذه الظروف او تلك بل في اللحظة التي تبدو فيها قوانا غير كافية للحصول على هذه النتيجة .

فكيف نحدد هذه اللحظة تحديدا اكثر دقة ؟

اذا كان تنظيم الجيش وتنسيقه تنسيقا حاذقا كما نرى في فن الحرب المعاصرة ، هما الشرطان الاساسيان للحصول على النصر بعد دعمهما بشجاعة الجيش ، فان تدمير هذا التنظيم يؤدي الى الحسم . ان هزيمة جناح من اجنحة العدو وتحطيم درعه يعطيان من يثبت في مكانه نتيجة حاسمة . أما في العصور التي كانت روح الدفاع فيها منبثقة من الإرتباط الوثيق بين الجيش المقاتل وتضاريس الارض التي يعمل فوقها ، وعندما كان الجيش وموضعه عبارة عن شيء واحد فقد **كان احتلال نقطة رئيسية من هذا الموضع** يعني الوصول الى النتيجة الحاسمة . وهنا يمكننا أن نعبر عن ذلك بقولنا **«ان الموضع ــ المفتاح»** قد فقد ، وهذا ما يجعل الدفاع أو استمرار المعركة أمرا متعذرا . وفي الحالتين تبدو الجيوش المهزومة كأنها أوتار مقطوعة في أداة موسيقية لا تقبل الاستخدام .

وفي المعركة الرئيسية ، اكثر من أي اشتباك آخر ، يتوقف قرار التخلي عن الصراع على الشروط التي توجد فيها الاحتياطات « الطازجة » المتوفرة لدينا ، لانها تملك وحدها كل قواها ، المعنوية ، ولا يستطيع الحطام البارد الناجم عن الكتائب المحطمة والمضطربة تحت تأثير العمل التدميري الوقوف أمام هذه الاحتياطات . ولقد قلنا سابقا أن بوسعنا استخدام الارض الضائعة كمقياس لتحديد القوة المعنوية الضائعة . لذا يمكن أن نعتبر هذه الارض مقياسا للخسارة اكثر من أن نعتبرها بحد ذاتها خسارة . ويبقى عدد الاحتياطات « الطازجة » دائما موضع اهتمام القائدين العامين .

تتجه المعركة منذ البداية اتجاها محددا ، انما بغير وضوح . ويتعلق هذا الاتجاه غالبا بالاوضاع المأخوذة ، ويدفع نقص التمييز لدى القائد الى البدء بمعركة في ظروف سيئة بدون أن يدرك ذلك وعندما لاتكون الحالة كذلك فان السير الطبيعي للمعارك يشبه تبدلا بطيئا في التوازن ، مفاجئا وصغيرا في البداية ، ثم لا يلبث أن يزداد في كل مرحلة ويغدو أكثر وضوحا وبعدا عمّا يشبه حركات الاهتزاز المستمر ما بين أخذ ورد ، والتي تشبهه بها حكايات المعارك الكاذبة . ومن المعروف أن اختلال التوازن قد يكون صغيرا خلال فترة طويلة من الزمن . وقد يتم التوازن من جهة ليضيع من جهة أخرى . ولكن القائد المهزوم يلاحظ ذلك بلاشك قبل الانسحاب بمدة طويلة . أما الحالات التي تضغط فيها حادثة

غير منتظرة على مجمل سير العمليات بشكل مفاجىء ، فلا توجد الا في مخيلة الذين يحاولون تبرير خسارة المعارك .

لقد قلنا أن القائد المهزوم يتوقع النتيجة المشؤومة قبل مدة كبيرة من اتخاذ القرار للتخلي عن الصراع . ولكننا نقبل هنا أمثلة على عكس ذلك ، والا كانت فرضيتنا تناقضا في حد ذاتها . فاذا كان الاتجاه الحاسم لمعركة مايدل دائما على أنها معركة ضائعة ، فعلينا عندئذ الانقطاع عن تكريس قوات جديدة لتعديل سيرها ، وبالتالي فان هذا المنعطف الحاسم لا يأتي قبل الانسحاب بوقت كبير . وهنالك حالات اتجهت فيها المعركة اتجاها معينا بكل وضوح ، ثم انتهت رغم كل شيء في الاتجاه المعاكس . ولكن هذه الحالات تمثل الاستثناء لا القاعدة .

ومع هذا يعتمد كل قائد سيىء الحظ على هذه الحالات الخاصة . وهو مجبر على الاعتماد عليها ما دام أمامه أقل الامكانات في انقلاب الموقف . وهو يأمل تبديل سير الحظ باستمرار الجهد ، واثارة القوى المعنوية التي يملكها ، بالاضافة الى تجاوز نفسه وانتظار فرصة سعيدة ، وهو يتابع السير في هذا السبيل ما دامت شجاعته المقرونة بحسن بصيرته تسمح له بذلك . وقبل أن نقف عند هذا الموضوع ، لنر ما هي دلائل تبديل التوازن .

ان النتيجة النهائية هي حصيلة النتائج الجزئية ، وتبدو نتائج مختلف الاشتباكات على ثلاثة اشكال .

أولا : القوة المعنوية التي هي وعي القائد :

عندما يرى قائد الفرقة كتائبه تتساقط أمامه ، يؤثر ذلك على تصرفاته وتقاريره التي تؤثر بدورها على تدابير القائد الاعلى . والاشتباكات الجزئية ذاتها المنتهية نهاية سيئة ، والتي تم ظاهريا اصلاح نتائجها ، لا تعد خاسرة لان انطباعات نتائجها تتراكم بدون عناء في ذهن القائد ورغما عنه .

- ثانيا : السرعة التي نرى فيها ذوبان القطعات . وهذا أمر يسهل تقديره لان المعارك تغدو أبطأ وأقل اضطرابا .

ثالثا : خسارة الارض .

لقد قلنا أكثر من مرة أن نسبة الاحتياطات « الطازجة » هي العامل الاساسي

في النتيجة الحاسمة والنهائية . اذ أن القائد الذي يلاحظ تفوق العدو الحاسم في هذا الصدد يقرر الانسحاب . وتتسم المعارك الحديثة بامكان أصلاح جميع الكوارث والخسائر التي تظهر خلالها بفضل قوات احتياطية « طازجة » ، لان تنظيم التشكيلة القتالية ، والشكل التي تذهب به القطعات الى القتال ؛ يسمحان باستخدامها، في كل مكان وفي كل موقف(١) «تقريبيا» أن القائد الذي يبدو مغلوبا يتخلى عن العملية مادام يملك تفوقا بالقوات الاحتياطية. ولكن ما أن يلاحظ أن احتياطاته غدت أضعف من احتياطات العدو حتى يقتنع بوقوع النتيجة الحاسمة . وتتعلق الاعمال التي يقوم بها بعد ذلك بالظروف الخاصة ومقدار تمتعه بالشجاعة والصمود اللذين قد ينقلبان الى عناد ضار . والطريقة التي يتوصل بها القائد الى تكوين فكرة صحيحة عن العلاقة النسبية بين قواته واحتياط عدوه ، هي من قبيل مهارة تقنية لا يمكن ان ندرسها هنا فلنكتف اذن بالنتيجة كما تتكون في ذهنه . ولكن ليست هذه النتيجة نفسها لحظة الحسم الحقيقي ، لان سببا يظهر بصورة متدرجة لا يساعد على مثل هذا الحسم . وهو لا يشكل الا التحديد العام . والحسم نفسه يحتاج الى اسباب أكثر دقة . ولهذه الاسباب دائما شكلان هما : خطر قطع خط الانسحاب . وقدوم الليل .

وان رأى القائد ان خط الانسحاب يتهدد باستمرار مع كل مرحلة جديدة تجتازها المعركة ، ولاحظ أن الاحتياطات تذوب ذوبانا يجعلها غير كافية لخلق دفع جديد ، فعليه أن يتقبل مصيره ، ويبدأ بتراجع منتظم فينقذ بهذا التراجع ما نهايته الضياع والفرار لو ظل في مكانه مدة أطول .

---

(١) زادت احتمالات المفاجأة وراء خطوط القتال في الحرب الحديثة بفضل سرعة اختراق وتوغل المدرعات ، وامكانية استخدام الانصار أو اسقاط قوات كبيرة محمولة جوا وراء هذه الخطوط لذا تسير القوات الاحتياطية « الطازجة » المتجهة نحو الجبهة في مكان يسمح لها بالعمل في عدة اتجاهات . وتكون تشكيلة مسيرها منظمة بشكل يسمح لها بالانتشار بسرعة ، واخذ تشكيلات قتالية ملائمة للدخول فورا في قتال التلاقي ( المعركة التصادمية ) ضد مدرعات العدو المتسربة بعمق ، أو للتيام بهجوم سريع على مجموعات الانصار ، أو القوات المحمولة جوا المتمركزة في النقاط الحساسة .

(المترجمان)

ويضع الليل بدوره نهاية للاشتباك ، لان الاشتباك الليلي لا يقدم الميزات الا في الحالات الخاصة ، والانسحــــاب في الليل أفضل مـــن انسحـــاب في ضوء النهار . وكل من يرى الانسحاب حتميا أو كبير الاحتمال يفضل الاســـتفادة من الليل ليقوم به .

وبالاضافة الى هذين السببين الدائمين الهامين ، هنالك أسباب عديدة ثانوية تتعلق بحالات خاصة ولكنها ضرورية لا يمكن تجاهلها ، لان اتجاه المعركة نحو انقلاب التوازن انقلابا تاما يجعل انعكاس اصغر النتائج الجزئية محسوسا .

فاذا شاءت السلطة والغرور والارادة الصلبة والعناد الطبيعي والحماسة النبيلة منع القائد الذي اعتاد الانتصار من ترك ميدان المعركة حرصا على شرفه وشرف جيشه ، فان العقل ينصحه بأن لا يغامر بكل شيء ، ولا يخاطر باضاعة آخر فرصة أمامه ، وأن يحافظ على القوى اللازمة لتراجع منظم . ان للشجاعة والصلابة في الحرب ثمنا كبيرا ، وعلى كل من أراد الوصول الى النصر أن يضع جميع امكاناته موضع العمل . ولكن هنالك نقطة يصبح الصمود بعدها جنونـــا بلا أمل ، لا يمكن لاي تقييم أن يؤيده .

## ب ـ آثار الانتصار

اذا نظرنا الى المعارك من زوايا مختلفة عجبنا لنتائج رائعة انتهت بها بعض المعارك الكبيرة ، كما عجبنا لقلة نتائج بعض آخر . فلنقف لحظة عند طبيعة الاثر الذي يسببه انتصار كبير .

يمكننا أن نلاحظ بسهولة ثلاثة أمـــور :

١ ـ التأثير على الاداة نفسها أي على القادة وجيوشهم .

٢ ـ انعكاس هذا التأثير على الدول صاحبة العلاقة .

٣ ـ الشكل الذي تنعكس فيه هذه النتيجة على سير الحرب فيما بعد

وعندما نلاحظ الفرق الضئيل بين ما يتكبده المنتصر والمهزوم من أسرى ومدفعية ضائعة على حقل المعركة ، فاننا لا نستطيع تفسير النتائج الناجمة عن هذه الخسائر . ومع هذا فالامور تجرى عادة بهذا الشكل .

ولقد قلنا من قبل أن حجم انتصار ما لا يزيد بازدياد عدد القوات المسلحة المهزومة فحسب بل يزيد بنسبة أكبر . وان لنتيجة اشتباك كبير آثارا معنوية على المهزوم اكبر من آثارها على المنتصر . وتؤدي هذه الآثار الى خسارة مادية كبيرة تؤثر وترتد بدورها على القوى المعنوية . وهكذا تؤثر كل واحدة على الاخرى تأثيرا متبادلا ومتصاعدا . وعلينا أن نولي هذه الانعكاسات المعنوية انتباها خاصا ، انها تهدم قوى المهزوم وتحفز قوى المنتصر وفاعليته . الا أنها تظهر بقوة عند المهزوم وتغدو السبب المباشر لخسارة جديدة . وتعود طبيعة خسائر المهزوم بصورة عامة الى الاخطار والجهود والحرمان وجميع الظروف القاسية التي تحيط بالحرب . فهي اذن تابعة للظروف التي تنمو بفضلها ، على حين تزيد هذه الاحتمالات شجاعة المنتصر وقوة تفكيره . وهكذا نرى أن المهزوم ينحدر الى ما هو تحت خط التوازن الاولي مسافة تزيد على المسافة التي يرتفعها المنتصر الى ما فوق هذا الخط . وهكذا نفكر دائما بالجيش المهزوم عندما نتحدث عن تأثيرات النصر . وتظهر هذه النتيجة في الاشتباك الكبير أكثر من ظهورها في الاشتباك الصغير . وهي ، في المعركة الرئيسية اكبر منها في الاشتباك الثانوى . فالمعركة الرئيسية موجودة ومطلوبة بذاتها من اجل النصر الذى ينبغي لها تحقيقه والذى يسعى اليه الطرفان مع بذل الجهد الاقصى . ان هزيمة العدو في هذا المكان وتلك اللحظة هي الغاية التي تتجه نحوها خيوط مخطط الحرب كله ، وتجتمع فيها كل الآمال البعيدة وأفكار المستقبل الغامضة . واننا لنجد فيها أنفسنا أمام القدر نفسه وهو مستعد للجواب عن سؤالنا الجرىء . هذا هو التوتر المعنوي الذي يحس به القائد وجيشه حتى أصفر جندي ، وهو توتر يتناقص مع تناقص المرتبة في التسلسل العسكري . ان المعارك الرئيسية لم تكن على مر العصور مجرد تنفيذ مهمة غير متوقعة بل كانت دائما عملا ضخما مميزا عن جميع الافعال

العادية بفضل صفاته أو بارادة القائد الذي يديره ، لقد كانت دائما عملا يثير توتر كل الافكار . ولكن بقدر ما يكون التوتر متعلقا بالنتيجة ، يصبح تأثير هذه النتيجة كبيرا .

ان الاثر المعنوي للنصر في معارك اليوم هو اكبر مما كان عليه في المعارك الاولى من التاريخ العسكري الحديث . فاذا كانت معاركنا ، كما قلنا ، سباقا حتى انهاك القوى واستنزافها ، فحصيلة القوى المادية والمعنوية أكثر حسما من هذا الوضع الخاص أو ذاك ، وأكثر حسما ، حتى من الصدفة .

قد يصلح الخطأ بعد ذلك ، وقد يبتسم لنا الحظ والصدفة في فرصة أخرى ، ولكن مجموع القوى المادية والمعنوية لا يتعدل بسرعة ، حتى كأن الحكم الذي يعلنه النصر ، يكتسب اهمية وشأنا اكبر بالنسبة للمستقبل كله . ومن الملاحظ أن عدد الذين فكروا بهذا الفرق قليل جدا ، مع انه كان على سير المعركة أن يفرض هذه الفكرة على كل من اشتركوا في القتال . ان سير المعركة كما يبدو في التقارير الرسمية ، حتى عندما تكون هذه التقارير معدلة ببعض التفاصيل الاضافية ، يؤكد أن الاسباب الرئيسية ذات طبيعة عامة لا خاصة .

أما من لم ير قط الهزيمة في معركة كبيرة ، فانه يجد صعوبة بالغة في تكوين فكرة حية حقيقية عنها ولا يمكن للمفاهيم المجردة الخاصة بهذه الهزيمة أو تلك أن تحل محل ما تمثله حقا معركة خاسرة . فلنقف لحظة عند هذا المشهد ، مشهد الهزيمة .

ان أول ما يثير الخيال — ويمكن أن نقول العقل — في معركة فاشلة هو اختفاء الكتل ، وخسارة الارض خسارة كبيرة او صغيرة ، حتى من جهة المهاجم عندما يتخلى عنه الحظ ، وتدمير التشكيلة الاساسية ، وتشابك الاجزاء ، وخطر قطع طريق الانسحاب الذي يوجد دائما بدرجات متفاوتة ، الا في بعض الحالات الاستثنائية النادرة ، واخيرا التراجع نفسه الذي يتم أو يتتابع غالبا خلال

الليل . وليس انطباع الهزيمة هذا مجرد فكرة بسيطة يسهل التغلب عليها . أما تفوق العدو فهو على العكس حقيقة أكيدة ، حقيقة يمكن أن تخفى أسبابها الى حد أنها تروغ عن أنظارنا في بداية الامر ، ولكنها لا تلبث أن تظهر في نهاية المعركة بوضوح ودقة . وقد نشك في ذلك في البداية ولكن نقص المعلومات والمعطيات الملموسة تحملنا على تعليق الامل بالصدفة والحظ والعناية الالهية ، أو بالشجاعة والاقدام . بيد اننا نلاحظ بعد مدة أن كل ذلك كان بلا جدوى ، وأن الحقيقة القاسية تفرض نفسها بكل خطورة وعنف .

وتشبه كل هذه الانطباعات الهلع الذي لا يمكن أن يقع اي جيش فريسة له اذا كان متمتعا بالفضيلة الحربية ، ذلك الهلع الذي لا يظهر في أي جيش آخر الا نادرا وبعد معركة خاسرة . وأفضل الجيوش غير محصن نهائيا من هذه الانطباعات ، وهي ان اختفت بفضل التمرس بالحرب ، والتعود على النصر ، والثقة الكبيرة بالقيادة ، فان اختفاءها لا يعني غيابها نهائيا في اللحظة الاولى . وليس مردها ايضا الى فقدان الاسرى والعتاد والغنائم ، لان معظم هذه الخسائر يقع عادة فيما بعد ، ولا يعلم به الجميع بسرعة. لذا فان هذه الانطباعات موجودة حتى عندما يتبدل التوازن ببطء وتدرج ، ومنها يتكون تأثير الانتصار الذي يمكن الاعتماد عليه اعتمادا أكيدا .

ولقد قلنا فيما سبق أن كمية الغنائم تزيد من هذا التأثير .

فكم يضعف الجيش ، الذي نعتبره اداة ، في مثل هذه الظروف ؟ وهل يمكن أن نتوقع من جيش حل به هذا الوهن واصبح ، كما قلنا يجد ، في كل صعوبات الحرب العادية اعداء جددا ، ان يكون قادرا على بذل جهد جديد ، لاستعادة ما فقده ؟ وقبل المعركة ، كان ثمة توازن بين المعسكرين ، حقيقي أو وهمي ، أما الآن فان هذا التوازن محطم ، وتحتاج اعادته الى سبب خارجي . فاذا افتقدنا هذا المؤثر الخارجي ، أدى كل جهد جديد الى خسائر جديدة لا مبرر لها .

وهكذا يؤدى أصغر انتصار يحصل عليه الجيش الرئيسي الى رجحان كفة الميزان لمصلحته ، حتى اللحظة التي تسبب فيها ظروف جديدة خارجية انعطافا جديدا .

ولنر الآن ، كيف تنعكس الهزيمة ، خارج الجيش على الحكومة والامة .

تنهار الآمال الكبيرة فجأة ، وتنفقد كل ثقة بالنفس ، ويسبب الفراغ الناجم عن تدمير القوات خوفا ذا قدرة كبيرة على الانتشار كافية لتكملة الشلل. انها أزمة خانقة حادة تثيرها لدى أحد الخصمين الشرارة الكهربائية المتمثلة بالمعركة الرئيسية . وقد يكون لهذا التأثير قوة مختلفة ولكنه موجود دائما . ويحجم الجميع عن بذل أي جهد في سبيل قضية خاسرة بينما يتحتم على كل فرد بذل كل طاقته لايقاف الكارثة . وينجم عن ذلك تردد وتوقف ، على حين يتطلب الموقف الاندفاع الى الأمام . عندما يصيب الخور الجميع ويستسلمون لمشيئة الاقدار .

ومع هذا ، فان نتائج الانتصار وآثاره على سير الحرب نفسها منوطة ، بجزء منها ، بموهبة القائد المنتصر وشخصيته ، واكثر من ذلك ايضا ، بالظروف التي أدت الى النصر . واذا لم يتمتع القائد بالجسارة والفكر المبدع الخلاق غدا أعظم انتصار عديم الجدوى . وتصبح قوته أقل قيمة بالتماس مع الحقيقة، اذا ما جابهته هذه الحقيقة بمقاومة جدية .

وسنفحص الظروف التي تجعل المرء يتوقع انعكاسا كبيرا من نصر كبير ، وذلك بدراسة العوامل المرتبطة بها . وسنظهر عدم التناسب الذي يتبدى من النظرة الاولى بين حجم الانتصار ونتائجه والذي كثيرا ما يعزى الى ضعف في عزيمة المنتصر وحزمه . وسنهتم هنا بالمعركة الرئيسية نفسها ، ونكتفي بأن نشير الى أن التأثيرات التي تحدثنا عنها تظهر دائما وتزيد مع ازدياد ضخامة النصر ، كما تزيد كلما أخذت المعركة طابع معركة رئيسية ، أي كلما كانت تشمل مجموع القوات المسلحة ، وكلما كانت هذه القوات تضم كل الطاقة العسكرية في الأمة والدولة .

ولكن ، هل تسمح لنا النظرية باعتبار تأثير النصر تأثيرا لا يمكن دفعه ؟ أفليس عليها أن تحاول ، على العكس ، كشف وسيلة للتغلب عليه وابطال مفعوله ؟ من الطبيعي أن نجيب على ذلك بنعم .

وعندما سنتساءل بعد ذلك عما يجب عمله بعد خسارة معركة رئيسية ، وعندما سنفكر بالوسائل التي نملكها للخروج من المواقف اليائسة ، وعندما نحافظ رغم هذه المواقف على الاعتقاد بامكان ربح كل شيء من جديد ، فان هذا لا يعني أن تأثيرات الهزيمة يمكن أن تختفي مع الزمن ، فالقوى والوسائل المستخدمة لاصلاح الكارثة قوى ضائعة كان بوسعنا استخدامها لغايات ايجابية . وينطبق هذا القول على القوى المادية والمعنوية في آن واحد .

والسؤال الآن هو : هل تستطيع معركة رئيسية خاسرة ايقاظ قوى ما كانت لتستيقظ لولا ذلك ؟ ان هذا أمر ممكن . ولقد ظهر في كثير من البلاد ، وليست اثارة رد فعل قوى كهذا من اختصاص فن الحرب ، هذا الفن الذي ينبغي عليه أن يكتفي بأخذ رد الفعل هذا بعين الاعتبار عندما تقدم له الظروف الفرص الملائمة لتوقعه .

وهنالك حالات نادرة جدا كان للنصر فيها نتائج سيئة عزيت الى رد فعل القوى الذي يثيره هذا النصر . ولكن مما لا شك فيه أن نتائج انتصار ما تختلف كثيرا باختلاف طبيعة الشعب أو الدولة المهزومين (١) .

---

(١) تختلف النتائج الناجمة عن الانتصار في الحروب المحلية المعاصرة نظرا لتدخل عوامل اضافية عديدة مثل : التوازن الدولي العسكري ، والتيارات السياسية الدولية في المحافل العالمية ، وأهمية مصالح دول المعسكرين الشرقي والغربي في منطقة النزاع .. الخ ، لذا قد لايكون للنصر أو الهزيمة في مثل هذه الحروب النتائج والتأثيرات المتوقعة . والتي كان من الممكن حدوثها لولا وجود هذه العوامل .

(المترجمان)

## ج ـ « استخدام المعركة »

مهما كان شكل ادارة الحرب في الحالات الخاصة، ومهما كانت المظاهر التي سنعتبرها فيما بعد ضرورية ، فان استعادة تعريفنا تكفي لاقناعنا بالنقاط الخمس التالية :

١ ـ ان تدمير القوات المسلحة المعادية هو المبدأ الاعلى للحرب . والسبيل الرئيسية الى كل ما يتعلق بالعمل الايجابي .

٢ ـ يتم تدمير القوات المسلحة **بصورة رئيسية** بواسطة الاشتباك .

٣ ـ تؤدي **الاشتباكات** الكبيرة العامة وحدها الى نتائج كبيرة .

٤ ـ ان اندماج الاشتباكات في معركة كبيرة واحدة يعطي أكبر النتائج .

٥ ـ يقود القائد الأعلى المعارك الرئيسية فقط ، ومن الطبيعي أن يفضل ادارتها بنفسه .

وينبثق عن هذه الحقائق قانون مضاعف ، تدعم أجزاؤه بعضها بعضا بصورة متبادلة وهو : **يجب أن نفتش عن تدمير القوات المسلحة المعادية بالمعارك الكبيرة ، وبنتائج هذه المعارك ، على أن يكون الهدف الرئيسي للمعارك الكبيرة تدمير القوات المسلحة المعادية .**

ومن المؤكد ان المبدأ المدمر موجود في وسائل أخرى بشكل أو بآخر ، ولكن القاعدة العامة تبقى صحيحة كما هي وتؤكد على أن : **المعارك الكبيرة لا تهدف الا الى تدمير قوات العدو . وان هذا التدمير لا سبيل اليه الا بواسطة المعركة الرئيسية .**

لذلك يجب أن نعتبر المعركة الرئيسية حربا مركزة ، وكمركز ثقل كل حرب وكل حملة . وتجتمع في المعركة الرئيسية كل قدرات الحرب واحتمالاتها ، مكونة تأثيرا كبيرا مركزا ، كما تجتمع أشعة الشمس في بؤرة مرآة مقعرة ، خالقة صورة كاملة ذات حرارة قصوى .

وكلما كان الهدف كبيرا وايجابيا ، أي من طبيعة تمس مصالح الخصم بعمق ، بدت المعركة الرئيسية كوسيلة طبيعية للوصول اليه ، وكانت في هذه الحالة أفضل الوسائل كما سنرى . ولقد ندم كل القادة الذين تحاشوا المعركة خوفا من النتائج الحاسمة الكبيرة .

ان الهدف الايجابي هو عمل المهاجم ، والمعركة الرئيسية وسيلته الاولى . ولن نحاول هنا اعطاء تعريف ادق للهجوم والدفاع ، ولكننا نقول : ان المدافع لا يجد أمامه في معظم الاحوال غير المعركة وسيلة تتيح له مجابهة متطلبات موقفه عاجلا أو آجلا ، وتساعده على حل المعضلات التي يفرضها الموقف .

والمعركة الرئيسية هي الحل الدامي ، ولكنها ليست مجرد قتل متبادل . وينصب تأثيرها على قتل الشجاعة أكثر من ابادة مقاتلي العدو ، وسنرى ذلك في الفصل التالي ، ولكن هذا لا يمنع الدم من أن يكون ثمن المعركة . ويأخذ القتال في المعركة من كلمة **القتل** كل صفاته ، كما يأخذ اسمه ، ويتراجع الجانب الانساني في القائد أمام هذه الحقيقة مرتعدا .

ولكن العقل البشري يحجم أمام فكرة حل حاسم يتم بضربة واحدة . اذ يتركز كل العمل عندئذ في نقطة واحدة في الزمان والمكان . ويجتاحنا في هذه اللحظة شعور غامض بأن قوانا لا يمكن أن تنفتح لتعطي كل قدراتها في مكان محدد بهذا الشكل ، واننا سنكسب كثيرا اذا كسبنا بعض الوقت ، مع ان هذا الوقت لايتطلب منا شيئا . وليس هذا سوى مجرد وهم ، ولكنه ، كوهم ، يمثل مع ذلك شيئا ما .ان هذا العجز الذي يحس به الرجل في لحظة اتخاذ أي قرار حاسم كبير ، يزداد عمقا لدى القائد الأعلى الذي يعمل في موقف تتم فيه الامور على حد السكين .

وتميل الحكومات والقادة دائما الى تحاشي المعركة الرئيسية ، والوصول الى الهدف مع الاستغناء عنها ، أو التخلي عن هذا الهدف بدون أن يبدو عليهم

ذلك بوضوح . ولقد تعب المنظرون والمؤرخون ليجدوا في بعض مظاهر هــــذه العمليات والحروب أشياء تعادل الحسم المتجنب ، وبالغ بعضهم في البحث عــن آثار فن أعلى . ونددوا بالمعركة الرئيسية ورأوا أن على نظام الحرب الحــذر المبني بشكل جيد أن لا يؤدي اليها أبدا . وتوجوا بالغار القادة الذين عرفوا كيف يشنون الحروب دون سفك الدماء . وجعلوا من نظرية الحــــرب مذهبا حقيقيا لتعليم هــــذه الطريقـــــة .

وجاء التاريخ المعاصر ليضع حداً لهـــذا الوهم . ولكن ليس هنالك مــــن يضمن عدم عودة هذا الوهم هنا أو هناك ولمدة متفاوتة ، ويجعل المســـؤولين يرتكبون أخطاء تساير الضعف ،وتشجع ميل الرجال الطبيعي نحو هذا الضعف. ولكننا سنعمل مافي وسعنا لتبديد مثل هذه الاوهام .

وتشترك الخبرة العملية مع فكرتنا عن الحرب في دفعنا **الى البحث عـــن نتائج حاسمة كبيرة في المعارك الكبيرة فقط** . لان النتائج الكبيرة لم تنجم في كــل الازمان عن انتصارات كبيرة . وهذا صحيح ، ينطبق على المهاجم والمدافع . ويقوم القادة البواسل المندفعون الهجوميون بالبحث عن تنفيـــذ مهمتهم بالتعرض للخطر الكبير الماثل في المعركة الحاسمة ، كما يقوم بذلك القادة المحظوظـــون . فكيف يمكن أن لا نهتم بجواب من هذا الوزن عن سؤال يتمتع بهذا الاتســـاع.

**لا تحدثونا عن قادة ينتصرون بلا سفك دماء** . ان عمليات القتــل مشـــهد رهيب ، وهذا سبب اضافي يجعلنا نعطي للحروب قيمة أكبر ، **بدلا من أن نـــدع** سيفنا يتثلم بفضل شعور انساني ، حتى تأتي لحظة يقوم بها شخص يحمـــل سيفا صارما بقطع رأسنا .

اننا نعتبر المعركة الكبيرة حلا حاسما أساسيا في حرب أو حملة ، ولكننـــا لا نعتبرها الحل الحاسم الوحيد الممكن . ولقد رأينـــا في العصور الحديثة فقط كيف يمكن لمعركة كبيرة أن تحدد مصير حملة كاملة . أما الحالات التي تقرر فيها معركة واحدة مصير حرب كاملة فهي حالات نادرة (١) .

---

(١) ان قول كلاوزفيتز ، هذا لا ينطبق على حرب تقليدية معاصرة ، لان اتساع مسرح الحرب وضخامة القطعات المشتبكة في القتال ، وتعدد الجبهات واستقلالها ، بعضها عـــن بعض واستنفار جميع قوى الشعوب المتصارعة ، وتعبئة كميات كبيرة من القوات والمواد والعتاد الاحتياطي تجعـــل من المستحيل ( بالنسبة للدول الكبرى ) الوصول الى تحديد مصير حملة كاملة في معركة واحـــدة . ولقد دلت تجربة الحرب العالمية الثانية والحرب الكورية أن هنالك معارك تشكل منعطفا في تاريخ الحرب ولكنها لا تشـــكل الحسم .

(المترجمـــان)

ولا تتعلق النتيجة الحاسمة الناجمة عن معركة كبيرة بهذه المعركة بصورة طبيعية ، أي أنها لاتتعلق بكمية القوات المسلحة المجتمعة ، أو بقـوة الانتصار ، انما تتعلق بعدد من الاحتمالات الخاصة بالقوى العسكرية الموجودة والـدول التي تملكها . ولكن عندما نقود الكتلة الرئيسية في القوات المسلحة الموجودة ، الى الصراع الكبير ، فاننا نبدأ عملا حاسما رئيسيا ، يمكن أن يكـون حجمه متوقعا من عدة جهات بدون أن يشمل التوقع جميع الجهات . ويؤدي العمـل الحاسم الاول في حالة تعدد الاعمال الحاسمة الى الانعكاس على جميع النتائج الحاسمة . لذلك تعتبر المعركة الرئيسية دائما مركز ثقل ونقطة مركزية مؤقتـة للجهاز بأكمله . وبقدر ما تكون الروح القتالية التي يتمتع بها القائـد قويـة ــ وهي أيضا روح كل قتال ــ يتمتع هذا القائد بالشعور والفكرة أي بالقناعـة بأن عليه أن يهزم خصمه . وسينتصر مثل هـذا القائد بعد أن يلقي بكامل ثقلـه في ميزان المعركة الاولى أملا أن يربح في هذه المعركة كل شيء .

ويتعلق جزء من الحسم الذي تؤدي اليه المعركة الرئيسية ، كما قلنـا ، بالمعركة الرئيسية ، أي **بكمية القوات** المسلحة التي اشتركت في المعركة وبحجم النجـاح .

أما فيما يتعلق بالنقطة الاولى ( أي بكمية القوات المسلحة ) ، فمن العبث أن نشرح كيف يستطيع القائد زيادة أهميتها، ولنكتف بأن نلاحظ أن عدد المواضيع المحلولة في آن واحد مع المعركة الرئيسية يزيد بازدياد حجم هذه المعركة . ولقد عمل القادة الواثقون بأنفسهم والمؤيدون لفكرة الحلول الحاسمة الكبيرة ، وبذلوا كل ما في وسعهم ليزجوا في هذه المعركة معظم قواتهم المسلحة بدون أن يتناسوا نقاطا هامة أخرى .

أمافيما يتعلق في النقطة الثانية ( **أي بحجم النجاح** ) فان ذلك مرتبط أساسا بأربعة أشياء :

١ ــ الشكل التكتيكي الذي تتم فيه المعركة .

٢ ــ طبيعـة الارض .

٣ ــ النسبة بين مختلف صنوف الاسلحة المشتركة بالمعركة .

٤ ـ ميزان القــوى .

ان معركة جبهية تتم على جبهة متوازيةبدون التفاف تــؤدي نــادرا الى نتيجة هامة كالتي نحصل عليها عند تطويق الجيش المهزوم ، أو عندما نجبره على القتال على جبهة معكوسة . وتقل قــوة النتيجة في الارض المتعرجة ، لان طبيعة الارض تضعف عنف الصدمة في كل مكان .

واذا كان لدى المهزوم قوة متحركة تعادل قوة المنتصر المتحركة أو تتفــوق عليها . فقدت المطاردة معظم أهميتها ؛ وضاع بالتالي جزء كبير من الانتصار .

وأخيرا ، فاننا نفهم بــلا عناء أن المنتصر الذي يملك تفوقا عدديا يستطيع استغلال هذه الميزة لتطويق مجنبات العدو ، واجباره على تبديل جبهته ( القتال على جبهة معكوسة ) . ويكون النصر في هذه الحالة أكبر من النصر الذي يكــون فيه المنتصر أقل عددا من المهزوم .

وهكذا ، لا نجد في الحرب مايعادل أهمية المعركة الرئيســـية . وتتمثل الحكمة الاستراتيجية العليا في طريقة الحصول على الوسائل اللازمــة لهذه المعركة ، ومهارتنا في تحديد زمانها ومكانها ؛ وقدرتنا علــى توجيه القطعات واستخدام نجاحها .

* * *

# الفصل التاسع

# الوسيلة الاستراتيجية لاستخدام النصر

تحضير النصر بأفضل شكل ممكن ( وهو أمر صعب المنال ) من المزايا السرية في الاستراتيجية ، وهي مزايا لم تورث الاستراتيجية كثيرا من الثناء وتأتي أهمية الاستراتيجية ومجدها من استخدام النصر بعد وقوعه .

أما الهدف الخاص الذي تستطيع المعركة ان تتوخاه وأما الشكل الذي يمكن أن تلج فيه المعركة في سير الحرب العام ، والمدى الذي يستطيع النصر بلوغه بناء على ظروف « نقطة الذروة » فهي اسئلة نؤجل الرد عليها الى ما بعد. ولكن مهما كانت الظروف ، فان النصر لا يمكن أن يؤدي الى انعكاس كبير اذا لم يتم استثماره . ومهما كان سبيل النصر قصيرا فان على المنتصر أن يتابع سيره دائما على هذه السبيل ويتجاوز الخطوات الاولى . فلنقف لحظة أمام هذا الربح الاضافي للنصر بصورة عامة ، حتى لا نضطر الى تكرار هذه الملاحظة في كل مرة .

تبدأ مطاردة خصم مهزوم من اللحظة التي يتخلى فيها عن الصراع تاركا مكان المعركة . ولا تدخل جميع الحركات السابقة في هذا الاتجاه أو ذاك ضمن المطاردة ، ولكنها تشكل جزءا من تطور المعركة نفسها . أما النصر كما يبدو في لحظة ترك الخصم للصراع ،فهو نصر حساس ضعيف بصورة عامة ،رغم وجوده الذي لا سبيل الى انكاره . ولا يغدو ميزة ايجابية كبيرة في سلسلة الاحداث اذا لم يكمل منذ اليوم الاول بمطاردة العدو . ولقد رأينا أننا نبدأ مع المطاردة في جني معظم الغنائم التي تعطي للنصر حجمه . فلنتكلم اذن عن هذه المطاردة .

عندما يتجابه الخصمان في المعركة تكون قوتهما المادية عادة قد ضعفت لأنهما يقومان قبل المعركة بحركات اجبارية لا بد منها . ويؤدي الجهد الذي

تتطلبه معركة كاملة الى الانهاك حتى مداه الاقصى . كما أن الطرف المنتصر يفقد كالطرف المهزوم نظامه ، ويخرج عن تشكيلاته الاساسية . وعليه أن يعيد تشكيله ، ويجمع عناصره المبعثرة ، ويجدد مخزونه من الذخيرة . كل هذا يضع المنتصر نفسه في حالة أزمة كنا قد تحدثنا عنها . فاذا كانت القوات المهزومة جزءا صغيرا من مجموع قوات العدو ، وكان هذا العدو قادرا على استقدام قوات أخرى أو انتظار نجدات كبيرة ، فأن المنتصر يتعرض لخطر أكيد ، هو أن يرى انتصاره مسروقا منه . لان هذه الامور تضع بسرعة حدا للمطاردة أو توقفها نهائيا . وحتى ، عندما لا يكون المهزوم مستعدا لاستقدام نجدات كبيرة ، فان الظروف السابقة تشكل أمام المهاجم حاجزا يعوق قوة اندفاعه . ولا يستطيع المهزوم في هذه الحالة ، بلا شك ،انتزاع النصر منه . ولكن الاشتباكات الصعبة تبقى محتملة وقد تؤدي الى تخفيف قيمة الميزات المكتسبة . كما أن متطلبات الكائن البشري ونقاط ضعفه تجثم في هذه اللحظة بكل ثقلها على ارادة القائد . فآلاف الرجال من مرؤوسية يحتاجون الى الراحة واستعادة قواهم ، ويودون وضع حد لحياة الخطر والجهد . ولا يشذ عن ذلك سوى قلة نادرة ، يملكون تطلعات ومشاعر تتجاوز اللحظة التي تم الوصول اليها . وما أن يتم تنفيذ العمل الضروري حتى يخف اندفاع الكثيرين ، ويبقى لدى هذه القلة وحدها القدرة على التفكير بالنجاح الذي يبدو آنذاك مجرد حلية اضافية للنصر ، أو كأمر ثانوي غير ذي قيمة فعالة . ولكن الآلاف يؤثرون على قرار القائد ، لأن حاجات الكائن البشري تشق لنفسها سبيلا الى قلب القائد عبر كل درجات التسلسل العسكري . ويكون الاجهاد المادي والمعنوي قد سبب بعض التراخي في قدرة القائد نفسه . فلهذه الاسباب البشرية البحتة نراه يفعل أقل مما عليه أن يفعل. ولا يتعلق ما يفعله الا **بطموح** القائد العام **وقدرته وصلابة** قلبه . وهذا ما يفسر تردد القادة في استثمار نصر احرزوه بفضل التفوق العددي . ولنحدد المطاردة المنتصرة باليوم الاول ، أو على الآقل بالليلة التالية للمعركة لأن الحاجة لاستعادة القوى بعد ذلك تفرض علينا أن نتوقف على كل حال (١) .

---

(١) ان استخدام القطعات الآلية والقطعات المحمولة من قبل المهاجم والمدافع في عصرنا تساعد على القيام بالانسحاب بسرعة كبيرة ، كما تساعد على اجراء المطاردة بسرعة أيضا . وهي تؤمن زج قطعات احتياطية موجودة في الانساق الخلفية للقيام بمطاردة تستغرق أكثر من يوم واحد ، تجتاز خلالها مئات الكيلومترات مع الاكتفاء بتوقفات بسيطة للتموين والاخلاء وترتيب القوات دون حاجة لتوقفات طويلة تساعد المهزوم على قطع التماس .

وتحتوي هذه المطاردة الاولى على عدة مراحل طبيعية هي :

المرحلة الاولى : وتتم بالقوات المتحركة وحدها (١) . ويتعلق الامر في هذه الحالة بارهاب العدو ومراقبته أكثر مما يتعلق بتعقبه حقا ، لأن أصغر تضاريس الارض كاف لايقاف المطاردة . ومهما كبرت فاعلية المطاردين ضد وحدات منعزلة فقدت نظامها وأصيبت بالوهن والضعف ، فان تأثيرهم يبقى محدودا ماداموا مشتبكين مع مجموع الجيش . لأن الجيش الذي ينسحب قادر على استخدام قواته الاحتياطية لتغطية انسحابه . وما ان يجد المنسحب مانعا طبيعيا حتى يقف وراءه ويقاوم بنجاح بعد تحقيق تعاون مختلف صنوف الأسلحة ، الا اذا كان انسحابه أقرب الى حالة الفرار الحقيقي ، والتفتت الكامل .

المرحلة الثانية : وتتم بعناصر مقدمة قوية مؤلفة من قطعات مختلف الصنوف ، وتشتمل بصورة طبيعية على معظم القوات المتحركة (٢) . وتدفع هذه المطاردة العدو الى التراجع حتى الدفاعات القريبة من مؤخرته ، وليست هذه الاماكن نقاطا سهلة المنال الى حد يتيح متابعة المطاردة . كما أن القوات المطاردة لا تلبث بعد فترة أن تحس بأنها انعزلت وغدت غير مدعومة .

---

(١) تمت عمليات المرحلة الاولى من المطاردة خلال معارك الحرب العالمية الثانية بالقطعات المحمولة على العربات ، وكتائب راكبي الدراجات النارية ، بعد دعم المطاردين بالمهندسين ومدافع الهاون وبعض المدفعية الخفيفة المضادة للدبابات . وفي نهاية هذه الحرب كانت المطاردات المماثلة تتم بالقوات المحمولة على عربات نصف مجنزرة مدعومة ببعض الدبابات الخفيفة والدبابات البرمائية والمصفحات ووحدات المهندسين والمدفعية الخفيفة عديمة التراجع والهاونات . أما اليوم تتم بقوات مشابهة لما أستخدم في أواخر الحرب العالمية الثانية ، بعد حذف المصفحات التي الغيت نهائيا ، واضافة الوحدات المحمولة بطائرات الهليكوبتر .

( المترجمان )

(٢) تتألف القطعات التي تقوم بالمرحلة الثانية من المطاردة في وقتنا هذا من مقدمة قوية مؤلفة من قطعات مختلف الصنوف ( مشاة محمولة على عربات نصف مجنزرة — مدفعية عادية — وذاتية الحركة — دبابات بنسبة كبيرة — مهندسين .. الخ ) وتعمل هذه المقدمة بالتنسيق مع قطعات محمولة جوا تلقي خلف خطوط العدو لمسك نقاطه الحساسة وعرقلة انسحابه وبث الفوضى في صفوفه .

( المترجمان )

المرحلة الثالثة : هي أهم المراحل ، وتتضمن تقدم الجيش المنتصر حتى حدود انهاك قواه . ويضطر الجيش المهزوم أمام خطر الهجوم أو التطويق الى ترك المواضع الملائمة التي قدمتها له الارض ، كما تتحاشى المؤخرة القيام بمقاومة عنيدة .

ويقدم الليل في الحالات الثلاث نهاية للعمل ، الا اذا انتهت المطاردة قبل حلول الظلام . وهنالك حالات نادرة استمرت المطاردة فيها خلال الليل لانها كانت مدفوعة بعوامل كبيرة خاصة .

فاذا فكرنا بأن الاشتباك الليلي عمل تتعلق كل الامور فيه بالصدفة وعرفنا أن تنظيم القطعات يصاب في نهاية المعركة بخلل خطير فهمنا بلا عناء لماذا يتردد القائدان في متابعة عملهما في الظلام، الا اذا كان النجاح مضمونا، وذلك لتفتيت جيش المهزوم أو لتمتع جيش المنتصر بفضيلة حربية استثنائية . ان الليل يجعل الامور تسير تحت رحمة القدر . وليس هذا من مصلحة كلا الطرفين ، كما أنه يستريح فيه ، أو يتجمع ، أو ينسحب مرحلة يسبق بها عدوه اذا ما قام بالانسحاب ليلا .. وما أن يتم هذه المرحلة حتى يصبح المهزوم في وضع أفضل . ويستعيد جزء كبير من القوات نظامه المتبعثر المختلط . ويتم التموين بالذخيرة ، ويعاد تنظيم كل شيء . ولا تعتبر اللقاءت الجديدة التالية مع العدو استمرارا للاشتباك السابق بل تعتبر اشتباكات جديدة . وقد لا تكون نتيجة هذه الاشتباكات لمصلحة المنسحب ، ولكنها تبقى مع ذلك معركة جديدة لا انسحابا يشبه انهيار بناء ليس على المنتصر الا أن يجمع حطامه .

فاذا ما استطاع المنتصر متابعة مطاردة خصمه خلال الليل ، أدى النصر الى تأثيرات أكبر حتى لو تمت المطاردة بقوات مقدمة من مختلف الصنوف . ان هذه المطاردة هي في الحقيقة عمل تكتيكي . وما حديثنا عنها الا لنظهر بشكل واضح الفرق الذي ينجم عنها في اثر الانتصارات .

والمطاردة الاولى للعدو حتى أقرب نقطة مقاومة ، هي ميزة كل منتصر ، ولا تتعلق بمخططاته أو بأوضاعه السابقة . وتستطيع هذه المخططات والاوضاع التأثير بشكل كبير على نتائج النصر الايجابية الذي أحرزه الجيش الرئيسي ، ولكنها لا تستطيع منع الاستثمار الاول للنصر . فان وقعت حالات مشابهة ، وهذا أمر غير متوقع ، كان ذلك أمرا نادرا جدا لا تأثير له على النظرية

وعلينا أن نعترف أن مثال الحروب الحديثة قد فتح آفاقا أوسع ، لان حروب الماضي التي كانت محدودة بالنسبة لعدة نقاط وبخاصة بالنسبة لهذه النقطة ، قد أدت الى أفكار تقليدية غير نافعة ومحدودة بعناد . وكانت **هيبة النصر** تبدو وكأنها أهم من أي شيء آخر . وتناسى القادة أهمية التدمير الحقيقي لقوات العدو المسلحة . لذلك كان هذا التدمير يبدو لهم من وسائل الحرب العديدة لا الوسيلة الوحيدة أو أفضل وسائل على الاقل . وكانوا يضعون السيف في غمده ما ان يخفض الخصم سيفه . وكان طبيعيا في نظرهم أن يضعوا حدا للقتال عند تحقيق النتيجة الحاسمة . وكان سفك الدماء بعد هذا يبدو لهم قسوة لا مبرر لها . ولم تجعلهم هذه الفلسفة يقررون نهائيا ، ولكنها كانت عبارة عن وجهة نظر تستفيد منها فكرة انهاك جميع القوى والعجز المادي عن متابعة الصراع ، وتجد من خلالها سبيلا أسهل ، وتأخذ بفضلها وزنا أكبر . ولاشك في أن الحاجة الى توفير اداة الانتصار تفرض نفسها عندما لا يكون أمام المرء وسيلة اخرى ، وعندما يتوقع قدوم اللحظة التي يغدو فيها على كل حال أضعف من أن يفعل كل ما يجب فعله وهذا مايقع في كل مرة تتم فيها متابعة الهجوم .. ولقد كان هذا الحساب خاطئا رغم كل شيء. لان الخسائر التالية التي تقع خلال المطاردة بين صفوف المنتصر لا تتناسب مع خسائر خصمه . ولم يكن هذا التفكير قادرا على الظهور بدوره الا لان القوات المسلحة لم تعتبر كشيء رئيسي .

.. **أما الان ، فان تزايد قوى الحرب بناء على ضخامة الظروف التي تخلق** هذه الحرب قد حطم هذه الحواجز التقليدية ، وغدت المطاردة أكبر اهتمامات المنتصر ، وازداد بالتالي حجم الغنائم .

ولنعد الآن الى موضوعنا . ان الاستنتاجات المستقاة من تحليلنا حول **النوع الاول من المطاردة هي : ان القوة التي تتم بها المطاردة تحدد قيمة الانتصار ،** وان هذه المطاردة هي الفصل الثاني من النصر . ولقد كان هذا الفصل في عدة حالات أهم من الفصل الاول . وتقترب الاستراتيجية هنا من التكتيك لتأخذ نتيجة العمل المحقق وتظهر سلطتها بتطلبها اتمام النصر بالمطاردة .

**ولكن تأثير الانتصار لا يقف الا نادرا أمام هذه المطاردة الاولى . لان الامور تأخذ سيرا لا تعطيه النصر سوى الاندفاع ، ويحدد هذا السير عادة شروطا** لم يأت الوقت بعد للتحدث عنها ، ولكننا نستطيع هنا ذكر ماله صفة عامة **في استثمار النصر حتى لا نضطر الى التحدث عن ذلك كل مرة .**

نلاحظ في المطاردة مرة أخرى ثلاث مراحل هي :

١ ــ مجرد التقدم وراء العدو .

٢ ــ الضغط عليه ضغطا فعالا .

٣ ــ السير على محاذاته لقطع طريق انسحابه .

وعندما نقوم **بمتابعة العدو** ، فاننا نجبره على ان يتابع انسحابه حتى اللحظة التي يرى فيها انه قادر على مهاجمتنا مرة أخرى . وقد يكفي هذا لتحقيق جميع تأثيرات التفوق الذي حصلنا عليه ، بالاضافة الى الاستيلاء على كل مالا يستطيع العدو سحبه معه خلال تراجعه : كالجرحى والمرضى والرجال المنهكين والعتاد والعربات من مختلف الانواع . ولكن مجرد التقدم وراء العدو لا يزيد درجة اختلال النظام في جيشه كما تفعل ذلك مراحل المطاردة التالية .

فاذا لم نكتف بمطاردة العدو في معسكره القديم ، أو الانتقال الى الارض التي يود التخلي عنها ، بل اتخذنا تدابير جديدة تجبره على منحنا مكاسب أكبر . واذا قمنا بالمرحلة الثانية من المطاردة ، أي اذا هاجمنا بمقدمتنا المعدة لهذه الغاية مؤخرته في كل مرة يستعد فيها لاحتلال موقع من المواقع فسيسهم ذلك في زيادة سرعة انسحابه وتفكك نظامه . وتأتي هذه النتيجة عن ان انسحابه يأخذ عندئذ شكل فرار مستمر لا توقف فيه . وليس هنالك ما يزعج الجندي كسماع هزيم مدافع الاعداء في لحظة استعداده للراحة بعد مسير منهك . فاذا تكرر هذا الانطباع لديه عدة أيام أدى ذلك الى الهلع ، أو الى الايمان الدائم بضرورة الخضوع لقانون العدو بدون القدرة على مقاومته . وهذا مايفقد الجيش قوته المعنوية الى حد كبير . ويصل هذا الازعاج الى تأثيره الاقصى عندما نجبر العدو على المسير ليلا . فاذا قام المنتصر بعد غياب الشمس بطرد خصمه من معسكره الذي اعده لقلب الجيش أو مؤخرته ، اضطر المهزوم للقيام بانسحاب ليلي تاركا موضعه في الليلة نفسها ليرجع معسكره الى الخلف ، بينما يستطيع المنتصر الاستفادة من الليل كله للاستراحة .

ثم تأتي المرحلة الثالثة للمطاردة ، وهي اكثر المراحل فاعلية ، وتتضمن السير بشكل متواز مع العدو نحو اقرب موضع يحتمل ان ينسحب اليه .

يحدد كل جيش وراءه نقطة تبعد مسافة معينة ، وهو يسعى سعيا حثيثا للوصول اليها سواء ، لانها قد تشكل خطرا على انسحابه المقبل ( ممر اجباري مثلا ) أو لان أهميتها الخاصة تدفعه الى الوصول اليها قبل العدو ( عاصمة ، مستودعات ..... ) . أو لانه سيجد فيها وسائل جديدة تساعد على المقاومة ( موقع محصن ، نقطة اتصال بقطعات اخرى .... الخ ) .

ومما لا شك فيه ان توجه المنتصر الى هذه النقطة بطريق معترض قد يحث المهزوم على زيادة سرعة انسحابه زيادة خطرة ، ويأتي خطر السرعة من أنها قد تؤدي الى قلب الانسحاب وجعله هروبا . وليس أمام المهزوم اذن سوى ثلاثة احتمالات :

١ ــ مجابهة العدو مع القيام بهجوم معاكس غير منتظر للحصول على نجاح لا يستطيع وضعه العام تحقيقه بصورة عادية ( أي بدون هجوم معاكس مفاجىء ) . ويتطلب هذا الامر بلا شك قائدا مقداما جريئا ، وجيشا ممتازا لا يقبل الهزيمة النهائية رغم معرفته بأنه في تلك اللحظة مغلوب ، وهذا أسلوب لا قبل للجيوش المهزومة بتطبيقه الا نادرا .

٢ ــ الاسراع بالانسحاب ، ولكن هذا ما يرغب فيه المنتصر وهو غالبا ما يتطلب من القطعات مضاعفة الجهود التي تؤدي الى خسائر فادحة بالاشخاص المتخلفين والمدافع والعربات المخربة .

٣ ــ القيام باستدارة وتغيير الطريق للابتعاد عن نقاط الاشتباك المحتملة ، والسير بصورة أسهل وعلى مسافة أبعد من العدو ، وهذا ما يجعل التوقفات أقل خطرا . وهذا الاسلوب هو أسوأ الاساليب الثلاثة انه كدين جديد يستدينه رجل عاجز عن الدفع مسبقا ، أي أنه مضاعفة للمتاعب وهنالك بلا شك حالات يمكن أن ننصح فيها باستخدام هذه السبيل ، كما أن هنالك حالات أخرى تبدو فيها هذه السبيل وحيدة ، بالاضافة الى وجود أمثلة تدل على نجاحها ، الا أن من الواضح أن المهزوم ،عندما يطبقها فليس ذلك لاعتقاده بفاعليتها ، انما لوقوعه تحت ضغط سبب آخر لايود الاعتراف به ، هو الخوف من مجابهة العدو .. فويل للقائد الذي يستسلم لهذا الخوف ، فمهما كانت الاضرار اللاحقة بقوى الجيش المعنوية كبيرة ، ومهما كان للخوف من انتصار العدو ما يبرره **فان من الواجب القيام بعمل ايجابي يدل على**

**الصمود ، لان البحث الدائب عن تحاشي اي صدام يزيد الموقف سوءا . والحقيقة ان الاشتباكات الصغيرة المطبقة والمقودة بكل عناية والتي يستفيد المهزوم فيها من مزايا الأرض لأنه في وضع دفاعي ، هي الوسيلة الوحيدة لرفع القوى المعنوية مرة أخرى .**

**ولأبسط نجاح انعكاس كبير يصعب تصديقه .** ولكن معظم القادة لا يسيرون على هذه السبيل الا نادرا ، اذ يبدو لهم السبيل الآخر أي سبيل الانسحاب من كل صدام ، في بداية الامر ، أسهل الى حد يدفعهم عادة الى تفضيله . ولكن هذا القرار يفيد المنتصر وينتهي غالبا بابادة المهزوم نهائيا . ولا بد لنا من أن نذكر القارىء بأن حديثنا يتعلق هنا بالجيش كله لا بفرقة واحدة انفصلت عن مجموع الجيش الرئيسي وتحاول الالتحاق به عن طريق الاستدارة . اذ أن الوضع في هذه الحالة الاخيرة يختلف عن سابقه ، وقد يكتب له النجاح ولكن هذا السباق لا يتم الا في شرط واحد هو قيام فرقة من الجيش المنتصر باتباع السبيل التي سلكها الجيش المهزوم لجمع كل ما تركه هذا الجيش وراءه من غنائم ، والاستفادة من التأثير الذي يخلقه وجودها الدائم وراء العدو .

ولكن هذه المسيرات تضعف المطارد أيضا . ولا يستحسن القيام بها اذا كان جيش العدو مدعوما بجيش قوي ، أو على رأسه قائد ممتاز ، أو لم يصل هذا الجيش بعد الى وضع يساعد على تدميره . ولكن الحالات التي تسمح بتطبيق هذه الوسيلة تدل على انها تؤثر تأثير آلة فعالة قوية. انها تكبد المهزوم عددا كبيرا من الخسائر المثلة بالمرضى والمتخلفين المنهكين . ويحطم الخوف الدائم من تهديد كارثة وشيكة الوقوع قوى المنسحبين المعنوية تحطيما يجعلهم في نهاية الأمر عاجزين عن القيام بأية مقاومة منظمة . وفي كل يوم يسقط بيد المنتصر آلاف الاسرى . وعلى المنتصر في فترات الحظ الباسم أن لا يتردد بتقسيم قواته ليأخذ في دوامتها كل ما يقع في متناول جيشه ،ويقطع المجموعات عن قواعدها ، ويأخذ التحصينات بالمفاجأة ، ويحتل المدن الكبرى .. الخ .. ويسمح له بأن يفعل كل شيء حتى اللحظة التي يتبدل فيها الموقف . **وكلما ازداد اقداما على اغتنام فرص وعلى أعمال أكثر ، أخر بذلك لحظة تبديل الموقف.**

# الفصل العاشر

# الانسحاب .. بعد معركة خاسرة

ان خسارة معركة ما تحطم قوى الجيش المعنوية أكثر مما تحطم قـواه المادية . فاذا لم تتبدل الظروف تبدلا ملائما ، فان معركة ثانية تنتهي بهزيمة كاملة ، قد تصل أحيانا الى الابادة . وهذه قاعدة عسكرية ثابتة . وتتطلب طبيعة الاشياء أن يستمر الانسحاب حتى اللحظة التي يتم فيها توازن القوى ، سواء أكان هذا التوازن ناجما عن دعم قوى « طازجة » أو حماية حصن كبير ، أو ميزات أرض شديدة الوعورة ، أو تبعثر قوات العدو المهاجم . كما أن كمية الخسائر اللاحقة بالمهزوم وأهمية الهزيمة وطبيعة الخصم تبعد أو تقرب لحظة هذا التوازن . وهناك أمثلة عديدة أعاد الجيش المهزوم تشكيله فيها من جديد بسرعة ، بدون أن يقع بعد نهاية المعركة أي تغير في الظروف . ويمكن تفسير ذلك بضعف حالة الخصم المعنوية ، أو بعدم تفوقه خلال المعركة تفوقا كافيا للحصول على ضربة مؤثرة .

ولاستغلال نقاط ضعف الخصم وأخطائه ، وللمحافظة على القوى المعنوية في أعلى مستوى تتيحه الظروف ، ولكي لا يخسر المنسحب شبر أرض اضافي أكثر مما يجب ، فان من واجبه أن **ينسحب ببطء كبير ، ويجابه بشجاعة واقدام** جميع محاولات المطاردين للحصول على مكاسب اضافية من تفوقهم . ولقد كانت جميع عمليات انسحاب القادة الكبار والجيوش المتمرسة بفنون الحرب أشبه **بانسحاب أسد جريح ،** وهذه ولا شك أفضل نظرية .. وكثيرا ما نرى في لحظة التخلي عن موضع خطير قادة يقومون بشكليات سخيفة خطرة نظرا لما تضيعه من وقت ثمين في ظرف يجبرنا على ترك المكان بسرعة . وهناك قادة كبار يرون أن الانسحاب بسرعة مبدأ هام جدا . ولكن يجب أن

لا نخلط بين هذه الحالات وحالة الانسحاب العام بعد معركة خاسرة ، فمن الخطأ اعتقادنا أن بوسعنا في مثل هذا الانسحاب سبق العـــدو ببعض المســيرات السريعة لنجد انفسنا بكل سهولة في موضع جيد . ان علينا ، علـى العكس ، أن نطبق حركات الانسحاب الاولى لمسافــات قصيرة ما أمكن ، وأن لا نسمح لقانون العدو بالسيطرة علينا . ولا يمكن احترام هـــذا المبدأ بدون اشتباكات دامية مع العدو الذي يتعقبنا . على أن تكون هذه الاشتباكات أهـلا للتضحيـ والا زادت سرعة حركاتنا ، وانقلبت الى فرار يجعلنا نخسر عددا من المتأخرين الذين يسقطون بيد العدو يفوق ما قد تكلفنا معارك المؤخرات لو قمنا بها . كمـا يحطم هذا الفرار ايضا البقية الباقية من شجاعتنا .

ان مؤخرة قوية تتكون من أحسن قطعاتنا ويقودها خير قادتنا ويدعمها ، في اللحظة الحرجة ، كل جيشنا ، واستخدام الارض جيدا ونصب الكمائن القوية عندما تتيحها لنا الارض ، وتهور مقدمة العدو بذلك ، أي الاعداد للمعارك الصغيرة ، تلك هي الوسائل الناجحة لتطبيق هذا المبدأ .

وتتبدل صعوبات الانسحاب بصورة طبيعيـة بتبدل ظـروف المعركة ، ووضوح نتيجتها . وتظهر معركتا يينا وواترلو كيف يغدو الانسحاب المنهجي مستحيلا عندما ندافع حتى آخر جندي وعدونا متفوق .



## الفصل الحادي عشر

# الاشتباك الليلي

ان أشكال الاشتباك الليلي وتفصيلات سيره وقواعده أمور تمت الى التكتيك ، ولن ندرسها كلها هنا الا ضمن الشروط التي يبدو المجموع فيها كوسيلة استراتيجية خاصة .

وليس كل هجوم ليلي في الاصل الا انقضاضا مفاجئا من الدرجة الثانية . وعندما ندرس الامر للوهلة الأولى نرى أن لمثل هذا الانقضاض فاعلية كاملة ، ونتصور المدافع معرضا للهجوم ، ونتمثل المهاجم مستعدا لكل ما سيقع ، فيبدو لنا عدم المساواة بوضوح . ويرسم التخيل الطرف الاول وسط صورة من الفوضى والاضطراب التام ، ويرى الطرف الثاني المهاجم مهتما باقتطاف ثمار عمله . وهذا هو السبب الذي يدفع الذين لايملكون شيئا ، ولا يتحملون أية مسؤولية الى وضع مخططات هجمات ليلية لا تنفذ في الحقيقة خلال الهجوم الا نادرا .

وتستند كل هذه الافكار على افتراض أن المهاجم يعرف التدابير التي اتخذها المدافع ، تلك التدابير التي أعلن عنها مسبقا ولم تستطع التواري عن بحث المهاجم وعمليات استطلاعه ، على حين أن تشكيلات المهاجم المأخوذة في لحظة التنفيذ يجهلها المدافع كل الجهل . ولكن هاتين النقطتين لا تتسمان بالصحة دائما . والنقطة الاولى أكثر خطأ . لاننا عندما لا نكون على مقربة من العدو الى مسافة تتيح لنا رؤيته بأنظارنا المباشرة ، فان جميع المعلومات المتعلقة بمواضعه تبقى ناقصة نقصا دائما . وهي تأتي من الاستطلاع والدوريات واعترافات الاسرى ومعلومات الجواسيس ولكنها غير أكيدة

كل التأكيد (١) . لان بعضها يفقد جدته لتبدل مواقع العدو ما بين لحظة الحصول على المعلومات ولحظة وصولها . ولقد كانت تكتيكات العدو في الماضي وأساليب اقامته تسمح بكشف موضعه بسهولة لا نعرفها اليوم . فخط الخيام أسهل كشفًا من معسكر او مركز اقامة . ورؤية المعسكر الممتد على خط جبهة منتظمة اسهل من رؤية خط جبهة مقسم الى أرتال . وقد تمتد الارض التي يقع عليها معسكر فرقة من هذا النوع تحت أبصارنا بدون أن نعرف عنها فكرة صحيحة (٢) .

ولكن موضع العدو لايؤلف كل مانود معرفته . فالتدابير التي سيأخذها المدافع خلال الاشتباك مهمة أيضا وتجعل هذه التدابير الهجمات الليلية أشد صعوبة مما كانت عليه في الماضي نظرا لتزايد أهميتها ، ويتصف موضع المدافع في الاشتباكات الليلية المعاصرة بأنه مؤقت غير دائم ، لذلك يستطيع المدافع اليوم ، اكثر من أي وقت مضى ، مفاجأة الخصم بضربات لا يتوقعها .

وهكذا فان ما يعرفه المهاجم عن المدافع يكاد لا يكفي الا نادرا ليحل محل المراقبة المباشرة في حالة الهجوم الليلي .

ويملك المدافع تفوقا صغيرا على المهاجم ، وذلك لاحساسه بأنه في بلده وعلى ارض موضعه . فهو كصاحب البيت ، يعرف سبيله في الظلام أكثر مما يعرفه الغريب ، انه قادر على ايجاد كل جزء من قواته ، والوصول اليه بسهولة اكبر من السهولة التي يستطيع بها المهاجم ايجاد اجزاء قواته .

---

(١) يمكن تكملة الوسائل التي ذكرها المؤلف لجمع المعلومات بالوسائل المعاصرة التالية : الرصد الجوي ، التصوير الجوي ، التصوير من أقمار التجسس ، أجهزة كشف الاشارات اللاسلكية وحل رموزها ، أجهزة كشف مواضع الاجهزة اللاسلكية ، والاجهزة =

= الالكترونية والحرارية القادرة على كشف مواضع تمركز العتاد الثقيل ( بطاريات مدفعية ، مجمعات دبابات .. الخ ) لذا لم يعد من الضروري ان يكون العدو تحت أبصارنا لكشف مواضعه.

(٢) — ان تزايد عمليات الاخفاء والتمويه ، ولجوء القطعات الى استخدام مختلف أساليب الخداع بالاضافة الى تمركزها في مواضع مخفاة تحت الارض ، يجعل كشف مواضعها امرا لا يخلو من الصعوبة .

« المترجمان »

وتدفعنا هذه الحجج الى الاستنتاج التالي : يحتاج المهاجم في حالة الاشتباك الليلي الى عينيه كما يحتاج المدافع . لذا ينبغي عدم استخدام الهجوم الليلي الا بناء على دوافع خاصة .

وهذه الدوافع منوطة بجزء من الجيش لا بالجيش كله . وينجم عن ذلك ان الهجوم الليلي يتم عادة في حالة الاشتباكات الثانوية . ونادرا ما نراه يقع في معركة كبيرة .

ان من الممكن مهاجمة جزء صغير من جيش العدو بقوة تتفوق عليه ، وتطويق هذا الجزء لابادته او تكبيده خسائر فادحة خلال اشتباك لا يدور لمصلحته ، على ان تسمح الظروف بذلك . ولكن من المتعذر علينا تنفيذ خطة مشابهة الا بضربة مفاجئة سريعة . لان اي جزء من قوات العدو لن يقبل مثل هذه المعركة غير المتكافئة بل يعمل على تحاشيها . ولا يمكن ايقاع ضربة مفاجئة سريعة كهذه الا ليلا . وقد نستطيع القيام بها استثنائيا في ارض مغطاة جدا . فاذا ما اردنا مثلا استغلال الوضع السيء لقطعات منعزلة معادية، كان علينا أن ننتظر الليل للقيام بالتدابير الاولية على الاقل ، حتى لو كان موعد الاشتباك مع طلوع الفجر. وهكذا نرى تعدد العمليات الليلية ضد المخافر الامامية والوحدات الصغرى ، ويبقى هدف هذه العمليات دائما استغلال المفاجأة والتفوق والتطويق لجر العدو الى اشتباك غير ملائم ، لا يستطيع الخروج منه بدون خسائر فادحة .

وبقدر ما يزداد حجم القوات المعرضة للهجوم ، تزداد صعوبة العمل الليلي ، لان القوات الكبيرة تملك القدرة على الدفاع مدة تكفي لوصول النجدات.

لذا لا يشكل الجيش المعادي نفسه هدف هجوم كهذا ، في الحالات العادية . لان الجيش يملك القدرات الكافية لمجابهة الهجوم من عدة جهات بدون انتظار نجدات . ولقد زادت هذه القدرات في أيامنا نظرا لاعتياد الجميع على هذا النوع من الهجوم الذي غدا طبيعيا . اما موضوع معرفة ما اذا كان العدو قادرا على مهاجمتنا بنجاح من عدة جهات في آن واحد ، فيتعلق غالبا بأشياء أخرى متعددة غير هذا الشكل اللامتوقع للهجوم . ولن نؤكد الآن على هذه النقطة ، ولكننا سنكتفي بملاحظة ما للالتفاف من مزايا كبيرة وما يقدمه من

اخطار كبيرة ايضا . ولا نستطيع تبرير القيام به في الظروف العادية الا بعد امتلاك تفوق كبير كالتفوق الذي نحصل عليه ضد جزء صغير من جيش العدو .

وينجم امكان اجراء الالتفاف حول قوات معادية صغيرة وتطويقها ليلا من ان الثمن الذي ندفعه في هذين العمليتين يكون رغم تفوق القوات المستخدمة جزءا صغيرا من جيشنا . وما دام هدف الرهان هاما ، فمن الافضل المخاطرة بهذا الجزء بدلا من المخاطرة بالكل . كما ان الجزء الكبير والكل يبقيان عبارة عن دعم ونقطة تجمع للجزء الصغير المتقدم ، وهذا ما يقلل من خطر العملية .

وتكتفي المشاريع الليلية بمفارز صغيرة الاهمية لا بسبب الاخطار فحسب بل بسبب المتاعب ايضا . والتسرب هو وسيلة العمل الرئيسية لان هذه المشاريع لا تستقى معناها الا من المفاجأة . والتسلل بمفارز صغيرة أسهل من التسلل بقطعات ضخمة ، لذلك توجه هذه المشاريع ، غالبا ، ضد المخافر الامامية المنعزلة ، ولا يمكن استخدامها ضد قطعات اكبر الا اذا تمركزت هذه القطعات بدون ان تنشر امامها عددا كافيا من المخافر الامامية .

ويمكن تلخيص الدوافع الى القيام بالهجوم الليلي بما يلي :

١ ــ جراءة العدو او عدم مبالاته ، وهما أمران نادران جدا ، ويمكن تحقيق توازنهما بقوة معنوية رائعة .

٢ ــ الذعر في جيش العدو ، او بصورة عامة ، تفوق معنوي كبير في جيشنا ، يكفي وحده لاحتلال مكان ادارة العمليات .

٣ ــ عندما يتعلق الامر بخرق خطوط جيش معاد متفوق يطوقنا . ويتعلق كل شيء في هذه الحالة بالمفاجأة ، وتسمح فكرة التملص بتجميع القوى .

٤ ــ عندما تكون الحالة ميؤوسا منها حيال تفوق قوات العدو على قواتنا تفوقا ساحقا ، الامر الذي يجعل في الضربة الجسور الرائعة المخرج الوحيد الذي قد يسمح لنا بالبحث عن النجاح .

وتنظم معظم الاشتباكات الليلية بما يؤمن انتهاءها مع طلوع النهار . وهذا يعني ان التقرب والاشتباك الاول فقط يقعان تحت جنح الظلام ، لان المهاجم

يستطيع بذلك استخدام نتائج الفوضى التي يقع فيهـــا خصمه افضـــل استخدام(١) . اما الاشتباكات التي لا تبدأ الا مع الفجر وتستخدم الليـــل لتغطية التقرب فقط ، فلا يمكن اعتبارها من قبيل الاشتباكات الليلية .

* * *

(١) قد تقضي ظروف الاشتباك الليلي ـ كظروف اشتباك اغارة الكر والفر مثلا ـ ان يتـم التقرب وتنفيذ الاشتباك ليلا ، ترك هامش من الوقت يسمح بالانسحاب تحت ستار الليل بعـد تنفيـذ المهمـة «المترجمان»

# الجزء الخامس

# القوات العسكرية

# الفصل الأول

# مسرح الحرب والجيش والحملة

## ١ ــ مسرح الحرب :

يدل هذا التعبير في الحقيقة على جزء من مجموع منطقة الحرب ، ولهذا الجزء حدود محمية ، لذا فهو يتمتع ببعض الإستقلال . وقد تكون هذه الحماية ناجمة عن قلعة أو مانع طبيعي قوي أو مساحة كبيرة من الارض تفصل هذا المكان عن بقية منطقة الحرب . وليس هذا الجزء مجرد قسم من كل ، ولكنه يؤلف بحد ذاته مجموعا صغيرا . وهو يتمتع بهذه الصفة اذا لم تكن للتبدلات الواقعة على نقاط اخرى من منطقة الحرب أي تأثير مباشر عليه ، وكان تأثيرها غير مباشر فقط . فاذا أردنا استخدام صفة دقيقة لشرح فكرتنا ( عن استقلال الاجزاء ) قلنا ان هذه الصفة كامنة في احتمال التقدم في احد هذه الاجزاء مع اجراء ترجع في الجزء الآخر . أو القيام بعملية دفاعية في الجزء الاول مع انطلاق الهجوم الثاني . ولكن تعريفا محددا بهذا الشكل لا ينطبق دائما على كل الحالات، وهو لا يفيدنا الا في تحديد الامور الاساسية .

## ٢ ــ الجيش :

اذا ما استخدمنا المفهوم السابق لمسرح الحرب أصبح من السهل أن نقول ما هو الجيش . انه القطعات المتجمعة في مسرح حرب واحد .

ولا يشمل هذا كل ما يعنيه التعبير في استعماله الشائع .

ففي عام ١٨١٥ قاد كل من ويلينجتون وبلوخر جيشا مستقلا على الرغم من وجودهما على مسرح الحرب نفسه .. والقيادة العليا علامة أخرى تميز وجود الجيش ، ولكن هذه الصفة تشبه سابقتها، لان تنظيم الامور تنظيما جيدايستدعى وجود قيادة عليا واحدة لكل مسرح الحرب وتمتع القيادة العليا لمسرح كل حرب خاص ، بالاستقلال المطلوب .

وتأخذ القوة المطلقة للجيش في هذا التعريف مكانا أصغر مما يبدو ، لان عدة جيوش تعمل تحت قيادة مشتركة على مسرح الحرب نفسه ، لا تحمل اسم الجيوش نظرا لقوتها الخاصة ، ولكنها تحمل هذا الاسم لاسباب اخرى . ومن الممكن تقسيم قطعات كبيرة معدة للبقاء على المسرح نفسه الى قطعات متعددة،بينما يتعذر تقسيمها الى جيوش مختلفة لان مثل هذا التقسيم يتناقض مع الاستخدام السليم لهذا الاسم الذي يبدو مرتبطا بشكل دقيق بالشيء نفسه. ومن التبجح أن نطلق اسم الجيش على عصابات الانصار التي تنفذ أهدافها في بعض المناطق المنعزلة النائية . وهكذا يمكننا أن نقول ان مفهومي الجيش ومسرح الحرب يسيران عادة جنبا الى جنب ، ويكمل كل منها الآخر .

### ٣ ــ الحملة :

غالبا ما نطلق اسم حملة على مجموع الاحداث العسكرية التي تتم خلال سنة كاملة على جميع مسارح الحرب . ولكن هذا التعبير يدل في الكلام المألوف على أحداث مسرح واحد فقط . والاسوأ هو ربط هذا التعبير بفكرة السنة الكاملة ، ذلك أن الحروب المعاصرة أصبحت لا تقسم الى حملات سنوية كما كانت في الماضي بسبب معسكرات الراحة الشتوية .

وما دامت الاحداث التي تقع على مسرح الحرب تجمتع بنفسها في وحدة أوسع ــ عندما تتوقف النتائج المباشرة لكارثة خطيرة عن التأثير وتظهر تعقيدات جديدة ــ فينبغي اذن اخذ هذه التقسيمات الطبيعية بعين الاعتبار لاعطاء جيش ما نصيبه الكامل من الاحداث .

# الفصل الثاني

# توازن القوى

اذا درسنا التاريخ العسكري الحديث بكل تجرد ، وجدنا أن أهمية التفوق العددي وقدرته على الحسم تزدادان يوما بعد يوم . وهذا ما يجبرنا على اضفاء قيمة كبيرة على المبدأ القائل **بان علينا أن نكـون أقوياء الى أكبر حـد ممكن في الاشتباك الحاسم .**

ونحن نعرف أن الشجاعة والقوى المعنويةالعالية قد زادت من قوة الجيش المادية في كل الازمان ، وسيبقى لها هذا التأثير دائما . ولكن في التاريخ أحداثا كان التفوق فيها ناجما عن تنظيم الجيوش أو تجهيزها ، بالاضافة الى احـداث كان التفوق المعنوي فيها منبثقا من قدرة الجيوش الحركية . وقد تظهر في بعض الاحيان أساليب تكتيكية جديدة تؤثر على فن الحـرب وقـد يتطور هـذا الفن باستخدام الارض بشكل جيد بناء على مبادىء كبيرة عامة . ولقـد كان القـادة يتميزون بعضهم على بعض بالاستفادة من هذه الامور ، ثم اختفى هـذا الوضع تاركا مكانه لاساليب عادية أكثر بساطة . فاذا ما فكرنا بتجارب الحروب الاخيرة بلا تحيز رأينا اننا نكاد لا نجد فيها الظواهر التي تحدثنا عنها سواء أكان ذلك في الحملة بصورة عامة ، أم في الاشتباكات الحاسمة والمعركة الرئيسية .

ان الجيوش متساوية حاليا في حقل التسليح والعتاد والتدريب ، ولا يختلف اختلافا كبير في هذا الصدد أسوأ الجيوش عن أفضلها . وأكثـر مـا هنالك ان التكوين التقنى للجماعات العلمية يحمل في طياته حتـى الان بعض الاختـلاف الواضح ويأتي هذا الاختلاف في معظم الحالات من قيام بعضهم بدور المخترعين

والمعلمين لافضل الاساليب ، واكتفاء بعض آخر بدور المقلدين . ونحن نرى أن الجنرالات وقادة الفيالق والفرق يتبنون في كل مكان تقريبا الاراء والاساليب ذاتها ، حتى أننا ، اذا استثنينا موهبة القائد العام التي هي من عمل الصدفة ولا ترتبط ارتباطا محتما بمستوى ثقافة الشعب أو الجيش ، نرى أن التمرس في الحرب ،هو وحده ما يحقق امكان تفوق جيش على آخر . والحقيقة أنه كلما تساوت هذه العناصر وتشابهت كلما أخذ ميزان القوى شكلا حاسما .

وتستمد الحرب الحديثة صفاتها من هذا التشابه والتساوي . ويكفي أن نقرأ بكل تجرد قصة معركة بورودينو حيث واجه افضل جيوش العالم آنذاك ( الجيش الفرنسي ) الجيش الروسي الذي كان يبدو متأخرا في عدد كبير من نقاط التنظيم والتدريب . اننا لا نرى خلال سير المعركة كلها أثرا لفن رفيع أو ذكاء متفوق لدى الفرنسيين ، ولكننا نلاحظ أنها كانت أشبه بتنافس بين قوات متساوية تقريبا . وكان من الطبيعي أن لا ينجم عن هذه المعركة غير تبدل بطيء في توازن القوى ، لمصلحة الفريق الذي يتمتع بقيادة فعالة وجيش متمرس . هذا مع العلم اننا لم نختر معركة بورودينو مثالا الا لان القوات المشتبكة فيها كانت متساوية عدديا تساويا يندر وقوعه .

اننا لا ندعى أن جميع المعارك تشبه هذه المعركة ، ولكن هذا المظهر هو الذي يميزها في اكثر الاحيان وان أهمية التفوق العددي كبيرة أكيدة في معركة تتصارع فيها القوى بكل بطء . وعبثا نبحث في التاريخ العسكري الحديث عن معركة تم فيها النصر على عدو متفوق تفوقا يعادل الضعف ، علما بأن مثل هذه المعارك موجودة في التاريخ القديم .

ولكن القوة المطلقة في حقل الاستراتيجية عبارة عن مقدار معين لا يستطيع القائد تغييره . وهذا لا يعني استحالة شن الحرب بجيش أصغر من جيش الخصم . فمتطلبات السياسة لا تقرر الحرب دائما ، وتزداد قيمة هذه الحقيقة عندما يكون عدم تكافؤ القوى واضحا جليا . وهكذا يمكننا أن نلاحظ أنواعا عديدة من موازين القوى . وعلى نظرية الحرب أن تجد الحل في مثل هذه الحالات ولا تتراجع عند نقطة تستطيع فيها تقديم أجل الخدمات ؛ والا بدت نظرية غريبة جدا .

وتفضل النظرية عادة استخدام قوة كافية . ولكنها لا تستطيع دعم الفكرة القائلة بأن من المتعذر استخدام قوة غير كافية . ونحن لانستطيع في هذا الصدد رسم حدود دقيقة .

وكلما كانت القوى ضعيفة اصبحت الاهداف محدودة . كما أن ضعف القوى يقصر من مدة الصراع . وهكذا يؤثر الضعف في هذين الاتجاهين : ( حجم الاهداف ومدة الصراع ) . ولن نستطيع التحدث عن التبدلات الناجمة عن درجة القوة الا فيما بعد ، عندما تبرز أمامنا خلال الدراسة . أما الان فيكفي أن نبين الرؤية العامة التي نرى الامور من خلالها . على أن نكمل هذه الرؤية باضافة الملاحظة التالية :

كلما نقصت قوة المعسكر المشتبك في معركة غير متكافئة، كان التوتر الداخلي لهذا المعسكر كبيرا ، وكانت قدرة قوته شديدة ، وذلك لانه معرض دائما للاخطار . فاذا ما وقع العكس ، وتخلى اليأس البطولي عن مكانه لليأس المتخاذل ، غدا فن الحرب كله عقيما لا جدوى منه .

فاذا ما اجتمعت قدرة القوة مع اعتدال متعقل في الاهداف لمنشودة ، نجم عن ذلك مجموعة من الضربات اللامعة المقرونة بأحجام حذر ، وهي ضربات تستدعي الاعجاب والتقدير . وهذا ما يدفعنا الى الاعجاب بحروب فريدريك الكبير .

ولكن اذا ما عجز الاعتدال المتعقل والاحجام الحذر عن اعطاء كثير من النتائج ، اصبح من الضروري وجود قسط اكبر من التوتر والقدرة .. وعندما يبلغ عدم تكافؤ القوى مبلغا يجعل اي تعديل للهدف غير كاف لتحاشي الكارثة ، أو عندما تكون مدة الخطر طويلة تجعل افضل اقتصاد بالقوى عاجزة عن الوصول الى الهدف ، فان على توتر القوى أن يتركز بضربة واحدة يائسة .

ان على كل من يجد نفسه في طريق مسدود ، ولا يأمل في اية نجدة ، أن يضع آخر اماله في التفوق المعنوي ، فهو آخر ما يلجأ اليه الشجاع في الاوضاع اليائسة ، وان يعتبر الاقدام الكبير حكمة كبرى — وهو يستطيع مع ذلك اللجوء الى حيلة جريئة — **فاذا لم ينجح كانت نهايته المجيدة منطلقا لبعثه في المستقبل .**

# الفصل الثالث

# نظام معركة الجيش

## "الترتيب الحربي"

نقصد بنظام المعركة توزيع مختلف الاسلحة وتناسقها داخل وحدات الجيش كله . كما نقصد به التشكيلة الطبيعية خلال المعركة وجميع مراحل الحرب .

لذا يتألف نظام المعركة من عنصر حسابي وآخر هندسي هما **التوزيع والتشكيلة** . ويأتي التوزيع من التنظيم الدائم لزمن السلم، ويأخذ وحداته من بعض أجزاء الجيش كالكتيبة والسرية والفوج والبطارية التي يمكن ان نشكل منها وحدات أكبر ، حسب الطلب ، حتى نصل الى تشكيل أكبر القطعات ، أي الجيش نفسه . وتتعلق التشكيلة بالتكتيك الاساسي الذي يكون هدف تدريب الجيش خلال السلم ، والذي يمكن أعتباره صفة خاصة من صفات الجيش لاتتبدل بصورة محسوسة عندما تندلع نار الحرب ، وتحقق التشكيلة تلاؤم شروط استخدام القطعات على مستوى كبير مع هذا التكتيك .. وهكذا يتم تحديد الشكل والنسب التي ينبغي الاعتماد عليها عند تنظيم الجيش واعداده للقتال .

ولقد تطورت التشكيلة مع تطور الاسلحة تطورا واضحا ومن الطبيعي ان تنجم هذه الامور كلها عن المعركة . ففي الماضي كانت المعركة تشكل الحرب كلها . وستبقى المعركة دائما العنصر الرئيسي ، ولكن نظام المعركة يعود الى

التكتيك أكثر مما يعود الى الاستراتيجية . وكل مانود اظهاره من هذا الاستنتاج هو : كيف يستطيع التكتيك ، عندما يضع مجموع القوات في مجموعات صغيرة ، أن يؤثر على وظائف الاستراتيجية واعمالها . وكلما كبرت الجيوش أزداد امتدادها على مساحات شاسعة ، وتعددت الاشكال التي ( تتمفصل ) بها الاجزاء وتؤثر بعضها على بعض ، ورأت الاستراتيجية حقلها يزداد أتساعا . كما أن نظام المعركة كما حددناه ، يدخل بدوره في تأثير متبادل مع الاستراتيجية يظهر أكثر ما يظهر في نقاط التقاء الاستراتيجية بالتكتيك . أي في اللحظة التي يتم فيها الانتقال من التوزيع العام للقوى العسكرية الى التشكيلات الخاصة بالاشتباك .

فلنر الآن نقاط الموضوع الثلاث وهي : التوزيع وتناسق الأسلحة والتشكيلة من وجهة النظر الاستراتيجية .

## أولا : التوزيع

اذا نظرنا الى الأمور نظرة استراتيجية كان علينا أن لانتساءل عن قوة الفرقة أو الفيلق ، بل عن عدد الفرق والفيالق الداخلةفي تشكيل الجيش . وليس هناك أصعب من قيادة جيش مقسم الى ثلاثة أجزاء الا قيادة جيش مؤلف من جزئين . لأن مثل هذا الوضع يجعل القائد الأعلى في حالة تقارب الشلل (١) .

أن تحديد قوة القطاعات الكبيرة والصغيرة بناء على قاعدة التكتيك الأولى أو التكتيك الأعلى عبارة عن عملية يدخل فيها الحكم الجائر بكل حرية . والله وحده يعلم كيف أعطى هذا التحديد مكانا فسيحا لمحاكمات عقيمة غير معقولة . ولكن الحاجة لتقسيم مجموع مستقل الى عدد من الاجزاء أمر واضح ودقيق .

---

(١) اذا كان الجيش مؤلفا من قسمين فقط ، فقد جزءاً كبيراً من فاعليته . فان استخدامالقائد القسمين جنبا الى جنب في آن واحد ، جرد نفسه من الاحتياط وزج كل قواته فيالمعركة ، وأصبح عاجزا عن المناورة .وانوضع القسمين بعضهما وراء بعض بغية مزجهما بصورة متعاقبة ، توفرت لديه المرونة ، ولكنه يجد نفسه مضطرا الىأن يقود خلال أكبر أجزاء المعركة جبهة خاضعة لسلطة احد مرؤوسيه ، وهذا ما يؤدي الى تضارب السلطات .. والعدد ثلاثة هو أول عدد يضمن المناورة ويعطي القائد حقل عمل يطبق فيه سلطته دون أن تتطابق مع سلطة مرؤوسيه .

( المترجمان )

لذلك فاننا نجد فيه أسبابا استراتيجية حقيقية لتحديد العدد ، أي قوة القطعات الكبرى ، على حين يحدد التكتيك قوة الوحدات الصغرى كالسرايا والكتائب .. الخ...

اننا لا نستطيع تخيل أصغر مجموع منعزل بدون أن نرى فيه ثلاثة أجزاء . فان كان أحد هذه الاجزاء في الامام كان الجزءان الآخران في الخلف . ولكن من الطبيعي أن يكون تقسيم المجموع لى أربعة أجزاء تقسيما يتمتع بقيمة عملية أكبر ، اذا كان من الضروري أعتبار الجزء المركزي أقوى من الاجزاء الرئيسية الاخرى ويشكل القوة الرئيسية . وهكذا يمكن أن نذهب في التقسيم حتى ثمانية اجزاء .

ومن الواضح أن القيادة الموزعة على ثلاثة أو أربعة رجال على الاكثر تسهل مهمة القيادة العليا تسهيلا كبيرا كما تسهل مهمة قيادة كل مجموع . ولكن على القائد أن يدفع ثمن هذه الميزة غاليا ومضاعفا . أن الاوامر تفقد سرعتها وشدتها ودقتها كلما بعد النسق الذي ينبغي الوصول اليه ، وتفقد أوامر القائد الأعلى الى قادة الفرق مثلا كثيرا من فاعليتها اذا كان بينه وبين قادة الفرق عدد من قادة الفيالق . ويفقد القائد الأعلى جزءا أكبر من سلطته وفاعليته ، كلما ازداد اتساع المجال الذي يعمل فيه مرؤوسوه المباشرون . ان قائدا يقود ١٠٠٫٠٠٠ رجل موزعين داخل ثماني فرق يتمتع بسلطة تفوق سلطته عندما تكون قواته موزعة الى ثلاثة فيالق فقط . ولهذا أسباب عديدة ، أهمها أحساس كل قائد فيلق بأن له السلطة المطلقة على جميع أجزاء فيلقه ، ومقاومته الدائمة لمحاولات القائد الأعلى في اقتطاع بعض هذه السلطة لوقت طويل أو قصير . ويكفي أن يكون لدى المرء خبرة بسيطة بالحرب حتى يفهم هذه الفكرة ويقتنع بها .

ولكن يجب الا يصبح عدد الأجزاء كبيرا جدا حتى لا يؤدي ذلك الى الفوضى . ان ادارة وقيادة ثمانية أقسام من قبل القيادة العليا عمل صعب ، وليس من المقبول أن يكون العدد أكثر من عشرة اقسام . أما بالنسبة للفرقة فان تقسيمها الى أربعة أو خمسة أجزاء أمر أفضل ، نظرا لضعف وسائل نقل الأوامر وتنفيذها فيها .

فاذا لم تكن الارقام خمسة وعشرة ملائمة ، أي اذا كانت الالوية في مثل هذا التقسيم كبيرة أكثر مما ينبغي ، كان على قيادة الجيش أن تستخدم قيادات

فيالق . ولكن يجب الاننسى أن هذا العمل يخلق قوة جديدة قادرة على أضعاف العوامل الاخرى دفعة واحدة .

ولكن علينا الا نضيع وسط هذه القضايا التكتيكية ، وأن نتحاشى الموضوع الشائك الذي يبحث ويتساءل متى وبأي نسب يجب أن يتم تناسق الاسلحة الثلاثة ، وهل يجب تحقيق هذا التناسق في فرقة مؤلفة من ٨ — ١٢ الف رجل او داخل فيلق مؤلف من ٢٠ — ٣٠ الفا ، وأن نتذكر أن الد أعداء هذا التناسق عاجزون عن انكار قدرته على تحقيق وحدة أي جزء من الاجزاء . وهذه الوحدة أمر ترغب فيه الأجزاء التي تجد نفسها في احيان كثيرة ، مضطرة الى العمل منعزلة . ان جيشا مؤلفا من ٢٠٠٫٠٠٠ رجل ومقسما الى عشر فرق تضم كل فرقة منها خمسة الوية هو جيش يحتوي كل لواء من الويته على ٤٫٠٠٠ رجل . ونحن لا نجد هنا أي اختلال في التناسب . اننا نستطيع حقا تقسيم هذا الجيش الى خمسة فيالق يضم كل فيلق منها أربع فرق ، على أن تتألف كل فرقة من أربعة الوية وهذا ما يجعل الويتنا مؤلفة من ٢٫٥٠٠ رجل . ولكن التقسيم الأول يبدو لنا أفضل من الثاني ، لأن هذا الاخير يشمل نسقا قياديا اضافيا هو نسق الفيلق ، كما أن وجود خمسة ( أجزاء ) تمفصلات في الجيش وأربعة ( أجزاء ) تمفصلات في الفيلق يحد من مرونتهما ، بالاضافة الى أن وجود ٢٫٥٠٠ رجل في اللوء يجعل منه قوة ضعيفة . ان التقسيم الثاني يعطينا ٨٠ لواء على حين يعطينا التقسيم الأول ٥٠ لواء فقط وهو لذلك تقسيم أبسط . غير أن اختيار التقسيم الثاني يعني تجاهل كل هذا المزايا لسبب واحد هو رغبة القائد الأعلى في اعطاء الأوامر لعدد من الجنرالات يعادل نصف عددهم في الحالة الاولى . ومما لا شك فيه أن من الافضل تحاشي تقسيم الجيش الى فيالق عندما يكون هذا الجيش صغيرا .

هذا هو الشكل المجرد للمعضلة ، وتحتوي كل حالة خاصة على عدد من الأسباب الرئيسية التي تحل المسألة بطرق مختلفة . وهنا لابد لنا من أن نعترف بأن اذا كان من الممكن قيادة ٨ — ١٠ فرق قيادة افضل في أرض منبسطة ، وهذا العمل يغدو مستحيلا في أراض جبلية واسعة ... وعندما ينقسم الجيش الى قسمين رئيسين بسبب نهر عريض ، فمن الضروري تعيين قيادة خاصة لكل جزء . وهناك مئات الظروف المحلية والخاصة التي تفرض وجودها وتجبر القواعد المجردة على الاختفاء .

ولكن التجربة تعلمنا رغم كل شيء أن هذه الاسباب المجردة هي الافضل ، وان تراجعها أمام الاسباب الاخرى ، هو أقل وأندر مما قد نظن .

وسنسمح لأنفسنا بذكر موجز لمجموع هذه الاعتبارات ، وذلك بأن نختصر النقاط الرئيسية المختلفة واحدة تلو الاخرى .

ولنحدد أننا نقصد بتعبير **جزء من المجموع** الأجزاء ( القطعات ) الناجمة عن التقسيم الاول للجيش ، أي الاجزاء التي تلي نسق الجيش **مباشرة** .

١ — عندما يكون عدد الاجزاء التي يتكون منها المجموع قليلا ، فان المجموع يفقد بعض مرونته .

٢ — اذا زاد عدد اجزاء المجموع زيادة كبيرة ، ضعفت قدرة السلطة العليا .

٣ — ان كل نسق من انساق التسلسل يعرقل حركة الأوامر ويضعف قوتها ويتم هذا الاضعاف بشكلين : أولهما تبديد القوة الناجم عن النسق الاضافي ، وثانيهما أضاعة الوقت الاضافي الذي يتطلبه نقل الأمر .

يبين لنا كل ذلك أن عدد الاجزاء ينبغي أن يبلغ أكثر مايمكن مع أقل عدد من الانساق . على ان نأخذ بعين الاعتبار أن عدد المرؤوسين الذين يمكن لقائد الجيش قيادتهم بسهولة هو ٨ — ١٠ ، أما في الانساق الادنى فمن الواجب اقلال هذا العدد حتى ٤ — ٦ .

**ثانيا : تناسق الاسلحة :**

ان تناسق الأسلحة في نظام المعركة لا يتمتع في حقل الاستراتيجية بأية قيمة الا بالنسبة للاجزاء التي تستخدم عادة في مواضع منعزلة ، وتجد نفسها في ظروف تجبرها على الاشتباك بشكل مستقل . اذن من الطبيعي أن تكون أجزاء **التقسيم الاول** للجيش ، أي الفيالق والفرق ، معدة **لوحدها** لاشغال موضع مستقل ، لأن مثل هذا الموضع يتضمن كما سنرى فكرة المجموع وحاجاته .

فاذا تحدثنا بكل دقة ، قلنا أن الاستراتيجية لا تتطلب التناسق الدائم للاسلحة الا في الفيالق ، أو في الفرق عندما يكون نسق الفيالق معدوما . وهي تكتفي في الانساق الدنيا بتركيبات تحقق تناسقا تتطلبه حاجات اللحظة الراهنة . (١) .

ولكننا نرى بلا صعوبة أن الفيالق الهامة المؤلفة من ٣٠ — ٤٠ الف مقاتل يندر أن تضطر لأخذ موضع واحد غير مجزأ . لذلك فان تناسق الاسلحة داخل الفرق في تشكيل مثل هذه الفيالق أمر ضروري جداً . وينظر كل من لايحمل خبرة كافية عن الحرب بلا مبالاة الى الوقت اللازم لالتحاق القوات بسرعة ، ولحركة مفرزة من الخيالة قادمة لدعم المشاة من نقاط بعيدة أحيانا ، ناهيك عن الفوضى الناجمة في الحالات المماثلة .

## ثالثا : التشكيلة :

ان التعليمات الخاصة بالانتشار على الارض ، والتي تحدد موقف أجزاء الجيش داخل نظام المعركة ، هي تعليمات من مستوى ونوع تكتيكيين ولا تتعلق الا بالمعركة . وهناك تشكيلة استراتيجية ولكنها تتعلق بقرارات اللحظة ومتطلباتها ، ولا تدخل العناصر النظرية التي تحويها في تعريف تعبير « نظام المعركة » وسنتحدث عنها في مكان آخر تحت عنوان : تشكيلة الجيش .

ان نظام معركة الجيش هو اذن تقسيم الجيش وتشكيله **داخل كتلة معدة للمعركة** . ويتم تناسق الاجزاء تناسقا يمكن معه تنفيذ متطلبات الموقف التكتيكية والاستراتيجية بكل سهولة بفضل استخدام بعض الاجزاء المأخوذة من الكتلة . وما ان تختفي هذه المتطلبات المؤقتة حتى تأخذ الأجزاء مكانها السابق .

---

(١) تدخل بعض الجيوش اليوم مختلف صنوف الاسلحة في قطعات اصغر من الفرقة ، مثل مجموعة اللواء التي تضم المشاة والمدفعية والمدرعات والمهندسين .. الخ بشكل تصبح معه هذه المجموعة وحدة قتال ومناورة قادرة على العمل منفردة على مواضع منعزلة أو مجتمعة داخل مجموعة الوية .. على حين تكتفي الجيوش الاخرى بتحقيق تناسق مختلف صنوف الاسلحة داخل الفرقة ، على أن تشكل الفرقة اثناء القتال وحسب ظروف لحظة العمل مجموعات تكتيكية تدخل في تركيبها قطعات مختلف الصنوف باعداد ونسب تتلاءم مع طبيعة المهمة والارض .. الخ ..

(المترجمان)

# الفصل الرابع

## تشكيلة الجيش العامة

تدلنا دراسة الحرب على وجود لحظتين هامتين هما : لحظة التجمع الاول للقوات العسكرية ، ولحظة الحسم التي تعين فيها الاستراتيجية للجيش النقطة الحاسمة ، بعد ان حدد التكتيك فيها لكل جزء مكانه ودوره ، ويفصل بين هاتين اللحظتين عادة فاصل زمني كبير ، كالفاصل الزمني الواقع بين كارثة حاسمة وكارثة حاسمة أخرى .

ولم تكن هذه الفترات في الماضي جزءا من الحرب ، وللدلالة على ذلك يكفي أن نرى كيف كانت قطعات دوق لوكسمبورغ تسير وتنظم مخيماتها . ونحن نذكر اسم هذا القائد لأن شهرته تعود الى مخيماته ومسيراته ، والآن بوسعنا اعتباره ممثلا لعصره . ويعتبر **تاريخ الفلاندر العسكري** أكبر معلم لنا في هذا الصدد . لقد كان التخييم آنذاك يستند بصورة دائمة الى نهر أو مستنقع أو واد عميق ، وكان أتجاه العدو يؤثر بشكل محدود على تحديد الجبهة حتى أن القطعات المحاربة كانت ترى العدو ينقض على ظهرها ، مع أن جبهتها متجهة نحو حدود بلادها . ولا يمكن فهم هذا الاسلوب الذي فقد مغزاه اليوم ، الا اذا أعتبرنا السهولة والراحة كأمرين رئيسيين أو كشرطين وحيدين لتحديد اختيار مكان المخيم .

وهكذا كان بوسعنا أعتبار الوضع داخل المخيم شيئا خارجا عن عمل الحرب ، يتم الى حد ما وراء الكواليس حيث لامجال الى الانزعاج والضيق للقطعات في التصرف على هواها . ويمكن أن نعتبر ضرورة الاستناد الى مانع تدبير

حيطة معقول — على أن نفهم هذا التدبير بالمعنى الـــذي كان يحمله آنذاك في ادارة الحرب — لأن مثل هذا التدبّير لا ينسجم ابدا مع احتمال القيام بالاشتباك داخل معسكر مشابه . وصحيح أن الاخطار لن تكن كبيرة لان الاشتباكات كانت تعتمد على موافقة متبادلة من الطرفين ، وكأنها مبارزة يذهب فيها الخصمان الى موعد ملائم . ولقد كانت الجيوش عاجزة عن القتال في مختلف الاراضي لصعوبة نظام المعركة ، ولكبر عدد الخيالة التي كانت تشكل السلاح الرئيسي لاسيما عند الفرنسيين ، لذلك فانها كانت تجد في الارض المتضرسة مـلاذا أمينا وتعتبر نفسها على هذه الارض وكأنها وسط منطقة محايدة . فاذا مـا شاعت ملاقـاة العدو ، كان عليها أن تترك هذه الارض وتتحرك نحو العدو المستعـد للمعركة

اما فيما يتعلق بالمسيرات ، فلم تكن الامور مختلفة اختلافا كبيرا . وكانت الديفيعية تنفصل كل الانفصال عن مجموع الجيش وتأخذ أفضل الطرق وآمنها ، وكان كل جناح من جناحي الخيالة يأخذ بدوره وظيفة الجناح الأيمن كي لا يحرم من هذا الشرف .

أما الآن فلقد غدا الوضع خارج الاشتباك متأثرا بكل مايتعلق بالاشتباك نفسه . واصبح اللقاء بين الوضعين وثيقا لدرجة تجعلنا عاجزين عـــن تصور أحدهما دون الآخر . لقد كان الاشتباك في الماضي يمثل الاداة الحقيقية ، بينمـا يمثل الوضع خارج الاشتباك ذراع هذه الأداة . لقد كان الاول شفرة فولاذيـة وكان الثاني ذراعا خشبية اضافية ، وكانمجموعهما مؤلفا من جزئـين يتسمان بطبيعتين مختلفتين . أما الآن فالاشتباك هـو حـد السكين ، والوضـع خارج الاشتباك ظهرها . وكلاهما مؤلف من معدن متلاحم .

ان حالة الحرب خارج الاشتباك منظمة بأسس عسكريـة يتدرب الجيش عليها خلال السلم . وتحدها تدابير تكتيكية واستراتيجية خاصة تتلاءم وطبيعـة كل موقف من المواقف . وهكذا يمكن أن يجد الجيش نفسه خـارج الاشتباك في ثلاثة أوضاع مختلفة . فلنفحص من وجهة نظر عامة هذه الحالات الثلاث خـارج الاشتباك ، قبل أن نربط بها الغايات الخاصة التي تهدف اليها .. ولكن علينـا أن نتوقف هنا عند التشكيلة العامة للقوات التعسكر ، لأن لهـا في تعسكر والتخييم والمسير اهمية كبرى .

اذا نظرنا الى تشكيلة القوات المسلحة من وجهة نظر عامة ، أي اذا ما تجاهلنا أهدافها الخاصة ، رأينا أنه من المستحيل اعتبارها الا كوحدة ، أي **كمجموع معد للقتال** بصورة مشتركة . لأن كل ابتعاد عن هذا الشكل البسيط ، عبارة عن هدف خاص . ومن هنا يأتي مفهوم الجيش سواء كان هذا الجيش كبيرا أم صغيرا .

وعند غياب كل هدف خاص يصبح الهدف الوحيد الهام ماثلا في **امداد** الجيش **وحيطته** . اذن فالشرطان الأساسيان هما : **أولا** : أن يستطيع الجيش البقاء **وثانيا** : أن يقاتل بصورة جماعية بلا تعرض لعوائق معينة . فاذا ماطبقنا هذين الشرطين على الامداد والحيطة الدقيقين للجيش وجدنا انهما يتطلبان اهتماما بالنقاط التالية :

١ ــ تسهيل عمليات التموين .

٢ ــ تسهيل اقامة القطعات .

٣ ــ تأمين حيطة المؤخرات .

٤ ــ تأمين مساحة حرة أمام الجيش .

٥ ــ انشاء الموضع في أرض متضرسة .

٦ ــ خلق نقاط استناد استرانيجية .

٧ ــ توزيع القطعات توزيعا ملائما .

واليكم تعليقاتنا على هذه النقاط المختلفة

تتطلب النقطتان ١ و ٢ البحث عن مناطق مزروعة ومدن كبرى وطرق رئيسية ، وهي بمجوعها تدابير عامة أكثر من أن تكون خاصة .

أما حيطة المؤخرات ( النقطة ٣ ) فستعرف مما سنقوله في الفصل الخاص بخطوط المواصلات . ويعتبر انتشار الموضع على خط يشكل زاوية قائمة مع خط التراجع الرئيسي الاقرب ، أول الامور واهمها في هذا الموضوع .

أما فيما يتعلق بالنقطة ٤ ، فان الجيش عاجز عن أن يسيطر بانظاره على قطعة أرض كبيرة كما يسيطر بالنظر على جبهته عندما يأخذ تشكيلة تكتيكية بغية الدخول في المعركة . ولكن المقدمة وزمر الرصاد والكشافين والجواسيس.. الخ تقدم انظارا استراتيجية . ولا شك في أن هذه الطرائق تجد المراقبة في أرض مكشوفة أسهل من المراقبة في أرض مغطاة .

وليست النقطة ٥ سوى عكس النقطة ٤ .

وتختلف نقاط الاستناد الاستراتيجية عن نقاط الاستناد التكتيكية بأمرين : أولهما عدم جدوى تماس الجيش بها تماسا مباشرا ، وثانيهما ضرورة امتدادها بصورة أكبر . ذلك لأن شروط الزمان والمكان التي تتحرك الاستراتيجية خلالها أوسع بكثير من شروط التكتيك .

وتتحدد التشكيلة الموزعة للجيش بأهداف وضرورات خاصة أو عامة ، وأول الضرورات العامة ، دفع المقدمة في آن واحد مع مجموعات أخرى مكلفة بمراقبة العدو .

والضرورة الثانية ، هي وضع الاحتياطات في الجيوش الكبيرة خلف القوات الرئيسية بعدة أميال ، أي وضعها في موضع مستقل .

أما الضرورة الثالثة ، فهي أن تغطية جناحي الجيش تتطلب قطعا خاصة ، تعمل بصورة منفصلة .

ولكن هذه التغطية لاتعني ضرورة فصل جزء من الجيش للدفاع عن المكان حول أجنحته ، حتى تصبح هذه النقطة الضعيفة غير صالحة لتقدم العدو ، لان هذا سيجعلنا نتساءل : من سيحمي عندئذ جناح هذا الجناح ؟ أن هذا الاسلوب الشائع في التفكير سخيف لامعنى له ، فالاجنحة نفسها نقاط عادية لا يمكن اعتبارها نقاط الجيش الضعيفة ، فللجيش المعادي أجنحة أيضا ، وهو لا يستطيع تهديد جناحنا بدون أن يعرض جناحه للخطر نفسه . وهنالك حالات خاصة يكون فيها جناحنا معرضا وضعيفا ، كأن يكون جيش العدو متفوقا على جيشنا ، أو أن تكون مواصلاته أفضل بكثير من مواصلاتنا .

اذن ليست الاجنحة نقاطا **ضعيفة** بصورة خاصة ،ولكنها نقاط **هامة** بصورة خاصة . لان حركات الالتفات تجعل المقاومة أصعب من مقاومة الهجوم الجبهي ، كما تجعل التدابير المطلوبة أكثر تعقيدا ، وتحتاج لوقت أطول واعداد أكبر . لذا يجب أن ندافع من الاجنحة في معظم الحالات دفاعا جيدا ضد أعمال العدو الطارئة غير المتوقعة . وهذا هو مانفعله عندما نضع على المجنبات قوات أكبر مما تتطلبه المراقبة البسيطة . فاذا كانت هذه القوات كبيرة ، كان العدو بحاجة لوقت أطول للعمل ، واضطر الى نشر قواته كاشفا بذلك نواياه ، حتى ولو لم تقم هذه القوات بأية مقاومة جدية . وهكذا يتم بلوغ الهدف المنشود . وتحدد المخططات الخاصة للخطة ما يجب عمله بعد ذلك . ويمكن اعتبار القطعات الموضوعية على الاجنحة كمقدمات جانبية معدة لابطاء تقدم العدو في المسافة التي تتجاوز موقع أجنحتنا ، واعطائنا الوقت اللازم لاخذ الاوضاع والتشكيلات اللازمة للرد على حركته .

فاذا كان على هذه القطعات أن تنسحب وتلتحق بالجيش الرئيسي بدون أن ينسحب هذا الجيش في الوقت نفسه ، كان من الطبيعي أن لا تتمركز هذه القطعات على الخط الذي يقف عليه الجيش ، وان تندفع قليلا الى الامام ، كي لا يتم تراجعها على جانبي الموضع ، حتى لو تم هذا التراجع بدون أن يسبب اشتباكا جديا .

أن هذه الاسباب الداخلية التي تحدد ضرورة وجود تشكيلة مقسمة ، تفسح المجال لولادة جهاز طبيعي مؤلف من ٤ أو ٥ أقسام متفرقة ، فحسب قرب الاحتياط من الجيش أو بعده عنه .

وتتدخل معضلتا تموين القطعات واقامتها في التشكيلة بصورة عامة . وتؤثر هاتان المعضلتان على التشكيلة المكونة من أقسام متفرقة . وتشكلان عوامل تأتي لتضاف الى الاسباب الذي سبق ذكرها ، والتي نحاول تأمين واحد منها دون أن نضر كثيرا بعمل الآخر . ان التقسيم الى خمسة أقسام ينهي تقريبا جل صعوبات التموين والاقامة ، ويجعلها عديمة التأثير .

وعلى الرغم من اننا افترضنا أن كل قسم من الاقسام قادر على القيام باشتباك مستقل عندما يجد نفسه مضطرا الى ذلك ، فان هذا لايعني أننا نخلق التشكيلة باقسام مختلفة بغية القيام باشتباكات مستقلة .

انضرورةهذهالتشكيلة شرط يفرضهالوقتفاذاماتقدمالعدوليفرضالحلالحاسم باشتباك عام ، تم اجتياز المرحلة الاستراتيجية ،وذاب كل شيء في لحظة واحدة، هيلحظة المعركة التي تضع حدا لاسباب التشكيلة المقسمة ، وتلغى وجودها . وما أن يتم الاشتباك في المعركة حتى تتوقف الاعتبـارات الخاصـة بالمعسكر والتموين . وتؤدي مراقبة العدو على الجبهة والمجنبات ، وتخفيف حدة اندفاعه بمقاومة معتدلة الى نتائج لا تنكر . ويتجه كل شيء عندئذ نحو الوحدة الكبرى المتمثلة في المعركة الرئيسية . واحسن مقياس لقيمة التشكيلة المتفرقـة هو أن نعرف أنها لم تخلق الا كشرط ضروري وكشرط لابد منه ، بغيـة تحقيق المعركة الجماعية التي تشكل هدف هذه التشكيلة .



## الفصل الخامس

# المقدمة وجهاز المخافر الأمامية

تؤلف المقدمة وجهاز المخافر الامامية جزءامن الامور التي تختلط فيها الخيوط التكتيكية والاستراتيجية . اننا نستطيع اعتبارهما من التشكيلات التي تعطي الاشتباك شكله وتؤمن تنفيذ الخطط ، كما انهما تتيحان دائما المجال لاشتباكات مستقلة . وتشكل مواضعهما ، المبتعدة نسبيا عن كبد الجيش ، حلقات السلسلة الاستراتيجية .

تحتاج كل قطعة عسكرية غير مستعدة للقتال استعداد تاما لمقدمة تفتش عن العدو وتكشف تقدمه قبل أن يدخل في حقل انظار القطعة الذي لا يتجاوزعادة المدى المجدي للاسلحة . ولكن ماذا يستطيع الرجل أن يرى اذا لم يمتد بصرهالى أبعد من مدى يديه ؟ ان المقدمات هي عيون الجيش كما قلنا سابقا ، ولكن حاجتنا اليها تختلف باختلاف الظروف ، وتتدرج أهميتها حسب تفاوت الحالات . أن للزمان والمكان والظروف والصدفة ونوع الحرب وقوة الجيش وانتشارها تأثيرا على هذه الحاجة . فليس من المدهش الا يظهر موضوع استخدام المقدمات في التاريخ العسكري بخطوط بسيطة وبارزة ، وأن يبدو في صورة مشوشة تختلط فيها أكثر الحالات اختلافا .

فقد نرى حيطة الجيش ملقاة في بعض الحالات على عاتق قطعه خاصة بالمقدمة ، ثم نراها في حالة اخرى ملقاة على عاتق مجموعة من المخافر الامامية المنعزلة الممتدة على خط طويل . وقد يجتمع النوعان معا ، كما قد يختفي كلاهما في آن واحد . وهنالك حالات استخدمت فيها مقدمة واحدة مشتركة لجميع الارتال

المتقدمة ، وحالات أخرى كان فيها لكل رتل مقدمة خاصة به . فلنحاول تكوين فكرة واضحة عن الامر ، ولنر بعد ذلك هل يمكن اختصار الموضوع داخل بعض المبادىء القابلة للتطبيق .

عندما تكون القطعات في حالة المسير تكون مقدمتها مؤلفة من مفرزة قرية . فاذا ما كانت الحركة باتجاه معاكس ( حالة الانسحاب ) أصبحت المقدمة مؤخرة . فلن كانت القطعات موجودة في معسكرات أو مخيمات انقلبت المقدمة الى خط طويل من المخافر الصغيرة التي تدعى **المخافر الامامية** ، لان من الطبيعي أن نراقب في حالة التوقف مساحة أكبر مما نراقبه خلال المسير . وهكذا نرى أننا نطبق في بعض الحالات فكرة خط المخافر ، كما نطبق في الحالات الاخرى فكرة مقدمة متماسكة، علما بأن هذه الافكار تظهر من ذاتها ظهورا طبيعيا .

وتتبدل القوة الداخلية للمقدمة أو المخافر الامامية تبد لا كبيرا ، متسلسلة من قطعة كبيرة تضم مختلف صنوف الاسلحة ، الى فوج خيالة خفيفة ، ومن خط دفاعي تحتله قطعات مختلف الصنوف المتخندقة بقوة ، حتى حرس منفرد ودوريات تنطلق من مكان التمركز . وتتراوح أهداف هذه المخافر الامامية من المراقبة المجردة الى الدفاع الفعال الرامي لاعطاء كبد القوات فرصة كافية يستعد خلالها للقتال ، بالاضافة الى اجبار العدو على كشف مخططه ونواياه بوقت أسرع، ودفع المراقبة بالتالي الى درجة أرفع .

فاذا كان الجيش بحاجة لوقت كبير كيما يستعد، وكانت مقاومته محسوبة بناء على تدابير العدو الخاصة ومنظمة لمجابهتها ، أصبح هذا الجيش بحاجة الى مقدمة أقوى ، ومخافر أمامية أكبر .

ويتعلق التباين هنا بالقوة العددية ولكن هناك اختلافا آخر لابد من ايضاحه ، وهو أن الجيش المتقدم أو المنسحب على جبهة ذات عرض معين ، يدفع أمامه مقدمة ومؤخرة جماعية مشتركتين لكل الارتال المتجاورة ، أو مقدمة ومؤخرة خاصتين لكل رتل على حدة . فاذا ما أردنا تكوين صورة واضحة عن هذا الامر ، فعلينا أن نوضحه بالشكل التالي :

اذا كانت المقدمة مشكلة من قطعة خاصة معدة لتأمين حيطة الجيش الرئيسي المتقدم من المركز ، وكان هذا الجيش يسير على عدة طرق متقاربة

ويغطيه من الجانب جناح قوي ، فان ارتال المجنبة لا تحتاج الى تغطيةخاصة بمقدمات خاصة .

أما اذا تقدمت القطعات متباعدة بعضها عن بعض بفرجات كبيرة ، وكأنها قطعات منفصلة عن بعضها فعلا ، كان عليها أن تدفع بنفسها مقدماتها الخاصة . وينطبق الامر نفسه على القطعات التابعة لكبد الجيش ، والتي تجد نفسها رغم ذلك بعيدة عنه لتباعد الطرقات بصورة مفاجئة . وهكذا يكون لدينا عـــدد من المقدمات يعادل عدد الارتال المتفرقة التي تتقدم بها الجيوش بصورة متوازية . ومادامت كل مقدمة من هذه المقدمات أضعف بكثير من مقدمة واحدة جماعية ، فان بوسعنا اعتبارها تابعة للتشكيلة التكنيكية ، وتختفي المقدمة في هذه الحالة من اللوحة الاستراتيجية . ولكن اذا كان كبد القوات يملك مقدمة مؤلفة من قطعة كبيرة فان علينا أن نعتبر هـــذه المقدمة كمقدمة للمجمـــوع ، تقوم بهـــذا الدور بأشكال عدة .

فلم يملك كبد الجيش مقدمة أكبر بكثير من الاجنحـــة ؟ أن ذلك راجـــع في الحقيقة الى الاسباب الثلاثة التالية :

١ ـــ لان كتلة القطعات التي يتشكل منها الكبد ، هي،عادة، أكبر ... من كتلة قطعات الاجنحة .

٢ ـــ لان من الطبيعي أن تكون النقطة المركزية في قطاع جبهة الجيش أهم النقاط . وذلك لعودة جميع المخططات أو معظمها اليها ، ولقربهـــا الى ســـاحة المعركة اكثر من الاجنحة .

٣ ـــ لان قطعة موضوعة على رأس الكبد قادرة على المساعدة في تحقيق حيطة الاجنحة بشكل غير مباشر ، رغم عجزها عن تأمين حماية الاجنحة بصورة مباشرة كما تؤمنه مقدمة حقيقية . ومما لاشك فيه ، أن العدو لا يمكن أن يتجاوز هذه المقدمة الكبيرة مسافة معينة للقيام بعمل كبير ضد أحد الاجنحـــة خوفا من تعرضه لهجو جانبي أو خلفي . فأذا لم تكف القوات المتقدمة من المركز لعرقلة العدو والحد من تقدمه بما يؤمن الحيطة التامةللأجنحة، فانها تبقى كافيةلحماية المجنبات مـــن أخطـــار متعـــددة .

فاذا كانت المقدمة المركزية اقوى بكثير من مقدمات المجنبات ، وكانت تضم بين صفوفها قطعة خاصة متقدمة للحراسة ، فان مهمتها لاتقتصرعلى عمل المقدمة فحسب ، اي على حماية القطعات السائرة خلفها من هجوم مفاجيء ، بل تتجاوز ذلك لتأخذ معنى استراتيجيا عاما .

وتعود فائدة أية مقدمة استراتيجية الى النقاط التالية التي تحدد في آن واحد أساليب استخدامها :

١ ـ انها تقدم مقاومة أكبر في الحالات التي يتطلب فيها ترتيبنا وقتا كبيرا ، وتفرض الحذر على العدو المتقدم ، فتضاعف بالتالي جهود المقدمة العادية .

٢ ـ عندما يكون عدد الكبد ( الكتلة المركزية ) كبيرا جدا ، فان هذه المقدمة تفيد في المحافظة على الكبد الذي يصعب استخدامه على مسافة معينة من العدو، مع الاحتفاظ بقطعة متحركة قريبة من العدو .

٣ ـ انها تتيح الحفاظ على قطعة خاصة للمراقبة على مقربة من العدوعندما يضطر الكبد ، تحت تأثير اسباب مختلفة ، الى البقاء بعيدا جدا عنها .

ان الفكرة القائلة بقدرة مخفر مراقبة ضعيف أو عدد من الانصار ، على القيام بمهمة المراقبة التي تقوم بها هذه القطعة فكرة خاطئة ، لان من الممكن طرد المخفر أو الانصار بكل سهولة ، كما أن وسائل المراقبة التي تحملها هذه المفارز أصغر بكثير من وسائل القطعة الكبيرة .

٤ ـ وفي خلال المطاردة ، تسمح المقدمة بعد الحاق معظم القوات المتحركة بها باجراء حركات سريعة فعالة . كماتسمح بالبقاء علىأرض المعركة ليلالمدةأطول .

٥ ـ واخيرا يمكن لهذه القطعة أن تقوم بمهمة المؤخرة في الانسحاب ،ويبقى الكبد في هذه الحالة متمتعا بأهمية رئيسية . وتدل النظرة الاولى على أن هذه المؤخرة مهددة دائما بالتفاف العدو حول أجنحتها . ولكن علينا أن لاننسى أن على العدو الذي يتقدم قليلا من المجنبات ، أن يتوجه من المجنبة نحو الكبد اذا أراد تهديده حقا . وان مؤخرة كبد القوات قادرة على المقاومة مدة أطول، وتسير خلف القطعات الاخرى بمسافة معينة .... ولكن انهيار الكبد قبل الاجنحة يحرج الوضع ... ، وتبدو الخطوط عندئذ ممزقة ، ويكون هذا المنظر وحده خطرا جسيما . ويتطلب هذا الموقف ضرورة التلاحم والوحدة التي يحس المرء بكل

أهميتها عند الانسحاب . واخيرا فان على الاجنحة ان تلتحق بالمركز . وقد يفرض التموين وحالة الطرق انسحابا على جبهة عريضة ، ولكن الحركة تنتهي مع ذلك بتجمع في المركز ، ولنضف الى هذه الاعتبارات أن كبد العدو يتقدم عادة باتجاه في المركز ، ويقوم بضغطه الاقصى في هذا الاتجاه .. وهنا لا بد لنا من الاعتراف بأن لمؤخرة المركز أهمية كبيرة وخاصة .

واننا لنعتبر التشكيلة المؤلفة من ثلاثة ارتال متساوية القوة تشكيلة غير مستحسنة للسبب نفسه كما نعتبر ان تقسيم الجيش الى ثلاثة اقسام عمل غير أريب .

لقد رأينا في الفصل السابق ، ان الترتيب الطبيعي هو ان يكون المجموع مؤلفا من كتلة مركزية ، يحيط بها جناحان منفصلان عنها ، الا اذا كانت هناك ظروف خاصة تتطلب غير ذلك . ويظهر أبسط الحلول في وضع القطعة التي تشكل المقدمة أمام خط الاجنحة أيضا . ولكن ما دامت القطعات التي تدفعها الاجنحة أمامها تقوم بالنسبة للمجنبات بالمهمة نفسها التي تقوم بها بالنسبة للجبهة ، فمن الطبيعي أن تقف هذه القطعات على مستوى خط المقدمة ، وان تتقدم اكثر من هذا الخط في بعض الحالات .

أما قوة المقدمة فهي أمر يكاد يكون محددا ، اذ تشكل هذه المقدمة عادة من قطعة كبيرة أو اكثر من القطعات التي ينقسم اليها الجيش ، على ان تدعم هذه القطعة بوحدات سريعة الحركة . وهذا يعني انها تتشكل من فيلق عندما يكون الجيش مقسما الى فيالق ، أو من فرقة في حالة تقسيم الجيش الى فرق .

ومن الطبيعي هنا ان نرى ضرورة مضاعفة عدد الوحدات .

وتتعلق المسافة التي تفصل بين المقدمة والجبهة بالظروف . وهنالك حالات تعادل فيها هذه المسافة أكثر من مسيرة يوم واحد ، كما أن بعض الحالات تجعل المقدمة قريبة من الجبهة ، وهكذا نجد انه ليس لهذه المسافة قاعدة ثابتة .

ونلاحظ اننا اغفلنا ، خلال بحثنا ، موضوع المخافر الامامية . لذلك لا بد من العودة اليه .

لقد قلنا في البداية : أن المخافر الامامية تعود الى القطعات المتوقفة على حين تعود المقدمات الى القطعات السائرة . وكأن قولنا هذا لاعادة المفاهيم الى اصولها باقامة تمييز مؤقت . ولكن تمسكنا بالكلمات بكل صلابة ، يؤدي بنا الى تمييز متحذلق لا جدوى منه .

عندما يقف جيش سائر ، للاستراحة ليلا ثم متابعة التقدم في صبيحة اليوم التالي ، فان المقدمة تقف ايضا ، وتضطر الى نشر مخافر تؤمن حيطتها وحيطة الجيش كله ، بدون أن تنقلب مع ذلك الى جهاز من المخافر الامامية . فاذا اردنا أعتبار المخافر الامامية أمرا متعارضا مع فكرة المقدمة تعذر علينا ذلك، الا اذا تفتتت القطعة الرئيسية العاملة كمقدمة وتوزعت الى عدد من المخافر المنعزلة – أي اذا تفوق مفهوم خط طويل من المخافر على مفهوم القطعة المجمعة .

وكلما قصرت مدة الراحة قلت ضرورة عمل تغطية كاملة . ولا يمكن للعدو ان يعلم ما بين يوم وليلة مكان المناطق المغطاة وغير المغطاة . وكلما طالت مدة الاستراحة كلما اصبح من الضروري مراقبة جميع نقاط التقدم المحتملة ومراقبتها كما ينبغي . وتمتد الحراسة عند كل توقف طويل حتى تشكل خطا من المخافر . ويتعلق بقاء مفهوم القطعة المجمعة (المقدمة) أو ذوبانها بشرطين هامين هما : قرب جيوش العدو – وطبيعة الارض .

فاذا كان لدينا جيشان متجاوران ، فان عرض جبهتهما يجعل من المتعذر وضع مقدمة بينهما ، ويجبرنا على تأمين حيطتهما بسلسلة من المخافر الصغيرة .

وبصورة عامة اذا ما قدمت قطعة مجمعة بتغطية الممرات والمسالك بصورة غير مباشرة ، كانت هذه القطعة بحاجة الى وقت أوسع وأرض أكبر للعمل . وعندما يحتل الجيش أرضا واسعة ، مثلا ، لمعسكراته ، فان عليه أن يختار مكان هذه المعسكرات بعيداعن العدو ، حتى تتمكن قطعة مجمعة واحدة من حراسة مختلف طرق التقدم المحتملة .

والشرط الثاني هو طبيعة الارض . فعندما تسمح تضرسات الارض بتشكيل خط قوى من المخافر مع استخدام عدد قليل من القوات ، فان علينا ألا نتردد في الاستفادة من هذ الخط .

* * *

# الفصل السادس

# خطوط المواصلات

ثمة اهمية مزدوجة للطرق التي تربط مواضع الجيش بنقاط المؤخرة العاملة كمستودعات رئيسية للمؤونة والعتاد ، اي الطرق التي يختارها الجيش عادة لانسحابه ، فهي قبل كل شيء خطوط مواصلات ، مهمتها تسهيل عملية تموين القوات المسلحة بصورة مستمرة ثم انها خطوط انسحاب ايضا .

ويؤمن الجيش غذاءه في نظام التموين الحالي ـ كما ذكرنا في فصل سابق ـ بصورة رئيسية ، على الارض التي يعمل فوقها ، ولكنه يشكل مع قاعدته كلا . وتعود خطوط المواصلات الى هذا الكل . انها تصل الجيش بالقاعدة ، وتمثل شرايين الجيش الحيوية . ويتم عليها بلا انقطاع التموين بمختلف أنواعه ، ونقل الذخائر ، وحركة المفارز ، ونقل البريد ، وتحركات المستشفيات والمستودعات واحتياطات الذخيرة والسلطات الادارية . لذا فهي تتمتع بأهمية حاسمة بالنسبة للجيش نفسه .

ومن الضروري ألا تنقطع هذه الشرايين ، والا تكون صعبة أو طويلة جدا لان طول الطريق ووعرته ينهكان جزءا من القوى ، وهذا مايؤدي الى اضعاف الجيش

فاذا نظرنا الى الطرق بمعناها الثاني أي كخطوط انسحاب ، وجدنا انها تشكل مؤخرات الجيش الاستراتيجية بكل ما في هذه الكلمة من معنى .

وتتعلق قيمة الطرق في الحالتين ( خطوط مواصلات ـ خطوط انسحاب )

بطولها ، وعددها ، ووضعها أي اتجاهها العام واتجاهها على مقربة من الجيش ونوعيتها كطرق ، والوضع ، وصعوبات الارض ، وموقف الاهالي ، والحماية التي تقدمها القلاع والحواجز الطبيعية لهذه الارض .

ان الطرق والمسالك المختلفة التي تربط الجيش بمنابع حياته وقدرته ليست جميعها خطوط مواصلات حقيقية ، ويسعها ، اذا ما اقتضت الحاجة ان تحل محل هذه الخطوط وتقوم بدور مساعد لجهاز المواصلات الذي يتحدد بالطرق المعينة والمنظمة لهذه الغاية . ولا يمكن ان ندخل في خطوط المواصلات الحقيقية سوى الطرق التي تقع عليها المستودعات والمستشفيات ومراكز نقل البريد ، والمزودة بمفارز الشرطة والحاميات ، والتي يستدعى اليها القادة . وهنا يظهر اختلاف كبير ، اهمله الكثيرون ، بين وضع الجيش الواقف على ارض بلاده والجيش العامل في بلاد العدو . فالاول يملك خطوط مواصلات مهيأة ، لكنه غير مجبر على استخدامها ، ويستطيع تركها والسير على طرق اخرى عند الحاجة ، فهو في بلد اينما سار ، ويجد ادارته حيثما توجه ، وتلقاه ارادة السكان الطيبة في كل مكان ، فاذا ما وجد نفسه مهددا بالالتفاف او مضطرا الى تغيير جبهته ، كان بوسعه استخدام طرق أقل جودة وملاءمة لحاجاته ، بدون ان يعتبر هذه الطرق غير صالحة للمسير .. اما الجيش السائر في بلاد العدو فهو لا يدخل في اعتباره سوى الطرق التي تقدم عليها قبل ذلك ، لان اسبابا تبدو صغيرة لا اهمية لها قادرة في هذه الحالة على احداث نتائج كثيرة التباين . وينظم هذا الجيش خطوط مواصلاته الحيوية كلما تقدم ، مؤمنا في آن واحد المحافظة على حمايتها . اما الخوف الناجم عن وجود جيش العدو ، فيكفي لجعل تدابيره تبدو لاعين السكان كضرورة لا بد منها ، وكتخفيف لمساوىء الحرب . وتقوم بعض مفارزه الصغيرة المتباعدة اكثر فأكثر ، بدعم المجموع وربطه . فاذا ما أرسل مفوضيه وقادة مراحله وشرطته ومخافره وبعض مصالحه الادارية الاخرى على طريق مبتعد لم يسلكه الجيش من قبل ، اعتبر السكان هذه التدابير اعباء يجب التخلص منها ، وتعرض موظفوه الى معاملة عدائية ، وطردوا بأعقاب البنادق ، الا اذا كانت الهزائم الساحقة والكوارث الحقيقة

ألقت البلاد المعادية في هلع واضطراب شديدين . لذلك ينبغي في هذه الحالة اقامة حاميات اكبر من الحاميات المعتادة . ولكن خطر رؤية الاهالي وهم يقاومون هذه الحاميات يبقى قائما رغم كل شيء . والخلاصة : يحرم الجيش العامل على ارض معادية من جميع الوسائل التي تفرض الطاعة على السكان . وعليه ان يبدأ قبل كل شيء بانشاء اداراته ، وان يستعين لذلك بقوة السلاح ، مع ان هذا لايتاح دائما ، أو انه لا يتم بدون تضحيات وصعوبات أو تبديد الوقت، على الاقل .

وينجم عن ذلك تناقص قدرة الجيش في بلد معاد على تبديل قاعدته بالانتقال من نظام مواصلات معين الى نظام آخر ، بينما نرى الامر ممكنا في بلده دائما . ونستنتج من ذلك ان التحديد يصيب حركات الجيش عادة اكثر مما يصيب أي شيء آخر ، وان الاعاقة تقع قبل كل شيء على خطوط مواصلاته .

ولكن اختيار خطوط المواصلات وتنظيمها مرتبطان منذ البداية بشروط عديدة محدودة ، اذ ليس عليها ان تمر على الطرق الكبيرة فحسب، بل يستحسن ان تكون الطرق عريضة تخترق مدنا مزدهرة اهلة بالسكان ، ومحمية بعدد كبير من القلاع ، حتى تكون خطوط المواصلات أفضل ... وتحدد الانهار ايضا عملية الاختيار ، ولايجد الجيش المهاجم نفسه حرا في اختيار طريقة الا في بعض الظروف . ويبقى الموضع الدقيق في الطريق مرتبطا بالشروط الجغرافية...

وتتكون من كل هذه العوامل مجتمعة قوة ارتباط الجيش مع قاعدته ، وضعفها . وتحدد هذه النتيجة، بالمقارنة مع النتيجة المماثلة الخاصة بجيش العدو ، أي خصم من الخصمين يتمتع بوضع افضل ، يساعده على قطع خطوط مواصلات خصمه ، اي خطوط تراجعه ، ويؤمن له القدرة على الالتفاف حوله ، حسب التعبير التقني الشائع ، فاذا ضربنا صفحا عن التفوق المادي والمعنوي ، وجدنا ان من يملك خطوط مواصلات افضل من خطوط خصمه قادر على القيام بهذا الالتفاف، والا اخذ خصمه المبادرة بدوره ، وفاجأه بالشكل نفسه مستخدما طريقا اقصر .

ان هذه الدلالة المزدوجة للطرق تجعل لهذا الالتفاف هدفا مزدوجا . فهو يسعى الى عرقلة خطوط المواصلات أو قطعها ، وهكذا يجعل الجيش ، لكثرة

ما حل به من اذى وخور ، مضطرا الى الانسحاب قبل ان يتعرض خط انسحابه الى القطع .

فاذا درسنا الهدف الاول ، وجدنا ان اسلوب التموين الحالي يجعل الآثار الحساسة ، الناجمة عن توقف مؤقت ، آثارا نادرة جدا . وعلى العكس لابد من وقت كاف كي تعدل كمية الخسائر اهميتها الضئيلة . وقد يؤدي هجوم جانبي واحد الى نتائج حاسمة اذا كان اسلوب تموين العدو اصطناعيا يعتمد على آلاف عربات التموين السائرة على الطرق . بينما يفقد مثل هذا الهجوم معظم اثره في حالة الاعتماد على اسلوب التموين الحالي ( على حساب البلاد ) لان استيلاء هذا الهجوم على الاعندة يضعف حجم المهاجم اضعافا جزئيا في افضل الحالات ، الا انه لا يؤدي الى الانسحاب (١) .

وهكذا فان العمليات المتجهة الى المجنبات ، والتي انتشرت في الكتب أكثر من انتشارها على حقول لمعارك ، تبدو اليوم صعبة متعثرة أكثر من أي وقت مضى . ويمكننا أن نقول أن الهجمات الجانبية تغدو خطرة عندما تكون المواصلات طويلة وفي ظروف غير ملائمة تتعرض معها لهجمات مستمرة في كل زمان ومكان كما هي الحال في الثورات الشعبية .

وقطع طريق الانسحاب عمل جسيم ، ولكن علينا أن لانقدر الخطر الناجم عن خطوط مواصلات ضيقة مهددة بأكبر مما هو عليه . اذ تدلنا التجربة على أن تطويق العدو أصعب بكثير من خرق صفوفه ، اذا كانت قطعات هذا العدو جيدة وعلى رأسها قادة اقوياء العزيمة .

أما وسائل تقصير خطوط المواصلات وحمايتها فهي وسائل جد محدودة . . والاساليب الوحيدة القادرة على علاج شر مستطير يستحيل التخلص منه هي عدد من القلاع على مقربة من المواقع وعلى طول الطريق المؤدية الى المؤخرة ـ

---

( ١ ) استعاد هذا الهجوم جل أهميته في الحرب الميكانيكية الحديثة ، نظرا لكثرة آليات التموين المنتشرة على الطرقات ، ولاحتياج القطعات المدرعة الضاربة لكميات كبيرة من الذخائر والمحروقات المجلوبة دائما من القواعد الخلفية .

أو تحصين بعض النقاط الملائمة عندما لاتوجد قلاع، ومعاملة السكان معاملة جيدة والمحافظة على انضباط صارم على الطريق العسكري ، واستخدام شرطة حسنة في داخل البلاد ، واصلاح الطرق باستمرار .

وكل ماقلناه عن التموين فيما يتعلق بالطرق التي تستخدمها الجيوش ينطبق بصورة خاصة على خطوط المواصلات . وأفضل هذه الخطوط هي الطرق العريضة التي تجتاز أغنى المدن وأحسن المناطق الزراعيــة . وعلينا أن نعطيها الافضليــة الاولى وان كانت تتخللها استدارات كبيرة ، فهي التي تحدد ترتيب الجيش في معظم الاوقات .



# الفصل السابع

# البلاد والأرض

تؤثر طبيعة الارض اكثر ماتؤثر في المجال التكتيكي ، ولكن تأثيراتها تظهر في الاستراتيجية أيضا . اذ أن الاشتباك في الجبال يختلف بنتائجه اختلافا كليا عن الاشتباك في الارض المسهبة .

ولايمكن فحص عمل الارض وما تحمله من معنى حاسم قبل أن نميز الهجوم من الدفاع ، وقبل أن نفحص باهتمام اكبر هذا العمل أو ذاك .ومن الضروري أيضا أن نقف داخل حدود صفتهما العامة .. وتؤثر الارض على النشاط العسكري عادة بثلاث خصائص هي : خصائصها كحاجز يعوق التقدم ، وخصائصها كعائق الانظار ، والحماية التي تقدمها ضد تأثير الاسلحة على مختلف انواعها . . ويمكننا أن نعيد جميع الخصائص الاخرى الى هذه الخصائص الثلاث .

ومما لا شك فيه ان تأثير الارض الثلاثي هذا يجعل الحرب اكثر تنوعا وتعقدا وارتباطا بالعلم ، لانها تدخل في حساباتنا ثلاث قيم اضافية .

ولا تدخل فكرة السهل المنبسط المكشوف ، أي الارض التي تأثير لها ، الا بالنسبة للجماعات الصغيرة . وهي غير موجودة حتى في هذه الحالة الا لفترة محدودة . اما عندما يتعلق الامر بمفارز اكبر وتعمل لمدة اطول ، فان خصائص الارض تختلط بالعمل . أما بالنسبة لجيش كامل ، فلا يعقل اختفاء كل تأثير للارض ، حتى خلال فترة معينة كمدة المعركة مثلا .

ان هذا التأثير اذن موجود دائما بصورة عملية ، ولكن قوته تختلف وتتباين باختلاف طبيعة البلاد .

فاذا اخذنا بعين الاعتبار الصفة العامة في الظواهر الطوبوغرافية ، وجدنا أن كل منطقة ، تبتعد بثلاثة اشكال رئيسية عن مفهوم السهل المكشوف الخالي من الحواجز . واول هذه الاشكال هو الظواهر الطبيعية كالمستنقعات والبحيرات والغابات . اما الثالث فهو المزروعات على مختلف انواعها . وتؤثر الارض في العمل الحربي تأثيرا متصاعدا في هذه الاتجاهات الثلاثة . فاذا ما تبعناها حتى نقطة معينة ، وجدنا ان هناك الارض الجبلية والارض التي تقل فيها الزراعة وتغطيها الغابات والمستنقعات ، والارض التي تنمو فيها المزروعات العالية . وتغدو الحرب في هذه الحالات الثلاث اشد صعوبة وتتطلب فنا اكبر .

ويتناسب تأثير المزروعات ونوعها . ويأخذ هذا التأثير شكله الاكبر عندما تكون الارض مقطعة،تتخللهاالحفر والحواجز الخشبيةوالاسوار ومناطق الطمى والمساكن العديدة المبعثرة والشجيرات الصغيرة الكثيفة . كما هي الحال في الفلاندر وهولستين ومناطق اخرى .

وهكذا تصبح الحرب اكثر سهولة في البلاد المنبسطة قلية المزروعات . ولكن هذه البلاد لا تتمتع بهذهالصفة الا بصورة عامة ، والا اذا تجاهلناموقتا استخدام تعرجات الارض من قبل المدافع .

ويؤثر كل نوع من انواع الارض الثلاثة باسلوبه الخاص في عرقلة المسالك وتحديد سهولة المراقبة ، وتغطية القطعات .

ويصبح الحاجز دون النظر ، كبيرا في الارض المشجرة . أما في الجبال فيظهر الحاجز الذي يعوق التقدم . ويتخذ هذان المانعان في ارض كثيرة المزروعات حدودا وسطى .

ان ارضا مشجرة جدا تجعل جزءا كبيرا منها غير صالح للمرور الى درجة ما ، لان صعوبات التقرب ونقص حقل النظر وامكان المراقبة تمنع استخدام اية وسيلة من وسائل الخرق . ولكنها تسهل مع ذلك بعض الاعمال التي هي صعبة جدا في مناطق اخرى . وتجمع القوى الكامل في الاشتباك على مثل هذه الارض يكاد يكون من المحال ، ولكنها لا تسبب تقسيما كبيرا كالتقسيم الذي تفرضه الجبال

او الاراضي المتقطعة . اي ان التقسيم في هذا النوع من البلاد حتمي اكيد لكنه اقل اتساعا .

وتؤثر صعوبة المسالك في الجبال بشكلين هما : ان المرور غير ممكن في كل مكان ، وان حركتنا في المكان الذي يسمح بالمرور حركة بطيئة وتتطلب جهدا اكبر . وهكذا يصبح اندفاع الحركات في الجبال محدودا ، وتتطلب كل العمليات وقتا اطول . ولكن للارض الجبلية ميزة تتمثل في ان نقطة ما تسيطر عادة على نقطة اخرى . وسنقف الفصل التالي على دراسة موضوع النقاط الحاكمة بصورة عامة . ولنكتف هنا بأن نقول : ان هذه الخاصية هي التي تؤدي الى تقسيم القوى في البلاد الجبلية كثيرا . لان هذه النقاط الحاكمة لا تتمتع بقيمة كبيرة بحد ذاتها فحسب ، بل بفضل التأثير الذي تقوم بهعلى نقاط اخرىايضا.

وقد قلنا سابقا أن لانواع الارض الثلاثة ، عندما تميل الى الحدود القصوى ، اثرا كبيرا هو اضعاف تأثير القائد العام على النتيجة تأثيرا يتناسب معالجهدالذي يبذله مرؤوسوه حتى اصغر جندي فيهم . وبقدر ما يزداد التقسيم تزداد صعوبة الاشراف ، ويترك كل فرد لنفسه وعمله ومما لا شك فيه ، أن أزدياد التقسيم والتنوع والتعقيد يفسح مجالات أكبر لعمل الذكاء . ويكون أمام القائد العام نفسه الفرصة ليظهر مهارته . ولكننا نكرر هنا ماقلناه سابقا عندما نذكر : أن مجموع النجاحات الخاصة في الحرب اكبر شأنا من طريقة ارتباطها ومن شكل هذا الارتباط . فاذا مادفعنا فكرتنا نحو حدودها القصوى ، وتخيلنا الجيش مبعثرا على طول خط نار واحد ، حيث يقوم كل جندي بمعركته الخاصة الصغيرة ، وجدنا انمجموعالنجاحاتالخاصةأكثرأهمية من شكل ارتباطها وتماسكها ، لان فاعلية التعاون والتركيبات تعود الى النتائج الايجابية لا الى النتائج السلبية . وفي مثل هذه الحالات تتحدد مختلف الامور بالشجاعة والمهارة وروح مختلف الافراد .. وعندما يتمتع الجيشان المتقابلان بقيمة واحدة ،وعندما تكون خصائصهما متوازنة ، فان **موهبة القائد وحدة بصيرته** قد تصبحان حاسمتين . لذلك كان للحالة الفكرية في الحروب الوطنية والثورات ، حيويتها الكبيرة مع أن الشجاعة والمهارة لا تكونان حتما من المستوى

ذاته . ولكن القوات المسلحة تظهر في مثل هذه الحروب تفوقها حتى لو كانت مبعثرة بتأثير الارض المتقطعة . ومن جهة أخرى فان أرضا كهذه فقط تتيح الصمود لقطعات مشابهة ، ومع أنها محرومة عادة من جميع الفضائل والمزايا التي تحتاجها المجموعات ، حتى لو كانت متوسطة .

وتتسم طبيعة القوات بدرجات متعددة كثيرة ، لان مجرد احساس الجنود بأنهم يدافعون عن بلدهم يعطي الجيوش بما فيها الجيوش الدائمة ميزة وطنية تجعلها أكثر قابلية للعمل داخل مفارز صغيرة .

وبقدر ماتتضاءل هذه المزايا وهذه الظروف لدينا يزداد تفوقها عند العدو وتشتد خشية الجيش من التبعثر ويبذل كل ما يستطيع اليه سبيلا لتحاشي الاراضي المتقطعة .. ولكننا لانملك مجال الاختيار ، فمن المتعذر علينا عادة أن نختار مسرح الحرب كما نختار بضاعة ما من نماذج متعددة .. ان القطعات التي تجد أن مصلحتها هي في القتال بكتل متراصة ، وهذا أمر طبيعي ، تعمل كل مافي وسعها لتفرض هذا النوع من القتال **على الرغم من طبيعة الارض** . ويؤدي هذا الى مساوىء أخرى كصعوبة التموين وسوء المعسكرات والاضطرار خلال الاشتباك الى مجابهة عدد كبير من الانقضاضات المنطلقة من جميع الجهات . ولكن المساوىء التي يمكن أن تصيب القطعات اذا ماتخلت عن تفوقها الخاص أكبر بكثير من المساوىء المذكورة وأشد ضررا .

ويظهر هذان الميلان المتعارضان نحو تجمع القوات وتبعثرها بوضوح عندما تميل طبيعة القوات المشتركة نحو الحل الاول أو الثاني . ولكن مهما كان هذا الميل قويا فان الاول لا يستطيع دائما الحفاظ على تجمع القوى ، كما الآخر عاجز عن الاعتماد على تأثير التبعثر فقط .

فاذا كانت الارض تحدد التركيب العام ، وخاصة التركيب الاساسي في القوات المسلحة ، فانها تحدد بشكل أوسع تناسب قوى الاسلحة الثلاثة .

ففي المناطق التي يصعب سلوكها سواء كانت جبلية أو مشجرة أو محروثة ومزروعة ، تغدو القوات المتحركة بلا فاعلية . ويمكن أن نقول الشيء نفسه بالنسبة للمدفعية في الاراضي المشجرة .

لأننا قد لا نجد المكان الملائم لاستخدامها استخداما صحيحا .كما قد لا نجد الطرق الضرورية لجلبها . ولكن الارض المزروعة والجبال أفضل بالنسبة لهذا السلاح. صحيح أن هذه الاراضي تتيح للعدو الحماية من نيرانها ، فهي من هذه الزاوية لا تلائم استخدام سلاح لا يعمل الا بالنار ، كما أنها تتيح للمشاة القادرة على التسرب فيكل مكان الفرصة لازعاج مواضع المدفعية التي يصعب تحريكها . على ان هذين النوعين من الارض ( الارض المزروعة ، والجبال ) يحولان دون استخدام عدد كبير من المدفعية ، الا أن المدفعية تستفيد من حركة الخصم البطيئة في الجبال لتزيد من فاعليتها .

ويظهر تفوق المشاة الحاسم على جميع صنوف الاسلحة في الاراضي الصعبة، تفوقا لاجدال فيه ويمكننا في مثل هذه الاراضي زيادة تعداد المشاة زيادة تتجاوز النسبة العادية تجاوزا كبيرا .



# الفصل الثامن

# المرتفعات الحاكمة

تملك كلمة « تحكم » في فن الحرب فتنة خاصة . والحقيقة انها عنصر يتمتع بتأثير كبير ، قد يبلغ النصف الاكبر من تأثير الارض على استخدام القوات المسلحة ومنه انبثق عدد كبير من التعابير المقدسة في العلم العسكري ، كالموقع الحاكم والموقع المفتاح ، والمناورات الاستراتيجية وغيرها . فلندرس الموضوع عن كثب، مستعرضين الصحيح والخطأ ، والحقيقة والمبالغات .

ان كل جهد مادي يبذل من أسفل المنحدر الى اعلاه أصعب من الجهد المبذول في الاتجاه المعاكس . وينطبق هذا المبدأ على الاشتباك للاسباب التالية : أولا ، أن كل مرتفع يشكل حاجزا أمام التقدم . ثانيا ، قد لا يكون مدى الرمي الصاب ( من أعلى الى اسفل ) أكبر من مدى الرمايات الاخرى ، ولكنه **أفضل** بلا شك من الرمي بالاتجاه المعاكس، مع أخذ كل العلاقات الهندسية بعين الاعتبار. ثالثا ، ان للتمركز في المرتفع ميزة الحصول على منظر شامل للارض . ولن نهتم هنا بالشكل الذي تتناسق فيه هذه الامور خلال الاشتباك، ولكننا نود اختصار الميزات التي يأخذها التكتيك من الموقع المرتفع داخل ميزة واحدة ، ونعتبرها ميزة استراتيجية .

ولكن على السببين الاول والثالث أن يظهرا من جديد في الاستراتيجية نفسها ، لاننا نمشي ونراقب في الاستراتيجية مثلما نفعل في التكتيك . واعتبار الموقع المرتفع مانعا أمام تقدم الطرف الموجود في الاسفل ، يكشف لنا الميزة الاستراتيجية الثانية . اما الميزة الاستراتيجية الثالثة فهي المشهد العام الافضل الناجم عن موقع مرتفع .

ومن مجموع هذه العناصر تتألف قدرة ما نسميه بالتحكم والقيادة والاشراف، ومن هذا المنبع ينحدر شعور بالتفوق والامن يحس به كل من يقف فوق الجبل ويرى العدو عند قدميه . وشعور بالضعف والقلق ينتاب كل من يقف في أسفل الجبل . وقد يكون هذا الانطباع العام أقوى مما ينبغي أن يكون عليه في الواقع، لان ميزات النقطة المرتفعة تؤثر في الاحاسيس أكثر مما تؤثر في النتائج التي تعدل هذه الميزات . وقد يتجاوز هذا الانطباع حقيقته الفعلية ، وعلينا أن نعتبر تأثير الخيال في هذه الحالة كعامل اضافي يدعم تأثير الموقع الحاكم .

من المؤكد أن ميزة القدرة على الحركة بسهولة تفوق سهولة الخصم لا تعتبر ميزة مطلقة ، ولا يمتلكها دائما كل من أحتل الموقع الاعلى . وهي لا تتمتع بكل هذه الصفات الا اذا كان الخصم راغبا في مهاجمة هذا الموقع . ولكنها تفقد كل قيمتها عندما يفصل بين الخصمين واد عريض . كما انها تعود الى الجيش الواقف في أسفل السفح عندما تكون الصدمة محتملة في السهل ولمدى النظر حدوده أيضا، فهناك الوادي المشجر ، وكتل الجبال التي يرتد دونها النظر ونحن لا نعد هنا الحالات التي يظهر فيها الموقع المرتفع ممتازا على الخارطة ، ثم لا يقدم لنا أية ميزة عملية على الارض . ولكننا نتحدث عن موقع يقدم كل المساوىء المستعصية ، ومع ذلك فان هذه الشروط والتحديدات لا تلغي تفوق الموقع الحاكم الغاء تاما في الهجوم والدفاع . فلننقل في بضع كلمات مم يتكون هذا التفوق المزدوج ؟

ان للموقع الحاكم ثلاث ميزات استراتيجية هي : **قوة تكتيكية أكبر ، وصعوبة اكبر أمام التقرب ، ومنظر عام أفضل** . ولا يستفيد من الميزتين الاولى والثانية سوى المدافع ، لاننا لا نستفيد من موقع قبل ان نملكه . والمهاجم المتحرك لا يملك هذا الموقع . أما الميزة الثالثة فتفيد المهاجم والمدافع على حد سواء

وهكذا نرى الى اي حد تبلغ أهمية الموقع الحاكم للمدافع . ولما كان هذا الموقع حاسما في الجبل فقط ، فاننا نستنتج من ذلك أن المدافع يكسب من الموقع الجبلي ميزة هامة . ولكن ظروفا اضافية أخرى تتدخل وتجعل الامر يظهر بشكل آخر وهذا ما سنطرحه في الفصل الخاص بالدفاع في الجبال .

ولكن علينا قبل كل شيء أن نميز بين حالتين : فـاذا كان الامر يتعلـق بالسيطرة على نقطة واحدة، أي موقع مثلا ، فان الميزات الاستراتيجية تختلط تقريبا ، بالميزة التكتيكية الوحيدة لمعركة ملائمة . أما اذا تخيلنا قطاعـا كبيرا كمنحدر واحد منتظم ، أو كانحدار حاجز بين موانع مائية ، وكانت سعة القطاع تتيح اجراء عدة مسيرات مع التمتع بالسيطرة على المنطقة ، رأينـا ان الميزات الاستراتيجية تزداد ، لاننا لا نستفيد من ميزة السيطرة في لحظة تناسق القـوى باشتباك واحد فحسب ، بل في تناسق عدة اشتباكات معا . هكذا يظهر الامر للدفاع وفي الدفاع .

أما الهجوم ، فان النقطة الحاكمة تكاد تقدم له الميزات نفسها التي تقدمها للدفاع . لان الهجوم الاستراتيجي لا يشتمل كالهجوم التكتيكي على عمل واحد ، ولا يشبه تقدمه أبدا الحركة المستمرة لآلة من الآلات ، بل انه يتضمن مسيرات مستقلة تقطعها وتتخللها توقفات مختلفة الطول ، تقف القطعات فيها موقـف الدفاع كالخصم تماما .

ويكسب الدفاع والهجوم من اتساع حقل النظر أمكان عمل لا بد من ذكره . لان كل طرف يأخذ من الموقع الحاكم ميزات مجموع حقل النظر ذاتها . وفي هذه الشروط تكون أية قطعة ، كبيرة كانت أم صغيرة ، أقوى مما لو كانت تعمل بدون هذه الميزة . فهي اذن تستطيع أن تغامر بأخذ موقع ما دون التعرض الى اخطار عديدة كان من المحتمل أن تتعرض لها في موقع عادي . وسنبحث في مكان آخر الفوائد التي يمكن أن نجنيها من هذه القطعات .

وعندما ....ق وجود الموقع الحاكم بالنسبة الينا مع ميزات جغرافيـة أخرى . عندما يكون هنالـك أسباب اضافية تعيق حركـات العـدو كوجود نهر قريب مثلا ، فان وضع العدو يبلغ من الحرج ما يجعله عاجزا عن تجنب عدد كبيرة من المساوىء بسرعة كافية . وان أي جيش من الجيوش عاجزة عن البقاء في وادي نهر كبير ، اذا لم يكن مسيطرا على الذروة التي تحكم هذا الوادي .

هكذا يمكن للمرتفع الحاكم ان يحقق سيطرة مؤكدة . وهذه حقيقة واقعة لا تقبل الجدل . ولكن هذا لا يمنعنا من أن نرى تعابير : **الارض الحاكمة** ، **وتغطية الموقع** ، **ومفتاح البلاد** ، .. الخ عبارة عن قشرة فارغة بلا نواة ، اذا اكتفت بالاعتماد على طبيعة الموقع الحاكم أو المحكوم فقط .. لانها تعني احلال الشروط محل الامر نفسه واعتبار الاداة اليد التي تحملها . ويعتبر البعض أن احتلال مثل هذا الموقع أو تلك لارض تعبيرا عن القوة ، أو دفعة أو ضربة . وهم يظنون أن للارض والموقع قيمة حقيقية .. والحقيقة ان العمل الاول ( أحتلال الارض ) عبارة عن ذراع مرفوعة ، أما الامران الثانيان ( الارض والموقع ) فهما عبارة عن أداة جامدة ، أو ميزة لا يمكن ان تتحقق الا في داخل غرض معين ، وما الدفعة والضربة والهدف والقيمة سوى **الاشتباك الظاهر** ، فهو الشيء الوحيد الذي يدخل حقا في الحساب ، والامر الوحيد الذي ينبغي أن يؤخذ بعين الاعتبار .

وما دام العدد ووزن الاشتباكات الظافرة هما وحدهما العاملان الحاسمان فمن الطبيعي أن تعود النسبة بين الجيشين وقادتهما الى مكان الصدارة في اعتباراتنا ، وان لا يكون دور الارض وتأثيرها الا اضافيين .



الجزء السادس

# الدفـــاع

# الفصل الأول

# الهجوم والدفاع

## ١ ـ مفهوم الدفاع

ما هو مفهوم الدفاع ؟ انه دفع ضريبة من الضربات وتجنبها . وما هي علامته المميزة ؟ انها انتظار الضربة . وتعطى هذه الميزة لكل شيء طابعــا نهائيا ، وهي التي تميز بين الدفاع والهجوم في الحرب ، ولكن ضمن الحد الذي يتعارض فيه دفاع مطلق مع مفهوم الحرب تعارضا كليا ، لأن الحــرب لاتخاض عندئذ الا من جانب واحد . ينتج عن ذلك أن الدفاع في الحرب لا يمكن ان يكون الا دفاعا نسبيا ، ولا يمكن أن تنطبق ميزته الخاصة التي أشرنا اليها فيما سبق ، الا على المفهوم العام . ولا ينبغي أن تشمل هذه الميزة كـل أجزائه . ونحن نصف الاشتباك الجزئي بأنه دفاعي ، اذا أعتبرنا البداية أنقضاضا قام به العدو . وتعتبر المعركة دفاعية اذا اخذنا الهجوم بعين الاعتبار ، أي وضعية العدو عندما يكون في مواجهة مواقعنا وعلى مرمى نيراننا . وتعتبر حملة من الحملات حملة دفاعية ، اذا واجهنا دخول الخصم الى مسرحنا الحربي . وفي كل هذه الحالات ، تعود ميزة الانتظار والمجابهة الى المفهوم العام ، بدون أن ينتج عن ذلك أي تناقض مع مفهوم الحرب . ولما كان علينا أن نرد ضربة العدو بضربة مماثلة ، اذا أردنا القتال فعلا ، فان هذا العمل الهجومي الذي نقوم به أثناء عمل دفاعي يرتبط الى حـد ما بالدفاع . اي ان الهجوم الذي سنشنه يدخل ضمن مفهوم الموقع الدفاعي أو المسرح الحربي . وبناء على ذلك ، فمن الممكن استخدام عدة فرق لغايات

هجومية أثناء معركة دفاعية . واخيرا فاننا نرشق الخصم بالقذائف الهجومية لتدمير تشكيلاته رغم اننا نكون في وضع انتظار انقضاضه وترقبه . فليس مظهر الحرب الدفاعي اذن درعا بسيطا ، ولكنه درع مؤلف من ضربات توجه بمهارة .

## ٢ ـ ميزات الدفاع

فما هو غرض الدفاع ؟ انه **المحافظة** . فالمحافظة على الشيء اسهل من اكتسابه ، وينتج عن ذلك ان الدفاع اسهل من الهجوم ، اذا افترضنا ان الوسائل متساوية لدى الطرفين . ولكن من اين تأتي هذه السهولة الكبرى في المحافظة والحماية ؟ انها تأتي من ان الوقت ، الذي ينقضي بدون ان يستفيد المهاجم منه ، يتحول لصالح المدافع الذي يحصد الارض التي لم يزرعها . ويعتبر كل تأجيل للهجوم ، بسبب الخوف او الغطرسة او اية آراء خاطئة ، ميزة تمنح للمدافع .

ان كل اشتباك في مجال التكتيك ، كبيرا كان ام صغيرا ، هو اشتباك **دفاعي** ، اذا تركنا المبادأة بيد العدو ، وانتظرنا ظهوره امام جبهتنا . ومنذ هذه اللحظة يمكن استخدام كل الوسائل الهجومية ، بدون خسارة ميزتي الدفاع المذكورتين اعلاه ، وهما ميزة الانتظار وميزة الارض . اما في الاستراتيجية ، فان الحملة تأخذ مكان المعركة ، كما يأخذ مسرح الحرب مكان الموقع الدفاعي . ثم تحل الحرب بكاملها في النهاية محل الحملة ، وتصبح البلد كلها مسرحا للحرب ، ولكن الدفاع يبقى في الحالتين على ما كان عليه في التكتيك .

وقد لاحظنا سابقا بصورة عامة ان الدفاع اسهل من الهجوم . ولكن مادام للاعمال الدفاعية غرض سلبي هو **المحافظة** ، وللاعمال الهجومية غرض ايجابي هو **الاحتلال** ، وما دام الاحتلال يضاعف من مواردنا الحربية الخاصة ، بينما لا يفعل الاحتفاظ بالارض ذلك ، فان علينا ان نقول لكي نعبر عن فكرنا بدقة ووضوح ، **ان الشكل الدفاعي للحرب ، هو بحد ذاته اكثر قوة من الشكل الهجومي** .

فاذ كان الدفاع هو الشكل الاقوى لادارة الحرب ، مع ان هدفه سلبي ، فمن المسلم به أننا لا نلجأ الا اذا أضطرنا ضعفنا الى ذلك ، وان من الواجب التخلي عنه عندما نحس بكفاية قوتنا لتحقيق هدف ايجابي . ولكن ما دامت قوتنا النسبية تزداد عادة عند الحصول على نصر بفضل الاعمال الدفاعية التي قمنا بها ، فان البدء بالدفاع والانتهاء بالهجوم هو تطور طبيعي في الحرب ومن التناقض مع مفهوم الحرب ، ان نفترض ان الدفاع هو هدف الحرب النهائي ، وان نعتقد بأن السلبية ليست مجالا من مجالات الاعمال الدفاعية في مجموعها فحسب ، بل هي ايضا مجال من مجالات كل الاجزاء المختلفة للدفاع . وبعبارات اخرى : ان الحرب التي لاتفيد الانتصارات فيها الا لصد الضربات ، والتي لا نحاول فيها رد كل ضربة مماثلة ، حرب سخيفة ، كالمعركة التي يسود فيها الدفاع المطلق ( السلبية ) في كل التدابير المتخذة .



## الفصل الثاني

# علاقات الهجوم والدفاع المتبادلة في التكتيك

ولنفحص الآن الظروف التي تتيح النصر أثناء الاشتباك .

لن نتعرض هنا لاي موضوع يتعلق بالتفوق العددي، والشجاعة ، والانضباط او مزايا الجيش الاخرى ، اذ أن هذه الامور تتعلق عادة بعناصر قائمة خارج ميدان فن الحرب ، عندما تؤخذ بالمعنى الذي ننظر اليها فيه هنا . وهي تمارس بالاضافة الى ذلك الاثر نفسه في الدفاع والهجوم . فالتفوق العددي بصورة عامة ، لا مجال له هنا ، لان عدد القطعات وحجمها لا يرتبطان بارادة القائد . كما ان هذين الامرين ليس لهما صلة خاصة بالهجوم والدفاع . ولكن خلافا لكل هذا ، هناك ثلاث وقائع تبدو لنا ذات اهمية حاسمة في هذا الموضوع وهي : **المفاجاة ، ومحاسن الارض ، والهجوم من عدة جهات** . فللمفاجاة اثرها عندما نقابل العدو في نقطة خاصة بقوات اكبر مما كان يتوقع . والتفوق العددي في هذه الحالة يختلف جدا عن التفوق العام . انه العامل الاقوى في فن الحرب . . وقد نفهم بسهولة ، الطريقة التي تساعد فيها محاسن الارض على الانتصار . ويكفي لذلك ان نلاحظ ان مسألة ميزات الارض ومحاسنها لا تتعلق فقط بحواجز تجابه تقدم العدو ، كالوديان ، والجبال العالية ، والادغال الصغيرة الخ . . وانما تتعلق بميزة الارض التي تتيح لنا وضع قطعاتنا في خطوطها في خفية عن

انظار العدو . ومن الممكن القول : ان الذي يعرف الارض معرفة جيدة، يتوصل الى الافادة منها بصورة كبيرة .. والهجوم من عدة جهات يشمل كل الحركات التكتيكية الصغيرة أو الكبيرة . وتنجم آثاره عن فاعلية النار المزدوجة وعن خوف العدو من عملية قطع خط تراجعه .

فكيف يرتبط الهجوم والدفاع ارتباطات متبادلة بهذه الاشياء ؟

اذا لم تغب عن ناظرنا مبادىء النصر الثلاثة المعروضة فيما سبق (المفاجأة – محاسن الارض – الهجوم من عدة جهات ) فان الجواب على هذه المسألة هو ان جزءاً صغيراً فقط من المبدأين الاول والثالث يخدم الهجوم ، بينما يخدم المبدأ الثاني والجزء الاكبر من المبدأين الاول والثالث الدفاع .

ولا يتمتع المهاجم الا بميزة الهجوم المباغت ، بينما يتمتع المدافع بامكان مفاجأة خصمه في كل وقت بشكل هجماته وقوتها .

ويتمتع المهاجم بتسهيلات اكبر من التسهيلات التي يتمتع بها المدافع لتطويق الدفاع وقطع خط تراجعه ، لان الاخير متمركز على موقع دفاعي ثابت بينما يتحرك الاول بالنسبة لهذا الموقع . الا أن حركة الالتفاف والتطويق لا تنطبق الا على المجموع ، لان الهجوم من عدة جهات عملية يقوم بها المدافع بسهولة لا يتمتع بها المهاجم ، اثناء الاشتباك مع اجزاء منعزلة ، لان **المدافع يقف في موقف افضل لمفاجأة العدو بقوة هجماته وشكلها كما ذكرنا .**

ومن البدهي ان المدافع يملك العون الذي تتيحه الارض أكثر من المهاجم وينجم تفوقه في مجال مفاجأة خصمه بقوة وشكل هجماته ، وتزداد اهمية هذه النقطة كلما نقصت قدرة المهاجم على تأمين الاستطلاعات لكشف نوايا المدافع .

ان ميزة انتقاء الارض لتركيز القطعات عليها ، ومعرفة تفاصيلها قبل المعركة مهم جداً . ومن الطبيعي أن يستطيع المدافع المترقب على موقع دفاعي منتقى ، مباغتة خصمه بسهولة تفوق السهولة التي يملكها المهاجم .

والحقيقة ان ازدراء الدفاع كان دائما ثمرة عهد حافظ فيه أسلوب دفاعي معين على حياته . ثم جاء الهجوم باسلوب جديد فأثبت بطلان اسلوب الدفاع القديم ، ولكنه لا يثبت بطلان فكرة الدفاع .

ولو تتبعنا تطور فن الحرب لرأيناها سباقا بين اساليب الهجوم والدفاع، ولرأينا كيف يتفوق الدفاع على اسلوب هجومي معين حتى يتطور الهجوم الى اسلوب جديد يتفوق بدوره على الدفاع وهكذا ...



## الفصل الثالث

# علاقات الهجوم والدفاع المتبادلة في الاستراتيجية

قبل كل شيء ، لنطرح على انفسنا من جديد السؤال التالي :

ما هي الظروف التي تتضمن نتيجة ظافرة في الاستراتيجية ؟

كما قلنا سابقا ، **ليس هناك انتصار في الاستراتيجية**، فالنجاح الاستراتيجي هو التحضير الملائم للنصر التكتيكي . وكلما كان النجاح الاستراتيجي كبيرا ، كلما تضاءل الشك في النصر اثناء الاشتباك . ويشتمل النجاح الاستراتيجي من جهة على معرفة استخدام النصر المكتسب . وكلما كان بامكان الاستراتيجية، بعد حصولها على الانتصار ، أن تدخل أحداثا جديدة في آثار هذا النصر بفضل تركيباتها ، كلما تحررت من الانقاض المنهارة . التي تزعزعت أسسها في المعركة . . وكلما استخدمت كتلا كبيرة من القوات لتحقيق أهداف كان عليها ان تبذل الكثير من العناء والجهد لتحققها في المعركة قطعة أثر قطعة ، كلما كان نجاحها أكبر . ان المبادىء التي تقود بصورة رئيسية الى هذا النجاح أو تجعله اكثر سهولة ـ المبادىء الموجهة للفاعلية الاستراتيجية ـ ، هي التالية :

١ ـ ميزة الارض .

٢ ـ المفاجأة ، سواء أكانت بشكل انقضاض مباغت حقيقي ، أو بتمركز غير متوقع بقوى متفوقة في بعض النقاط .

٣ ـ الهجوم انطلاقا من عدة قواعد ، ( وهذه المبادىء الثلاثة مشابهة لمثيلتها في التكتيك ) .

٤ ـ دعم مسرح الحرب بقلاع ، وبكل ما ترتبط بها .

٥ ـ دعم السكان .

٦ ـ استخدام قوى معنوية كبرى .

فما هي علاقات الهجوم والدفاع استنادا الى هذه المبادىء ؟

يتمتع المدافع بميزة الارض ، أما المهاجم فيتمتع بميزة الهجوم المفاجىء .

ويتشابه الموضوع في الاستراتيجية والتكتيك . أما المفاجأة ، فينبغي ان نلاحظ أنها وسيلة أهم وأكثر تأثيرا في الاستراتيجية منها في التكتيك. اذ لا تبلغ المفاجأة في التكتيك مستوى انتصار كبير ، بينما تضع في الاستراتيجية حدا نهائيا للحرب كلها بضربة واحدة . ولكن ينبغي ان نلاحظ مرة أخرى ان الاستخدام الملائم لهذه الوسيلة يفترض ارتكاب الخصم بعض الاخطاء **الاساسية النادرة الحاسمة** . وبناء على ذلك فان هذا الاستخدام لا يعدل كثيرا من توازن القوات لصالح الهجوم .

ان مفاجأة العدو بوضع قوات متفوقة في بعض نقاط الموقع الدفاعي ، تشبه كثيرا الحالة المماثلة لها في التكتيك . فاذا اضطر المدافع الى توزيع قواته على نقاط تقرب متعددة من مسرحه الحربي ، تمتع المهاجم بميزة الانقضاض على نقطة واحدة منها ، بكل ثقة .

وهنا أيضا ، استنبط فن الدفاع الحديث ، رويدا رويدا ، مبادىء جديدة بفضل الوسائل المستحدثة . وليس هناك من سبب يحدو المدافع الى توزيع قواته ، اذا كان لا يخشى انقضاض العدو على نقطة هامة غير محصنة جيدا أو على العاصمة نفسها ، مستخدما محورا لا دفاع فيه ، واذا لم يكن مضطرا لمجابهة العدو ، على الطريق الذي اختاره هذا العدو ، مخاطرا بانقطاع

خط تراجعه فليس ثمة ما يدعوه الى توزيع قواه . ذلك أن المهاجم ، اذا ما اختار طريقا آخر غير الطريق الذي يتمركز المدافع عليه ، استطاع المدافع بعد عدة أيام أن يفتش عنه على هذا الطريق . واذا كان المهاجم مضطرا لتقديم قواته بأرتال منفصلة ، وهو أمر لا يمكن تجنبه في أغلب الاحيان ، لاسباب تتعلق بالتموين ، حصل المدافع على ميزة واضحة جدا هي قدرته على الانقضاض بقواته كاملة ضد جزء محدود من قوات خصمه .

ان الهجمات على الجناح والمؤخرة ، التي تستهدف أطراف ومؤخرة مسرح الحرب ، تتبدل طبيعتها في الاستراتيجية تبدلا عميقا . ومن أهم ظواهر هذا التبديل ما يلي :

١ ـ لا يمكن اخذ العدو بين نارين ، لان من المتعذر الرمي ، من طرف من مسرح الحرب على الطرف الآخر .

٢ ـ تخف حدة الخوف من قطع خط التراجع ، لآن المساحات في الاستراتيجية كبيرة جدا ، فلا يمكن سدها كما تسد المساحات في التكتيك .

٣ ـ ان فعالية الخطوط الداخلية أهم بكثير لانها أقصر ، في المجال الاستراتيجي ، وذلك لا تساع المساحات المعتبرة . وتعتبر هذه الفاعلية تعويضا عن الهجمات القادمة من عدة جهات .

٤ ـ يظهر مبدأ جديد هو : حساسية خطوط المواصلات ، أي الاثر الذي يحدث من جراء انقطاعها .

ومن الطبيعي ، حيال المساحات الواسعة في الاستراتيجية ، أن لا يكون الهجوم الالتفافي ، أو الهجوم من عدة جهات ، ممكنا بصورة عامة الا للمعسكر الذي يملك المبادأة ، اي للمعسكر الذي يبادىء بالهجوم بينما لا يكون المدافع في وضع يتيح له، كما في التكتيك، . . . الاستدارة نحو الخصم اثناء العمل، وتطويقه. ولايتمكن المدافع من التوصل الى ذلك لانه لا يستطيع أن ينشر قواته على عمق مشابه، كما لايستطيع اخفاءها بصورة جيدة.ولكن ماذا يستفيد المهاجم من سهولة

التطويق عندئذ ،اذا كانت الميزات التي يتمتع بها لا تستطيع أن تعبر عن ذاتها ؟ من هنا نستنتج بأنه لا يمكن شن أي هجوم تطويقي استراتيجي مع احتمال النجاح ، اذا لم نأخذ بعين الاعتبار أثره على خطوط المواصلات . ولكن هذا العامل لا يقوم بدور هام في اللحظة الاولى الا نادرا ، عندما يلتقي الهجوم والدفاع ويتقابلان ايضا على مواقع انطلاقهما . ولا يزداد هذا العمل الا بالتقدم الذي تحققه الحملة ، اذا تحول الهجوم في بلد معاد تدريجيا الى الدفاع . فتضعف عندئذ خطوط مواصلات هذا الدفاع الجديد ويستطيع الطرف الذي كان يقف موقف الدفاع أن يغتنم هذا الضعف فينتقل الى الهجوم . ولكن من لا يرى أن أفضلية الهجوم هذه لا يمكن أن تعتبر صفة عامةله؟ . والحقيقة أن الوضع المتفوق للدفاع هو الذي خلق هذا التفوق المحدد للهجوم ؟

والمبدأ الرابع ، هو **الدعم الذي يتيحه مسرح الحرب** وهو بالطبع ميزة لنشاط الدفاع . فعندما يبدأ الجيش المهاجم حملته ، يخترق بعيدا ، عن مسرحه الخاص فيضعف ، أي أنه يترك خلفه قواعده ومستودعاته المتنوعة. وكلما كانت دائرة العمليات التي ينبغي للجيش أجتيازها كبيرة ، ضعف الجيش المهاجم . بينما يستمر الجيش المدافع في المحافظة على كل ارتباطاته في كل الاتجاهات ، أي أنه يتمتع بدعم حصونهمع بقائه على مقربة من مصادر تموينه .

والحقيقة ، اننا لا نتمتع بدعم الشعب ، كمبدأ خامس في كل حالات الدفاع ، اذ يمكن القيام بحملة دفاعية في ارض معادية . ولكن هذا المبدأ لايتفرع الا من فكرة الدفاع ، ويطبق في معظم الحالات . وهو يعني بصورة خاصة عملية ثورية جماهيرية ، وتمردا وطنيا . وهناك ميزة أخرى يتيحها هذا المبدأ ، وهي التقليل من الاحتكاكات ، وتقريب منابع التموين وتأمين هذا التموين تأمينا أوفر .

فاذا أضفنا الى المبدأ الرابع والخامس ، الاعتبار التالي ، وهو ان قوى الدفاعتؤلف جزءا من الدفاع الاول ، أي جزءا من الدفاع المحقق على ارض المدافع الخاصة ، وانها تكون أكثر ضعفا عندما يتم الدفاع في بلد معاد ، ويجد نفسه مختلطا بمشاريعه الهجومية ، لنجم عن ذلك محذور جديد للهجوم ،

مماثل للمحذور المتعلق بالمبدأ الثالث . فالهجوم لا يتألف بالتخصيص من عناصر فاعلة ، كما ان الدفاع لا يشتمل فقط على صد بسيط للضربات ، وان كل هجوم لا يقود مباشرة الى السلم ، ينبغي أن ينتهي بالدفاع لا محالة .

ولكن ، اذا كانت العناصر الدفاعية المستخدمة في الهجوم قد ضعفت بسبب طبيعته الخاصة ، اي انها ضعفت لانها لا تؤلف جزءا من الهجوم ، فلا بد عندئذ من ان نرى فيها صفة سيئة عامة للهجوم .

وليس من نافلة القول ان نذكر ان موضوعنا هو المحذور الاساسي للهجوم بصورة عامة . وبناء على ذلك ، لابد لكل خطة في الهجوم الاستراتيجي من ان توجه منذ البدء انتباها خاصا الى هذه النقطة ، أي للدفاع الذي سيلي الهجوم .

ومن الممكن ان نفترض أن القوى المعنوية الكبرى ، التي تطبع العنف الاول في الحرب ، من آن الى آخر كخميرة طبيعية ، والتي تستطيع القيادة استخدامها في بعض الحالات لدعم وسائلها الاخرى ، ان هذه القوى موجودة لدى الدفاع والهجوم على حد سواء . وعلى الاقل ، فان القوى التي تعمل لصالح الهجوم بصورة خاصة ، كالفوضى والبلبلة في صفوف العدو ، لاتظهر عادة قبل توجيه الضربة الحاسمة ، وليس لها بالتالي أثر على هذه الضربة الا نادرا .

وهنا لابد لنا من ان نذكر عاملا صغيرا قد توارى حتى الآن عن انظارنا . وهو الشجاعة والشعور بتفوق الجيش ، الذي ينبعث من الوعي بالانتماء الى الطرف المهاجم . وهذا الواقع حقيقي في حد ذاته ، الا ان هذا الشعور يتحلل فورا ، في حالة فكرية اعم واقوى تهيمن على الجيش ، بعد الانتصار أو الهزيمة ، وبسبب موهبة قائده أو عدم كفاءته .

* * *

## الفصل الرابع

# يتجه الهجوم نحو المركز ويبتعد الدفاع عن المركز

اننا نعتبر في التكتيك والاستراتيجية ، ان المدافع ينتظر العدو ماكثا في مكانه بينما يتحرك المهاجم حركة تتناسب مع انتظار خصمه ومكوثه . وينجم عن ذلك بالضرورة ، ان المهاجم يتمتع بالحرية المطلقةفي الالتفاف وتطويق المدافع، كلما استمر في الحركة على الاقل ، وكلما بقي الدفاع جامدا لا يحرك ساكنا . وهذه الحرية في اختيار طريقة الهجوم سواء أكانمتجهانحو المركز املا ، حسب الميزات التي تتيحها أو لا تتيحها ، هذه الحرية ينبغي أن تعتبر (أي الحرية أيضا) ميزة عامة للهجوم . الا ان هذا الاختيار ليس حرا الا في التكتيك ، اما في الاستراتيجية فهو ليس حرا دائما . فالنقاط التي تستند اليها الاجنحة في التكتيك لا تؤمن ابدا امنا مطلقا لها ، بينما في غالب الاحيانتضمن مثلهذا الا للاجنحة في الاستراتيجية ، اذا كانت الجبهة الواجب الدفاع عنها تمتد على خط مستقيم ما بين بحر وآخر ، او من ارض محايدة الى ارض محايدة اخرى . وفي هذه الحالة ، يصبح من الاستحالة شن هجوم متجه نحو المركز ، وتصبح حرية الاختيار حرية محدودة . وتغدو هذه الحرية مقيدة ايضا بشكل اكثر ازعاجا ، اذا اضطر المهاجم للعمل على خطوط متلاقية . واذا كان علينا ان نقبل ، ان الشكل المتجه نحو المركز في عمليات ، هو دوما الشكل الاضعف ، فان

الميزة التي يتمتع بها المهاجم ، بفضل حرية اختياره الواسعة ، قد تمحى ، لانه سيكون مضطرا في حالات اخرى الى استخدام الشكل الأضعف للهجوم .

ان احدى الميزات الرئيسية التي نحصل عليها عند اعطاء اتجاه متلاق للقوات ، أي عند العمل من محيط الدائرة نحو مركزها ، هي تجمع القوات كلما اقتربت في تقدمها من مركز الدائرة ، والواقع صحيح ، الا ان الميزة المفترضة غير صحيحية ، لان الحشد يحدث من ناحيتين ، ويبقى التوازن بالتالي قائما . ويحدث الشيء نفسه عندما يتم الانتشار خلال عملية تبعد عن المركز .

ولكن هناك ميزة حقيقية احرى هي ان القوات التي تنتقل على خطوط متلاقية تعمل على نقطة **مشتركة** ، خلافا للقوات التي تعمل على خطوط متباعدة . فما هي اذن محاسن هاتين الطريقتين في العمل ؟ . لكي نجيب عن هذا السؤال ، لابد من التمييز بين تكتيك واستراتيجية .

وليس في نيتنا دفع التحليل بعيدا جدا ، بل سنكتفي بسرد النقاط التالية فقط ، كميزات لاشكال العمل المتجه نحو المركز في التكتيك :

١ ــ أثر مزدوج للنار ، او أثر يزيد في كل حال ، عندما يبلغ الحشد نقطة معينة .

٢ ــ مهاجمة جزء واحد فقط ، هو الجزء نفسه من قوات الخصم ، من عدة جهات .

٣ ــ قطع طريق التراجع .

ومن الممكن ان ندرك قطع خط التراجع استراتيجيا ، الا انه بالطبع اكثر صعوبة ، لانه ليس من السهل سد مساحات كبرى ... ويصبح الهجوم من عدة جهات على جزء واحد فقط ( هو الجزء نفسه من قوات الخصم ) ، فعالا وحاسما بصورة اكبر ، كلما كان هذا الجزء صغيرا ، واعتبر قريبا من حالة

الادنى الذي هو المقاتل المنعزل . ويستطيع الجيش أن يقاتل ( دفاعيا ) دون صعوبة تذكر في عدة جهات في آن واحد ، الا ان الفرقة تتوصل الى ذلك بسهولة أقل ولا تستطيع الكتيبة أن تعمل ذلك الا اذا اخذت تشكيلة ملائمة أما الرجل المنعزل ، فلا يتوصل الى ذلك ابدا . ان الاستراتيجية مملكة الكتل والمساحات والمهل الزمنية الكبرى ، على حين ان الوضع في مجال التكتيك معاكس لذلك . وينجم عن ذلك ان الهجوم من عدة جهات لا يعطي في الاستراتيجية نفس النتائج التي يعطيها في التكتيك .

ولا تدخل آثار النيران في ميدان الاستراتيجية ، اذ يحل مكانها شيء آخر هو : عدم امن القاعدة ، الذي يحس به بشكل يتراوح بين القوة والضعف ، كل جيش يجد جيشا معاديا منتصرا يعمل على مؤخراته القريبة او البعيدة .

وهكذا تملك العملية المتجهة نحو المركز بالتأكيد ميزة كبيرة . فبماذا تستطيع العملية المتباعدة عن المركز ، مجابهة هذه الميزة ؟ انها تستطيع ان تنتقل على خطوط داخلية لان القوات الجاهزة تكون قريبة بعضها من بعض . وهذا ما يزيد من فاعلية القوات زيادة لا يستطيع المهاجم فيها تعريض نفسه لمثل هذا المحذور اذا لم يكن يملك تفوقا كبيرا في القوة .

وعندما يطبق المدافع مبدأ الحركة ( وهذا ما لا يفعله حقا بعد حركة المهاجم وانما يفعله دوما في الوقت الملائم ليتحرر من العطالة التي تشله ) ، تصبح ميزة حشد اكبر ، وميزة الخطوط الداخلية حاسمة كل الحسم واكثر فاعلية من الشكل المتلاقي للهجوم في بلوغ النصر . ولكن لا بد للنصر من أن يسبق النجاح . وينبغي تحقيق الغلبة قبل التفكير بقطع سبيل انسحاب العدو . والخلاصة : نرى هنا وجود علاقة مماثلة للعلاقة القائمة بين الهجوم والدفاع بصورة عامة . ويقود الشكل المتجه الى المركز الى نتائج باهرة ، الا ان النتائج التي يتيحها الشكل المتباعد عن المركز مضمونه اكثر . فاذا أضفنا الى ذلك ان الدفاع قادر على استخدام قوات متجهة الى المركز لانه ليس دفاعا مطلقا في كل مكان ، عرفنا ان هذا الشكل من أشكال العمليات لا يكفي بذاته لان يضمن للهجوم ميزة شاملة حقا على الدفاع .

وينطبق ما قلناه حتى الآن ، على التكتيك كما ينطبق على الاستراتيجية .
وهنا ينبغي لنا ان نثير نقطة بالغة الاهمية تتعلق بالاستراتيجية فقط . وهي ان ميزة الخطوط الداخلية تزداد مع اتساع المساحات التي توجد فيها هذه الخطوط . فبمسافات مؤلفة من بضعة آلاف الخطوات او نصف ميل ، لايمكن ان يكون الزمن الذي ربحناه مساويا في كبره لما نربحه مع مسافات صغيرة . وتتعلق المسافات القصيرة بالتكتيك ، على حين تتعلق المسافات الكبرى بالاستراتيجية . وبما اننا نحتاج في الاستراتيجية الى زمن اكبر من الزمن الذي نحتاجه في التكتيك لبلوغ غرضنا ، وان الهزيمة لا تحل بجيش من الجيوش ، بالسرعة ذاتها التي تحل بها الهزيمة بكتيبة من الكتائب ، فان هذه الفترات الزمنية لا تزداد في الاستراتيجية الا الى نقطة معينة ، وهذه النقطة هي مدة المعركة ، أو على الاكثر مدة يومين تقريبا ، نستطيع خلالهما تجنب المعركةبدون التعرض لخسائر كبيرة . يضاف الى ذلك ،ان الفرق اكبر ايضا في الطريقة الحقيقية التي نتجنب بوساطتها العدو في هذهالحالة او تلك . وتكاد تتمحركات احد المعسكرين اثناء المعركة تحت بصر المعسكر الآخر لصغر المسافات في التكتيك ، ويصبح الجيش المتمركز على الخط الخارجي، أسرععلما بصورةعامة، بحركات خصمه . ومع المسافات الطويلة للاستراتيجية ، نادرا ما يتحقق اخفاء حركة جيش من الجيوش عن خصمه خلال يوم على الاقل ، وبامكاننا ان نرى بسهولة اهمية كتمان السر بالنسبة للمعسكر الذي يستغله بصورة افضل ، حسب طبيعة موقعه .



# الفصل الخامس

# طابع الدفاع الاستراتيجي

لقد عبرنا عن معنى الدفاع وقلنا انه ليس الا الشكل الاقوى من ادارة الحرب ، تلك الادارة التي نحاول بفضلها تحقيق النصر . فلننتقل الى الهجوم ، أي الى هدف الحرب الايجابي عندما نحصل على التفوق .

حتى اذا كانت الحرب لا تتوخى سوى الحفاظ على الوضع القائم فانمجرد تحاشي الضربة أمر مضاد لفكرة الحرب، اذ لا جدال في أن الحرب لا تعني الاحتمال والصمود بصورة سلبية . فاذا حصل المدافع على ميزة هامة، وقام الدفاع بدوره، لابد للمدافع من رد الضربة بحماية هذه الميزة ، اذا لم يشأ التعرض لاية هزيمة ويدعونا الحس السليم ، الى اغتنام الفرصة المتاحة ، والافادة من الميزة المكتسبة حتى لانتعرض لهجوم ثان . فكيف ومتى وأين ينبغي أن يبدأ رد الفعل ؟ ان كل هذا خاضع بلاشك الى شروط أخرى ، لايمكننا تفسيرها الا بعد . ولنكتف هنا بأن نقول ان من الواجب اعتبار الانتقال الى الضربة المضادة ميلا طبيعيا للدفاع وأن نعتبر هذا الرد بالتالي ، جزءا من عناصره الاساسية . وقد ثبت بالتجربة ، أننا نرتكب خطيئة كبرى في كل حالة لانستخدم فيها الانتصار الذي حققه الشكل الدفاعي للحرب بصورة من الصور في اقتصاد الحرب ، وعندما نترك مثل هذا الانتصار يمر بدون ان نستفيد منه .

ان اروع لحظات الدفاع ، هي لحظة الانتقال السريع والقوي الى الهجوم والطرف الذي لا يفكر في هذه اللحظة منذ البدء ، ولا يدخلها منذ البدء في مفهوم

دفاعه ، لا يستطيع ان يفهم تفوق الدفاع . انه يفكر دوما بالوسائل التي دمرت لدى الخصم بسبب الهجوم ، وبالوسائل التي حصلنا عليها من الضربة نفسها ، أي انه يفكر بطريقة تضيق العقدة ، لا بطريقة حلها .وان فهم الهجوم ايضا كاندفاعة فجائية ، يسبب تشويشا خطيرا في الافكار ، وكأن الدفاع لا يبعث ولا يوحي سوى التشويش والارتباك .

حقا ، ان المهاجم يحاول الدخول في الحرب قبل المدافع المسالم . واذا توصل الى ابقاء تدبيره في طي الكتمان ، تمكن ايضامن مباغتهالمدافعغير الحذر. ولكن لا يتحتم حدوث ذلك دائما . وللحرب مبرر وجودها بالنسبة للمدافع والمهاجم ايضا ، لانها لا تبدأ قبلان يكون الغزو سببافيالدفاع . وكثيرا مايكون المهاجم « داعية من دعاة السلم » وهو يعني بذلك رغبته في احتلال البلاد بدون مقاومة وهذا مايفرض على المدافع ان يستعد للحرب حتى لا يذهب ضحية المفاجأة .

غير ان ظهور احد المعسكرين على مسرح الحرب قبل الآخر ، يرتبط في معظم الحالات ، بالمسائل التي لاتمت بصلة الى النوايا الهجومية أو الدفاعية . فليست هذه النوايا سبب الظهور في مسرح الحرب ، الا انها النتيجة في معظم الاحيان . ولهذا السبب ، فان السابق الى الاستعداد يتخذ وضع الهجوم ، اذا كانت ميزة المفاجأة كبيرة بصورة كافية ، وأما الطرف الذي يتأخر في الاستعداد ، فيستطيع تعويض النقص الذي يهدده ، تعويضا جزئيا بفضل مزايا الدفاع .

ان علينا ان نعترف مع ذلكبأنالاستعداد المبكر هو ميزة للهجوم،فهو يتيح الاستخدام الجيد ، الا ان هذه الميزة ليست عنصرا ضروريا في كل حالة خاصة.

فاذا رسمنا لانفسنا ، بناء على ماتقدم ، لوحة لما ينبغي ان يكون عليه الدفاع ، لاشتملت هذه اللوحة على اكبر استعداد ممكن لكل الوسائل ، من جيش مدرب تدريبا جيدا على الحرب ، وقائد ينتظر خصمه بذهن صاف لا في حالة قلق ناجم عن شعور بالتردد ، وبرباطة جأش ،وبحصون لا تخشىالحصار، وبشعب غني بالقدرات والموارد ، شعب لا يخشى العدو بل يفرض هيبته على هذا العدو . وعندئذ يقوم الدفاع بدور هام،وتنتصب الصعوبات امامالهجوم .

# الفصل السادس

# اتساع وسائل الدفاع

لقد بينا من قبل كيف يملك الدفاع ميـزة طبيعية في استخدام الاشياء ، التي تحسم النجاح التكتيكي وكذلك النجاح الستراتيجي ، اذا وضعنا جانبـا القوة المطلقة ونوعية القوات العسكرية ... ومن المفيـد الآن ان ندرس اتساع الوسائل الموجودة تحت تصرف المدافع مرة أخرى أيضا ، هذه الوسـائل التي ينبغي ان تعتبر نماذج مختلفة للاعمدة التي تدعم بنيان الدفاع .

**(١) الحرس الوطني**

استخدمت هذه القوة في بعض البلدان ، في العصر الحديث لمهاجمة بلـد معاد . ولا يمكن ان ننكر ان تنظيمها يسمح باعتبارها ، في كثير من الدول جزءا من الجيش الدائم ، ولا تنتمي هذه القوة الى الدفاع فحسب بل من الممكن ان تبلغ الهجوم ايضا . ولكن علينا ان لا نبالغ من شأن هذا الواقع ، وان نؤكد ان استخدام هذه القوات بقوة كان نتيجة حرب دفاعية . ولكننا نجد بالاضافـة الى ذلك ، في فكرة هذه القوة الاحتياطية ، ( الحرس الوطني ) ، **مفهوم تعـاون الشعب بمجموعه ، تعاونا واسعا في خدمة الحرب . حين يقدم الشعب خدماته بصورة ارادية ، ويضع كل امكاناته وقواه المادية وأمواله وايمانه ببلـده تحت تصرف جيشه** . وعندما يبتعد تنظيم هـذه القوات عن هـذا النموذج ، تغـدو جيشا دائما تحت اسم آخر ، الا إنها تبقى متمتعة بميزاته ، وتفقـد ميـزات القوات الاحتياطية الحقيقية . ان مثل هذا النموذج يشكل خزانا ضخما مـن

القوات لا تحده اية حدود في مجال عمله . ومن الممكن توسيعه بسهولة تامة عندما تستعين بالروح القومية وبوطنية الشعب . ومن هذا يتكون جوهر القوات الاحتياطية ( الحرس الوطني ) ، التي ينبغي ان يتيح تنظيمها تعاون كل افراد الشعب ، والا كنا كمن يسعى وراء شبح أذا توقعنا منها خدمات هامة .

## ٢ ـ الشعب :

على الرغم من ان تأثير المقاتل المنعزل عن مسرح الحرب ، على مجرى الحرب ذاتها تأثير ضعيف جدا يكاد لا يدرك ، كقطرة ماء في نهر كبير ، الا ان **التأثير الاجتماعي** لسكان بلد من البلدان على الحرب هو ابعد من ان يكون تأثيرا ضئيلا ، حتى لو لم يعمد الشعب الى ثورة شعبية عامة . وتسير الامور بشكل افضل دائما عندما نقاتل داخل بلادنا ، على ان لا يتعارض ذلك مع عواطف المواطنين . ويمتنع الشعب عادة عن كل تعاون كبير او صغير مع العدو، الا بالامر ، او بعنف واضح وصريح تمارسه القطعات المعادية . وكثيرا ما يكلفها مثل هذا العنف كثيرا من التبديد في القوة والجهود . ان المدافع يملك كل هذه الوسائل ، حتى عندما لا يقدمها الشعب اختياريا .

ويؤدي التعاون الاختياري الارادي الصادر عن ولاء مخلص جدا في ادارة الحرب الى تقوية الاستعلام ، المتعلق بالاخبار اليومية الصغيرة التي يؤدي اكتشافها الى استنتاج امور اكبر .

واذا انتقلنا من هذه العلاقات العامة الموجودة في معظم الحالات ، الى الحالات الاستثنائية ، التي يبدأ الشعب بالمساهمة فيها بالكفاح وتقوده بعدذلك الى الدرجة القصوى ـ كما حدث في اسبانيا ، حيث قاد الشعب الحرب بنفسه ـ نفهم ان الموضوع لا يتعلق ببساطة بشكل حاد من التعاون الشعبي ، بل بقوة حية حقا .

## ٣ ـ التمرد الوطني :

او ما يسمى بالدعوة الوطنية لحمل السلاح ، التي يمكن ذكرها كوسيلة خاصة من وسائل الدفاع .

## ٤ ـ الحلفاء :

وعليناان نعترف اخيرا بأن **الحلفاء** يشكلون السند الاخير للمدافع . ونحن لا نريد بالطبع ان نتحدث هنا عن الحلفاء العاديين الذين يستطيع المهاجم اكتسابهم ، فنحن نتحدث عن الحلفاء المهتمين اصلا بالمحافظة على سلامة البلاد . ومما لاشك فيه ان المصالح الكبرى والصغرى في الدول والامم، تتداخل وتختلط بعضها ببعض تداخلا متغيرا ومعقدا . وفي كل مكان تلتقي فيه هذه المصالح وتتقاطع ، تتكون عقدة تقوي بازدياد ، لان اتجاه احدى المصالح ، يوازن في هذا المجال اتجاه المصلحة الاخرى . وتنتهي هذه العقد اذن بخلق نوع من الترابط الداخلي الوثيق بين المصالح كلها . ولكي نحدث في هذا الترابط تبديلا معينا ، لا بد من التغلب على جزء من هذا الترابط الداخلي ، بشكل يخدم معه المجموع العام بعلاقات كل الدول فيما بينها ، للمحافظة بالاحرى على **الوضع القائم** للمجموع ، لا على ادخال تعديلات فيه ، أي ان الاتجاه العام هو المحافظة على الوضع القائم او الامر الواقع .

هكذا ينبغي ادراك فكرة توازن الدول كما نعتقد . ويقوم دائما هذا التوازن حيثما يكون لعدة دول متمدنة نقاط احتكاك متعددة .

فالى اي مدى يكون اتجاه هذه المصالح الجماعية في المحافظة على الوضع القائم اتجاها حقيقيا ؟ ان هذا سؤال آخر . ومن الممكن ، بلا شك ، افتراض تعديلات في العلاقات المتبادلة بين الدول الفردية تجعل من هذا الاتجاه اتجاها فعليا بالنسبة لمجموعها ، وعلاقات اخرى تقف حائلا دون تحقيقه . وفي الحالة الاولى، تعزز هذه الجهود التوازن السياسي ، وما دام لها اتجاه المصالح الجماعية ذاته ، فان معظم هذه المصالح تقف الى جانبها ( أي الى جانب الجهود ) . ومع ذلك ففي الحالة الثانية ، هناك حالات شاذة ونشاط متصاعد للاطراف الفردية، وامراض حقيقية . وينبغي ان لا نندهش اذا وقعت كل هذه الحالات ضمن اطار مجموع مترابط ترابطاسيئا في مجموعة من الدول الكبرى والصغرى. وهي تحدث ايضا داخل مجموع الطبيعة الحية العضوي ، المنظم تنظيما رائعا .

واذا ذكرنا بعض القراء بالحالات التاريخية لدول منعزلة كانت قادرة على تحقيق تحولات هامة لمصلحتها فقط ، بدون ان تحاول مجموعة الدول منعها من تحقيق ذلك ، والحالات التي وجدت فيها دولة منعزلة في موقع يرتفع فوق كل الدول الاخرى ، حتى كاد يكون موقع الحكم المطلق للمجموع ـ اذا ذكرنا بعضهم بهذه الحالات اجبناهم بما يلي :

ان هذه الحالات لا تثبت في شيء ان اتجاه المصالح الجماعية في المحافظة على التوازن اتجاه غير موجود ، ولكنه لم يكن يعبر عن نفسه بصورة ملائمة . فالجهد لبلوغ هدف من الاهداف ، ليس كالحركة نحوه ، ولكنه ليس عدما ، لهذا السبب .

اننا نقول : ان اتجاه التوازن هو الحفاظ على الوضع القائم ، ونفترض اذن ان الراحة أي التوازن كان موجودا في هذا الوضع القائم . وعندما يضطرب هذا التوازن ، ويحدث التوتر ، يستطيع الاتجاه الى التوازن ان يميل نحو تغيير ما . ولكن اذا اعتبرنا طبيعة الشيء ، وجدنا ان هذا التوتر لا يستطيع ان ينال الا بعض الدول الخاصة ، لانه لا يصيب ابدا معظم الدول . ومن المؤكد اذن ، ان ترى هذه الاكثرية ان المحافظة على التوازن مضمونة وممثلة بالمصالح الجماعية لكل الدول . ومن المؤكد ايضا ان كل دولة خاصة ، غير قادرة على ان تجد نفسها في وضع متوتر مع مجموع الدول ، من مصلحتها ان تدافع عن هذه الجماعية لا ان تتخلى عنها .

وبدون هذا الاتجاه العام للراحة ، وهذا الحفاظ على الامور الراهنة ، فان كثيرا من الدول المتمدنة تغدو غير قادرة على الحياة وقتا طويلا جنبا الى جنب ، اذ ، لا بد لها عندئذ من أن تندمج في دولة واحدة . وما دامت اوروبا المعاصرة وجدت على هذا الشكل منذ أكثر من ألف عام ، لذلك لا يمكننا ان نعزو هذه النتيجة الا لقوة المصالح الجماعية التي تولد الاستقرار . واذا لم يكن الدفاع عن الدول بمجموعها ملائما دوما لاستمرار كل دولة خاصة ، فان هذه الاستثناءات شذوذ وخروج على المألوف في حياة المجموع ، وهي لم تدمر هذه الحياة ، بل خضعت لسيطرتها .

ولنعد الى موضوعنا . فنحن نعتقد اننا قدمنا الدليل على ان باستطاعة المدافع بصورة عامة الاعتماد على العون الخارجي اكثر من اعتماد المهاجم . ويستطيع حسمه لحسابه بقدر ما يكون وجوده مهما للآخرين أي بقدر ما يكون وضعه السياسي والعسكري سليما وقويا .

ومن الطبيعي ان العناصر التي عددناها كوسائل تخص الدفاع بصورة ذاتية ، لن تكون تحت تصرف كل دفاع خاص ، فنحن نحتاج لهذه الوسيلة تارة ، ولتلك الوسيلة تارة أخرى . الا أنها كلها ، بصورة عامة ، تمت الى فكرة الدفاع .



## الفصل السابع

# العمل المتبادل للهجوم والدفاع

اذا فكرنا فلسفيا بالطريقة التي تنبعث فيها الحرب نرى ان مفهوم الحرب لا يظهر بصورة خالصة مع مفهوم الهجوم ، لان للهجوم هدفا مطلقا **هو الاستيلاء على شيء معين** ، وهو لا يستهدف **القتال** كهدف مطلق . ويبدو هذا المفهوم في بادىء الامر مع الدفاع ، لان هدف الدفاع المباشر هو القتال ، وليس الصد والقتال بالطبع إلا شيئا واحدا . ويتجه الصد كله ضد الهجوم ، ويفترضه من قبل بالضرورة ، على حين لا يتجه الهجوم نحو الصد ، بل نحو شيء آخر — هو الاستيلاء على شيء معين . ولا تفترض عملية الاستيلاء هذا الصد مسبقا . **فمن** الطبيعي اذن ، ان من يضع مفهوم الحرب موضع العمل قبل خصمه ، ويدرك فكرة طرفين متقاتلين ، ان يكون هو أول من يملي قوانينه في الحرب وان يكون المدافع .

نحن نعرف الآن اين نفتش عن النقطة الثابتة الخارجية عن العمل المتبادل للهجوم والدفاع وان هذه النقطة تكمن في الدفاع .

فاذا كان هذا الاستنتاج صحيحا ، وجب أن يكون لدى المدافع أسباب معينة للعمل ، حتى لا يكون قد كون أية فكرة عما يخططه المهاجم أو عما ينوي عمله . وينبغي ان تقرر هذه الاسباب المعينة ايضا ، ترتيب وسائل قتاله . ومن ناحية أخرى ، ما دام المهاجم لا يعرف شيئا عن خصمه ، فينبغي ان لا يكون

لديه ايضا سبب محدود يملي عليه تدابيره واستخدام وسائل قتاله ، فهو عاجز بالتالي عن عمل اي شيء آخر غير أخذ هذه الوسائل معه ، أي أن يستولى عليها بفضل وسائل جيشه . هكذا تجري الامور في الحقيقة ، لان التزود بوسائل القتال شيء ، واستخدامها شيء آخر ، والمهاجم الذي يأخذها معه ، استنادا الى الفرضية العامة التي تنص على انه سيحتاج اليها ، والذي بدلا من ان يستولي على البلد بوساطة مفوضين وبيانات ، يستولى عليها بجيوش ، ولم يرتكب عملا ايجابيا في الحرب . وان المدافع الذي لا يكتفي بجمع وسائله القتالية ، ولكنه يرتبها للقتال ، كما يفعل عندما يقود الحرب ، هو أول من يقوم بنشاط يدخل في مفهوم الحرب حقا .

ويكون السؤال الثاني عندئذ هو السؤال التالي : من أي نوع يمكن ان تكون الاسباب المعينة التي تنبعث في ذهن المدافع نظريا في بادىء الامر ، قبل ان يتمكن من التفكير بالهجوم نفسه ؟ انه التقدم الذي يقوم به خصمه للاستيلاء على ارضه . وهي فكرة غريبة عن الحرب من الناحية النظرية ، لكنها تتيح أساس القواعد الاولى للعمل العسكري . وعلى الدفاع أن يجابه هذا التقدم الذي ينبغي ادراكه بالنسبة للبلد ، والذي يجعل عوامل الدفاع الاولية والعامة تظهر . وبظهورها ومعرفتها ، يتوجب على الهجوم ان يتقيد بها . وبفحص الوسائل التي يستخدمها الهجوم ، تتولد مبادىء جديدة للدفاع . وهكذا فان لدينا عملا متبادلا ، تستطيع النظرية ، في استقصاءاتها ، المثابرة على اتباعه ، ما دامت تبدو النتائج المكتسبة جديرة بالاخذ بعين الاعتبار .

* * *

## الفصل الثامن

# طرق المقاومة

ان مفهوم الدفاع هو الصد . ويفترض هذا الصد انتظارا أشرنا اليه كصفة الدفاع الرئيسية ، وميزته الرئيسية في الوقت نفسه .

ولكن الحرب الدفاعية لا يمكن أن تكون صمودا سلبيا وصبرا بحتا ، لذلك لا يمكن ان يكون الانتظار ايضا حالة مطلقة ، بل حالة نسبية فقط . ففيما يتعلق بالمكان ، يرتبط الانتظار بعنصر من العناصر هو البلد أو مسرح الحرب أو الموقع . أما فيما يتعلق بالزمان فيرتبط بالحملة أو المعركة . ولكن كل هذه الاشياء ليست حقائق ثابتة ، بل انها مراكز المجالات التي تتطابق وتتشابك بعضها ببعض كما نعرف . وفي الحياة العملية ، ينبغي ان نكتفي في الغالب بتوزيع الاشياء الى مجموعات ، بدون فصلها فصلا جامدا ، وهذه المفاهيم معروفة بصورة كافية في الحياة العملية حتى نستطيع تجميع مفاهيمنا الاخرى حولها .

ويقتصر الدفاع عن بلد من البلدان بالتالي على انتظار الهجوم على هذا البلد . وينتظر الدفاع عن مسرح الحرب الهجوم على هذا المسرح . وينتظر الدفاع عن موقع من المواقع الهجوم على هذا الموقع . الا ان كل عمل ايجابي ، وكل عمل ذي طبيعة عدوانية الى حد ما ، يقوم به الدفاع حينما تنتهي مرحلة الانتظار هذه ، لا يبطل مفهومنا الدفاعي ، لاننا أظهرنا صفته الرئيسية المميزة وهي **الانتظار**

ان مفاهيم الحرب والحملة والمعركة قد ازدوجت، في الزمن بصورة خاصة، بمفاهيم البلـــد ومسرح الحرب والموقع . وهي بهذا الشكل تحتفظ بالصلة نفسها بموضوعنـــا .

فللدفاع اذن جزءان مختلفان هما : الانتظار والعمل . فاذا ما وضـــع الجزء الاول ، بالارتباط بغرض محدد ، واخذ الاولوية على العمل ، جعلنا وحدتهما في مجموع واحد وحدة ممكنة . فعمل من أعمال الدفاع ، لا سيما اذا استمر طويلا ، كحملة أو حرب كاملة ، لا يتكون في الزمان من نصفين : أولهما الانتظار البحت، وثانيهما العمل الخاص ، بل يتكون عمل الحرب من تناوب هاتين الحالتين ، اذ يجري الانتظار كخيط متصل عبر العمل الدفاعي بكاملـــه .

واذا كنا نولي الانتظار كثيرا من الاهمية فلأن طبيعة الموضوع تتطلـــب ذلك . ومما لا شك فيه ، ان النظريات القديمة لم تضع هذه الصورة في المقدمة كمفهوم مستقل . ومع ذلك فقد قامت بدور خيط موجه في الحياة الحقيقية بصورة لا شعورية . فهي جزء اساسي جدا من العمل الحربي بكامله ، ويظهر احدهما مستحيلا بدون الآخر .

لقد قلنا بأن الانتظار والعمل ــ اللذين يمكن اعتبارهما دائما كضربـــة مضادة أو كرد فعل ــ هما جزءان أساسيان من الــدفــاع ، لانه لا دفاع بلا انتظار ، ولا حرب بلا عمل . وقد قادنا هذا الرأي بالضبط الى فكرة أن الدفاع ليس شكلا آخر ، **غير الشكل الاقوى من ادارة الحرب الذي يتيح لنا السيطرة على الخصم سيطرة مضمونة أكثر** . وينبغي ان نتمسك بهذا الرأي بحزم ؛ لانه يحمينا من الخطأ ، ولان الطاقة التي يعطيها لكـل العمل الدفــاعي تكبر وتزيد كلما بدا لنا بدقة ووضوح .

فلا ينبغي اذن تمييز الهجوم المعاكس عن الدفاع الـذي يؤلـف الهجوم المعاكس عنصره الضروري الثاني . ولا ينبغي أن نعتبر العنصر الذي يتضمن طرد العدو من البلاد ومن مسرح الحرب أو من الموقع الدفاعي الجزء الوحيد الضروري من الدفاع ، هذا الجزء الذي لن يتطور الا ضمن الحد الذي يطلب

فيه تحقيق هذه الاهداف . ومن ناحية أخرى ، ينبغي أن لا نعتبر أيضا مكان رد فعل الدفع بعيدا جدا **فبلغ ميدان الهجوم الاستراتيجي الحقيقي ،** شيئا غريبا عن الدفاع وان ليس بينه وبين الدفاع شيء مشترك . ان مثل هذه الافكار قد تكون مخالفة للفكرة التي وضعناها أعلاه ولا نستطيع بالتالي اعتبار هذا التخصيص شيئا أساسيا . وينبغي أن نقبل ضرورة وجود رد الخصم وضربه في عمق الدفاع كله ، والا فقدنا التوازن الضروري للميزان الديناميكي بين الهجوم والدفاع ، مهما كانت الخسارة التي يصاب بها العدو المهاجم أثناء الرد الاول .

ان الدفاع هو الشكل الاقوى من ادارة الحرب ، والذي يتيح لنا السيطرة على الخصم بسهولة أكبر . ونترك للمناسبات مهمة تقرير ما اذا كان على هذا النصر أن يذهب بعيدا الى ما وراء الهدف الذي عينه الدفاع لنفسه أم لا .

ولكن ، ما دام الدفاع لا ينفصل عن فكرة الانتظار ، فان الهدف من هزيمة العدو لا يمكن ان يقوم بصورة شرطية ، اي عندما يقوم الهجوم بعد الانتظار فقط . فان لم يقع هذا الهجوم كان من الطبيعي أن يكتفي الدفاع بما يملكه . هذا هو هدفه المباشر في حالة الانتظار . وعندما يكتفي بهذه النهاية المتواضعة وحدها ، يستطيع أن يستفيد من ميزات الشكل الاقوى من ادارة العمليات .

فلو افترضنا جيشا من الجيوش ، انتظم مسرحه الحربي للدفاع ، فمن الممكن ان يدافع بشكل من الاشكال التالية .

١ ـ بمهاجمة الجيش المعادي منذ اختراقه مسرح الحرب

٢ ـ باتخاذ موقع قريب من الحدود ، بانتظار ظهور العدو مع النية بمهاجمته ، بغية الهجوم عليه عندئذ ، وستكون طريقتنا في هذه الحالة من نموذج يستخدم الكتلة بصورة اكبر ، ويدوم وضع انتظارنا وقتا اطول . ومهما كان **الزمن** الذي نربحه من جراء استخدام الطريقة الثانية قصيرا أو

معدوما بالنسبة للزمن الذي نربحه في الطريقة الاولى مع احتمال هجوم حقيقي للعدو ، فان المعركة التي كانت معركة مؤكدة ، في الحالة الاولى لن تكون أقل تأكيدا الآن . ومن الممكن أن لا يصل تصميم العدو أبدا الى القيام بهجوم ، فتكون ميزة وضع الانتظار عندئذ أكبر .

٣ ـ أما الجيش الذي يتخذ في الدفاع موضعا لا ينتظر معه فقط ان يتهيأ خصمه لخوض المعركة أي أن يظهر على جبهة هذا الموقع ، ولكنه ينتظر أيضا هجوما حقيقيا ، فان عليه خوض معركة دفاعية حقيقية ، قد تشتمل مع ذلك على حركة هجومية لجزء أو عدة أجزاء من الجيش . وهنا يشبه هذا الوضع الوضع السابق ، اذ نربح وقتا كبيرا . الا أن من الممكن وضع تصميم العدو موضع الاختبار الجدي . وهناك أكثر من قائد تخلى عن الهجوم في آخر لحظة ، أو لدى أول محاولة ، بعد ان سار شوطا بعيدا فيه لان موقع الخصم الدفاعي كان قويا جدا .

٤ ـ بنقل مقاومة العدو الى قلب البلاد . ويكون الهدف من هذا التراجع هو انتظار ضعف العدو أو احداث هذا الضعف ، بما يفرض عليه أن يوقف تقدمه بنفسه ، أو يظهر بعض السيطرة على المقاومة التي تجابه تقدمه في النهاية .

وتظهر هذه الحالة بشكلها البسيط الواضح ، اذا استطاع المدافع أن يترك خلفه مراكزه المحصنة التي يضطر الى محاصرتها أو تثبيتها . ومن المسلم به ، أن قواته تضعف ضعفا كبيرا بهذه الطريقة ، وأن المدافع ستتاح فرصة مهاجمتها ، في نقطة من نقاطها بتفوق عددي كبير .

وحتى ، عندما لا يملك المدافع حصونا ، فان التراجع الى داخل البلاد قادر على أن يتيح له تدريجيا التكافؤ أو التفوق الذي يحتاجه والذي كان يفتقر اليه على الحدود ، لان كل تقدم أثناء الهجوم الاستراتيجي يضعف المهاجم بمجرد وجود الهجوم ، وبضرورة توزيع القوات .

وفي هذه الحالة الرابعة ، ينبغي بصورة خاصة اعتبار الزمن الذي ربجناه ميزة هامة . فاذا قام المهاجم بحصار حصوننا ، كان لدينا وقت يمتد الى عدة اسابيع قبل أن تقع بين يديه . وقد يمتد هذا الوقت عدة أشهر ، في بعض الحالات . ولكن ، اذا كان مصدر ضعف الخصم استنزاف قوة هجومه من تقدمه فقط ، ومن واقع اقامته لبعض المواقع في النقاط الضرورية ، أي ، اذا كان مصدر ضعفه بالتالي من طول مسيرته ، أضحى ربحنا للموقف في معظم الحالات أكبر . وعندئذ لا يكون عملنا مرتبطا ارتباطا وثيقا بلحظة معينة من الزمن .

واذا ما وضعنا جانبا التبدل الذي يطرأ على ميزان القوى بين المهاجم والمدافع ، هذا التبدل الذي يسببه طول السير في النهاية ، فينبغي لصالح المدافع ، ان نحسب حساب **الميزة** المتزايدة التي يمثلها انتظار العدو . وحتى اذا لم يضعف المهاجم اثناء تقدمه ضعفا لا يستطيع معه مهاجمة قواتنا الرئيسية في المكان الذي أوقف فيه ، فقد يفتقر عندئذ الى ارادة الاقدام على الهجوم ، فالارادة المطلوبة منه هنا اكبر بكثير من الارادة التي كانت مطلوبة منه عندما كان واقفا على الحدود . وتكون قواته قد ضعفت وازداد الخطر من حوله ، يضاف الى ذلك ان الاستيلاء على بلد من البلدان ، اذا كان القائد يفتقر الى التصميم ، ومتمركزا فيه ، كاف لان يطرد من ذهنه فكرة المعركة ، اما لانه يعتقد حقا ان المعركة لم تعد ضرورية ، أو لانه يدعي الاعتقاد بذلك . ويستطيع المدافع أن يستفيد من هذا التخلي عن الهجوم ، بربح وقت هام أو بالحصول على نجاح سلبي مقبول .

ومن الواضح ، أن للمدافع في الحالات الاربع المذكورة ميزة الارض ، وأن باستطاعته أيضا أن يقيم بفضلها تعاونا بين قلاعه وشعبه . وتزداد قيمة هذه المبادىء الفعالة في الحقيقة مع كل نموذج جديد للدفاع ، وهي التي تسبب أضعاف قوة الخصم ، في النموذج الرابع . ولكن ما دامت ميزات وضع الانتظار تزداد في نفس الاتجاه ، فمن الواجب اعتبار هذه الاشكال مقياسا متزايدا حقيقيا للدفاع . ويزداد هذا الشكل الحربي قوة كلما أبتعد عن

الهجوم . ونحن لا نخاف أن نتهم هنا بالتفكير بأن أكثر الاشكال الدفاعية سلبية هي الاقوى . فلا يمكن ان يضعف عمل المقاومة مع كل شكل جديد للدفاع ، ولكن من الممكن تأخيره وتأجيله فقط . أنما من الصواب أن نفكر أن دفاعا أقوى، يمكن ان يتحقق على موقع أقوى ومحصن تحصينا ملائما، اذا استنزف هذا الموقع نصف القوة المعادية وهي تقاومه ، وتكون الضربة المعاكسة التالية عندئذ أكثر فاعلية .

ونؤكد اذن ان ارجحية المدافع تزيد في كل مرحلة جديدة من مراحل الدفاع أو بالاحرى ، كي يكون كلامنا دقيقا وصحيحا ، يزيد الوزن ــ المعاكس الذي يحصل عليه المدافع ، وتزيد بالتالي قوة الضربة المعاكسة التي يوجهها .

ولكن ، هل من الممكن الحصول على ميزات القوة المتزايدة للدفاع بدون أي مقابل ؟ كلا بلا شك . فالتضحيات التي تجعل هذه الميزات ممكنة. تزيد حسب النسبة نفسها .

واذا كنا ننتظر الخصم على مسرحنا الحربي الخاص ، كي يحدث العمل الحاسم على مقربة من الحدود، فان القوة المعادية ستجتاح مسرحنا ، وعليها أن تقبل من جهتها ببعض التضحيات ، على حين لو قمنا نحن بالهجوم ، فان هذه السيئة تسقط مرة أخرى على رأس الخصم . واذا لم نسر بدون تأخير نحو الخصم لمهاجمته ، فان الخسائر ترتفع بعض الشيء فتزداد سعة الارض التي يحتلها ، والزمن اللازم له لبلوغ مواقعنا . واذا أردنا خوض معركة دفاعية ، وتركنا للخصم بالتالي تحديدها وتوقيتها ، فقد يتأخر بعض الوقت لاحتلال الجزء من الارض الذي سيطرعليه ، فيعوض علينا عندئذ الزمن الذي أتاحه لنا عدم تصميمه ، وستصبح تضحياتنا أكبر اذا قمنا بالتراجع الى داخل البلاد .

الا ان كل هذه التضحيات التي يقبلها المدافع ، لا تحدث لديه بصورة عامة الا تدنيا في قوته ، يكون أثره على قواته العسكرية أثرا غير مباشر وبالتالي أثرا متأخرا وغير فوري . ويكون هذا التدني غير مباشر الى حد لا تدرك آثاره بسهولة . ويحاول المدافع اذن تعزيز قوته في اللحظة الراهنة على حساب المستقبل .

ولو أردنا الآن فحص نتيجة هذه الاشكال المختلفة التي تتخذها المقاومة، كان علينا أن نبدأ بتقدير هدف الهجوم . فهو يستهدف الاستيلاء على مسرحنا الحربي أو يستهدف على الاقل احتلال جزء هام منه ، اذ ينبغي ان نفهم كتلته الكبرى ، كحد أدنى على الاقل ، في اطار مفهومه الاجمالي . فامتلاك بضعة أميال من الأرض، لا يتمتع بأهمية مستقلة في الاستراتيجية كقاعدة عامة . وبناء على ذلك وما دام المهاجم لم يستول على مسرح الحرب ، أو على جزء منه أي أنه طالما لم يقم بالانقضاض على مسرحنا الحربي خوفا من قوتنا ، أو لانه لم يأت للبحث عنا في موقعنا ، أو أنه رفض الاشتباك الذي عرضناه عليه — فقد تحقق هدف الدفاع وكانت تدابيره المتخذة فعالة . حقا ، ان هذا النجاح سلبي بحت ولا يستطيع أن يزودنا بالقوى التي تسمح بضربة — مضادة حقيقية وبصورة مباشرة . ومع ذلك ، يستطيع النجاح أتاحتها بصورة غير مباشرة أي انه يتجه لها ، لان الزمن الذي ينقضي زمن **ضائع بالنسبة للمهاجم**، وكل ضياع في الوقت سيئة تضعف بشكل ما الطرف الذي يتعرض لها .

وبناء على ذلك فان عدم التوصل الى نتيجة حاسمة في النماذج الثلاثة للدفاع ( اذا حدث الدفاع على الحدود ) **هو بحد ذاته نجاح للدفاع** .

ويختلف الوضع ، في النموذج الرابع . ( نقل مقاومة العدو الى قلب البلاد ) .

اننا نملك في هذه الحالة بلا شك وقتا أطول . ونستطيع انتظار اللحظة التي يكون فيها الخصم في أضعف نقطة ولكن مع افتراضنا دوما أن علينا في النهاية أن ننتقل الى العمل . وقد يستولي العدو بلا شك على جزء من الارض التي كانت هدف هجومه ، لكن هذا الجزء قد سلم اليه فقط . فالتوتر ما يزال قائما ، والعمل الحاسم ما يزال معلقا . فما دام المدافع يزداد قوة يوما بعد يوم والمهاجم يضعف ، فان عدم القيام بالعمل الحاسم ملائم للاول . ومع ذلك، فمنذ الوصول الى « نقطة الذروة » — والوصول اليها أمر لا يمكن تجنبه — حيال الخسائر العامة التي يتكبدها المهاجم، على المدافع أن يأخذ المبادأة، وأن يقدم على العمل الحاسم، لان ميزة انتظار العدو تعتبر عندئذ ميزة قد استنفدت كل أغراضها.

ولا يمكن بدون شك تحديد هذه اللحظة بأية قاعدة عامة . ولكن من الممكن تحديدها بمجموعة من الظروف والعلاقات المختلفة .

والآن ، ما هو العمل الحاسم بصورة عامة ؟

لقد فهمنا هذا العمل الحاسم خلال كل تأملاتنا بشكل معركة من المعارك، الا أن ذلك ليس ضروريا دونما شك . فمن الممكن فهمه كعدد معين من تركيبات الاشتباكات لقطعات منعزلة تقود الى تحول المشكلة برمتها ، أما باتاحة الفرصة لعملية دموية حقة ، واما بجعل انسحاب العدو أمرا ضروريا ، من جراء الآثار التي قد تنجم عن هذه العملية .

ولا يمكن ان يكون هناك عمل حاسم أخر على مسرح الحرب نفسه . فهو هنا نتيجة ضرورية لمفهوم الحرب الذي عرضناه ، حتى ان الجيش المعادي ، عندما يقاتل في أثناء تراجعه بسبب نقص التموين ، يكون تراجعه بسبب الاكراه الذي فرضناه بسيفنا عليه . فلو غابت قواتنا غيابا كاملا لوجد العدو ، بلاشك، وسيلة من الوسائل الاخرى للتموين .

بناء على ذلك ، حتى عندما يكون العدو في نهاية اندفاعه الهجومي ، وعندما يصبح ضحية صعوبات هجومية ، وعندما تضعفه مفارزنا الدفاعية والمجاعة والمرض وتستنزفه ، فليس هناك الا الخوف من سيفنا الذي يستطيع اجباره على الانسحاب والتخلي عن الهجوم . ومع ذلك ، هناك بالتأكيد فرق كبير بين مثل هذا العمل الحاسم ، والعمل الذي نستطيع فرضه على العدو .

ففي الحالة الاخيرة ، تجابه أسلحتنا أسلحة خصمنا فقط ، وهي التي تحبط محاولاته ، وتعمل على تدميره . ولكن في الحالة الاولى ، وفي نهاية الاندفاع الهجومي ، تكون القوى المعادية نصف مدمرة بجهودها الخاصة . وهذا ما يعطي لاسلحتنا وزنا آخر ، وليست هي عندئذ السبب الوحيد في النتيجة الحاسمة وان كانت السبب الاخير . ان تدمير القوات المعادية أثناء تقدمها يهيىء النتيجة الحاسمة ، ويستطيع أن يسهم فيها حتى أن احتمال هجومنا المعاكس وحده يسبب تراجع العدو وانقلاب الوضع . وفي هذه الحالة،

لا يمكن أن نعزو النتيجة الحاسمة عمليا الا للجهود المبذولة في أثنـاء الهجوم . والواقع اننا لن نجد حالة من الحالات لم يقم فيها سيف المدافع بدوره . ولكن ، من وجهة نظر عملية ، من المهم أن نميزأيا من المبدأين ساد الآخر وتفوق عليه .

وفي هذا المعنى ، نعتقد ان من الممكن القول أن في الدفاع شكلين منأشكال العمل الحاسم ، وبالتالي نوعين من رد الفعل ، تبعا لما اذا كان المهاجم سيستنزف بسيف المدافع ، أو بجهوده الخاصة .

ومن المسلم به أن النوع الاول من العمل الحاسم يسود في الاشكال الثلاثة الاولى للدفـاع . ويسود النوع الثاني في الشـكل الرابع . ويحدث النـوع الثاني وحده في معظم الحالات ، اذا كان الانسحاب الى داخلالبلد عميقا ، وهذا هو الدافع الوحيد المقبول لمثل هذا الانسحاب ، اذا نظرنا الى التضحيات الكبرى التي يفرضهـــا .

ان كل الحملات المعروفة بالتمهل والمماطلة ( المزعومة ) ، كحملات فابيوس المشهورة ، قد أعتمدت على تدمير قواتالخصم بجهوده الخاصة . وهناكبصورة عامة عدد من الحملات كانت فيها هذه الادارة الاستراتيجيـة العنصر الرئيسي قبل أن تصاغ وتوضع بوضوح . . ويكفي أن نغضالنظر عن الاسبابالتييسوقها المؤرخون ، ونركز انتباهنا بصورة ملائمة على الاحداث نفسها ، حتى نتوصل الى السبب الحقيقي لكثير من النتائج الحاسمة .

ونعتقد أننا فسرنا بهذا الشكل الافكار الاساسية للدفاع وأشكاله بصورة كافية ، ولكن هناك نقاط خاصة سنأتي على ذكرها في فصول خاصة ، الا اننا لن نعتبر أية نقطة من هذه النقاط خارجة عن أسلوب التفكير الـذي وضعناه في ما سبق ، لانها تطبيقات مفصلة بصورة أكثر لهذا الاسلوب على أمكنة وظروف خاصـه .

الا أن الاشتبكات قد تمتزج بكثير من الطرق ، لا سيما عندما لا تتيح مجالا لاهراق الدم ، بل تعمل بامكاناتها وحدها . وهكذا تتخذ المقاومة بالسيفمظهرا

معدلا ، وطابعا مختلفا جدا ، قد يجعلنا ميالين الى التفكير بأن من الممكن اكتشاف مبدأ آخر من مبادىء الفاعلية . ونستطيع أن نفكر أيضا أن بين الهزيمة الدامية خلال معركة بسيطة ، وآثار تركيب استراتيجي دقيق لا يترك الامور أبدا تصل الى هذه المرحلة ، اختلافا يتطلب بالضرورة افتراض وجود قوة جديدة معينة .

فاذا وجد المهاجم خصمه المدافع في موقع قوي اعتقد انه لا يستطيع عبوره ، أو أنه خشي من عدم قدرته على تأمين تموينه أثناء تقدمه اللاحق ، فان سيف المدافع هو الذي يحدث هذه النتائج دوما ، لان الخوف من سيطرة هذا السيف في اشتباكات ضخمة ، أو في بعض النقاط الهامة ، هو الذي يقود عمل المهاجم الى النقطة الميتة ، ولكنه لا يقبل ذلك بأية حال من الاحوال ، أو انه بالاحرى لايعترف بذلك بكل صراحة .

فاذا قبلنا عندئذ ، حتى في حالة عمل حاسم دموي ، أن الاشتباكات التي لم تقع حقيقة ، وانما عرضت فقط ، هي التي فرضت النتيجة الحاسمة في نهاية المطاف ، علينا أن نعتبر أيضا أن التركيب الاستراتيجي لهذه الاشتباكات ، هو في هذه الحالة أكثر العوامل فاعلية ، لا النتيجة الحاسمة . ولو رجعنا الى وسائل الدفاع من غير وسيلة السيف ، لوجدنا أنه لا يمكن أن تكون هذه الوسيلة سوى التفوق الاستراتيجي . وقد قبلنا ذلك فتوصلنا بهذا الشكل الى ما كنا نريد الوصول اليه . ونقول : اذا كان ينبغي ان تكون النتيجة التكتيكية لهذه الاشتباكات أساس كل التركيبات الاستراتيجية ، فمن الممكن دوما ، ومن المتوقع أن يندفع المهاجم الى هذا الاساس ويوجه كل جهوده قبل كل شيء نحو ربح هذه النتائج التكتيكية ، وذلك ليحبط التركيب الاستراتيجي . ولا ينبغي أن يعتبر اذن مثل هذا التركيب كشيء مستقل ، بل شيئا لا يتخذ كل قيمة الا اذا كنا متأكدين من النتائج التكتيكية في هذا المكان أو ذاك .

فاذا وجدنا في كل التاريخ العسكري حملات متعددة قطع المهاجم فيها الهجوم بدون أن يراق الدم في القتال ، وأحدث التركيب الاستراتيجي بالتالي هذا الاثر ، فقد نميل الى التفكير بأن هذه التركيبات تملك على الاقل قوة كبرى في حد ذاتها، وأنه، حيثما يفترض تفوق حاسم جدا للمهاجم في النتائج التكتيكية،

تستطيع التركيبات الاستراتيجية أن تقرر وحدها مصير المشكلة في معظم الحالات.
ونحن نرد على هذا بقولنا : اذا كان الموضوع متعلقا بأمور لها أصلها في مسرح الحرب ، وتنتمي بالتالي الى الحرب نفسها، فان هذه الفكرة خاطئة، وأن أسباب عدم فاعلية معظم الهجمات تكمن في الشروط العليا للحرب، وهي شروط سياسية.

فالشروط العامة التي تنبعث منها الحرب ، وتشكل بطبيعتها أساس الحرب، تحدد أيضا طابعها، وسنتكلم مرة أخرى عن هذه النقطة عندما سنناقش خطة الحرب . فقد جعلت هذه الشروط من معظم الحروب معضلات هينة ، كان على النزاع المسلح الحقيقي فيها أن يخترق كتلة من العلاقات المتضاربة التي لايشكل هذا النزاع من بينها سوى العنصر الاضعف . وكان على هذا الاثر أن يبرز بأقصى قوة من جهة الهجوم، **أي من جهة العمل الايجابي** . فلا داعي للدهشة اذا عرفنا أن من الممكن جلب مثل هذا الهجوم الانفعالي اللاهث الى النقطة الميتة باشارة أصبع واحدة . وغالبا ما يكون ظل مقاومة كافيا لمواجهة تصميم ضعيف لا يكاد يكون حقيقيا بعد أن شلته آلاف الاعتبارات .

ان عدد المواقع التي لا يمكن مهاجمتها ، والتي نصطدم بها في كل مكان ، والمظهر الرائع للكتل الجبلية القائمة التي تشرف على مسرح الحرب ، والنهر الواسع الذي يشقه ، والسهولة التي تسمح بها بعض التركيبات الاشتباكية لشل الذراع التي يتهيأ لتوجيه الضربة ضدنا، ان كل هذا لا يؤتي النجاح المتكرر الذي يحرزه المدافع بدون اهراق قطرة دم ، فالسبب يكمن في ضعف ارادة المهاجم وتردده .

وينبغي أن نضع في حسابنا هذه التأثيرات التي تعمل بصورة مضادة ، الا أنه لا ينبغي الاعتراف بها الا كما هي ، وان لا نعزو آثارها لاسباب أخرى ، أي أن نعزو آثارها للاشياء الوحيدة التي نتحدث عنها .

واذا ما قدم لنا التاريخ حروبا تم فيها انتصار المدافع بفضل هذه التأثيرات كان علينا أن لا نوغل في التصورات الخاطئة التي تخفي السبب الحقيقي

الاسباب الظاهرية وهذ السبب **هو الخوف من سيف الخصم** . ويكمن أكبر جزء من المقاومة التي هي سبب ضعف الطاقة الاولية ، وبالتالي طاقة الهجوم بصورة خاصة ، في العلاقات والنوايا السياسية للدولة ، وتبقى هذه العلاقات والنوايا مكتومة عن العالم بصورة عامة وعن شعب الدولة نفسها،وعن الجيش، كما تبقى مكتومة أحيانا عن القائد العام نفسه . ولن يقبل أحد أن ينم عن رياثه باعترافه بأنه يخشى من عجزه،عن بلوغ الهدف المطلوب بالقوة الموجودة تحت تصرفه،أو أنه يخشى أن يستقطب أعداء جددا ، أو أنه غير راغب في تقوية حلفائه كثيرا الخ . . فهم يكتمون هذه الاشياء اطول وقت ممكن . الا انه ينبغي تقديم الاحداث للعالم بشكل متماسك ، حتى يضطر القائد العام بارادته ، أو بارادة الحكومة الى أن يختلق مجموعة من الاسباب الوهمية .

يبقى لنا أيضا تقدير مسألة استخدام أشكال الدفاع المختلفة هذه .

ويتعلق الموضوع عندئذ بكل درجات الدفاع التي بلغناها ، مع ازدياد درجة التضحيات بلا انقطاع ، وهذا كاف لتحديد اختيار القائد من بينها، اذا لم تتدخل شروط أخرى . وعلى القائد أن ينتقي الشكل الذي يبدو له كافيا لاعطاء قواته الدرجة المطلوبة من طاقة المقاومة،ولكن ينبغي عليه أن يرفض الانسحاب الى مدى أبعد بغية تجنب تضحيات لا جدوى منها . ويجب أن لا نبالغ في قيمة هذا الاختيار بين مختلف هذه الاشكال ، لانه في الحقيقة انتقاء محدود جدا ، ولان النقاط الأساسية الاخرى الواجب تقديرها في الدفاع تلزمه بأن يتبنى شكلا من هذه الاشكال . فلكي يستطيع الانسحاب الى داخل البلاد ، لا بد من أن يكون مسرح الحرب واسعا جدا ، أو أن يتمتع بتضاريس صعبة ، أو أن يكون المدافع معتمدا على حليف قوي يستنزف المهاجم . ويستطيع موقع محصن اذا كان قريبا جدا من الحدود في داخل البلاد ، أن يقوم بدور حاسم لصالح هذه الخطة أو ضدها . ولكن طبيعة الارض وطابع السكان وعاداتهم ومشاعرهم أكثر حسما أيضا . ويمكن حسم الاختيار بين معركة هجومية أو دفاعية بخطة العدو ، أو بالصفات الخاصة بكلا الجيشين وقادتهما . وأخيرا يمكن تبني الشكل الهجومي أو الدفاعي بامتلاك موقع أو خط دفاعي يتمتع بميزة استثنائية ، أو حتى عندما ينعدم مثل هذا الموقع .

* * *

## الفصل التاسع

# المعركة الدفاعية

يستطيع المدافع الاستعانة في ادارة العمليات ، بمعركة تكتيكية هجومية خالصة اذا سار ضد خصمه وهاجمه ، بينما يجتاح هذا الخصم مسرح حربه . وبوسعه أيضا انتظار ظهور العدو على جبهته ، لينتقل الى الهجوم بعد ذلك ، وفي هذه الحالة ، تصبح المعركة أيضا من الناحية التكتيكية معركة هجومية ، وأخيرا ، بامكان المدافع أيضا انتظار الهجوم المعادي على موقعه الدفاعي ، وأن يقاوم هذا الهجوم بدفاع محلي ، وبعمل هجومي يقوم به جزء من قواته . ومن الممكن أن ندرك هنا ، مختلف الدرجات المراحل ، التي تزداد بعدا عن مبدأ الضربة المضادة ، ليعود مبدؤها الى مبدأ الدفاع المحلي . وعلينا ألا نتورط هنا بالقول الى أي مدى يمكن أن يحدث ذلك ، وما هو أفضل ميزان ملائم لعنصري الدفاع والهجوم ، ( في المعركة الدفاعية ) للحصول على انتصار حاسم . ونؤكد هنا اننا اذا كنا نريد الحصول على مثل هذا النصر فان علينا أن لا نفتقر أبدا الى الجزء الهجومي من المعركة ، كما اننا مقتنعون بأن الجزء الهجومي من الدفاع ، هو سبب النصر الحاسم كما في معركة هجومية تكتيكية خالصة .

وكما أن ساحة المعركة ليست سوى عنصر من عناصر الاستراتيجية ، فمدة معركة ما، ليست، استراتيجيا، سوى جزءا من الوقت. والنهاية والنتيجة هما اللتان تؤلفان كمية استراتيجية ، لا مجرى المعركة .

ولكن اذا صح أن النصر الكامل يتأتى حقا عن العناصر الهجومية الموجودة في كل معركة دفاعية ، فلن يكون هناك أي فرق أساسي بين معركة هجومية

ومعركة دفاعية في ما يتعلق بالتركيبات الاستراتيجيـة . ونحـن مقتنعون في الحقيقة بأن الامور تجري على هذا الشكل ، ولكن مما لا شك فيـه أن المظـاهر متباينة . فلكي ندرس هذه المسألة عن قرب ولنوضح رأينا ، ولنبعد بالتالي هذا المظهر ، سنقوم بوضع لوحة مختصرة لمعركة دفاعية كما نفهمها .

ينتظر المدافع الهجوم على موقعه . وفي سبيل تحقيق هذا الهدف يكون قد انتقى أرضا ملائمة وأجرى فيها بعض التحسينات، أي أنه اعتادعلى مكان الدفاع وألفه ، وبني الخنادق المتينة في بعض النقاط الهامة منه، وشق طريق المواصلات وعلمها ، وركز بطاريات المدفعية ، وحصن القرى ، وانتقى المواضع الملائمـة ليضع فيها كتله المسلحة تحت المساتر الخ .. وبينما تستنزف القوات المتصارعة بعضها بعضا في النقاط التي تجري فيها تماسا حقيقيا فان جبهة قوية – الى حد ما – يصعب التقرب منها نظرا لوجود خندق أو عدة خنادق متوازية وحواجز أخرى ، أو لوجود بعض النقاط الحاكمة الاخرى ، تسمح بتدمير أكبر عدد من الاعداء بجزء صغير من قواتها ، في مختلف مراحل الدفاع ، حتى مرحلة الدفاع عن قلب الموقع الدفاعي نفسه . وتحميه نقاط الاستناد التي اقامها على أجنحته ضد هجوم مفاجيء ينبعث من عدة اتجاهات . والارض المستورة التي انتقاهـا لموقعه الدفاعي تحمل الخصم على العمل بتعقل وخوف، وتتيح للدفاع وسائل تقليل الحركة العامة للانسحاب بهجمات جزئية ومركزية . وتبدأ هذه الحركة منذ أن يتركز الاشتباك تدريجيا في حدود ضعيفة جدا . ويرضي المدافع عندئذ عن سير المعركة التي تجري بعنف معتدل على جبهته . ولكنه لا يأمل أن تكون قوته على هذه الجبهة قادرة على أن تجعله لا يتخلى أبدا ولا يذعن – فهـو لايؤمن بأن أجنحته في مواقع لا تقهر – كما انه يأمل أن يتبدل سير المعركـة العام بانقضاض ناجح تقوم به بعض الكتائب أو بعض السرايا . ان موقعه الدفاعي منسق بالعمق، لان لكل جزء من التسلسل المتدرج للترتيب الحربي ، من الفرقة الى الكتيبـة احتياطا لمجابهة الاحداث غير المتوقعة ، ولمعاودة الاشتباك . ويحتفظ المدافـع أيضا بكتلة هامة تتراوح بين ربع مجموع قواته وثلثها يضعها في الخلف بعيدة عن المعركة بعدا كافيا كي لا تتعرض للخسائر بسبب نيران العدو ، وبعيدة بعدا كافيا

اذا امكن كي لا تكون معرضة لتطويق يعمد اليه العدو في محاوله التفاف على أحد الاجنحة. ويغطي بهذا الاحتياط أجنحته بحركات التفاف أوسع وأعمق، ويحمي نفسه ضد كل مفاجأة . وفي الثلث الاخير من المعركة ، عندما تكون خطة المهاجم قد وصلت الى اقصى مرحلة من مراحل تطورها . واستنزف المهاجم معظم قطعاته ، يلقي المدافع بهذه الكتلة ( الاحتياطية على جزء من جيش العدو ، ويطلق ضده هجومه الخاص الاصغر، مستفيدا من كل مواردالهجوم، كالانقضاض والمفاجآت وحركات الالتفاف . وبفضل هذا الضغط الذي يمارسه على مركز ثقل المعركة الذي ما زال متذبذبا ، يضطر العدو الى القيام بانسحاب عام .

هذا هو مفهومنا الطبيعي عن معركة دفاعية تقوم على التكتيك الحالي . وفي هذه المعركة ، يمكن الرد على حركة الالتفاف العامة، التي يتوخى العدو بواسطتها اتاحة أفضل فرصة لهجومه ، بتحويل نجاحه الى نجاح كامل . ويتمثل الرد بحركة التفاف خاصة يقوم بها المدافع ضد جزء من القوات المهاجمة . ومن الممكن اعتبار حركة التفاف المدافع حركة كافية لتدمير أثر المحاولة المعادية . إلا انها لا تستطيع أن تولد التفافا عاما مماثلا على الجيش المهاجم . بناء على ذلك ، يكون الفرق بين الاشكال التي يتخذها النصر كالتالي : يطوق الهجوم جيش العدو ويتجه العمل نحو مركزه على حين يتجه العمل في معركة دفاعية من المركز الى محيط الدائرة ، في اتجاه انصاف أقطارها .

وعلى ساحة المعركة نفسها ، وفي المرحلة الاولى من المطاردة ينبغي أن يعتبر الشكل الالتفافي أكثر الأشكال فاعلية ، وهو لا يعتبر كذلك بسبب شكله فحسب، ولكن عندما يستمر الالتفاف الى نهايته ، وينجح أثناء المعركة نفسها في تحديد امكانات تراجع العدو مبدئيا . وتوجه عادة الضربة المضادة الايجابية التي يقوم بها المدافع ، الى نقطة الالتفاف القصوى . فاذا لم يكف مثل هذا الجهد للحصول على النصر ، فانه يكفي على الاقل لحماية المدافع من مثل هذه النهاية القصوى المذكورة . ولكن علينا أن نقتنع دوما بأن مثل هذا الخطر الذي يتمثل في أن يرى المدافع خط تراجعه قد ضعف كثيرا ، هو خطر كبير ، لا سيما في

المعارك الدفاعية . واذا لم نستطع تجنب مثل هذا الخطر ، فقد ينقلب النجاح في المعركة نفسها وفي المطاردة الى صالح العدو .

وبصورة عامة ، لا يكون هناك خطر في احتمال تحول النجاح الى صالح الخصم الا في أثناء المرحلة الاولى من المطاردة ، أي حتى هبوط الليل . ففي اليوم التالي يكون الالتفاف قد حقق نهايته ، ويجد الطرفان أنهما في حالة تعادل تام من وجهة النظر الخاصة هذه .

ومما لا شك فيه ، أن المدافع قد يفقد طريق انسحابه الرئيسي ، فيرى نفسه عندئذ في وضع سيء من الناحية الاستراتيجية ، الا أن الحركة الالتفافية تكون قد نهكت قواها لانها قد أعدت حسب ساحة المعركة . وبالتالي لم يكن باستطاعتها أن تتجاوزها كثيرا . ولكن من ناحية أخرى ، ماذا يحدث لو أن **المدافع** هو الطرف الذي انتصر ؟ أنه انقسام القوة المهزومة انقساما يسهل الانسحاب في بادىء الامر ، الا أنه منذ **اليوم التالي ، يحدث حشد لكل الاجزاء**، ويكون لهذا الحشد ضرورة كبرى . ولكن عندما يكون النصر حاسما ، ويتابعه المدافع بعزيمة ونشاط فان مثل هذا الحشد يصبح في غالب الاحيان مستحيلا ، وتتعرض القوات المهزومة الى أسوأ النتائج التي تتصاعد تدريجيا لتسبب تشتيتا شاملا .

واذا كان المهاجم يملك وسيلة تصعيد انتصاره بفضل تلاقي الخطوط ، التي هي بطبيعتها أسهل واقرب اليه ، فان المدافع يحصل أيضا ، بفضل الخطوط المتشعبة المتباعدة الطبيعية بالنسبة اليه ، على وسيلة لاعطاء انتصاره آثار اكبر مما يتوقعه ، في موقع دفاعي بسيط ومتواز ، وبهجوم جبهوي . ونحن نعتبر أن الوسيلتين متساويتان .

واذا كان من النادر أن نرى في التاريخ العسكري معركة دفاعية تحقق انتصارات تعادل في كبرها انتصارات معركة هجومية ، فذلك لا يبرهن على شيء ضد رأينا في أن كلا منهما تسبب النصر كالاخرى . ويكمن الفرق الحقيقي في

وضع المدافع المختلف بصورة كبيرة عن وضع المهاجم. فالمدافع هو أضعف الطرفين بصورة عامة . ولا يعود ضعفه لقلة قواته فحسب ، بل يعود الى ضعفه أيضا من كل النواحي الاخرى. فهو لا يتمتع بوضع يتيح له متابعة انتصاره بنتائج كبرى ، أو أنه لا يعتقد بامكان القيام بمثل هـــذا العمل وبقدرته عليـــه ، فيكتفي بكـــل بساطة بابعاد الخطر وانقاذ شرف جيشه . ونحن لا ننكر أبدا أن من الممكن أن يبقى المدافع في هذا المستوى لقلة قواته ، وبسبب ظروف أخرى . ولكن هناك من يستنتج من ذلك أن على المعارك الدفاعية أن تقتصر على صد الهجمات ، فلا تسعى الى تدمير العدو . وهذا خطأ كبير لان الانتصار لا يحـــدث في **النتيجـــة الشاملة** للاشتباكات التي تشكل حملة من الحملات فحسب ، بل يمكن أن يحدث في كل معركة **خاصة** ، اذا وجد الدفاع فيها الحد الضروري من القوة والطاقة .



# الفصل العاشر

# مفتاح البلاد

مفتاح البلاد تعبير قديم ، واستعارة عسكرية قديمة بلغت من الغموض والالتباس ما جعلها تستخدم في الاشارة ، تارة الى أكثر الامكنة تعرضا للاخطار، وتارة أخرى الى أصلب واقوى موقع في البلاد .

فاذا كانت هناك منطقة من المناطق ، **لا يمكن ارتكاب حماقة دخول البلاد بدون تأمين السيطرة عليها واحتلالها**، فان بوسعنا ان نسمي بحق هذه المنطقة مفتاح البلاد . ومع ذلك ، اعتبر اصحاب النظريات أن هذا المفهوم البسيط والذي لا يجدي كثيرا ، مفهوم غير كاف . فوسعوه وأدخلوا عليه فكرة **النقاط التي تقرر احتلال مجموع البلاد** .

وهناك فكرة صائبة تقول : لا يمكن احتلال بلد ما حتى تتم السيطرة على الموقع - المفتاح لهذا البلد - وتفقد هذه الفكرة صحتها اذا قلنا بأن السيطرة على الموقع المفتاح تعني ما يؤدي الى احتلال البلد .

ولنضع الآن جانبا **مفهومنا** عن الموقع - المفتاح . ومن الطبيعي أن يوجد في كل البلاد مواقع ذات أهمية **حيوية**، تلتقي وتصب فيها طرق متعددة . وبوسعنا أن نحتفظ فيها بسهولة وسائل تموينا كما نستطيع أن نتجه منها الى هذه النقطة أو تلك . والخلاصة انها مواقع يلبى امتلاكها والسيطرة عليها كثيرا من المطالب، ويؤمن ميزات متعددة .

وقد أخطأ بعضهم في اعتباره ان النقاط المرتفعة التي تنحدر منها عدة طرق نحو البلد الذي يريدون حصاره هي المواقع ـ المفاتيح للبلد ذاته ، ونقاط تشرف عليه . وقد اختلط هذا المفهوم بصورة طبيعية **بالدفاع المنهجي** للجبال وهو قريب منه ، وهذا ما أدى الى زيادة حدة الجانب الخيالي في المعضلة ، لانه وضعنا أمام مجموعة من العناصر التكتيكية التي تتدخل في الدفاع الجبلي . ولم يتأخروا أبدا عن التخلي عن مفهوم **أعلى نقطة لطريق من الطرق** ، حتى أعلى نقطة في كل الكتلة الجبلية ، أي خط **تقسيم المياه** ، واعتبروها مفتاح البلد .

اذن فالسعي وراء موقع ـ مفتاح لبلد من البلدان ، في منطقة ـ مفتاح مزعومة ، أي في المكان الذي تنطلق منه مختلف أذرع الجبل ، وحيث توجد أعلى الينابيع، عبارة عن فكرة خاطئة. ولو عدنا الى التاريخ العسكري واستشرناه لرأينا كم كان تأثير الاشكال الجيولوجية ضعيفا على طريقة استخدام هذه الارض من الوجهة العسكرية ، وكيف تتحكم الشروط المحلية والمطالب الاخرى بهذا الاستخدام ، بشكل تكون فيه الخطوط قريبة جدا من هذه النقطة الجيولوجية ، بدون أن تنطبق عليها .

نقول اذن : اذا كان تعبير موقع ـ مفتاح يلائم مفهوما خاصا في المجال الاستراتيجي ، فلا يمكن أن ينطبق هذا المفهوم الا على قطاع يغدو عدم الاستيلاء عليه عملا طائشا اذا كنا ننوي اختراق بلد ما يقع فيه هذا القطاع . حقا ، ان الموقع ـ المفتاح بالمعنى الذي نفهمه لا يوجد دائما . وأفضل مفتاح للبلد موجود بين يدي الجيش المعادي . ولكي يتحكم مفهوم القوة المعادية ينبغي أن تكون الظروف ملائمة بصورة استثنائية . وتتميز هذه الظروف في رأينا بأثرين أساسيين : أولا ، يحصل الجيش المتمركز فوق أرض ما بفضل المعونة التي تقدمها هذه الارض على قوة مقاومة تكتيكية هائلة ، ثانيا ، ينبغي للموقع ان يهدد خطوط مواصلات العدو تهديدا جديا قبل أن يتمكن العدو من تهديد خطوط مواصلاتنا .

* * *

## الفصل الحادي عشر

# التراجع إلى داخل البلاد

لقد اعتبرنا التراجع الارادي الى داخل البلاد شكلا خاصا من اشكال الدفاع غير المباشر ، نجتذب فيه الخصم متوقعين انهياره تحت وطأة الانهاك ؛ لا بقوة السلاح .

وفي هذه الحالة ، لا نفكر بمعركة رئيسية نخوضها لقهره ، أو لا نفكرفيها، على الاقل ، قبل مرور وقت طويل تضعف قواته خلاله الى حد كبير .

وتصاب القوات العسكرية للمهاجم الذي يتقدم بالضعف بسبب التقدم ذاته . ويزداد ضعف القوات المتقدمة عندما لا يكون الخصم قد غلب على أمره وقهر ، وعندما ينسحب بارادته بمجموع قواته السليمة ، وعندما يقاوم مقاومة مستمرة وثابتة ومحسوبة ، ولا يتنازل عن أي شبر من الارض الا بالدم ، حتى يغدو تقدم المهاجم أشبه باختراق مستمر منه بمطاردة عادية .

ومن ناحية أخرى يتعرض المدافع ، المضطر الى التراجع ، بعد معركة خاسرة الى خسائر اكبر بكثير من المدافع الذي يقاتل قتالا تراجعيا باختياره وارادته ، لانه حتى لو كانت المقاومة اليومية التي ما زال قادرا على القيام بها امام خصمه الذي يطارده ، مساوية لمقاومته في حالة التراجع الارادي ، فانه

يتعرض **على الاقل** للنسبة ذاتها من الخسائر ، يضاف اليها خسائر المعركة ذاتها ، وهو احتمال يتعارض تعارضا تاما ومطالب عملية التراجع . فعندما يضطر جيش من الجيوش ، حتى ولو كان من أفضل الجيوش في العالم ، الى الانسحاب الى قلب البلاد بعد معركة خاسرة ، فأنه يتعرض بتأثير الانسحاب الى خسائر لا تتناسب أبدا مع عمله التراجعي .

وعندما يتمتع الخصم بتفوق هائل كما في الحالة التي تهمنا ، وتغدو مطاردته شديدة الوطأة ، كما كانت في كل الحروب الحديثة ، فاننا نتعرض الى هزيمة حقيقية تؤدي بصورة عامة ، الى انهيار الجيش انهيارا تاما أو الى نتيجة توازيه .

ان المقاومة اليومية ، **المحسوبة بصورة جيدة** ، أي المقاومة التي لا تستمر الا طيلة الوقت الضروري للمحافظة على قتال متكافىء في كل مرة ، والتي نتجنب فيها الهزيمة بتنازلنا ، في اللحظة الملائمة ، عن الارض المتنازع عليها ، ان مثل هذه المقاومة تكلف المدافع والمهاجم على حد سواء كثيرا من التضحيات بالرجال. فاذا كان المدافع يخسر من تراجعه عددا لا بأس به من الاسرى ، فان المهاجم يدفع مقابل ذلك عددا من القتلى ثمنا لهجومه ، لان محاسن الارض وميزاتها تعمل ضده .

والاستنزاف متبادل بين الجيشين ، في احتكاكات متبادلة أيضا تبلغ النسبة نفسها من القوة والعنف .

وتسير الامور بتباين تام عند مطاردة جيش منهزم . فوضع القطعات المهزومة أثناء المعركة ، والتفتت واليأس والقلق على امكانات التراجع ، كل هذه الامور تجعل المقاومة أثناء الانسحاب صعبة جدا ، ان لم نقل مستحيلة . وينقض الجيش المطارد على الجيش المنسحب انقضاض المنتصر ، في الحالة الثانية ، على حين يتقدم في الحالة الاولى بمنتهى الحذر والحيطة ،متلمسا طريقه تلمس الاعمى . وكلما تصاعدت هذه المطاردة وعنفها تطورت الامور واندفعت في

إتجاهها السابق ، لان القوى المعنوية تتضاعف ، وترتفع حتى تخرج عن الاطار المحدود لارقام وحسابات العالم المادي .

وهكذا نرى بوضوح أن وضع الجيشين يغدو مختلفا اختلافا يتوقف على بلوغهما النقطة التي ينبغي اعتبارها هدف المهاجم ، بالوسيلة الاول أو الثانية .

وليست النتيجة الناجمة هنا سوى نتيجة التدمير المتبادل . وينبغى أن نضيف اليها الضعف الذي يتعرض له الجزء المتقدم . ومن ناحية أخرى ، ينبغي أن نأخذ بعين الاعتبار التعزيز الذي يستفيد منه الجزء الذي ينسحب بصورة دائمة ، بانضمام قطعات أخرى اليه كدعم خارجي ، أو كدعم يأتي من بلده .

وأخيرا ، هناك عدم التناسب بين وسائل تموين الطرف الذي ينسحب ، والطرف الذي يتقدم . ويتمتع الجيش المنسحب بامكان تكديس المؤن بصورة مسبقة في كل الاماكن التي يجتازها ، بينما يضطر الجيش المطارد الى تنظيم قوافل تموينه لتقوم بمتابعته . وتعد هذه العملية عملية صعبة في أثناء قيامه بالحركات ، حتى عندما يملك أقصر خطوط للمواصلات . وهكذا نرى أن صعوبات التموين تبدو واضحة منذ البدء .

ويستخدم المدافع المتراجع كل ما تتيحه له بلاده من موارد قبل خصمه ويستهلكها بصورة عامة . أما المهاجم فلن يجد الا مدنا وقرى فارغة استهلكت مواردها ،وحقولا محصودة ومحروقة وينابيعجفت مياهها وسواقي مليئة بالوحل .

وعلى الجيش الذي يطارد الجيش المنسحب أن يواجه منذ اليوم الاول سد حاجاته ومطالبه العاجلة . فهو لا يستطيع أن يعتمد على مؤن الخصم . واذاما توصل الى الاستيلاء على مستودعات العدو ، فلا يكون استيلاؤه هذا الا صدفة خالصة ، أو بسبب خطيئة خصمه .

فلا مجال للشك اذن ، في بلد كبير ، وعندما لا يكون عدم التكافؤ بين الخصمين المتصارعين كبيرا جدا ، أن ينشأ توازن في القوة تكون فيه احتمالات النجاح بالنسبة للمدافع أكبر من هذه الاحتمالات، في حالة معركة حاسمة على

حدود البلاد . ولا يزيد احتمال النصر فحسب ، بنسبة التبدل الطارىء في نسبة القوى ، بل ان تبدل الوضع يبعث على توقع نصر ذي نتائج أهم بكثير . وما أكبر الفروق بين معركة خاسرة على مقربة من حدودنا الخاصة ، وبين معركة نخسرها في قلب بلد معاد . وفي الغالب يجد المهاجم نفسه في نهاية تقدمه في وضع تضطره فيه أية معركة ظافرة الى الانسحاب ، لافتقاره الى الزخم اللازم لاستثمار انتصاره واستكماله ولافتقاره الى الوضع الذي يتيح له تبديل القطعات التي فقدها .

فليس هناك اذن أية مقارنة بين حسم يحدث في البدء ، وبين حسم نتوصل اليه في نهاية الهجوم .

ثمة محذوران يتعارضان مع هذه الميزة الكبرى التي يتسم بها هذا النهج الدفاعي ، أولهما هو الخسائر التي يسببها التقدم المعادي في البلاد ، والثاني محذور يتعلق بالمعنويات .

ومما لا شك فيه ، أن حماية البلد من الخسائر أمر ينبغي أن لا يشكل بأي حال من الاحوال هدفا من أهداف الدفاع العامة . فهدف الدفاع الاساسي هو التوصل الى سلم يحقق مصالحنا . وتتجه كل جهودنا للحصول على هذا السلم المضمون قدر الامكان ، وتهون كل تضحية مؤقتة ، مهما كانت غالية في سبيل الحصول عليه . الا ان علينا ان ندخل هذه الخسائر في جدول تقديراتنا على ان لا نعتبرها عاملا رئيسيا ، اذ لا يمكن أن نهملها اهمالا تاما .

ولا تؤثر هذه الخسائر على قواتنا العسكرية بصورة مباشرة ، الا أنها تؤثر فقط بطريق كثير التعرجات والمنعطفات ، بينما يكون الانسحاب ذاته ، تعزيزا مباشرا . فمن الصعب اذن موازنة الميزة التي تحدثنا عنها مع هذا المحذور . انهما شيئان مختلفان متغايران لايمتان الى دائرة العمل ذاتها . ولنكتف بالاشارة الى ان هذه الخسائر أهم بكثير عندما يتطلب الامر التضحية بمقاطعة خصبة وكثيرة السكان ، أو مدن تجارية كبرى . وتكون هذه التضحية أكبر ، عندما تضطرنا الى أن نخسر دفعة واحدة عتاد قتال جاهز أو نصف مصنوع .

أما المحذور الثاني من هذا التراجع فهو الانطباع المعنوي الذي يسببه . وعلى القائد العام أن يبعد أحيانا هذه الاعتبارات المعنوية ، وأن يتابع خطته فلا يخشى المحاذير التي يؤدي اليها جبن تافه وهذا لا يحول دون تقدير القائد العام لهذا الانطباع المعنوي على أن لا يسيء تقدير أهميته . ويدرك الشعب والجيش في بعض الحالات ، بسرعة كبيرة ، ضرورة مثل هذا الانسحاب الى داخل البلد ، فيزيد هذا الانسحاب الثقة والإمل. الا أن هذه الحالات نادرة جدا . ولا يميز الشعب عادة اذا كانت هذه الحركة تتم اراديا ، أو باضطراب وفوضى ، كما لا يميز أيضا اذا كانت الخطة مصممة على أمل توقع بعض الميزات أو أنها تمت تحت ضغط العدو . ويحس الشعب بشفقة يشوبها الاستياء أمام التضحية بالمقاطعات . ويفقد الجيش ثقته بقادته ، وبنفسه بسهولة كبيرة ، ولا ينفك القتال الذي يجري على مؤخراته أثناء الانسحاب ، من تأكيد مشاعر خوفه وشكوكه .

ولا يمكن تنفيذ هذا النوع من الانسحاب الا اذا توفرت رقعة واسعة من الارض أو خط طويل للانسحاب .

وليس هناك أي بلد أوروبي يتمتع بمساحات شاسعة كمساحات روسيا وأبعادها . ومن النادر وجود دول حبتها الطبيعة بخط دفاعي للتراجع على مائة ميل من حدودها . وأفضل الظروف ملاءمة لمثل هذا العمل هي :

١ ـ أرض قليلة المزروعات .

٢ ـ شعب مقاتل وموال لحكومته ولنظامه .

٣ ـ رداءة الطقس .

وتضاعف هذه العناصر الثلاثة صعوبات حياة الجيش المعادي ووجوده وتضطره الى تنظيم قوافل كبرى ومفارز متعددة ، وتلزمه بسخرات متعبة ومرهقة ، وتسبب له أمراضا عديدة ، كما تسهل أعمال المدافع ضد أجنحته .

والان لا بد من قول بعض الكلمات عن حجم القوات العسكرية المطلق ، لانها تمارس أثرا معينا بهذا النهج الدفاعي .

اذا تجاهلنا ميزان القوى بين الجيوش المتصارعة ، نرى أن القوات الصغيرة تهرأ بسرعة أكبر من هروء قوة كبيرة قاتلت مدة طويلة في مسرح حرب أقل أتساعا . فهناك اذن نوع من التناسب الثابت بين حجم القوة المطلق .. ، والمساحات التي تدعى هذه القوة لاحتلالها . وهذا يعني ان بوسعنا التحرك لاحتلال موسكو بـ ٥٠٠،٠٠٠ جندي ، لا بـ ٥٠،٠٠٠ ، حتى اذا كانت النسبة العددية بين جيش الغزو ، وجيش المدافع ملائمة في الحالة الثانية أكثر من الحالة الاولى .

ولنفترض أن هذه النسبة بين القوة المطلقة ، والمساحة التي ستعمل عليها هي النسبة ذاتها في حالتين مختلفين ، فمما لا شك فيه أن اضعاف العدو بتراجعنا يزداد طردا مع كتلة القوات :

— تغدو ادامة قطعات العدو وايواؤها وتغذيتها أكثر صعوبة .

— يخف ايقاع التقدم كلما زاد حجم القطعات المشتركة فيه . وتحتاج الى وقت اكبر لاجتياز طريق الغزو ، وهذا ما يضاعف الخسائر اليومية التي تتعرض لها .

— وكلما زاد حجم الكتل المهاجمة ، غدت الجهود التي تتطلبها المهام التكتيكية والاستراتيجية اليومية متعبة ومنهكة .

حقا ، ان الجيش الذي ينسحب يتعرض لصعوبات مماثلة للصعوبات التي يتعرض لها جيش يتقدم ، الا أنها صعوبات منهكة أكثر بالنسبة للجيش الاخير للاسباب التالية :

١ — لان قطعاته أهم وأكبر ، بسبب تفوقه .

٢ — لان المدافع ، مقابل تضحيته بالارض ، يحصل على حق اتخاذ المبادأة دوما ، وفرض قانونه على الطرف المعادي ، ... ويضع خطته التي لاتتعرض للتغيير والتبديل مقدما ، بينما لا يستطيع المهاجم وضع خطته الا استنادا الى المواقع التي اتخذها الخصم ، والتي ينبغي له اكتشافها أولا .

ولكي لا نتهم بأننا نتناقض مع ما عرضناه من قبل فاننا نذكر القارىء هنا بأننا نتكلم عن مطاردة الخصم الذي لم يتعرض للهزيمة ، ولم يمن بخسارة أية معركة .

سوى ان الاقتصاد في الوقت والجهود . والميزات الضئيلة المتعددة التي يؤدي اليها امتياز فرض قانوننا على العدو ، اموز تحدث فرقا يتطور تدريجيا ليغدو في النتيجة فرقا هاما جدا .

٣ ـــ اذا قام الجيش المنسحب ببذل كل مافي وسعه ليسهل لقواته عملية الانسحاب ، باصلاح الطرق والجسور وترميمها ، وانتقاء افضل المواضع لخيماته الخ ... فانه يبذل جهدا معادلا لاعاقة تقدم الجيش الذي يطارده . فيدمر الجسور ويحفر الطرق التي خربتها مسيراته ، وينتزع من الخصم أفضل المعسكرات وينابيع المياه ليستفيد منها جيشه الخ ...

وهناك أيضا التمرد الوطني ، وهو عامل ملائم جدا . ولنتحدث الآن عن طريقة تنفيذ مثل هذا الانسحاب . .

فالمسألة الاولى المطروحة هي مسألة اتجاه الانسحاب .

ينبغي أن يتم الانسحاب الى **داخل** البلاد ، وأن ينتهي قدر الامكان في **نقطة تحيط** بها مقاطعاتنا بالعدو ، فيتعرض عندئذ الى تأثيرها ، **على أن لا نخاطر بطردنا من كل أراضينا** ، وهو أمر قد نتعرض اليه لو انتقينا خط انسحاب يحاذي **الحدود** عن قرب .

**هذا** هو الشرط والهدف من اللجوء الى الانسحاب او التراجع . **أما فيما يتعلق** بمعرفة النقطة الواجب بلوغها في البلاد ، وكيف يمكن مطابقة هذا الاختيار **مع نية تغطية** العاصمة أو أية نقطة هامة أخرى ، أو ابعاد العدو عنها ، **فان ذلك مرتبط** بالظروف .

**ولنذكر** أيضا أنه في حالة تمركز الجيش على موقع جانبي **من هذا النوع** ، **لابد من** أن تكون العاصمة **أو أي** مكان آخر متمسك بأبعاده عن الصراع

والحفاظ عليه ، قادرا على الصمود داخل نطاق الحد الادنى من المقاومة حتى لا تقوم مجموعة صغيرة من الانصار بغزوه ونهبه . ونتوقف عند هذا الحد ، لاننا سنعود الى هذا الموضوع عندما ندرس خطة الحرب .

يبقى علينا أن ندرس حالة خاصة ، فيما يتعلق بخط الانسحاب وهي : التبديل المفاجىء في الاتجاه . ومن الطبيعي أن يشتمل التبديل المفاجىء في اتجاه خط الانسحاب ، على مزايا هامة ، وهو تبديل قابل التنفيذ على مساحات كبيرة . وهذه المزايا هي :

١ ــ يمنع تبديل الاتجاه الخصم من المحافظة على خطوط مواصلاته السابقة ، ويغدو تنظيم خطوط جديدة أمرا بالغ الصعوبة . وعلى الخصم ان يسعى وراء خط جديد ايضا ، لأن التبديل يتم تدريجيا .

٢ ــ يقود هذا التبديل المعسكرين الى العودة الى أقرب ما يمكن من الحدود . ولا يغطي موقع المهاجم عندئذ الفتوحات التي قام بها ، فعليه أن يتخلى عنها ، كأمر محتمل .

ويحتاج هذا التبديل الى بلاد شاسعة ، الا أن تبديل الاتجاه ممكن أيضا في بلاد صغيرة جدا ، اذا كانت الشروط ملائمة ، ولا تنجم هذه الملاءمة قط الا من تحقيق شروط عامة للحالة الخاصة .

وبعد تحديد الاتجاه الذي ينبغي جذب العدو فيه الى داخل البلاد ، فمن الطبيعي ان يتبع جيشنا الرئيسي الاتجاه نفسه ، والا فان العدو لن يمضي فيه ، ولن نكون قادرين على فرض كل الشروط التي افترضنا اننا سنحصل عليها اذا ما سلك هذا الطريق ، بدون أن نسير عليه قبله . والمسألة الوحيدة المطروحة هي معرفة ما اذا كنا سنتبنى هذا الاتجاه لمجموع قواتنا ، أم اننا سنرسل بعض المفارز القوية ، باتجاه جانبي لنضفي على التراجع طابعا بعيدا عن المركز .

ونرد على هذا السؤال بأن من الواجب رفض هذا الشكل الاخير للاسباب التاليـــة :

( أ ) لأن هذا الشكل يجزىء قواتنا ، على حين يشكل حشدها في نقطـــة واحدة صعوبة رئيسية في وجه المهاجم .

(ب) لان الخصم يملك عندئذ ميزة العمل على خطوط داخلية . وبوسعه أن يحشد قواته بصورة أفضل منا ويصبح بالتالي متفوقا علينا في هذه النقطـــة أو تلك . فعندما نتبنى أسلوبا يشتمل على تجنب العدو مؤقتا ، يغدو هـــذا التفوق أقل خطورة . غير أن هذه الطريقة في التخلص لا معنى لها ، الا اذا كنا مانزال نرهب العدو بقوتنا ، ولا ننوي القتال بصورة منفردة ـــ ، وقد يحـــدث ذلك . والشرط الثاني لهذا الانسحاب ، أن يحصل جيشنا تدريجيا ، على تفوق يتيح له توجيه ضربة حاسمة ، وهو أمر لا يمكن القيام به أبدا بقوات مجزأة .

(ج) لأن الهجوم ذا الشعب المتعددة المتلاقيـــة لا يلائم الجيش الاضعف ، كقاعدة عامـــــة .

(د) لان أثر مثل هذا الموقع هو القضاء على بعض نقـــــاط ضعف المهاجم قضاء تاما ، وذلك لان نقاط الضعف الرئيسية في هجوم يتم في موقع متقدم جـــدا هي طول خطوط مواصلاته ، وتعرض اجنحته الاستراتيجية للاخطـــــار ، ولأن شكل الانسحاب المتباعد عن المركز يضطره أيضا الى الاحتفاظ بجزء من قواتـــه لمواجهة الجناح وعندها يصبح على هذا الجزء المخصص لابطال خطوط مواصلات قواتنا المواجهة له ، أن يقوم بمهمة أخرى هي : حماية جزء من خط مواصلاته .

ولا يعد الشكل المنحرف عن المركز أو المتباعد عنه ، ملائما للانســـحاب الاستراتيجي . الا انه عندما يكون الغرض منه القيام بعمل لاحـــق علـــى خط انسحاب العدو ، فالمسأله المطروحة هي التي تحدثنا عنها في الفصل السابق .

وليس هنا سوى سبب واحد فقط ، لتبرير انسحاب بعيد عـــن المركز : انه حمايـــة الارض التي قد تقـــع تحت قبضة العدو اذا تـــم الانسحاب بشكل متقارب من المركز . .

أما فيما يتعلق بالقطاعات التي يستطيع العدو المتقدم احتلالهـــا الى يمين الطريق الذي يسير عليه ويساره ، فمـــن الممكن استنتاجها من حشد قوانـــه واتجاهها ، ومن وضع مقاطعاته وتحصيناته بالنسبة لتحصيناتنا الخ . . . . . . . وان محاصرة القطاعات التي يدعها سليمة خلفه ، تبديد خطر لقواتنا . أما فيما يتعلق بمعرفة امكاناتنا لمنع العدو من احتلال القطاعات التي ينوي حصارهـــا ، باقامتنا لمواقعنا في هذه القطاعات ، فانها مسألة يصعب الحسم فيها ، وترتبط اكثر ماترتبط بالحدس .

ومن ناقلة القول أن من مصلحة المدافع ألا يتخلى للمهاجم الا عن عـــــدد قليل مـــن مقاطعاته ، ولكن هـــذا الاعتبار ثانوي دومـــــا . وتزداد صعوبـــة الهجوم كلما غدا مسرح الحرب الذي توصلنا الى احتواء العدو فيه ، صغيرا ، أو ضيقا بالاحرى . ولكن الشرط الاساسي هـــو ان نتوقـــــع بعض احتمالات النجاح ، عندما نسير على هذا النهج ، على الا يضعف الجيش الرئيســـي كثيرا بسببه ، لأن النتيجة الحاسمة ترتبط به ارتباطا أساسيا ، ولان الصعوبـــــات التي تظهر في الجيش الرئيسي للعدو ، قد تضطره الـــــى الانسحاب وتسهم في زيادة خسائره المادية والمعنوية افضل اسهام .

وينبغي أن يتم الانسحاب الى داخل البلاد ، كقاعدة عامة ، أمـــــام عيني العدو وبمنتهى البطء ، وحين لاتكون قواتنا قد جزئت بعد أو غلبت على أمرها . وتفرض مقاومتها المستمرة ضد عدوها حالة انذار دائمة ، وتدابـــير حمايـــــة استراتيجية وتكتيكية تبلغ اتساعا مدمرا .

وينتظم ترتيب المدافع قدر الامكان في نهاية سير الهجوم ، باتجاه مائل على المسير الهجومي ، كي يعمل بكل مايستطيع اليه سبيلا ضد مؤخرات العدو

فكلما أخفق الهجوم الاستراتيجي بسبب صعوبات استمراره وحدهـا ، بدون أن يكلل بالمعركة ، ويضطر المهاجم الى القيام بتراجع مدمر ، نجد الشرط الاساسي ، والاثر الرئيسي لهذه الطريقة في المقاومة ، مهما كانت التعديـلات التفصيلية التي ترافقه .

وقد حدث هذا الانعطاف في روسيا خلال حملة نابليون بدون تدخل معركة ظافرة في « نقطة الذروة » . وقد نتوقع مثل هذه النتيجـة ، اذا استطعنا أن نحصل بمثل هذا النهج الدفاعي ، على ميزان قوى يجعل النصـر ممكنا ، وأن ندفع بوساطة هذا النصر — الذي هو ضربة ايقاف مفاجئة أولى — حركة تزيد آثارها المدمرة بصورة عامة حسب قانون الثقالة .



## الفصل الثاني عشر

# تسليح الشعب

برزت ظاهرة الحرب الشعبية في القرن التاسع عشر داخل أوروبا المتحضرة . ولها مؤيدوها وخصومها . فخصومها يعتبرونها ، من وجهة نظر سياسية ، أداة ثورية ، وحالة فوضى اكتسبت صفة شرعية ، خطرة على النظام الاجتماعي في الداخل خطرها على الخصم الخارجي . ويعتبرون أن ماتحرزه من نجاح ، من وجهة النظر العسكرية ، لايتناسب مع القوة التي وضعت في خدمتها أو بددت في سبيلها . أما النقطة الاولى فلا تهمنا هنا ، لأننا نعالج الحرب الشعبية كوسيلة من وسائل القتال ترتبط بالخصم . أما النقطة الثانية ، فلا بد من أن نلاحظ أنه لابد من اعتبار ظهور الحرب الشعبية بصورة عامة ، نتيجة لقيام العنصر الحربي في أيامنا هذه بتحطيم كل الحواجز والسدود القديمة الموضوعة أمامه ــ كامتداد وتعزيز لهذا الغليان الذي نسميه الحرب . أن أسلوب المصادرات والزيادة الهائلة في حجم الجيوش التي نحصل بفضل هذا الاسلوب ، وبفضل التجنيد العام واستخدام الميليشيا ، أمور تعبر كلها عن الاتجاه نفسه ، وهو الاتجاه نحو تحطيم كل الحواجز والسدود السابقة التي كانت تقف سدا أمام تطور العمل الحربي ، انطلاقا من الاسلوب العسكري المحدود الذي كان سائدا في الماضي . كما ان تجنيد الحرس المحلي ، أو تسليح الشعب يسير في الاتجاه نفسه ايضا . وقد كان أوائل المجندين الجدد ، المعينين للدعم الحربي ، أول حصيلة طبيعية وضرورية لعملية تحطيم الاسلوب القديم . فقد عزز هؤلاء المجندون قوة أولئك الذين استخدموهم تعزيزا دفع العدو الى

تبني الاسلوب ذاته . ومن المؤكد أن الشيء نفسه سيتكرر في كل الحـــروب الوطنية . وفي معظم الحالات ، تتفوق الامة التي تعرف كيف تســـتخدم كـل وسائلها القتالية بذكاء ، على الامم التي تهمل استخدام هذه الوسائل . وعنـد استخدام الحـرب الشـــعبية ، هنـــاك ســـؤال وحيـــد يطـــرح نفسه ، ويتضمن معرفة ما اذا كان هذا التصعيد الجديـــد في العنصر الحربي مفيدا للانسانية أم لا . وهو سؤال ليس الجواب عنه أسهل من الجـواب عن السؤال عن الحرب ذاتها . وهناك رأي يقول أن ماتكلفه الحرب الشعبية قـد يعطي ثمارا أينع لو استخدم لتغذية وسائل قتال أخرى . ومع ذلك ، لا نحتاج الى بحث عميق جدا كي نقتنع أن معظم هذه القوات الشـــعبية ليست تحت تصرفنا ، ولا يمكن أن نستخدمها بارادتنا . انما هناك عنصر رئيسي هو العنصر المعنوي ، الذي لا يمكن بعثه الى الوجود الا باستخدامه بهذا الشكل . وبنـاء على ذلك ، علينا الا نطرح السؤال التالي : كم تكلف الامة المقاومة التي يبديهـا الشعب المسلح بكامله ؟ ولكن علينا أن نطرح السؤال التالي : ماهـــو التأثير الذي تستطيع أن تمارسه هذه المقاومة الشعبية ؟ وما هي شروطها ، وكيف يمكن أن نستخدمها ؟ .

أن مقاومة شعبية منتشرة هنا وهناك وغير قادرة علـــى توجيه ضربات كبرى ، تتطلب عملا مركزا في الزمان والمكان . ويتعلق عمل هذه المقاومة بسعة السطح المعرض للتأثير ، ومثلها كمثل التبخر في الطبيعة . فكلما كان الســطح كبـيرا وواسعا ، كان التماس بالجيش المعـــادي وثيقـا ، واضطر هـــذا الجيش الى الانتشار وغدت آثار التسليح الشعبي أقوى وأكثـر فاعليـــة . وسيخرب مثل هذا التسليح أسس الجيش المعادي ويســـتنزف بنيته . الا أن تسليح الشعب يتطلب وقتا طويلا ليعطي ثماره ، لذلك نرى أن التوتر الـــذي تسببه الحرب الشعبية يخف أحيانا اذا أنطفأ لهيبها في بعض النقاط ، ثم ما يلبث هذاالتوتر أن يعود الىالظهور ليضطرم أوار هذهالحرب ببطء فيمكان آخر .وخلال هذا الوقت تقوم العناصر المتصارعة بجيس نبض بعضها بعضا ، أو تؤدي هذه الحالة الى أزمة حقيقية اذا وصل لهيب هذا الحريقالعام فشمل الجيش المعادي،

واضطره الى اخلاء البلاد قبل أن يدمر تدميراً كاملا . ولكي تستطيع الحرب الشعبية وحدها التوصل الى هذه النتيجة ، ينبغي أن تعمل على مساحات واسعة من الاراضي لاتوجد في أي بلد من بلدان أوروبا الا في روسيا ، أو أن يكون هناك بين حجم الجيش المحتل ، وسعة البلاد عدم تناسب لا يمكن أن نصادفه في الحقيقة أبدا . فاذا أردنا أن نتجنب متابعة شبح لا وجود له في الواقع ، فينبغي أن نتصور حربا شعبية مقترنة دوما بحرب يقودها جيش ثابت ، على أن تصمم الحربان حسب خطة موحدة عامة .

أن الشروط الوحيدة التي تجعل الحرب الشعبية حربا فعالة هي التالية :

١ ـ ينبغي أن توجه الحرب الى داخل البلاد .

٢ ـ ينبغي أن لاتكفي كارثة واحدة تحل بالبلاد لتحسم مصير هذه الحرب .

٣ ـ ينبغي ان يشمل مسرح الحرب مساحات كبيرة من الاراضي .

٤ ـ ينبغي أن تتلاءم التدابير المتخذة مع الطابع الوطني .

٥ ـ ينبغي أن تكون طبيعة أرض البلد متضرسة أو منيعة ، وأن تكون جبلية ، أو مشجرة ، أو حافلة بكثير من المستنقعات ، أو تتمتع بمزروعات خاصة .

وليس لعدد السكان الا أهمية ضئيلة ، كبيرا كان أم لا ، لان نقص السكان ( في أوروبا ) أقل احتمالا من نقص عناصر أخرى . ولا يشكل فقر السكان ، أو غناهم اثرا حاسما ، أو انه ينبغي الا يكون له مثل هذا الاثر . ولكننا نفترض عادة ان السكان الفقراء المعتادين على الاعمال الصعبة والحرمان والتقشف ، يبدون اقوى وأكثر استعدادا للقتال من السكان الاغنياء .

أن تفرق المساكن والمناطق المأهولة ، كما نجده في كثير من المناطق الالمانية ، ميزة خاصة بالبلد ، تمهد لعمل الحرب الشعبية وتساعد عليه . وتكون

البلد بهذا الشكل أكثر تضرسا ومساتر . كما أن الطرق تكون أسوأ ، إلا انها اكثر عددا . وتستطيع القطعات أن تأوى الى هذه المناطق بدون صعوبات ، وتنجم عن هذا الوضع ، على مقياس صغير ، ميزة تتسم بها الحرب الشعبية وهي أن روح المقاومة التي تنتشر في كل مكان ، لايمكن الامساك بها في أي مكان ، وهي ميزة تملكها الحرب الشعبية على مستوى عال . فاذا كان السكان يعيشون مجتمعين في القرى ، فمن الممكن استقدام قطعات تعسكر في اكثر القرى نشاطا ، أو تعمد الى نهبها ، كعملية انتقامية ، والى حرق بيوتها الخ .

ولا يمكن استخدام كتل الحرس المحلي والكتل الشعبية المسلحة ، كما لا ينبغي أن تستخدم ضد الفيلق الرئيسي للعدو ، ولا ضد أية قطعات هامة أخرى . وعلى هذه القوات الشعبية ألا تحاول تحطيم نواة هذه القوى ، بل أن تقضم سطحها وزواياها . وعلى مثل هذه القطعات الشعبية أن تثور في المقاطعات الواقعةعلى تخوم مسرحالحرب، وفي الاماكن التي لا يظهر فيها الخصم بقوة ، بغية تجنيب هذه المقاطعات شره . وعلى الحركات التي تتجمع على أجنحته أن تبقى خلفه كلما تقدم . وهكذا تتولد شجاعة حملالسلاحضد الخصم، في كل مكان لم يصل اليه بعد ، وتتدرب كتلة المواطنين المجاورين لمسرح الحرب تدريجيا على حمل السلاح وعلى أتباع هذا المثل في المقاومة . وتنتشر المقاومة بهذا الشكل ، وتشمل كل البلد الذي تمركز فيه الخصم واحتله . وتمتد المقاومة لتمسك بخطوط المواصلات ولتؤثر بثقلها على الشرايين الحيوية التي ارتبط بها وجود العدو وبقاؤه ، ومهما يكن رأينا في فاعلية الحرب الشعبية وقدرتها ، علينا ان نعترف باستحالة التعامل مع فلاحين مسلحين ، كما نتعامل مع فصيلة من العساكر يتجمعون ضمن مجموعة تسهل قيادتها للقتال . وينتشر الفلاحون المسلحون على العكس ، عندما يكونون موزعين ، في كل الاتجاهات بدون حاجة الى خطة موضوعية . وان قطعة صغيرة . تجتاز بلادا جبلية ، مغطاة بغابات كثيفة ، أو تتخللها صعوبات اخرى ، يتضمن مسيرها كثيرا من الاخطار ، لأنه قد يتحول ، بين لحظة واخرى الى قتال . وبدون أن يكون هؤلاء الفلاحين قد يسمعوا قبل ذلك بالفيالق المسلحة ، نراهم وقد شتتهم رأس الرتل يظهرون مرة

أخرى على مؤخرته . واذا ماقارنا الوسائل التي تستخدمها مفارز الجيش النظامي ودورياته وأرتاله المتنقلة لتدمير الطرقات وأغلاق الممرات الاجبارية، بالوسائل التي تستخدمها مجموعة من الفلاحين الثائرين ، لوجدنا أن الوسائل الاولى أقرب الى الرجل الآلي على حين تشبه الثانية الكائن البشري . ولا يكون بوسع العدو ، أن يجابه أعمال الفلاحين الثوار بشيء آخر غير تشكيل مفارز مؤلفة من عدة جماعات لحراسة قوافله ، وللدفاع عن مستودعاته العسكرية ، وعن المضائق والجسور الخ .. وما دامت الجهود الاولى للقوات الشعبية ضعيفة ، فان عدد المفارز التي يوجهها العدو ، قليلة بالنسبة اليها . لانه يخشى أن يجزىء قواته الى حد يتجاوز الحد الضروري . وينتشر لهيب الحرب الشعبية، بالتماس مع هذه المفارز الصغيرة ، وتتسع الحرب وتمتد . ويتفوق الثوار على الخصم في بعض النقاط . ويشتد لهيب الحرب وغلواؤها وتتقوى الشجاعة وتتعزز ، وتزداد حدة الكفاح ، الى أن يقترب الطرفان من نقطة الذروة التي لا بد من أن تقرر مصير المعركة .

ونحن نرى أنه لا يجوز أن تتركز الحرب الشعبية في أي مكان كجسم صلب ، لانها أداة ذات طبيعة بخارية أو سائلة ، فاذا ماتجمدت في منطقة من المناطق ، استطاع العدو توجيه قوة ملائمة الى هذه النواة ليقوم بتحطيمها وأسر عدد من أفرادها . عندئذ تضعف الشجاعة ، ويظن كل فرد بأن المسألة الرئيسية قد حسمت ، وان كل جهد يبذل في المستقبل جهد ضائع ، وأن السلاح قد سقط من يد الشعب . ولكن ، لابد من ناحية أخرى ، ان يتكاثف هذا الضباب في بعض النقاط ، وان يؤلف كتلا متماسكة وغيوما مكهربة تنبعث منها صاعقة رهيبة . وينبغي أن يكون موقع مثل هذه النقاط على أجنحة مسرح الحرب المعادي كما قلنا سابقا . وعلى الشعب المسلح أن يكون منظما فيها في وحدات أكبر حجما وأفضل تنظيما ، وان يدعم بقوة نظامية صغيرة ، لتعطي له طابع قوة عسكرية منظمة ، ولتضعه في حالة يستطيع فيها المغامرة بعمليات على مقياس كبير . وكلما ابتعدت هذه القوة عن هذه النقط ، قلت ضرورة وجود تنظيم كثيف للحرس المحلي ، حتى تستطيع دوما العمل على مؤخرات العدو ، حيث يكون

الخصم معرضا لاقوى الضربات . وتنقض أفضل البؤر الثورية على أهم مواقع العدو التي خلفها وراءه . وتسهم هذه البؤر بالاضافة الى ذلك ، في خلق حالة من الاستياء والرهبة ، وتضاعف الانطباع المعنوي لمجموع القوات الشعبية . وبدون هذه البؤر الثورية ، يفتقر الاثر الشامل الى القوة ، ولا يتزعزع موقف العدو ووضعه تزعزعا كافيا . وتقوم أفضل شروط الحرب الشعبية واشد اشكالها فاعلية على فرز مفارز صغيرة من الجيش لدعمها . فبدون دعم بعض القطعات النظامية التي تشجع السكان فسيفتقر هؤلاء بصورة عامة الى الاندفاع والثقة بالنفس الضروريين لحمل السلاح . وكلما كانت الجماعات المفرزة من الجيش لهذا الغرض قوية وكبيرة ، كانت قدرة جذبها أكبر ، وكانت الكتلة الثائرة التي تهدد بانفجارها أقوى . الا أن لهذه الحركة حدودها ، فمن الخطر تقطيع أوصال الجيش بكامله ، في سبيل هذا الهدف الثانوي ، وحله في كتل من الحرس المحلي وتشكيل خط دفاعي واسع وضعيف بوساطتها ، اذ يلحق مثل هذا العمل الخراب والدمار بالجيش النظامي وبالقوات الشعبية ذاتها في ان واحد . وتدل التجربة على أن استخدام قطعات نظامية تفوق الحد اللازم في منطقة من المناطق ، تفقد الحرب الشعبية قوتها وفاعليتها . ويعود السبب في ذلك الى أن كثيرا من القطعات المعادية تجتذبها المنطقة بهذا الشكل ، ويميل الاهالي بعد ذلك على قطعاتهم النظامية . وأخيرا ، فان وجود قطعات كبرى يتطلب مساهمة لا حد لها من قبل الشعب في مجال تزويد هذه القطعات بكل ماتحتاج اليه من ايواء ، ونقل ومؤن الخ . . .

وهناك وسيلة أخرى للحيلولة دون أي رد فعل جدي من قبل العدو ، على الحرب الشعبية . وتشكل هذه الوسيلة في آن واحد مبدأ موجها لطريقة استخدام العناصر الشعبية ، يتضمن مايلي : الا نلجأ قط الى الدفاع التكتيكي بمثل هذه الوسيلة الا نادرا . وتعتبر هذه الوسيلة من وسائل الدفاع الاستراتيجي . وان طابع قتال الحرس المحلي هو طابع المعارك ذاته التي تخوضها قطعات ذات قيمة قتالية متدنية . فثمة اندفاع وحماسة في البدء ، انما بدون رباطة جأش في الجلد والمثابرة . وبالاضافة الى ذلك ، اذا هزمت أو شتتت

قوة الحرس المحلي ، لن تكون نتائج هذه الهزيمة خطيرة ، لأن هذه القوة شكلت لهذا الغرض . الا أنه لا يجوز أن تصاب بخسائر بالغة من القتلي والجرحي والاسرى ، لأن هزيمة من هذا النوع تطفىء حماستها بسرعة . وتتعارض هاتان الصفتان كل التعارض مع طبيعة الدفاع التكتيكي . ففي القتال الدفاعي ، يعتبر العمل الدؤوب الصامد والبطيء والمنهجي ، عملا ضروريا . وينبغي الاقدام على المخاطر بتصميم . وان محاولة بسيطة نستطيع التخلي عنها عندما نريد ، لا توصلنا في الدفاع الى اية نتيجة . فاذا كان على قطعة شعبية أن تتحمل مسؤولية الدفاع عن حاجز طبيعي من الحواجز ، فلا ينبغي أن تبلغ في الدفاع عنه الى القتال الدفاعي ، الحاسم والجذري ، لأن هذا التمرد الشعبي سيضرب في الصميم حتى لو كانت الظروف ملائمة للدفاع . وتستطيع القطعة اذن أن تدافع عن مناطق التقرب من الجبال ، وسدود مستنقع من المستنقعات ، وممرات نهر، أطول وقت ممكن ، وينبغي أن تفعل ذلك . الا أن على جنودها أن يتفرقوا فور اختراق هذه الحواجز ، ومتابعة الدفاع بهجمات لا يتوقعها الخصم ، بدلا من التجمع والتعرض للانحباس داخل ملجأ ضيق على موقع دفاعي نظامي . فمهما كان الشعب شجاعا ، ومهما كانت فضائله الحربية عالية ، ومهما كان حقده على خصمه قويا ، ومهما كانت أرضه ملائمة لحربه ، فان الحرب الشعبية لاتستطيع أن تبقى حية في جو مشبع بالخطر . وهذا أمر واقع لا يمكن نكرانه أو دحضه . فاذا كان من الممكن أن تتحول كل مواده القابلة للاشتعال ، في مكان ما، الى جمر متقد ، فينبغي أن يكون هذا المكان نقطة من النقاط البعيدة ، حيث تستطيع الحرب أن تتنفس ، وحيث لا يمكن خنقها بضربة قوية واحدة .

هذه التأملات تعبير كامل عن الحقيقة ، أكثر من أن تكون تحليلا موضوعيا ، لأن الموضوع لم يدرسه دراسة كافية حتى الآن أولئك الذين استطاعوا ملاحظته طويلا بأعينهم . ويكفينا أن نضيف ، أن من الممكن أن تضم الخطة الاستراتيجية التعاون الشعبي المسلح بطريقتين مختلفتين : أولاهما أن يكون هذا التعاون العمل الاخير الذي تلجأ اليه بعد معركة خاسرة ، أما الثانية فهي أن يكون عونا قبل خوض المعركة الحاسمة . وتفترض الطريقة الثانية التراجع الى داخل

البلاد ، واستخدام العمل غير المباشر الذي بحثناه من قبل . يبقـــى علينا الآن أن نتحدث بأختصار عن تجنيد الحرس المحلي بعد خسارة المعركة .

**لا ينبغي على أية دولة من الدول أن تقبل أن يتقرر مصيرها وبقاؤهـــا** نفسه بمعركة واحدة ، مهما كانت حاسمة في نتائجها . فاذا كانت قد غلبت على أمرها ، فان اللجوء الى دعوة قطعات ( طازجة ) والضعف الطبيعي الذي يؤدي اليه كل هجوم ، مع الزمن ، يسببان انقلابا في الوضع ، كما يمكن أن يأتي العون من الخارج . فالموت لا يفوت أوانه . وكما أن الرجل الذي يغرق، يتعلق بقصافة من القش ، تدفعه الى ذلك الغريزة الطبيعية لحب البقاء ، كذلك من الطبيعي أن يستخدم شعب ما كل وسائل الخلاص حتى آخر وسيلة منها عندمـــا يدفع به خصمه الى حافة الهاوية .

ومهما كانت دولة من الدول صغيرة اذا ما قورنت بخصمها ، فمن الممكن أن نقول أنها فقدت روحها اذا أمتنعت عن بذل أقصى جهد تستطيع بذله . وهذا لا يستبعد امكان التخلص من التدمير الشامل بسلم يفرض بعض التضحيات . الا أن هذه المحاولة لاتبعد جدوى تدابير الدفاع الجديدة التـــي لاتجعل السلـــم أصعب أو أسوأ ، بل تجعله أسهل وافضل . وتزداد الحاجة الى هذه التدابير اذا أستطعنا توقع مساعدة الذين يهمهم المحافظةعلىوجودنا السياسي وعونهم. وهكذا فان كل حكومة لا تفكر بعد خسارة معركة كبرى الا في السماح للشـــعب بالتمتع بمـــزايا السلم ، ولا تجـــد في شعبهـــا الشجاعة والرغبـــة في شحـــذ أضعف القوى فيه وتحريضها ، لانهـــا تحت سيطرة الشعور بخيبة الامل ، ان حكومة كهذه ترتكب بسبب ضعفها غلطة جسيمة ، فهي تبرهن بذلك على أنهـــا لاتستحق النصر ، وربما كان موقفها يجعلها عاجزة عن تحقيقه .

فمهما كانت الهزيمة التي تعرضت لها الدولة حاسمة ،فان تجنيدها للشعب قادر على العمل الفعال أثناء تراجع جيشها الى الداخل .

فاذا ما بدأ الخصم المنتصر ، بأعـداد التحضيرات للقيـام بالحصـار ، واذا ماترك خلفه مواقع قوية في كل مكان لحمايـة مواصلاتـه ، أو تـرك مفارز من قطعاته للاستيلاء على المقاطعات المجاورة ، واذا كان قد ضعف مـن جراء الخسائر في الرجال وفي عتاد الحرب ، فتحين عندئذ اللحظـة الحاسمة التي ينبغي فيها للجيش المدافع أن يعود الى الفاعلية وان يوجه ضربة مسـددة تسديدا محكما ، ضربة يترنح لها المهاجم وهو على موقع غير ملائم .



## الفصل الثالث عشر

# الدفاع عن مسرح الحرب

ليس الدفاع ، في مفهومنا ، الا أقوى أشكال القتال . فالحفاظ على قواتنا وتدمير قوات العدو ، وبكلمة واحدة ، الانتصار هو غرض القتال ، ومع ذلك فالانتصار ليس هدف القتال النهائي . والهدف الحقيقي هو الحفاظ على دولتنا ، وقلب دولة العدو ، أو بكلمة واحدة انه السلم المنشود ، لان هذا السلم هو الذي يحسم النزاع وينهيه بنتيجة مشتركة .

ولكن ماذا تعني دولة العدو بالنسبة للحرب ؟ أنها قبل كل شيء قواته المسلحة ، وأراضيه . وهنالك ولا شك أشياء كثيرة أخرى يمكن أن تأخذ أهمية كبيرة في ظروف خاصة . ويمكن أن نذكر من بينها الثورات السياسية التي تكون أحيانا أكثر حسما من سواها .. وليست القوات العسكرية وأراضي العدو هي الدولة نفسها ، ولا تشكل كل ارتباطات الدولة والحرب . ولكنهما عنصران أساسيان تتجاوز أهميتهما أهمية العناصر الاخرى بكثير ، وذلك لأن بعدهما ومداهما أكبر .. ان على القوات المسلحة أن تحمي الدولة أو تحتل بلاد العدو . كما أن البلاد تدعم القوات العسكرية وتجددها بصورة دائمة . فهما اذن متعلقان ، بعضهما ببعض ، بصورة متبادلة . غير أن هناك تباينا في علاقتهما المتبادلة ، ذلك لأن تدمير القوات العسكرية أو افناءها افناء تاما وجعلها عاجزة عن اية مقاومة لاحقة يؤدي وحده الى ضياع الارض ، في حين أن تدمير القوات

العسكرية لاينجم ابدا من جراء احتلال البلاد ، لأن هذه القوات قادرة على اخلاء البلاد بمحض ارادتها لتستعيد احتلالها بعد ذلك بأكثر سهولة . والحقيقة ، أنه ليس من الضروري سحق الجيش سحقا **كاملا** لتحقيق مصير البلاد . بل أن **اضعافا كبيرا** لقوته ، يكفي عادة لتحقيق خسارة الارض . ولكن كل خسارة كبيرة تصيب البلاد لا تؤدي الى خسارة بالقوات في النسبة نفسها . انها تؤدي الى ذلك بلا شك بعد فترة طويلة من الزمن فترة لا تنطبق على المدة الزمنية التي سيتم فيها الحسم .

وينجم عن ذلك ان الحفاظ على قوتنا العسكرية ، واضعاف قوات العدو او تدميرها اهم بكثير من امتلاك الارض . وان الهدف الاول هو **الهدف الاساسي**، وعلى القائد العام ان يسعى الى تحقيقه . ولا يمكن ان يأخذ احتلال الارض **كهدف** الا اذا لم يكن اضعاف القوات العسكرية او تدميرها قد سبق في تحقيق هذا الاحتلال .

واذا تجمع القسم الاكبر من القوات العسكرية المعادية في جيش واحد وكانت الحرب كلها عبارة عن اشتباك **وحيد** ، فان احتلال البلاد يتعلق بنتيجة هذا الاشتباك ، وينجم تدمير قوات العدو العسكرية واحتلال ارضه عن هذه النتيجة . وهي مماثلة لها من بعض الوجوه . فالموضوع اذن هو ما يلي : ماذا يدفع الى الابتعاد عن هذا الشكل المبسط من العمل الحربي ، ويبعثر قدرته في الفراغ ؟ والجواب عن ذلك : هو ان ذلك ناجم عن عدم كفاية النصر الذي يستطيع تحقيقه بجماع قوته . فكل انتصار يخلق حوله مجال تأثيره . واذا امتد هذا المجال وشمل مجموع الدولة المعادية ، وشمل بالتالي كل قواتها العسكرية واراضيها ، أي اذا كانت جميع الاجزاء تتطاير على شكل شظايا في آن واحد خلال الحركة التي نقوم بها في قلب سلطته ، فان هذا النصر هو كل ما نسعى اليه . ولا يكون لتقسيم قواتنا ما يبرره . اما اذا لم يكن لانتصارنا اي تأثير على بعض اجزاء القوات العسكرية المعادية ، او على بلاد هذا المعسكر او ذاك ، فلا بد من أن نعير هذه الاجزاء اهتماما خاصا . وما دمنا لا نستطيع تجميع الارض في نقطة واحدة كما نجمع القوات العسكرية ، فينبغي اذن تقسيم قواتنا

لمهاجمة هذه الاجزاء او الدفاع عنها . وان امتلاك وحدة القوة العسكرية بحيث يتعلق كل شيء بالانتصار على هذه القوة ، امر غير ممكن او غير محتمل ، الا في البلاد الصغيرة المتطورة جدا . وتعتبر هذه الوحدة مستحيلة عمليا اذا كان قسم من بلاد العدو يحد بلادنا على امتداد واسع . او اذا حف بنا من كل جانب تحالف عدة دول من هذا النوع . ففي هذه الحالة يتم تقسيم القوات حتما ، ويصبح لدينا عدة مسارح حرب .

ومجال تأثير نصر ما يتوقف بصورة طبيعية على حجم هذا النصر الذي يتعلق بدوره **بعدد القطعات المعادية التي تقع في الاسر** . وبالتالي فان الضربة تعطي اكبر تأثير ينجم عن نجاحها اذا ما وجهت ضد جزء من البلاد ، يجتمع فيه اكبر عدد من القطعات المعادية . وكلما ازداد عدد قواتنا القائمة بالضربة ، ازداد تأكدنا من تحقيق النجاح .

ان مركز الثقل موجود دائما حيث تتجمع اكبر كتلة للمادة . والضربة الموجهة الى مركز الثقل ، مع تحقيق حسم ما ، هي أكثر الضربات تأثيرا . اما اقوى الضربات فهي التي يقوم بها مركز ثقل القوة المستخدمة والامر في الحرب مماثل لما ذكرنا ، وتتمتع قوات خصم ما بنوع من الوحدة ، سواء اكان هذا الخصم دولة او حلفا من الدول ، أي أنها تتمتع بنوع من التلاحم . ولهذه القوات المسلحة اذن بعض مراكز الثقل التي تحدد حركاتها واتجاهاتها مراكز ثقل النقاط الاخرى . وتوجد هذه المراكز في امكنة تجمع القطعات الاكبر . ولكن العمل ضد مركز الثقل في الحرب او في عالم المادة الجامدة ، يجد امكاناته وحدوده في مقدار تلاحم الاجزاء . وقد تكون القوة المستخدمة في الحالتين أكبر مما تطلبه المقاومة المقابلة ، وهذا ما يؤدي الى وقوع الضربة في الفراغ ، وبذل القوى بلا مبرر .

وما اكبر الاختلاف بين تلاحم **جيش واحد** ، **يعمل تحت علم واحد**، ويسير الى الحرب بأمرة **قائد اعلى واحد** ، وجيش حليف يمتد على مسافة ١٥٠ و ١٠٠ ميل وتتبعثر قواعده في اتجاهات مختلفة كل الاختلاف . ان التلاحم مدفوع في

الحالة الاولى الى حدوده القصوى ، والوحدة في هذه الحالة كاملة **كل الكمال** ، بينما تقدم الحالة الثانية وحدة فضفاضة غير كافية وتلاحما ضعيفا موهوما .

وبالتالي ، اذا كان العنف الذي نود ان تسدد بواسطته ضربة ما ، **يتطلب** اكبر تجمع للقوى ، فعلينا ان نتجنب كل مبالغة مفرطة يمكن ان تنقلب الى سيئة حقيقية ، لانها تؤدي الى تبذير القوة ، **ونقص المقدرة** في نقاط اخرى .

لذلك فان معرفة **مراكز ثقل** القوةالعسكرية المعادية ، وكشف حدود عملها هي من المهمات الرئيسية للحكم الاستراتيجي . وعلينا ان نتساءل بلا انقطاع ما هو تأثير تقدم او تراجع جزء من قوتنا على الاجزاء الاخرى .

ونحن لاندعى هنا اننا كشفنا طريقة جديدة ، ولكننا قمنا ببحثنا فقط بغية أرساء قواعد طريقة **لكل القادة في مختلف** العصور بناء على أفكار تحاول أن تكشف بشكل اوضح الى أي حد تعتبر هذه الطريقة طبيعية .

وسنبحث في فصل مقبل كيف يؤثر مفهوم مركز الثقل على مجموع خطة الحرب ونحن لم نتطرق الى ذكره هنا الا للمحافظة على تسلسل الافكار . ولقد رأينا خلال هذا الفحص الظروف العامة التي تحدد توزيع القوى ، ورأينا كيف تشتمل بصورة اساسية على مصلحتين متعارضتين اولاهما هي ان امتلاك الارض يميل الى تقسيم القوات . اما الثانية فهي ان **توجيه الضربة الى مركز الثقل في القوة العسكرية المعادية** يتطلب جمع هذه القوات جمعا نسبيا مرة أخرى .

وهذا ما يؤدي الى وجود مسارح الحرب أو المناطق العسكرية المنفصلة . وهي عبارة عن الارض والقوات المتوزعة في داخل هذه الارض توزعا يجعل لكل حل حاسم يتم على هذه الارض عن طريق القوة الرئيسية تأثيرا مباشرا على المجموع ويجره في اتجاهه . ونحن نقول مباشرا ، لان حسما على مسرح من مسارح الحرب يؤثر تأثيرا غير مباشر على المسارح المجاورة .

نحن نرى اذن ان مسرح الحرب ، صغيرا كان أم كبيرا ، يشكل مع قوته المسلحة المحددة بقوة ما وحدة يمكن أن تتقلص حتى تقتصر على مركز ثقل **واحد**

وعلينا ان نحصل على النتيجة الحاسمة في هذا المركز ، لان انتصارنا فيه يجعلنا نؤمن الدفاع عن مسرح الحرب بأوسع المعاني .

ولكن الدفاع يتضمن عنصرين مختلفين هما : **الحسم والانتظار** ، وسيكون تنسيق هذين العنصرين موضوع فصلنا هـذا .

ان علينا ان نقول قبل البدء بالدراسة اننا لانعتبر ان حالة الانتظار هي كل شيء في الدفاع ، ولكننا نعتبرها مجال الدفاع الذي يتقدم فيه الدفاع نحو هدفه ومادامت القوة العسكرية لم تغادر قطعـة الارض التي كلفت بحمايتها ، فان توتر القوات الناجم عـن الهجوم يبقى مستمرا حتى يتـم الحسم . ولا يمكن اعتبار الحسم منتهيا حقا الا اذا تخلى المدافع أو المهاجم من مسرح الحرب .

وتدافع القوة العسكرية عن قطاع الارض المحدد لها داخـل البلاد مادامت موجودة على هذا القطاع . ويكون الدفاع عن مسرح الحرب هنا هو الدفاع نفسه داخل المسرح .. فاذا استولى العدو ، في وقت ما ، عـلى جزء صغير او كبير مـن البلاد ، لايكون عمله اساسيا ، لان هذا الجزء يبقى تحت سيطرته مؤقتا الـى ان يتم الحسم .

ولكن هذا المفهوم الذي يسمح لنا بانشاء العلاقة الصحيحةبين حالةالانتظار ومجموع الموقف مفهوم غير صحيح ،الا اذا كان وقوع العمل الحاسم حتميا ،وكان المعسكران يعتبرانه امرا لا يمكن تجنبه . والحقيقة ان الحسم وحـده هو الـذي يجعل من مراكز الثقل قوى خاصة ،كما يجعل من مسرح الحرب **شيئا فعالا** . وما ان تختفي فكرة الحسم حتى يبطل مفعول مراكز الثقل لدرجة ما ، كما يبطل تأثير مجموع القوات المسلحة . ويصبح الغرض المباشر ماثلا في الاستيلاء على الارض التي يتكـون منها القسم الرئيسي الثاني لمجموع مسرح الحرب . أي انـه : كلما قلت رغبة الخصمين في السعي وراء الضربة الحاسمة ، كلما غـدت الحرب عبارة عن مراقبة متبادلـة ، واصبح احتلال الارض أهم مـن غيره .. وعنـدها يبحث المدافع عن تغطية كل شيء تغطية مباشرة كما يسعى المهاجم الى مد قواته بتقدمه .

ولكننا لايمكن ان ننسى ان معظم الحروب والحملات تشبه حالة المراقبة أكثر مما تشبه الصراع الدامي للحياة أو الموت ، اي الصراع الذي يبحث فيه احد الخصمين على الاقل عن الوصول الى الحسم بكل الوسائل . ولم تتصف بهذه الصفة الحديثة سوى حروب القرن التاسع عشر التي كانت تبحث عن الحسم لدرجة دفعت بعضهم الى استخدام نظرية خاصة بصددها ، مبنية على وجهة النظر ولكن من المستحيل ان تكون جميع الحروب المقبلة على هذا الشكل ، ونحن نعتقد انها على العكس ستميل الى حالة المراقبة مرة اخرى . وعلى كل نظرية تبحث عن الفائدة ان تأخذ هذا الامر بعين الاعتبار . وسنهتم قبل كـل شيء بالحالـة التي تقوم فيها الرغبة في تحقيق الحسم باختراق المجموع وتوجيهـه . أي اننا سنهتم بالحرب الحقيقية ، أي بالحـرب المطلقة وسنبحث في فصل أخـر التبديـلات الناجمة عن اقتراب الحرب من حالة المراقبة ، سواء اكان هـذا الاقتراب كبيرا أم صغيرا .

ففي الحالة الاولى ( حالة سيطرة الرغبة بتحقيق الحسم ) يتضمن الدفاع عن حقل الحرب بالنسبة للمدافع التمركز بشكل يستطيع معه تقديم الحسم في كل لحظة سواء ، اسعى هو الى الحسم ام قام المهاجم بذلك . ويمكن ان يكون هـذا الحسم نتيجة معركة او سلسلة من الاشتباكات الكبيرة ، كما قد يكون ناجما عن العلاقات القائمة بين القوات المتحاربة أي عن الخوف من نتيجة **الاشتباكات المحتملة** .

فاذا لم نعتبر المعركة اقوى الوسائل وأكثرها فاعلية في تحقيق الحسم ، كما ذكرنا ذلك في عدة مناسبات ، واعتبرناها مجرد وسيلة للوصول الى هذا الحسم ، فان هذا الاعتبار الثاني وحده كاف لان يتطلب منا اكبر **تجميع لقواتنا** تسمح بـه الظروف . ان معركة كبيرة على مسرح الحرب هي عبارة عن اصطدام أحد مراكز الثقل بمركز آخر . فكلما تمكن الخصمان من جمع القوى في هذا الطرف أو ذاك ، كلما غدت النتيجة أكيدة وكبيرة ، وغدا التقسيم قابلا للمناقشة .

وليس التجمع الاقصى مجرد شرط اساسي فقط ، بل ينبغي ان يكون لهذه القوات موقع تتمركز عليه تمركزا تستطيع معه اجراء المعركة في ظروف ملائ

وتتصل انواع الدفاع المختلفة التي درسناها في بحث « طرق المقاومة » اتصالا وثيقا بهذه الشروط الاساسية، ويسهل علينا اذن اعادتها اليها حسب ضرورات كل حالة خاصة . وهناك نقطة تبدو من الوهلة الاولى وكأنها تطرح تناقضا ، وهي نقطة هامة بالنسبة للدفاع ، لذا ينبغي علينا شرحها .. وتتمثل هذه النقطة في الضربة الموجهة الى مركز ثقل قوة العدو .

فاذا كان المدافع يعرف مسبقا الطرق التي سيسلكها العدو في تقدمه ويضع عليها نخبة قواته ، كان من واجبه أن يسير لملاقاة العدو على هذه الطرق . وهذه هي أكثر الحالات وقوعا . والحقيقة ان الدفاع يسبق الهجوم في أخذ التدابير العامة، وتحضير المناطق القوية ، وانشاء مستودعات الاسلحة ، وترتيب الجيش قبل القتال ، وهذا ما يعطي المهاجم خط توجه يستخدمه لاعداد هجومه . ومع ذلك فان للمدافع ميزة يتفوق بها على المهاجم ، هي انه هو الذي يلقي بالورقة الاخيرة.

ويتطلب الدخول الى ارض العدو بقوة كبيرة اعدادات طويلة لجمع المؤن والمعدات على مختلف أنواعها . ويستغرق هذا العمل زمنا يسمح للمدافع بالاستعداد بناء على هذه الاعدادات . وهنا يجب الا ننسى ان تحضير الدفاع يتطلب وقتا أقل من تحضير الهجوم ، لان الامور في جميع البلاد معدة للدفاع أكثر من ان تكون معدة للهجوم .

وقد ينطبق هذا القول على معظم الحالات . ولكن هناك حالات لايستطيع الدفاع فيها ان يعرف بدقة الخط الرئيسي الذي سيسلكه العدو خلال تقدمه . ويزداد احتمال وقوع هذه الحالة عندما يكون الدفاع مبنيا على تدابير تتطلب وقتا طويلا ، كأعداد موقع قوى ... الخ . بالاضافة الى ان وقوف المدافع على خط تقدم المهاجم لايعني كل شيء ، لان المهاجم قادر على تعديل خط هجومه الاصلي ليتحاشى الموقع الذي حصنه المدافع اذا لم يجد الظروف ملائمة لمعركة هجومية . والبلاد الاوروبية المتقدمة زراعيا تتيح لكل مهاجم عدة طرقات الى يمين طريقة الاصلي ويساره ، يستطيع بواسطتها تحاشي موقع ما . ومن الواضح اذن أن المدافع لايستطيع في هذه الحالة انتظار العدو على موقع من المواقع، أو انه لايستطيع على الاقل انتظاره عليه بغية اجراء معركة .

ولكن قبل ان نرى الوسائل اللازمة للبقاء في الدفاع في حالة مماثلة ،لابد لنا من ان نفحص عن كثب هذه الحالة واحتمالات وقوعها .

تحتوي كل دولة وكل مسرح حرب ( ونحن لا نتكلم هنا الا عن هذا الاخير )، على أهداف ونقاط يكون للهجوم عليها نصيب وافر من النجاح . ونحن نرى أن من الأفضل التحدث عنها عندماندرس الهجوم. ولنكتف هنا بأن نلاحظ أن أفضل النقاط والاغراض تحدد اتجاه الضربة التي يسددها المهاجم ، وهي تؤثر بالتالي على المدافع الذي يتوجه اليها عندما يجهل حقيقة نوايا خصمه . فاذا لم يأخذ المهاجم الاتجاه الملائم لتقدمه ، فقد جزءا من ميزته الطبيعية . ومن الطبيعي أن انشاء مواقع المدافع في هذا الاتجاه يجعل تحاشيها أو تجاوزها بلا تكاليف وتضحيات أمرا متعذرا ، وينجم عن هذا أن المدافع لا يتعرض الى خطر **ضياع اتجاه عدوه** ، كما أن قدرة المهاجم على **تجاوز خصمه** أصعب مما يبدو لاول وهلة ، لان هنالك سببا واضحا وهاما يدفع المهاجم لاختيار هذا الاتجاه أو ذاك ، بشكل يجعل المدافع الذي ارتبطت تحضيراته بمكان واحد ، لا تفوته الفرصة لاجراء التماس مع القوة الرئيسية للعدو في أغلب الاحيان . ويمكننا أن نوجز هذه الفكرة فيما يلي : **اذا اختار المدافع موقعه جيدا ، كاد يكون واثقا من أن المهاجم سيسير لملاقاته .**

اننا لا نود هنا انكار احتمال عدم قدرة المدافع ، بعد اتخاذ تدابيره كلها ، على مقابلة المهاجم . كما اننا لا نستطيع ذلك . والموضوع هو أن نعرف ماذا عليه أن يفعل في مثل هذ الحالة ، والى أية درجة يستطيع الاستفادة ، رغم ذلك ، من ميزات موقعه .

فاذا تساءلنا عن الوسائل التي تبقى للمدافع عندما يمر المهاجم بجوار موقعه ، نجد انها الوسائل التالية :

١ - تقسيم قواته منذ البداية للتأكد من ملاقاة المهاجم بجزء منها ، ومحاولة دعم هذا الجزء بعد ذلك بجزء آخر .

٢ ــ تمركز الموقع بقوته مجتمعة ، فاذا ما تجاوزها المهاجم قام المدافع بمهاجمة جبهته بحركة جانبية. .ونادرا ما تتاح فرصة اجراء هذه الحركة مباشرة ضد المجنبة ، لذلك ينبغي ارجاع الموقع الثاني قليلا الى الخلف .

٣ ــ مهاجمة العدو من الجانب بمجموع القوة .

٤ ــ مهاجمة مواصلاته ( مؤخراته ) .

٥ ــ الرد على العدو بعمل يشبه عمله وذ ٤ بمهاجمة مسرح حربه .

ولقد ذكرنا الوسيلة الاخيرة لان هناك حالات يتم فيها تنفيذهـا بفاعلية . ولكنها تتناقض في الحقيقة مع غرض الدفاع ، أي مع الاسباب الاساسية التي دفعتنا الى اختيار الشكل الدفاعي . لذا ينبغي اعتبارها وسيلة غير طبيعية يتعلق احتمال تنفيذها ببعض اخطاء العدو الكبيرة . أو بخصائص وضع استثنائي .

فاذا ما عملنا ضد مواصلات العدو كان علينا أن نؤمن لانفسنا مواصلات متفوقة ، وهذا مطلب من المطالب الرئيسية للموقع الدفاعي ، فان حققنا ذلك أدى مثل هذا العمل الى اعطاء المدافع بعض الميزات . . ولكن عندما يتعلق الامر بالدفاع عن مسرح الحرب ، فان هذه الوسيلة لا تؤدي الـى **النتيجة الحاسمة** الا نادرا .

ونادرا ما يبلغ مسرح حرب واحد حدا من الاتساع تصبح معه مواصلات المهاجم معرضة للخطر بسبب طولها . وحتى عندما تكون كذلك فان الوقت الذي يحتاجه المهاجم لتنفيذ ضربته يبلغ من القصر ما لا يسمح بايقاف تقدمه نتيجة للعمل ضد مواصلاته .

لذا تبدو هذه الوسيلة في الحالات العادية ( العمل ضد المواصلات ) وسيلة غير فعالة في مواجهة عدو مصمم على تحقيق الحسم ، كمـا أنها لا تجدي عندما يبحث المدافع نفسه عن الحسم . (١)

---

(١) فقدت فكرة المؤلف هذه جزءا كبيرا من صحتها في الحرب الميكانيكية الحديثة .

« المترجمان »

والخطر الذي ينجم من أخذ موقع تتجزأ قواتنا عليه ، هو احتمال انزلاقنا نحو حرب المخافر التي لا يمكن أن ينجم عنها اذا كان العدو مصمما ، الا دفاع قوي نسبيا، مهما كانت الظروف الاخرى ملائمة. انما لا ينجم عن ذلك أبدا الحسم المطلوب . وحتى اذا منعتنا الغريزة الصحيحة من الوقوع في هذه الخطيئة ، فان هجومنا المعاكس يكون ضعيفا ضعفا واضحا من جراء مقاومة مجزأة مؤقتا . وعندها لا نستطيع التأكد من ان القطعات التي ستتقدم قبل غيرها لن تتلقى خسائر تتناسب مع عملها . ولنضف الى ذلك أن مقاومة هذه القطعة التي تنتهي عادة بانسحاب نحو الكبد القادم لدعمها ، لا تبدو أمام القطعات الا كاشتباك خاسر ، أو كمخطط غير مثمر ، الامر الذي يضعف القوى المعنوية بشكل واضح.

أما الوسيلة الثانية التي تتطلب وضع جيشنا محتشدا على موقع واحد في مجابهة العدو ، مهما كان اتجاه مسيره ، فتتضمن خطر الوصول بصورة متأخرة الى مكان العمل ، والوقوع في حيرة بين تدبيرين ، بالاضافة الى أن المعركة الدفاعية تتطلب الهدوء والدراسة الفاحصة ومعرفة البلاد معرفة دقيقة . وهي أمور لا تتوفر دائما مع الحركة السريعة المائلة ضد مجنبة العدو . واخيرا فان المواقع الملائمة لحقل معركة دفاعية جيد هي أندر من أن نجدها في كل نقطة وعلى اي طريق .

ومن جهة أخرى فان الوسيلة الثالثة ، اي مهاجمة العدو من المجنبة ، واجراء المعركة بعد تغيير الجبهة ، عملية تقدم ميزات كبيرة .

فخطوط المواصلات التي تشكل هنا خطوط انسحاب هي في هذه الحالة معرضة ، كما نعرف ، لخطر دائم . ويتمتع المدافع من هذه الناحية بميزة ناجمة قبل كل شيء عن الشروط العامة لوضعه الدفاعي ، كما انها ناجمة عن الميزات الاستراتيجية التي اعترفنا بها لوضعه الدفاعي .

وهناك نقطة ثانية أساسية : هي أن كل مهاجم يحاول تجاوز خصمه يقع تحت تأثير رغبتين متعارضين. أما الرغبة الاولى فهي التقدم للاستيلاء على غرض

هجومه . ولكن احتمال تعرضه للهجوم المعاكس من المجنبة ، في كل لحظة، يدفعه الى الرغبة الثانية وهي توجيه ضربة في كل لحظة الى هـذا الاتجاه ، حتى لـو استخدم في ذلك كل قواته مجتمعة . ويتناقض هذان الميلان ويخلقان اضطرابا في وضع المهاجم نفسه وصعوبة في أخذ جميـع التدابير لمجابهـة كل الاحتمالات . ويصعب أن نجد وضعا أكثر من هذا الوضع مجلبة للاخطار والعواقب السيئة من الناحية الاستراتيجية . فاذا كان المهاجم يعرف بكل دقة متى يمكن أن يتعرض للهجوم المعاكس ، فان بوسعه أن يستعد استعدادا جيدا . لكنه ما دام غير متأكد من ذلك بينما تدفعه ضرورة التقدم ، فهو على يقين من أن المعركة اذا ما نشبت، فسيكون قد استعد على عجل استعدادا سيئا ، وسيكون في وضع غير ملائم .

واذا كان المدافع يبحث عن لحظة ملائمة لشن معركـة هجومية ، فسيجد في هذه الفترة لحظته الملائمة . فاذا أخذنا بعين الاعتبار أن المدافع يعرف البلاد ، ويحسن اختيار الارض ، ويستطيع اعداد توقيت حركاته وتحديده ، تأكدنا من أنه يملك تفوقا استراتيجيا واضحا على خصمه ، حتى في حالة كهذه .

وهذا ما يدفعنا الى الاعتقاد بأن مدافعا متمركزا في موقع مختار ، بكـل قوته ، قادر على الانتظار بهدوء حتى يقوم العـدو بتجاوزه . فاذا لـم يهاجمه العدو على موقعه ، ولم تتح الظروف اجراء عملية على مواصلات هذا العدو ، بقي أمام المدافع وسيلة رائعة للحسم هي **الهجوم من الجانب** .

وقد لا نلاحظ حالات مشابهة لهذا النوع من التاريخ العسكري ، وقد يرجع ذلك الى أن المدافع لم يبلغ من الشجاعة مبلغ البقاء على موقع واحد ، فعمد الى تقسيم قواته ، أو انه اندفع بعنف على جبهة خصمه بمسير جانبي أو مائل . كما قد يرجع ذلك الى تردد المهاجم وعدم مغامرته بتجاوز موقع المدافع في مثل هذه الظروف ، الامر الذي أودى بحركته الى النقطة الميتة .

وفي هذه الحالة يضطر المدافع الى القيام بالمعركة الهجومية ، أي أنه يضطر الى التخلي عن الميزات الناجمة عن : **انتظار العـدو والموقع القوي والتخنـدق**

**الجيد** ... الخ . ولا يستطيع تعويض خسارة هذه الميزات باستغلال الوضع الذي يقف فيه العدو ، لان العدو لم يأخذ هذا الوضع في الحقيقة الا ليتجنب تأثير هذه الميزات . ولكنه يحصل مع ذلك على بعض التعويض ، لان النظرية ترفض أن تختفي أية كمية من الحساب نهائيا ، ولان الاسباب المؤيدة والمعارضة تعدل بعضها بعضا ، تماما كما يقع عندما يحاول النقد التاريخي مجابهة النظرية.

ويؤدي تصميم المدافع على مهاجمة خصمه بكل قوته ، في اللحظة التي يتجاوزه بها ، الى انقاذ المدافع من الوقوع في مساوىء مبدأين ، يجبره الشكل الدفاعي على الاقتراب منهما . وهما : تقسيم القوى والمسير ضد مجنبته . وهو يخضع في الحالتين لقانون المهاجم ويستخدم تدابير شديدة الحساسية باندفاع وسرعة في منتهى الخطورة . وعندما يصطدم مهاجم مصمم يسعى وراء النصر والحسم بقوة وشدة مع هذا النوع من الاندفاع فانه يحطمه ويشتته . ولكن اذا حشد المدافع قواه في نقطة تلائم القتال بشكل مجمع ، وكانت قواه محدودة وكان عليه أن يتوقع أسوأ من ذلك باقدامه على مهاجمة مجنبة العدو ، فانه يبقى في وضعه الدفاعي السليم ، ويتمتع بجميع الميزات التي يمكن للدفاع أن يقدمها له. وعندها يحمل عمله صفة **الاعداد الجيد ، وربابطة الجأش ، والثقة ، والوحدة ، والبساطة .**

ومن المهم ان نعرف ان القائد عندما يحدد اتجاهه بنقطة معينة فانه يرى الى أي حد تتوافق هذه النقطة مع الشروط المادية والفردية لجيشه وجيوش العدو . والى أي مدى يحدد كل ذلك بشكل أو بآخر تنفيذ خطته .

ولكن للوصول الى درجات الدفاع المذكورة في بحث « طرق المقاومة » ولفحصها عن قرب ، لابد لنا من ان نذكر كل ما يبدو لنا مهما ، في كل طريقة منها.

١ ــ قد تكون أسباب المسير نحو العدو للقيام بمعركة هجومية الاسباب التالية :

آ ) اذا كنا نعرف أن المهاجم يتقدم بقوات متفوقة جدا . وكان لدينا أمل بالنصر مهما كان بسيطا .

ولكن هذا التقدم من قبل المهاجم هو في حد ذاته بعيد الاحتمال جدا . وبالتالي ، ان لم نكن على يقين من حدوثه فهذه الخطة غير مقبولة ، لان الاعتماد عليها وتعليق آمالنا بها بناء على **افتراض** لا يستند الى مبررات كافية ، يؤدي غالبا الى وضع غير ملائم . وتجري الامور في هذه الحالة بشكل لا ننتظره ، فنضطر الى تجنب المعركة الهجومية . ولكن عدم استعدادنا لمعركة دفاعية يضطرنا الى القيام بانسحاب اجباري تاركين الى حد كبير كل شيء للصدفة .

وهذه الطريقة تبسط المعضلة تبسيطا يدفع من ينظمون الخطط الى استخدامها بدون أن يتساءلوا كثيرا عن مدى قوة وسلامة أسس الفرضيات التي تستند عليها .

ب) اذا كانت قوتنا تكفي لخوض المعركة .

ج ) اذا أغرانا خصم متردد وغير مصمم ودفعنا الى مهاجمته .

وفي هذه الحالة يكون للمفاجأة تأثير يفوق كلما تقدمه الارض من دعم بفضل موقع جيد . وتحاول القيادة الحاذقة أن تشرك في اللعبة تأثير القوى المعنوية . ولكن على النظرية ان تكرر دائما وابدا وبكل قوة : ان من الضروري ان يكون لهذه الافتراضات المسبقة قاعدة موضوعية ، اذ ان انعدام هذه القاعدة الواقعية يجعل التحدث عن المفاجأة وتفوق نوع من الهجوم اللا متوقع واعادة الخطط والافكار والنقد الى المفاجأة والتفوق عبارة عن طريقة غير مقبولة ابدا ولاتتمتع بأية قاعدة .

د ) اذا كان تكوين جيشنا ملائما بصورة خاصة للهجوم .

هـ ) عندما يتعذر علينا ايجاد مواقع جيدة في أي مكان .

و ) عندما نضطر الى التعجيل بالحسم .

ز ) عندما يشترك ويتناسق عدد من هذه الاسباب أو كلها .

٢ ــ أنتظار العدو في مكان ننــوي القيام منه بهجــوم وينجم ذلك عــن الامور التالية :

آ ) عندما لا يميل ميزان القوى لصالح العدو بشكل يدفعنا الى الاعتماد على موقع قوى متخندق .

ب ) عندما نجد أرضنا تلائم هذه النوايا بصورة خاصة . ويهتم التكتيك بالخصائص التي تحدد هذا التلاؤم ، وهي بالاختصار طرق تقرب سهلة بالنسبة للمدافع ، وحواجز من كل نوع تعوق تقدم المهاجم .

٣ ــ ونقيم موقعنا بنية انتظار الهجوم عليه في الحالات التالية :

أ ) اذا كان جهلنا بالقوى يجبرنا على أن نغطي أنفسنا بحواجز طبيعيــة أو خنادق .

ب) اذا كانت الارض تقدم موقعا قويا بصورة خاصة .

ويتم استخدام شكلي المقاومة ٢ ، ٣ اذا لم نكن نبحث عن الحسم ، بــل كنا نكتفي بنتيجة سلبية ، ونأمل أن يتردد خصمنا ويفقد تصميمه حتى يتخلى في النهاية عن خطته .

٤ ــ ولا يحقق الموقع المحصن المنيع هدفه إلا في الحالات التالية :

آ ) اذا كان واقعا في نقطة استراتيجية ممتازة تتصف بمناعة قوية جدا . عندها سيحاول العدو استخدام الوسائل الاخرى ، أي متابعة هدفه بــدون الاهتمام بالموقع ، أو انه سيضطر الى محاصرته للتغلب عليه بتعريضه للمجاعة ، فاذا استحال ذلك كان هذا دليلا على كبر الميزات الاستراتيجية التي يتمتع بها هذا الموقع .

ب ) أذا كنا ننتظر مساعدة خارجية .

٥ — ولا يعتبر الانسحاب الى داخل البلاد بديلا ملائما الا في الحالات التالية :

آ ) اذا لم نكن نملك القدرة على القيام بمقاومة ظافرة على الحدود أو الى جوارها ، نظرا لضعف قواتنا المادية والمعنوية بالنسبة لقوى العدو .

ب ) اذا كان كسب الوقت غرضنا الرئيسي .

جـ ) اذا كانت وضعية البلاد ملائمة لهذه الغاية .

وهكذا ننهي دراسة الدفاع عن مسرح الحرب في الحالة التي يبحث فيها أحد الخصمين عن الحسم ، وعندما يكون هذا الحسم أمرا محتوما .

**المقاومة المنسقة :**

اذا نظرنا الى منطقة الحرب بكل حصونها وحواجزها الطبيعية وامتداد مساحتها الطبيعية ، واعتبرنا كل هذه العناصر جزءا من قوتنا ، ترى أن هذه القوة الثابتة تدخل العمل بالتدريج ، الا اذا انسحبنا الى بعد يجعل كل هذه العناصر تدخل في العمل على جبهتنا ، الامر الذي يجعل جميع الوسائل التي تقدمها البلاد المحتلة لاضعاف المهاجم تدخل في العمل في آن واحد .... ان على المهاجم أن يثبت حصون المدافع . ويؤمن حيطة الاجزاء المحتلة بالحاميات والمخافر ، ويقوم بمسيرات طويلة . ويستقدم من أمكنة بعيدة كل ما هو بحاجة اليه ... الخ . وتعمل كل هذه العوامل عادة ضد المهاجم الذي يتقدم قبل الحسم أو بعده . ويكون تأثير العوامل في الحالة الاولى أقوى مما هو عليه في الحالة الثانية . وبالتالي ، اذا شاء المدافع تأخير الحسم ، فبوسعه ادخال كل قواته الثابته في الصراع في آن واحد .

ومن الواضح أن **تأثير الحسم** هذا ، ليس له أية نتيجة على مجال التأثير الذي يسمح للمهاجم بالانتصار . وسنرى في بحث الهجوم بحثا أوسع ، المعنى المقصود من مجال التأثير . ولكننا نكتفي هنا بالاشارة الى أنه يذهب حتى استنزاف التفوق ( الناجم عن عوامل معنوية ومادية) . ولكن استنزاف هذا التفوق يتم قبل كل شيء باستهلاك القوى على مسرح الحرب وبفضل الخسائر خلال الاشتباكات . وأن الضعف الناجم عن هذين العاملين لا يمكن أن يتعدل تعديلا عميقا ، سواء قرب الحدود أو في الداخل ، وسواء أحدثت الاشتباكات في البداية أم النهاية .

ولقد درسنا في البحث الخاص بـ « طرق المقاومة » هذا الشكل الاقصى لتأخير الحسم ، والذي يتمثل **بالانسحاب الى داخل البلاد** ، أي بنوع من المقاومة نجبر به العدو على أن يستنزف نفسه بنفسه بدلا من تدميره بالسيف على حقل المعركة . فان سيطرت هذه الفكرة ، أمكن اعتبار تأخير الحسم **نوعا من المقاومة** . والا فان لهذه الطريقة درجات لا تنتهي ، يمكن أن تتناسق مع جميع وسائل الدفاع الاخرى . وهكذا فاننا لا نعتبر التعاون الوثيق مع مسرح الحرب كنوع خاص من أنواع المقاومة ، ولكننا نعتبره استخداما مؤقتا لوسائل مقاومة معطلة يتم حسب مقتضيات الموقف .

ولكن اذا اعتقد المدافع أنه لايحتاج الى مساعدة هذه القوى المعطلة للحصول على الحسم ، أو أن التضحيات التي يفرضهامثل هذا الاستخدام بأشكال مختلفة تضحيات كبيرة جدا ، فان بوسعه أن يحتفظ بها في الاحتياط بحيث تشكل نوعا من الدعم المنسق . لانها تؤمن بصورة استثنائية امكان ابقاء القوى المتحركة قوية الى حد يكفي لتكملة الحسم الاول الملائم بحسم ثان أو ثالث . أي أن استخدام القوى استخداما منسقا يغدو عندئذ ممكنا .

فاذا فقد المدافع معركة على الحدود ولم يصب بهزيمة كاملة ، فبوسعه أن يستعد للاشتباك بمعركة ثانية ، اذا ما تمركز خلف أقرب قلعة من قلاعة . فاذا كان خصمه مترددا متخاذلا ، كانت بعض حواجز الارض كافية لايقافه .

لذلك يوجد في الاستخدام الاستراتيجي لمسرح الحرب ، كما في كل مكان آخر ، اقتصاد بالقوى . وكلما قل استنزافنا للقوى ، كان ذلك أفضل على أن نكون متأكدين من أننا نملك ما فيه الكفاية . فالوضع هنا كالتجارة يتطلب منا أن لا نقتر كثيراً .

ولكي نتحاشى خطأ كبيرا ، لا بد لنا من أن نلفت الانتباه الى أن الموضوع هنا لا يتعلق بما نستطيع فعله أو القيام به في حقل الدفاع بعد معركة خاسرة ، بل النجاح الذي يمكن أن نأمل تحقيقه مقدما من هـذا الشكل الثاني للـدفاع ، وبالتالي القيمة التي يمكن أن نعطيها له في حساب خطتنا . وليس لدى المدافع الا نقطة واحدة يتفحصها في هذا الصدد ، وهي أن يعرف صفة خصمه ووضعه. ان خصمنا ضعيف الشخصية ، ضعيف الثقة بنفسه،لا يطمح الى النصر والمجد، وتعوقه أمور متعددة ، يكتفي عند النجاح ، ببعض المزايا المتواضعة ، ويتحاشى الصدام بكل جبن عندما يقدم له المدافع فرصة حسم جديد . وفي هذه الحالـة يستطيع المدافع أن يستخدم رويدا رويدا وسائل المقاومة التي يقدمهـا مسرح حربه ، ويحقق النجاح باعمال حاسمة متكررة صغيرة ، فيقوى بـذلك أمله في تحقيق حل حاسم نهائي لمصلحته .



# الفصل الرابع عشر

## الدفاع عن مسرح الحرب دون البحث عن الحسم

سنبحث في الجزء الاخير ( الثامن ) كيف يمكن وجود حروب لا يقوم فيها أي طرف من الطرفين بدور المهاجم ، ولا يتابع فيها بالتالي هدفا ايجابيا . وسنتجاهل الآن هذا التناقض ، لانه عندما يتعلق الامر بمسرح حرب واحد ، يمكننا أن نفترض أن الاسباب التي دفعت العسكرين الى حالة الدفاع كامنة في علاقات هذه الاجزاء مع الكل .

ولقد شاهدنا في الماضي حملات محرومة من نقطة الذوبان التي هي الحسم الذي لا يمكن تجنبه ، ولكن التاريخ غني بالحملات التي كان فيها أحد الخصمين متمتعا بالارادة الموجبة ، ولكن هذه الارادة كانت ضعيفة ضعفا يجعله يكتفي بالمزايا التي تتيحها الظروف بدلا من أن يسعى وراء هدفه بالدفاع لتحقيق الحسم الضروري . وكان هذا المهاجم لا يحدد لنفسه في بعض الاحيان هدفا واضحا ، بل يكتفي بجني الثمار التي تظهر وحدها . كما كان هذا الهدف يتبدل أحيانا حسب الظروف .

ويختلف هذا النوع من الهجوم عن الضرورة المنطقية للتقدم نحو هدف ؛ ويلائم فيه مفهوم المهاجم مفهوم متسكع يعتبر الحرب مرحلة من مراحل التشرد

ويحاول الافادة من المزايا الحسنة ، وهو يكاد لا يختلف عن الدفاع الذي يسمح للقائد بالافادة من هذه الميزة ، ولا يحث هذا النوع من الحملات المهاجم ولا المدافع الى العمل بغية تحقيق حسم نهائي ويكف الحسم عندئذ عن أن يكون القاعدة الاساسية التي تجتمع فيها كل خطوط القوس الاستراتيجي .

... تقع الحرب في حقيقتها الواقعية بين الميلين ( الحسم وعدمه ) فتكون قريبة من الاول تارة ومن الآخر تارة أخرى . ولن نلاحظ النتائج العملية لهذه الخصائص الا بالتعديلات التي يدخلها تأثيرها المتبادل على **شكل الحرب المطلق** . ولقد ذكرنا من قبل أن الانتظار هو أحد ميزات الدفاع الرئيسية بالنسبة للهجوم . ويندر في الحياة أن يتوقع المرء كل ما سيقع ، وتزداد هذه الندرة في الحرب بشكل كبير . كما أن نقص الفهم البشري ، والخوف من النتائج الضارة ، والصدف التي تعرقل تنفيذ أعمالنا تحول دون ولوج عدد أو كمية من التصرفات التي تفرضها الظروف في طريق التنفيذ . ويزداد عدد الاجهاضات في الحرب زيادة كبرى من جراء خطأ معلوماتنا ، وأخطار الكوارث ، وكثرة الاحداث العارضة . ويحصد الدفاع في هذا المجال أوفر حصاده . فاذا أضفنا الى ذلك الاهمية الخاصة بامتداد الارض التي نملكها ، والمبدأ الهام أيضا في الصراعات خلال زمن السلم أي في الخلافات القانونية ، يغدو المثل المقدس : **سعداء أولئك الذين يملكون ، قاعدة هامة** ، ويحل المثل هنا محل **الحسم** الذي يمثل في كل حرب ترمي الى **التدمير المتبادل**، نقطة الذروة في سير الاحداث كلها . وهو خصب جدا ، ولكن خصوبته لا تتعلق بالعمل بل بالحجج وبمبررات احجامنا عن العمل ، وببعض الاعمال التي نقوم بها بهذا القصد . فاذا لم نتوقع ولم نبحث عن اي حسم ، فليس هناك ما يدفعنا الى التخلي عن أي شيء . لان كل هذا وسيلة للحصول على ميزة تؤدي الى حسم ما . وهدف المدافع كما نعلم هو المحافظة ، اي تغطية كل شيء ، أو تغطية كل ما يستطيع تغطيته على الاقل . على حين أن هدف المهاجم هو الاستيلاء على كل ما يستطيع الوصول اليه ، اي أن يمتد الى اكبر حد ممكن بلا اللجوء الى الحسم . ولن نهتم هنا الا بالمدافع .

ان المهاجم قادر على احتلال أي أرض اذا لم يكن يشغلها المدافع . وفي هذه الحالة تكون ميزة حالة الانتظار لصالحه . ومن هنا تنجم لدى المدافع الرغبة في تغطية الارض تغطية مباشرة ، الامر الذي يؤدي الى تعرض قطعات التغطية لهجمات الخصم .

وقبل دراسة الخصائص المتعلقة بالدفاع ، لا بد من أن نلقي نظرة على أهداف المهاجم عندما لا نتوقع بصورة جدية أي حسم يتم عن طريق المعركة . وهذه الاهداف هي :

١ ـ احتلال قطاع واسع ضمن الشروط التي تسمح بتحقيق هذا الاحتلال دون معركة .

٢ ـ الاستيلاء على مستودع أو مشروع هام بالشروط نفسها .

٣ ـ اجراء اشتباك ناجح ذي أهمية معينة بدون التعرض لخطر كبير ، وبالتالي بغير احتمال ربح كبير ، ولا يعتبر هذا الاشتباك نقطة الذروة لكل تتابع استراتيجي مع جميع النتائج التي يتضمنها . ولكنه معنى بنفسه بفضل الغنائم أو مجد الجيش . ولا يساوي هذا الهدف صراعا عنيفا بأي ثمن ، بل يتم مع انتظار الفرصة الملائمة ، أو اننا نحاول بمهارة ايجاد هذه الفرصة .

وتدفع هذه الأهداف الثلاثة المدافع الى اجراء الحركات التالية :

١ ـ تغطية البلاد بنشر القطعات فيها .

٢ ـ دفع الجيش بسرعة الى الامام بمسيرات جانبية أن لم تكن وضعية القطعات ممتدة امتداد كبيرا .

٣ ـ الامتناع عن الاشتباك بمعارك غير ملائمة خلال هذه العملية .

ومما لا شك فيه أن التدبيرين الاوليين يهدفان الى اثارة بداهة الخصم ، مع الافادة الى أقصى حد ممكن من الانتظار . وهذا موقف عادي ، من الغباء أن نرفضه بلا تمحيص . وسيزداد اضطرارنا الى استخدامه كلما كان أمل الحسم بعيداً ،وكلما مثل هذا الامل القاعدة العميقة لحملات من هذا النوع ، على الرغم من أن النشاط يكون موجودا علىالسطح عندما يتعلقالامر بعمل غير بعيدالمدى، أما الموقف الثالث فهو عبارة عن معدل ومصحح للموقفين الاولين وهو شرط ضروري لابد منه .

بيد ان **جميع** الوسائل التي ذكرناها لا تتمتع الا **بقيمة نسبية** ، وتأتي هذه النسبية من عجز الطرفين . وهذه امور تخضع لقانون اعلى ، ونجد فيها ظواهر تشكل جزءا من عالم مختلف كل الاختلاف .. هذا ما ينبغي على القائد العام ان يذكره دائما . ان عليه أن لا يتحرك في هذا المجال الضيق وسط مناخ من الامن الناجم عن الخيال ، وكأنه يعمل في أمن **مطلق** . كما ان عليه ان لا يعتبر الوسائل التي يستخدمها هنا وكأنها الوسائل **الضرورية الوحيدة ، وان لا يلجأ اليها عندما يشك بعدم كمالها .**



الجــزء السابع

# الهجـــوم

# الفصل الأول

# الهجوم

## آ ـ علاقات الهجوم والدفاع

عندما يتعارض مفهومان تعارضا منطقيا حقيقيا ، أي عندما يكون أحدهما مكملا للآخر ، فان كل واحد منهما يصبح ضروريا ضرورة ماسة بالنسبة للآخر ويلقي بعض الاضواء عليه . ولذا فنحن نعتقد أن فصول الدفاع الاولى تلقى نورا كافيا على بعض نقاط الهجوم التي نتصورها . ولكن هذا النور لا يشمل كل النقاط . ولم يكن متاحا لنا أن ندرس في فصل الدفاع كل مظاهر هذا الموضوع ، لذا ، كان من الطبيعي أن لا تنبثق مجموعة الافكار الخاصة بالهجوم كلها عما قيل في الدفاع ، لا سيما حيث لا يقوم تعارض فوري في جوهر المفهوم .

وسيلقى ما نقوله عن الهجوم نورا جديدا على الدفاع في مواضع عدة . وسندرس عند بحث الهجوم عددا كبيرا من الاهداف التي بحثناها في فصول الدفاع .

وبالاضافة الى ذلك ، فنحن لا ننوي ان ندرس العمل المتبادل بين مختلف الوسائل . فكل وسيلة دفاعية تتطلب وسيلة هجومية . وهذا امر بديهي لدرجة تجعل من العبث المرور من وجهة نظر الدفاع الى وجهة نظر الهجوم كي نعي هذه الاخيرة وندركها . . ان احداهما تتبع الاخرى وحدها بصورة طبيعية . ونحن ننوي اجراء تحديد دقيق للصفات الخاصة بالهجوم فيما يتعلق بكل هدف ، ضمن الحدود التي لا تكون فيها هذه الصفات مطلوبةمن قبلالدفاع . وهذا ماسيدفعنا الى كتابة عدة فصول ليس لها ما يقابلها في بحث الدفاع .

## ب ـ طبيعة الهجوم الاستراتيجي

لقد رأينا أن الدفاع في الحرب ، اذن الدفاع الاستراتيجي أيضا ، ليس انتظارا وصدا مجردا ، وبالتالي ليس هو سلبية مطلقة ، لكنه حالة نسبية مختلطة بعناصر هجومية ، كما ان الهجوم لا يكون كلا متجانسا ولكنه مختلط دائما بالدفاع . غير ان بينهما اختلافا واضحا ، هو اننا لا نستطيع تصور أي دفاع بدون ضربات هجومية معاكسة تكون جزءا من كيانه ، على حين ان الضربة ( العمل ) هي في حد ذاتها مفهوم كامل لا يحتاج الى الدفاع . ولكن ارتباط الهجوم بالزمان والمكان ، يدخل فيه شيئا من الدفاع كشر لابد منه . لاننا لا نستطلع القيام بأي هجوم حتى بلوغ نتيجته بدون توقف ، فهناك لحظات للاستراحة ، وفي هذه اللحظات يبطل عمل الهجوم ويتدخل الدفاع من تلقاء ذاته . كما ان تغطية مساحة الارض التي تتركها القوات العسكرية خلفها خلال تقدمها ، وتعتبرها عنصرا هاما من عناصر حياتها ، لا يمكن ان تتم بالهجوم بل تحتاج الى حماية خاصة .

لذلك كان العمل الهجومي في الحرب ، وفي الاستراتيجية بصورة خاصة ، عبارة عن تناوب وتناسق مستمرين بين الهجوم والدفاع . ولكن ينبغي ان لانعتبر الدفاع اعدادا فعليا للهجوم أو وسيلة لزيادة قوته ، أي مبدأ هجومها ، بل كشر لا بد منه وكوزن مؤخر كالوزن الناجم عن ثقالة الكتلة . انه خطيئة الهجوم الاساسية ومبدؤه القاتل . ونحن نقول الوزن **المؤخر** لإن الدفاع الذي لايشترك بدعم الهجوم ، يؤدي ولا ريب الى تخفيف تأثيره بسبب ضياع الوقت الذي يمثله . ولكن ألا يمكن لهذا العنصر الدفاعي الموجود في كل هجوم ان يؤثر تأثيرا **فعالا غير ملائم** على هذا الهجوم ؟ ان قولنا : ان الهجوم هو **الشكل الاضعف للحرب وان الدفاع هو شكلها الاقوى** ، يجعلنا نستنتج من ذلك ان الدفاع لا يستطيع التأثير في الهجوم تأثيرا سيئا فعالا ، لانه ما دام لدينا قوى كافية للصمود في الشكل الاضعف ، فان لدينا اذن قوى تزيد عما نحن بحاجة اليه للصمود في

الشكل الاقوى . كل هذا صحيح بصورة عامة ، أي فيما يتعلق بالنقطة الاساسية . وسندرس هذا الامر بكل تفصيل في فصل عنوانه « نقطة ذروة الانتصار » .

ولكن يجب ان لا ننسى ان جزءا من تفوق **الدفاع الاستراتيجي** مبني على انه لا سبيل الى وجود الهجوم ذاته بدون ان يكون مختلطا بالدفاع ، او **بالاحرى** بأضعف أشكال الدفاع . والدفاع الذي يعرقل الهجوم ، يتألف من اسوأ عناصر الدفاع ذاته ، وهي عناصر لا يمكن ان نطبق عليها التدابير التي تلائم الحالات العامة . ومن هنا نفهم – لماذا تستطيع العناصر الدفاعية ان تضعف الهجوم .

ان على القدرة الفعالة للمبدأ الهجومي الموجود في الدفاع ان تظهر في لحظات دفاع ضعيف ، خلال هجوم ما . وعندما تتوقف القطعات للراحة مدة ١٢ ساعة بعد عمل يوم شاق ، يظهر الفرق بين موقف المدافع المتمركز على موقع اختاره واستطلعه واعده ، وموقف المهاجم الواقف في اماكن اقامة مؤقتة وجدها بصعوبة بعد ان قام بعملية جس كرجل أعمى . والاختلاف كبير ايضا خلال الاستراحات الطويلة اللازمة لاعادة التموين وانتظار النجدات .. الخ ، اذ يكون المدافع قريبا من قلعته ومصادر تموينه ، على حين يقف المهاجم كأنه عصفور معلق على غصن . . . ان كل هجوم يؤدي في النهاية الى دفاع تتعلق طبيعته بالظروف . وقد تكون هذه الظروف ملائمة جدا ، اذا تم تدمير قوات العدو . ولكنها تكون صعبة جدا اذا لم يقع ذلك التدمير . ولا يرجع هذا الدفاع الى الهجوم نفسه ، ولكن طبيعته تؤثر على كل حال على الهجوم وتحدد قيمته .

ويدلنا هذا على ان من واجبنا ان لا ننسى عند دراسة الهجوم ان نهتم بالدفاع الذي هو جزء ضروري منه ، اذا كنا نود تكوين صورة واضحة للاخطاء التي يمكن ان نقع فيها ، وان نستعد بالتالي لدرئها .

والهجوم هو دائما في حد ذاته شيء واحد ، على حين ان الدفاع عده مستويات حسب درجة استخدامها لمبدأ انتظار العدو . وينجم عن ذلك أشكال دفاعية ، يختلف كل منها عن الآخر ، كما بينا في الفصل المخصص لطرق المقاومة .

وما دام الهجوم لا يتمتع الا بمبدأ فعال واحد ، وما دام عنصره الدفاعي عبارة عن وزن ميت معلق عليه ، فان هذا الهجوم لا يظهر بأشكال متعددة تعدد

أشكال الدفاع . ونحن نجد بلا ريب اختلافا كبيرا في فاعلية الهجوم ، وفي سرعة الضربة وقوتها ، والكنه اختلاف في الدرجة فقط لا بالطبيعة . ويمكن ان نقول هنا: بأن المهاجم قادر على اختيار الشكل الدفاعي الافضل للوصول الى هدفه حسب الظروف . وانه يستطيع ، مثلا ، احتلال موقع قوي لينتظر عليه الهجوم . ولكن هذه الظروف تبلغ من الندرة ما يجعلنا نرى ان من المتعذر ان نبني عليها تصنيفنا للمبادىء والافعال التي تعتمد عادة على الامور العملية . كما ان قدرتها تجعلنا لا نرى في الهجوم عدد الدرجات ذاته التي نجدها في طرق المقاومة .

واخيرا فان وسيلة الهجوم الاساسية لا تتكون عادة الا من **القوة** المسلحة ، وعلينا ان نضيف اليها ولا شك الحصون لان لها تأثيرا كبيرا على مقربة من مسرح حرب العدو . ولكن هذا التأثير يتناقض شيئا فشيئا مع تقدم الهجوم . ونحن نقبل أن **الدعم الشعبي** يساعد الهجوم عندما يكون السكان مرتبطين بالمهاجم اكثر من ارتباطهم بجيشهم المدافع . واخيرا فان بوسع المهاجم ان يحظى بمساعدة الحلفاء . ويكون دعم هؤلاء الحلفاء نتيجة للظروف الخاصة والعابرة (الصدف) ، ولا يمكن اعتبار وجودهم عنصرا مكملا ناجما عن طبيعة الهجوم .



## جـ ـ اغراض الهجوم الاستراتيجي

سحق العدو غاية الحرب . وما تدمير قوته العسكرية سوى وسيلة لتحقيق هذه الغاية ، سواء أتم التدمير بالهجوم أم بالدفاع . ويؤدي تدمير القوات المعادية الى انتقال الدفاع الى الهجوم ، كما يدفع الهجوم الى احتلال البلاد . اذن فبلاد العدو هي غرض الهجوم ، ولكن ليس من الضروري ان يشمل هذا الغرض بلاده كلها ، فقد يكون عبارة عن جزء او مقاطعة او شريط ارض او حصنا . ولكل هذه الاغراض قيمة كافية في مفاوضات الصلح المقبلة ، حيث يتم الاحتفاظ بها او مبادلتها .

بوسعنا اذن أن نتصور غرض الهجوم الاستراتيجي مع عدد من الدرجات لا نهاية له ، ابتداء من احتلال البلاد كلها ، وانتهاء بالاستيلاء على نقطة غير هامة . وما ان يتم بلوغ هذا الغرض ويتوقف الهجوم حتى يبدأ الدفاع . وهكذا يمكن ان نتصور الهجوم الاستراتيجي كوحدة لا متناهية . غير انه لا يكون كذلك اذا نظرنا الى الامر من الناحية العملية . أي بصورة منطبقة على الظواهر الحقيقية . وغالبا ما تنتهي عناصر الهجوم ونواياه وحدوده بعمل هجومي . ويندر ان يحدد القائد لنفسه ما يريد احتلاله . وهو يترك هذا الامر معلقا بسير الاحداث ويقوده هجومه غالبا الى ابعد من حدود نواياه . وبعد استراحة قصيرة نراه يستعيد قوته من جديد ، دون أن يستفيد من الاستراحة ليحدد مرحلتين من مراحل العمل منفصلتين كل الانفصال . وقد يجد هجومه وقد توقف في بعض الاحيان قبل الاوان وبصورة مبكرة عما كان يعتقد ، بدون أن يجبره هذا التوقف على التخلي عن نواياه والوقوف في موقف الدفاع الحقيقي . وهكذا نرى ان الدفاع الظافر ينقلب شيئا فشيئا الى هجوم ، كما ان الهجوم قادر على ان ينقلب الى دفاع . وعلينا ان نجعل هذا التدرج والانتقال ماثلين امامنا دائما لانهما يحولان دون أي تطبيق خاطىء لما قلناه عن الهجوم .

## د ــ تناقص قوة الهجوم

ان موضوع القوة المتناقصة موضوع هام للاستراتيجية . وتتعلق قدرتنا على الحكم الصحيح ، في كل ما نستطيع نعلمه ، بتقديرنا هذا الموضوع تقديرا صحيحا .

ويأتي تناقص القدرة المطلقة مما يلي :

١ ــ من هدف الهجوم ، واحتلال ارض العدو . ولا يقع هذا الامر عادة الا بعد العمل الحاسم الاول ، وعلى الهجوم ان لا يتوقف بعد هذا العمل الحاسم .

٢ ــ من اضطرار الجيوش المهاجمة لاحتلال مؤخرات البلاد بغية حماية خطوط مواصلاتها وتموينها .

٣ ــ من الخسائر الناجمة عن المعارك والامراض .

٤ ــ من بعد مصادر مختلف انواع التموين والنجدات .

٥ ــ من الضعف الناجم عن حصار الحصون والقلاع .

٦ ــ من تراخي الجهود والهمم .

٧ ــ من تخلي الحلفاء عن الدعم والعون .

وعلينا ان نجد بعض الاسباب التي تدعم الهجوم لتقف امام هذه الاسباب الأساسية التي تضعفه ، ومن الواضح أن توازن هذه العناصر هو الذي يحدد النتيجة العامة . فمثلا قد يتم تعديل اضعاف الهجوم بضعف الدفاع . وهذه الحالة نادرة . ولكن علينا ان نأخذ حذرنا ، فلا نقارن جميع القوى الموجودة في الحملة ، ولا ندخل في المقارنة سوى القوات المحتكة مع بعضها ، او المتجابهة في النقاط الحاسمة .

## هـ ـ نقطة ذروة الهجوم

يتم النجاح في الهجوم من جراء التفوق بالقوى الحقيقية التي تضم القوى المادية والمعنوية . ولقد اظهرنا في الفصل السابق ان قوة الهجوم تستهلك رويدا رويدا . وقد يزداد التفوق مع ذلك احيانا ولكنه يتناقص في معظم الحالات . ويبحث المهاجم عن الميزات التي يمكنه ان يستخدمها خلال مفاوضات السلام المقبلة . ولكن عليه ان يدفع ثمنها على الارض من قواته . ويصل الهجوم الى غايته اذا حافظ على تفوقه حتى تحقيق السلم ، رغم التناقص الذي يصيبه . ولقد ادت بعض الهجمات الاستراتيجية الى سلم مباشر ـ ولكن هذه حالات نادرة جدا . اذ على العكس ، تقود معظم الحالات ، الى نقطة تكفي القوات فيها بشق الانفس للحفاظ على دفاع يصمد بانتظار السلم .

وينعكس المد بعد هذه النقطة ، ونظهر الضربة المعاكسة . ويزيد عنف هذه الضربة عادة عن قوة الصدمة الاولية . ونسمي هذه النقطة عادة ـ بنقطة ذروة الهجوم ـ وما دامت غاية الهجوم هي احتلال ارض العدو ، فان على المتقدم ان يستمر حتى يتم استنزاف التفوق . وهكذا يتم الاندفاع نحو الهدف ، وقد يتم الاندفاع الى أبعد من ذلك ، فان فكرنا بعدد العناصر التي يجب أن نأخذها بعين الاعتبار عند مقارنة القوات في العمليات ، عرفنا الصعوبة التي تصادفنا في عدد كبير من الحالات لمعرفة الطرف المتفوق من الطرفين المتحاربين .

وهكذا يتوقف كل شيء على حكم حساس ودقيق وغريزي ، يكشف بالالهام نقطة الذروة . وهنا نجد انفسنا في تناقض ظاهري . فما دام الدفاع اقوى من الهجوم ، فعلينا ان نتصور بأن الهجوم لا يمكن ان يذهب بنا بعيدا جدا ، لان اعتبار الشكل الاضعف قويا بما فيه الكفاية ، يجعل القوة كافية بل وزائدة من اجل الشكل الاقوى .

## و ــ ابادة القوات المسلحة المعادية

ان ابادة القوات المسلحة هي وسيلة الغاية . ويجب ان نفهم من ذلك ــ الثمن الذي تكلفه ــ وهذه بعض وجهات النظر المختلفة احوالها :

١ ــ انها تحدد ماذا يتطلب ( مطالب ) هدف الهجوم .

٢ ــ او تحديد هذه المطالب قدر الامكان .

٣ ــ ادخار قواتنا كوجهة نظر اساسية .

٤ ــ يمكن ان يذهب هذا من جديد الى نقطة يحاول المهاجم ان يبيد فيها القوات المعادية **عندما تتاح فرصة مناسبة فقط** . ولقد ذكرنا من قبل كيف يمكن ان تكون الحالة مماثلة بالنسبة لهدف الهجوم .

والوسيلة الوحيدة لتدمير قوات العدو المسلحة هي الاشتباك . ولكن هناك بلا شك شكلين : أ ــ بصورة مباشرة . ب ــ بصورة غير مباشرة ، بفضل تناسق مجموعة اشتباكات . وبالتالي ، اذا كانت المعركة هي الوسيلة الاساسية ، فهي ليست الوسيلة الوحيدة ، والاستيلاء على قلعة او بعض الارض هو في حد ذاته تدمير للقوات المعادية ، ويمكن ان يؤدي الى تدمير اكبر ايضا ، ويصبح عندئذ وسيلة غير مباشرة ايضا .

وبالتالي فان احتلال اقسومة ارض غير مدافع عنها ، يمكن ان نعتبره تدميرا للقوات المعادية بالاضافة الى قيمته كهدف تم الوصول اليه مباشرة . وايست المناورة لطرد العدو من منطقة من المناطق التي يحتلها امرا مختلفا عن ذلك ، وعلينا ان لا نعتبرها من وجهة النظر نفسها ، كنجاح حقيقي للقوات

ـ وتقدر هذه الوسائل عادة أكثر من قــدرها ــ ونادرا ما تتمتــع بقيمة كقيمة المعركة . وعلينا أن نأخذ حذرنا خوفا من أن تجرنا الى الوقوع في موقف غــير ملائم ، فهي مغرية جدا نظرا لتفاهة الثمن الذي تكلفه .

أن علينا ان نعتبر دائما مثل هذه الوسائل كعمليات تثمير صغيرة لا تقــدم الا ارباحا ضئيلة ، ولا تلائم الا ظروفا واغراضا صغيرة . لذا فهي بلا ريب افضل من معارك لا هدف لها ـ او انتصار لا يمكن تحقيق نتائجه بكاملها .



## ز ـ المعركة الهجومية

لقد رأينا المعركة التي يظهر الدفاع فيها بشكل واضح جدا حتى يستطيع اعطاء انطباع حي لجوهره ـ ولكن المعارك المشابهة هذا النوع قليلة . ومعظم المعارك عبارة عن **انصاف لقاءات** تختفي فيها الصفة الدفاعية داخل تدبير واسع. اما في المعارك الهجومية فتتم الامور بشكل آخر ، لانها تحافظ على صفتها في جميع الظروف . وتزداد قدرتها في الحفاظ على صفتها كلما ابتعد المدافع عن كونه مدافعا . لذا يبقى في المعركة الدفاعية التي لا تكون دفاعية بشكل واضح . وفي **اللقاءات الحقيقية ،** شيء من صفات المعركة الدفاعية والهجومية ـ والصفة المميزة الرئيسية في المعركة الهجومية هي المناورة ، للالتفاف او التطويق،وبالتالي لاخذ المبادأة كلها دفعة واحدة .

ان الاشتباك على خطوط معدة للالتفاف يتمتع في حد ذاته ، بلا ريب ، بميزات كبيرة ، ولكن هذا الموضوع خاص بالتكتيك . ولا يمكن للهجوم ان يدع هذه الميزات لان الدفاع قادر على احباطها . اذ يمكن للدفاع نفسه أن يستخدم هذه الوسيلة ضمن الحدود التي لا تبعدها عن شروط الدفاع الاخرى. وللنجاح في تطويق الخصم الذي يحاول تطويقنا ، يجب ان نقف على موقع اختير جيدا واعد بعناية . والمهم هو ان جميع المزايا التي يملكها المدافع لا يمكن ان تستخدم كلها دفعة واحدة . ومعظم الدفاعات عبارة عن وسائل فقيرة . وغالبا ما يقف جميع المدافعين في وضع مزعج حرج ، او انهم ينتظرون أسوأ الامور اذا ما قابلوا الهجوم على منتصف الطريق . وينتج عن ذلك ، ان المعارك التي تستخدم فيها خطوط التطويق ، والمعارك التي تتم على جبهة مائلة ناجمة عن وضع جيد لخطوط المواصلات ،عبارة عن نتيجة عادية لتفوق معنوي ومادي .وبالاضافة الى ذلك ، اذا لم تكن قاعدة المهاجم متفوقة على قاعدة المدافع خلال المعركة الاولى ، فانها ممتدة جدا على الاقل ، لسبب قرب الحدود ، وهذا ما يعرضها

لبعض الخطر . والهجوم على المجنبة أي المعركة على جبهة مائلة ، أكثر فاعليـــة في اكثر الاحيان من الالتفاف ــ ومن الخطأ ان نعتقد ان التقدم الاستراتيجي مع الالتفاف ، مرتبط منذ البداية بهذا الهجوم ، ( ان هذا التدبـير الاستراتيجي لا يرتبط بهذا الهجوم الا نادرا . وهو يحمل في طياته الكثير من المخاطر،وسنتحدث عنه فيما بعد في بحث مهاجمة مسرح الحرب ) .

وتستهدف القيادة العامة في المعركة الدفاعية تأخير الحسم اطول مدة ممكنة، وكسب الوقت ، لان المعركة الدفاعية ، التي لا يتكرر مصيرها عند هبوط انظلام، عبارة عن معركة ظافرة غالبا ، بينما تتعجـل هذه القيـادة الحسم في المعركــة الهجومية ، ولكن في محاولة الاسراع هذه خطرا كبيرا ، لانها تؤدي الـــى انهـاك القوى . ومن صفات المعركة الهجومية الارتياب في مكان موقع العدو . وغالبا ما يتم العمل لكشف هذا الموقع بعملية جس حقيقية،داخل مجال مجهول . وكلمـا كان الامر كذلك كان تجمع القوى ضروريا ، واضحى التطويـق مفضـــلا علــى الاحاطة . ولقد رأينا من قبل انه لا يتم قطاف الثمار الرئيسية للنصر الا خـلال المطاردة . وتشكل المطاردة جزءا متمما رئيسيا للعمل كله في المعركة الهجوميــة ويتمتع في هذه المعركة بقيمة لا تصل اليها في المعركة الدفاعية .



## ح ـ المناورة

١ ـ تتعلق بالدفاع والهجوم على حد سواء ، مع انها أقرب الى طبيعة الهجوم منها الى طبيعة الدفاع ، وسنشرحها هنا بشكل أدق .

٢ ـ لاتتعارض المناورة مع تنفيذ الهجوم بقوة ، في اشتباك كبير ، بل تتعارض مع شكل الهجوم الذي ينجم بصورة مباشرة عن استخدام الوسائل الهجومية ، حتى لو كان ذلك خاصا بعملية ضد مواصلات العدو أو خطوط انسحابه ، أو عملية من عمليات التشتيت الخ . .

٣ ـ فاذا اعتبرنا الاستخدام العادي للكلمة ، وجدنا أن في مفهوم المناورة فعالية لا تنجم الا من الاخطاء التي اندفع العدو الى ارتكابها . انها شيء صغير جدا يعادل حالة توازن . انها تشبه الحركات الاولى في مباراة شطرنج ، فهي لعبة القوى المتعادلة التي تسعى فيها الى الحصول على الفرصة الملائمة للنجاح، واستخدام هذا النجاح بعد ذلك وكأنه تفوق على العدو .

٤ ـ والمكاسب التي ينبغي أن نعتبرها في هذا الاطار كغرض للمناورة وكقاعدة للعمل هي مايلي :

(أ) الامدادات التي نسعى الى حرمان العدو منها او تخفيف غزارة وصولها اليه .

(ب) الاتصال مع مفارز أخرى .

(ج) تهديد مواصلات العدو مع داخل البلاد أو مع جيوش ومفارز أخرى .

(د) تهديد المؤخرات .

(هـ) مهاجمة نقاط خاصة بقوى متفوقة .

وتستطيع هـذه المكاسب الخمسة أن تطبع بطابعها أصغر التفاصيل لحالة خاصة ، وتصبح بالتالي الغرض الذي يدور حوله كل شيء خلال فترة معينة من الزمن . وقد يقوم عندئذ أي جسر أو طريق أو مجموعة خنادق بدور رئيسي . ويسهل علينا أن نلاحظ أن علاقة هذه الاهداف بأحد الاغراض السابقة هو الذي يعطيها قيمتها .

(و) وتكون نتيجة المناورة الناجحة بالنسبة للمهاجم ، أي بالنسبة للطرف الايجابي الفعال عبارة عن قطعة أرض أو مستودع ... الخ . وقد يكون المدافع أيضا هو الطرف الايجابي الفعال في بعض الحالات .

(ز) ويظهر في المناورة الاستراتيجية ( اتجاهان متناقضان ) أو نقيضتان تتمتعان بشكل المناورة ، وكثيرا ما كانتا سببا في وضع مبادىء وقواعد خاطئة . ولهاتين النقيضتين اربعة عناصر هي في الحقيقة أجزاء رئيسية للموضوع ، وينبغي لنا أن نعتبرها كذلك . والنقيضة الاولى هي الالتفاف على العدو ، والعمل على الخطوط الداخلية . أما الثانية فهي تجميع القوى ، وتوزيعها في مخافر متعددة .

(ح) ولا يمكن تفضيل احد عنصري النقيضة الاولى على الآخر . فمن الطبيعي أن جهدا ما يسبب جهدا آخر كوزن معاكس ضروري وكأنه ترياقه . ويرتبط الالتفاف حول المجنبة بالهجوم ، على حين يتعلق العمل على الخطوط الداخلية بالدفاع ، وهكذا يلائم الاول المهاجم ، ويلائم الثاني المدافع . ويحافظ على التفوق الشكل الذي يتم استخدامه بشكل أفضل .

(ط) — كما أن عنصري النقيضة الثانية متساويان في القيمة ، ويتعذر تفضيل احدهما على الآخر . وتسمح القوة الكبرى بالانتشار على عدة مخافر ، وهي تحصل بهذا الشكل على موقع استراتيجي ملائم وحرية في العمل ، اذا حافظت على فعالية القوات . ويحاول الاضعف بدوره أن يتجمع ويبحث في سرعة الحركة عن الوسيلة التي تتيح له تعويض المساوىء التي سيتعرض لها في الحالة المعاكسة . وتفترض هذه القدرة الحركية الكبيرة مهارة أكبر في تنفيذ المسيرات . وعلى الأضعف أن يستخدم بشكل أقوى جميع قواه المادية والمعنوية — وهذه هي النتيجة النهائية التي سنجدها حتما في كل مكان اذا سرنا سيرا معقولا منطقيا ، وهي النتيجة التي يمكن اعتبارها اذن كحجر المحك المنطقي لمحاكمتنا .

(ى) وكما أن علينا أن لانبالغ في اســتخدام العناصر الاربعــة للنقيضتين المذكورتين آنفا ، وأن نجعل منها قاعدة الاحكام والقواعد الخاطئـــة ، فان مــن واجبنا أن نحذر اعطاء عدد آخر من الشروط الاخرى كالقاعدة والارض .. الخ ، أهمية وتأثيرا حاسمين لا تملكهما في الحقيقة . وكلما كانت المكاسب المتنازع عليها صغيرة ، ازدادت أهمية تفاصيل الــزمان والمكان ، وصار على الامــور العامة والواسعة ان تنسحب الى الخلف ، لانه لا مكان لها في الحسابــات الصغير

ونحن مقتنعون بأنه ليس للمناورة الاستراتيجية اية قاعــدة واي اسلوب وأي مبدأ يستطيع أن يحــدد اسلوب العمل ، ولكن العزيمة والــدقة والنظام والانضباط والاقدام ، تستطيع ، في اكثر الظروف خصوصية وبساطة ، ان تجد سبيلا الى خلق ميزات هامـــة واضحة ويتوقف النصر في مثــل هــذا التنافس على هذه الصفات .



# الفصل الثاني

## مهاجمة مسرح الحرب عند البحث عن الحسم

يرتبط مفهوم مسرح الحرب المغلق في كل حالة بمفهوم **الدفاع أكثر من** ارتباطه بمفهوم الهجوم . ولقد درسنا آنفا عدداً كبيراً من النقاط الاساسية مثل : **غرض الهجوم ، ومجال تأثير الانتصار** . . . الخ . ولا يمكن تفسير العنصر الحاسم لطبيعة الهجوم قبل الوصول الى بحث خطة الحرب . ومع هذا فان لدينا الكثير مما يمكن أن نقوله هنا . ولنبدأ بنموذج الحملة **التي نسعى فيها وراء حسم كبير** .

١ ـ النصر هو الغاية الأولى للهجوم . ولا يستطيع المهاجم أن يجابه الميزات التي يملكها المدافع الا بميزة واحدة هي التفوق العددي ، بالاضافة الى تفوق معنوي بسيط ناجم عن شعور الجيش بأنه المهاجم المتقدم . على ان هذا الشعور يقدر عادة بأكثر مما يستحق . فهو لايدوم مدة طويلة ولا يصمد أمام الصعوبات الحقيقية .

ونحن نفترض بلا ريب أن المدافع يتصرف بشكل أريب ، كالمهاجم ، بدون أن يرتكب أخطاء أكثر منه . ونحن نورد هذه الملاحظة هنا لنستبعد الأفكار الغامضة عن الهجوم الخاطف بالمفاجأة التي ترى في الهجوم منبعا من منابع

النصر الغنية ، مع أن هذا الهجوم لا يتحقق الا في حالات استثنائية جـــدا (١) . ولقد درسنا في مكان آخر موضوع المفاجأة الاستراتيجية الحقيقية .. فاذا لم يكن المهاجم متمتعا بالتفوق المـادي ، كـان عليه الحصــول على تفــوق معنــوي كبير لدرء مساوىء الشكل الهجومي . فاذا لم يتحقق هذا التفــوق أيضا ، تم الهجوم نفسه بدون الاعتماد على أسس متينــة ، الامـــر الـــذي يؤدي الـــى فشله حتمـــا .

٢ ــ وعلى الشجاعة والثقة أن تحفزا المهاجـــم وتذكيا حماسته ، كما ان الحذر هو الذي يحمي الدفاع . ولا نود هنا أن نقول أن هذه الصفات المتناقضة ليست مطلوبة في كلتـــا الحالتين ، ولكننا نود أن نؤكد أن لبعض هـــذه الصفات نتائج أفضل مع المدافع ، على حين تعطي الصفات الاخرى أفضل نتائجها مــــع المهاجم .. وجميع هذه الصفات ضرورية جدا ، وما ذلك الا لان الحرب نشــــاط بشرى لا يخضع للحساب الرياضي المجرد فحسب ، ولكنـــه يتم غالبـــا وسط الظلام ، أو وسط ضوء خافت على الاقل ، حيـــث نتـــرك مقاديرنا بين يـــدي أمهر القادة القادرين على ايصالنا الى الهدف المنشود . وكلما ظهر المدافـــــع ضعيف المعنويات ، كان على المهاجم أن ينطلق نحوه بشجاعة أكبر .

٣ ــ ولكي يتم الانتصار ، لابد من وقوع صدام بين قوة العـــدو الرئيسية وكبد قواتنا . وتبدو هذه الضرورة في الهجوم بأوضح مما تبدو عليه في الدفاع ، لان المهاجم يذهب للبحث عن المدافع وملاقاته على مواقعه . ولكننا ذكرنا في كتاب الدفاع أن على المهاجم أن لا يبحث عن المدافع اذا كان هذا الاخير في موقعسيء ، لان المدافع مضطر في هذه الحالة الى ترك موقعه ومسارعته هو للبحث عنـــه . وعندها يكون المهاجم متفوقا لانه يقابل المدافع وهو في وضع مضطرب . ويتعلق كل شيء هنا بمعرفة الطريق أو الاتجاه الذي يتمتع بأهمية أكبر . وهذه نقطـــة من النقاط التي تركناها معلقة عند حديثنا عن الدفاع ، واحتفظنـــا بهـــا لهـــذا الفصل ، لذا فاننا سنقول هنا ما ينبغي قوله .

---

(١) لقد قلب التطور الميكانيكي هذه الفكرة ، وجعل من الممكن اجــراء هجــوم خاطف مفاجىء بقوات مؤلفة من الدبابات والمشـــاة المحمولة والمدفعية ذاتية الحركـــة التي تعمل كلها بالتعاون مع القوات المحمولة جوا وتحت تغطية الطيران .

( المعربان )

٤ ـ لقد قلنا ما هي اكثر اغراض الهجوم أو أهدافه ضرورة وفورية وكذلك ماهي اهداف النصر . ولكن اذا كانت هذه الاغراض او الاهداف داخل مسرح الحرب الذي نهاجمه وداخل دائرة النصر المحتمل ، فان السبيل الموصل اليها هو الاتجاه الطبيعي للضربة التي ينبغي علينا تسديدها . ولكن علينا أن نتذكر بأن غرض الهجوم لا يأخذ عادة كل أهميته الا بعد النصر . وأن النصر يتم غالبا بالارتباط به . وهكذا لا يهتم المهاجم بالوصول الى غرضه قدر اهتمامه بالوصول اليه مع تحقيق الانتصار ، وهذا ما يجعل مهاجمة الغرض نفسه أقل أهمية من مهاجمة السبيل الذي ينبغي للجيش المعادي أن يسلكه للوصول الى الغرض . وهذا السبيل هو غرض الهجوم وهدفه المباشر .

ولقاء العدو قبل بلوغه هذا الهدف او الغرض ، وابعاده عنهوقهره والتغلب عليه ، انتصار وكل انتصار من هذا النوع انتصار عظيم كبير القوة والقيمة . فاذا كانت عاصمة العدو مثلا هي غرض الهجوم ، ولم يقف المدافع بينها وبين المهاجم ، فان من الخطأ أن يسير المهاجم نحو العاصمة مباشرة ، بل عليه على العكس أن يهتم بالخط او السبيل الذي يصل الجيش المدافع بالعاصمة . وأن يسعى الى الانتصار في هذا الخط ، لتسقط العاصمة بعد ذلك بين يديه لقمة سائغة .

فاذا لم يكن هناك غرض كبير في مجال نصر المهاجم ، فان خط مواصلات العدو مع الغرض المجاور يصبح نقطة كبيرة الاهمية . وعلى كل مهاجم أن يتساءل : ماذا أفعل بالنصر اذا حصلت عليه في هذه المعركة ؟ ويحدد الجواب غرضا ينبغي الوصول اليه ، ويكون هذا الغرض السبيل الى تحديد اتجاه الضربة . فاذا وضع المدافع نفسه على هذا الاتجاه كان ذلك من مصلحة المهاجم ، وليس عليه عندئذ الا أن يذهب للقائه في مكان وقوفه . ولكن وقوف المدافع على موقع منيع يجعل المهاجم يتقدم محاولا تجنبه والمرور الى جواره ، مستفيدا من الظرف والضرورة لتحقيق اكبر نتيجة ممكنة . أما اذا كان موقع المدافع غير ملائم ، فان على المهاجم أن يتجه نحوه ، فان وصل الى ارتفاعه ووجد ان المدافع لم يقم بحركة جانبية استدار على الفور نحو خطوط مواصلاته واعتبرها غرضه الاساسي الذي يلاقى عليه الجيش المعادي . فاذا كان الجيش المدافع شبه مجمد ، تمكن المهاجم من الالتفاف حوله والهجوم عليه من الخلف .

فان كان أمام المهاجم مجال للاختيار ، أصبح عليه أن يختار الطرق الكبيرة التجارية ، لانها أفضل الطرق واكثرها ملاءمة لعمله . فان كان فيها منعطفات كبيرة حادة ، فينبغي اختيار طرق أصغر وأقل صلاحية ، شريطة أن تكون أكثر استقامة ، لان طريق الانسحاب الذي يبتعد ميلان خطه كثيرا عن الخط المستقيم ، هو طريق محفوف بالخطر .

٥ ــ لايجد المهاجم المشتبك ، وهو يسعى وراء حسم كبير ، أي سبب يدعوه الى توزيع قواته . فاذا ماوزعها رغم ذلك ، اعتبرنا عمله ناجما عن نقص في الرؤية الواضحة . وعليه اذن أن لايتقدم الا بارتال تتيح جبهتها الدخول في العمل في آن واحد . فان قسم العدو قواته كان ذلك لمصلحته ، ولكن عليه في هذه الحالة أن يلجأ الى استخدام تظاهرات صغيرة ، مؤلفة من هجمات صغيرة تظاهرية ، تهدف الى الحفاظ على الميزات المكتسبة . فاذا وقع توزيع القوى بهذه النية ، كان له في الحقيقة مايبرره .

ويتم هذا التقسيم الى عدة أرتال في الحالات الضرورية فقط ،تقسيما يحقق الترتيبات التي يتطلبها الشكل الالتفافي للهجوم التكتيكي ، لانه هو الشكل الطبيعي الهجوم.ولا يمكن أن نحرم أنفسنا منه بدون سبب وجيه ، على أن يبقى ذا طبيعة تكتيكية ، لأن الالتفاف الاستراتيجي خلال هجوم قوي ، عبارة عن تبذير محض للقوى . ولا يمكن السماح به الا اذا كان المهاجم قويا الى حد يجعل النتيجة اكيدة لاتقبل الجدل .

٦ ــ الا أن الهجوم يتطلب بعض الحذر ايضا ، لأن للمهاجم مؤخرة ومواصلات تحتاج الى حماية . وعلى المهاجم أن يتوصل الى حمايتها قدر امكانه، باستخدام الشكل الذي يتقدم به الجيش أي بوساطة الجيش نفسه . فاذا اضطر الى تعيين قوات خاصة لذلك ، أدى هذا العمل الى تقسيم القوات الذي يؤدي الى اضعاف قوة الضربة ــ وما دام الجيش الكبير يتقدم عادة على جبهة عريضة يعادل عرضها مسيرة يوم على الاقل ، فان تغطية خطوط الانسحاب والمواصلات تتم دائما بفضل وجود هذه الجبهة ، اذا لم يكن اتجاه الطرق بعيدا جدا عن الشكل العمودي على الجبهة .

وان أخطارا كهذه يتعرض لها المهاجم ينبغي ان تقاس بالموقف وطبيعة الخصم . وعندما يكون كل شيء معلقا على تأثير حسم كبير فالمدافع يبتعد عن

الاشتباك بمثل هذا العمل ، ولا يكون أمام المهاجم خطر كبير يخشاه في الظروف العادية . ولكن عندمايتوقف المهاجم وينتقل رويدا رويدا الى الدفـــاع ، تتصاعد أهمية تغطية المؤخرة وتصبح قضية حيوية رئيسية .

وما دامت مؤخرة المهاجم في هذه الحالة اضعف من مؤخرة المدافـــع ، فان المدافع قادر على البدء بالعمل ضد مواصلات خصمه ، قبل الانتقال الـــى الهجوم الحقيقي ، بل حتى عندما يكون مضطرا الى الانســـحاب والتخلي عـــن بعض الاراضي .



# الفصل الثالث

# مهاجمة مسرح حرب بدون حسم

١ ــ قد لا يتمتع المهاجم بأرادة أو قوة توصله الى حسم كبير ، ولكنه ينوي مع ذلك القيام بهجوم استراتيجي ، موجه نحو بعض الاغراض الثانوية . فاذا مانجح الهجوم ، أدى بلوغ الغرض الى خلق حالة من الراحة والتوازن تشمل كل شيء . أما اذا تراكمت الصعوبات المختلفة وبلغت درجة معينة ، فان تقدم الهجوم يصل ، على العكس ، الى النقطة الميتة . ويحل محله هجوم صدفي أو مناورة استراتيجية . وهذا مايتم غالبا في معظم الحالات .

٢ ــ ويمكن تحديد الاغراض التي يمكن أن تكون هدفا لمثل هذا الهجوم، بما يلي :

**( أ ) قطعة أرض :**

كسب بعض المواد الغذائية ، وبعض الاموال أحيانا ، وما نوفره بذلك على ارضنا ، والمبادلات التي قد نحتاج اليها خلال المفاوضات ، ــ تلك هي المزايا التي تنجم عن مثل هذا الغرض . ويمكن أن نضيف اليها أحيانا مفهوم الشرف العسكري . ويختلف الموقف اختلافا كبيرا استنادا الى الاحتفاظ بالارض او التخلي عنها . ونحن نستطيع الاحتفاظ بالارض عادة ، اذا كانت المنطقة المحتلة مجاورة لمسرح حربنا ، وتشكل امتدادا طبيعيا له . ويمكن اعتبار هذه

المناطق وسائل جيدة للمبادلة خلال مفاوضات السلم . أما المناطق البعيدة الاخرى ، فلا نستولي عليها الا خلال مدة الحملة .

**(ب) أخذ مستودعات العدو الرئيسية :**

اذا لم يكن للمستودع اهمية كبيرة ، تعذر اعتباره غرضا للهجوم يحدد المعركة كلها . وهو في حد ذاته خسارة للمدافع وربح للمهاجم ، ولكن ميزته الرئيسية بالنسبة للمهاجم هي أن هذه الخسارة قد تجبر المدافع على الانسحاب قليلا ، مع التخلي عن جزء من أرض بلاده كان بوسعه الاحتفاظ به لولا ذلك . والاستيلاء على مخزن ما ، هو في الحقيقة عبارة عن وسيلة لا غرض . ونحن لا نتحدث عنه هنا كغرض ، الا لانه يصبح أحيانا الهدف المباشر والمحدد للعمل .

**( جـ ) وقد يقع الاشتباك الظافر ، والصدام والمعركة نفسها بغية اكتساب الغنائم ، أو لصيانة الشرف العسكري ، أو لتحقيق طموح القائد العام .**

ولكن علينا أن نلاحظ ان هذه الامور لاتمضي بدون فوائد ايجابية ، ولا تعتبر مجرد لعبة التبجج ، بل ان لها تأثيرا واضحا على السلم المقبل ، ولذا فهي تؤدي الى الهدف بطريق شبه مباشر .. وللشرف العسكري وتفوق الجيش المعنوي والقائد الاعلى بتأثير خفي ، له وقعه على العمل الحربي برمته .

٣ ـ فاذا استثنينا الغرض الاخير ، وجدنا أن بوسعنا الوصول الى جميع الاغراض بدون اشتباكات كبيرة ، وهذا ما يلجأ المهاجم اليه عادة . وتتعلق الوسائل التي يملكها المهاجم ، للوصول الى هدفه بدون اشتباك حاسم ، بالنقاط التي يضطر المدافع الى حمايتها فوق مسرح حربه . وتتألف هذه الوسائل من تهديد خطوط مواصلات العدو ، ومنها مصادر تموينية ، كالمخازن أو المقاطعات الغنية ومجاري المياه ... الخ . أو قطعاته أو نقاطه القوية كالجسور والمعابر ... الخ ، كما تتألف من احتلال مواقع تقف عقبة في وجه المدافع ، على أن تبلغ من القوة ما لا يستطيع المدافع معه بعد ذلك طرد المهاجم منها ، ومن احتلال مدن هامة وأراض خصبة ومناطق مضطربة قد تقوم بثورة تهدد الحليف الأضعف .. الخ .

ـ وبما ان المهاجمة الجدية لهذه المواصلات قد تجعل المدافع عاجزا من اعادة تسييرها بدون تضحيات كبيرة ، فانه يضطر الى احتلال هذه النقاط مسبقا ، واحتلال موقع جانبي أو خلفي لتغطية هذه الاغراض ، حتى لو اضطره ذلك الى التضحية ببعض نقاط أقل قيمة . وهكذا تنفتح اقسومة من الارض للاحتلال ، ويتعرض مستودع أو قلعة للحصار ، وتقع اشتباكات ذات أهمية نسبية . ولكننا لانعتبرها عندئذ غايات ، بل شرا لابد منه ، على أنها لايمكن أن تتجاوز أبدا حجما معينا .

٤ ـ أما عمل المدافع على خطوط مواصلات المهاجم ، فهو نوع من المقاومة لايمكن أن يظهر في الحروب التي نسعى فيها الى الحسم ، الا اذا امتدت هذه الخطوط امتدادا كبيرا . على حين ان هذا النوع من المقاومة طبيعي جدا في الحروب التي لا نبحث فيها عن حسم كبير ، ذلك لان خطوط مواصلات العدو نادرا ما تكون آنذاك طويلة جدا . وفي هذه الحالة ، يتعذر تكبيد العدو خسائر كبيرة من هذا النوع . ان الاعاقة وحدها وانقاص قدرة العدو على المقاومة امران فعالان في غالب الاحيان . ويمكن تعويض نقص طول الخطوط باطالة الوقت الضائع بالنزاع مع العدو . ومن هنا تصبح تغطية مجنبات المهاجم الاستراتيجية غرضا هاما جدا . وهكذا ، في نزاع أو تنافس من هذا النوع بين المهاجم والمدافع ، يسعى المهاجم سعيا حثيثا الى تعويض المساوىء الطبيعية بالعدد . فاذا كان لا يزال قويا قوة كافية ، ومصمما على المخاطرة ، حسب الظروف، بضربة قوية حاسمة على احدى مفارز العدو أو على جيشه الرئيسي ، فان الخطر الذي يلوح به هكذا فوق رأس خصمه ، هو أفضل الوسائل لتغطية نفسه .

٥ ـ ونستنتج من كل ماقلناه ان هناك ميزة كبيرة يتمتع بها المهاجم حيال المدافع ، في حروب من هذا النوع ، وهي انه يستطيع أن يحكم على نوايا خصمه ووسائله حكما أفضل من حكم الخصم على نواياه ووسائله . لأن كشف المكان والزمان اللذين يعمل فيهما المهاجم بفاعلية واقدام ، اصعب بكثير من معرفة إحتمال قيام المدافع بضربة كبيرة أم لا . اذن ، فان في اختيار الشكل الدفاعي ،

بصورة عامة ، ومن وجهة نظر عملية ، نوعا من الضمان بأن لا ينوي المـــدافع الوصول الى أي شيء ايجابي . وبالاضافة الى ذلـــك فان تحضيرات ضربـــة معاكسة كبيرة ، تختلف عن الاعدادات الدفاعية العادية أكثر من اختلاف تحضيرات الهجوم العادي على أساس حجم نواياه وهل هي كبيرة أم صغيرة . وأخيرا فان المدافع مجبر على أخـــذ تدابيره مسبقا ، وهـــذا ما يعطي المهاجم ميـــزة القاء الورقة الاخـــيرة .



# الفصل الرابع

## تحويل أنظار العدو

تدل كلمة التحويل ، على هجوم يشن في أراضي العدو لجذب انتباهه ، وسحب قواته بعيدا عن النقطة الرئيسية التي نود العمل فيها .

ومن الطبيعي ان يكون للتحويل غرض خاص ايضا ، لان قيمة هذا الغرض وحدها تجبر العدو على دفع قواته نحوه . كما أن الاستيلاء على هذا الغرض يعوض القوى والجهود المبذولة في حالة فشل التحويل .

وقد يكون لهذا الهجوم أهداف شتى كالمستودعات الهامة ، والمدن الكبرى الغنية ، والعواصم ، وجميع المناطق التي نستطيع فيها تحقيق مصادرات واتاوات ، ودعم العناصر المتذمرة الناقمة داخل بلاد العدو .

والشرط الرئيسي لنجاح التحويل هو أن يجذب من مسرح الحرب قوات معادية تفوق القوات المستخدمة فيه ، لأنه ان لم يحقق ذلك ، وجذب قوات معادلة لقواته ، فقد قيمته كتحويل ، وانقلب العمل كله الى هجوم ثانوي. ولكن عندما ننظم هجوما ثانويا حيال ظروف معينة تتيح الوصول ، رغم ضعف قواتنا ، الى نتائج كبيرة لا تتناسب مع قواتنا ، فان الامر يغدو مختلفا ولا يمكن أن نطلق عليه اسم تحويل .. وعندما تشتبك دولتان في صراع ، وتتعرض احداهما خلال هذا الصراع الى هجوم دولة ثالثة ، يعتبر الناس ذلك تحويلا لانظار العدو . ولكن هذا النوع من الهجوم لا يختلف كثيرا عن الهجوم العادي الا باتجاهه ، لذلك ليس هناك أي مبرر لاعطائه اسما خاصا .

ولكي تستطيع قوة صغيرة جر قوى كبيرة ينبغي أن تتوفر ظــروف خاصة للقيام بعمل خاص .

وهنا يمكن أن نتسـاءل : أفلا يستطيع المدافع تحقيق التوازن ، بأرسال مفرزة مماثلة تقوم بعملية تحويل في بلاد المهاجم ، بدلا من الانشغال في الدفاع عن مقاطعته ؟ ان على المهاجم اذن ، اذا شاء الحصول على ميزة كهذه ، أن يتأكــد من قدرته على تحقيق تهديد أوسع وربح أكبر من التهديد والربح اللذيـن يمكن للمدافع أن يحققهما بعمل مشابه . وفي هذه الحالة ، تستطيع قوات صغــيرة اشغال وتحويل قوات معادية أكبر منها . وتتناقص هــذه الميزة بصــورة طبيعية عندما تزداد القوات المستخدمة والحصول على ميزة تشتيت أو تحويل كبير أمر مشكوك به . وكلما زاد حجم التحويل كلما كــان علينا توفير الشروط الحاسمة الملائمة له ، اذا شئنا الوصول الى نتائج حسنة وكبيرة .

ويمكن تحديد الشروط الملائمة بما يلي :

( أ ) أن يستخدم المهاجـم قوات كافية لتحويل انظار المدافع ، علــى أن لا يضعف ذلك من قوة هجومه الرئيسي .

( ب ) أن تكون النقاط التي يحتلها المدافع ، ويتجه اليها التحويل هامــة وذات قيمة حيوية كبيرة .

( جـ ) تذمر الاهالي في بلاد العدو .

( د ) وجود منطقة غنية قادرة على تقديم وسائل قتالية هامة .

ومن مساوىء التحويل انه ينقل الحرب الى قطاع لم تكن لتدخل فيه لولا ذلك . أي أنها تثير بذلك قوى معادية كان مــن الممكن أن تبقى هاجعة ، بــلا فاعلية . وتزداد خطورة الامر وحساسيته اذا استعد العــدو للحرب بأن سلح الشعب وأنشأ وحدات من المليشيا المنظمة .

ومن الطبيعي أن تهب المنطقة التي تتعرض لهجوم مفاجىء معاد ، قبل أن تأخذ للدفاع اهبته ، وان يقوم جميع الموظفين الاكفاء والقادرين في المنطقة بجمع

مختلف الوسائل المتوفرة القادرة على العمل ، وتوجيهها لصد الخطر الماثل .ولقد أثبتت تجارب الحروب ذلك ، كما أكدت أن هذه الحالات تؤدي الى ظهورقوى مقاومة جديدة وانها نوع من الحرب الشعبية التي تسهل اثارتها . وهذه نقطة هامة ينبغي لنا أن لا نتجاهلها ، اذا لم نكن نود حفر قبورنا بأيدينا .

وكلما نقص حجم الحسم الذي نبتغيه من الحرب ، ازدادت قدرتنا على استخدام عمليات التحويل على نطاق أوسع . ولكن الربح الذي نجنيه من وراء هذه العمليات يغدو صغيرا .

## التنفيذ

١ ـ يتضمن التحويل في حد ذاته هجوما حقيقيا ، ولا يتمتع بأية صفة خاصة سوى الاقدام والمهارة .

٢ ـ يمكن السعي الى اعطاء التحويل شكل مظاهرة أكثر مما هو عليه .

٣ ـ اذا لم تكن القوات المستخدمة ضئيلة كل الضآلة ، واذا اقتصر التراجع على بعض النقاط ، فينبغي وجود احتياط قوي تستطيع جميع القوات العاملة الركون اليه كنقطة للتجمع عند الحاجة .



# الفصل الخامس

# نقطة ذروة الانتصار

لا يستطيع المنتصر في الحرب أن يهزم خصمه دائما هزيمة نهائية اذ أن هناك غالبا — أو فلنقل دائما — نقطة ذروة للانتصار . وتؤكد التجربة هذه الحقيقة تأكيدا كافيا ، ولكننا سنعمد الى بحث هذا الموضوع عن قرب ، مع الاهتمام بأسبابه التابعة له .

ينجم النصر عادة من تفوق مجموع القدرات المادية والمعنوية . ويزيد النصر بلا ريب من قيمة هذا التفوق ، ولو لم يكن كذلك ، لما بحثنا عنه ودفعنا ثمنا غاليا للحصول عليه . ويخلق النصر **بحد ذاته** هذه النتيجة الاكيدة ، كما تخلقها نتائجه أيضا . ولكن عملية الخلق لا تصل الى الحد الاقصى — بل تقف عادة عند نقطة معينة . وقد يتم الاقتراب من هذه النقطة الى درجة كبيرة ، كما ان بلوغ هذه النقطة قد يكون وشيكا جدا ، وأحيانا ، الى درجة تجعل كل نتائج المعركة الظافرة مقتصرة على ازدياد التفوق المعنوي . وعلينا الآن أن نفحص كيف يمكن الوصول الى ذلك .

وتلقى القوة العسكرية ، بلا انقطاع خلال تطورات العمل الحربي ، عناصر تزيد من قوتها وعناصر أخرى تنقص من هذه القوة . ويتعلق الامر في النهاية بتفوق هذه العناصر أو تلك . وما دام كل انقاص في قوة طرف من الطرفين المتحاربين عبارة عن زيادة في قوة الطرف الآخر ، فان هذا التيار المزدوج ، وهذا المد والجزر ، يقع عند تقدم القطعات كما يحدث عند تراجعها .

ويكفي ان نكتشف السبب الرئيسي لهذا التحول في احدى الحالات حتى نحدد التحول الآخر على الفور .

وأهم الاسباب العاملة على زيادة قوة المهاجم هي :

١ ــ الخسائر التي تتكبدها القوات المسلحة المعادية المدافعة التي تكون عادة أكبر من خسائر المهاجم .

٢ ــ خسائر العدو في مصادر قوته المادية ، كالمستودعات والمخازن والجسور ... الخ التي لا يشاركه المهاجم في خسارتها أبدا .

٣ ــ خسارة المدافع للمقاطعات منذ أن يدخل المهاجم أرضه . وتؤدي هذه الخسارة الى ضياع مصادر قادرة على تقديم قوات عسكرية جديدة .

٤ ــ ربح الجيش المهاجم لبعض هذه المصادر .

٥ ــ ضياع التنظيم الداخلي لدى العدو ، واضطراب السير الطبيعي لكل أجزاء هذا التنظيم .

٦ ــ تخلي الحلفاء عن المدافع الذي تظهر عليه بوادر الهزيمة ، وانضمام حلفاء جدد للمهاجم الظافر .

٧ ــ تثبيط همة العدو الذي يرى أسلحته تتساقط من يده بشكل أو بآخر .

أما أسباب اضعاف المهاجم فهي :

١ ــ انه مضطر لحصار الحصون المعادية وتثبيتها او مراقبتها ، في الوقت الذي ينسحب فيه العدو الذي كان يقوم بمثل هذه الاعمال ، ليتجمع عند كبد قواته .

٢ ــ تبدل طبيعة مسرح الحرب تبدلا تاما منذ دخول المهاجم الى ارض عدوه ، اذ يصبح هذا المسرح مسرحا معاديا لا بد من احتلاله ، لأن المهاجم لا يملك هذا

المسرح الا اذا احتله احتلالا تاما ، بالاضافة إلى ظهور عدد كبير من الموانع في كل مكان ، بشكل يعيق ميكانيكية حركة القوات بمجموعها ، ويؤدي ، بالضرورة الى اضعاف تأثيرها .

٣ ـ ابتعاد المهاجم عن مصادر تموينه الاصلية واقتراب المدافع من مصادر القدرة في بلاده ، وصعوبة تبديل القوات المنهكة .

٤ ـ ان الخطر الذي يهدد كيان الدولة المدافعة يدفع دولا اخرى الى نجدتها .

٥ ـ تصعيد جهود المدافع بسبب الخطر المتزايد ، وتراخي جهد الدولة المنتصرة .

ويمكن لجميع هذه المحاسن والمساوىء أن تتجاور وتتقابل وتتطور في اتجاهات متعارضة متعددة . وتتجابه الاخيرة منها فقط كأمور متعارضة تعارضا حيويا ، ولا يمكننا السيطرة بعضها على بعض ، وهذا ما يجعلها تلغي ، بعضها بعضا الغاء متبادلا . ويدلنا كل هذا على سبب وجود الفروق اللامتناهية بين آثار الانتصارات ، بين ان يكون هذا الانتصار عاملا على اضعاف المدافع ، أو حافزا يدفعه الى بذل قواه بشكل أكبر .

وهنا نجد أمامنا السؤال التالي : ما الذي يدفع المهاجم ما دام الامر كذلك ، الى متابعة اندفاعه الظافر والاستمرار في هجومه ؟ وهل يمكن أن نسمى هذا حقا متابعة للانتصار ؟ أفلا يحسن التوقف في لحظة لايزال التفوق فيها قائما ولم يضعف بعد ؟

والرد على ذلك هو أن تفوق القوة العسكرية وسيلة لا غاية ، وما الغاية سوى سحق العدو ، أو احتلال جزء من أراضيه على الاقل ، بشكل نستطيع معه الاستفادة لا من القوة العسكرية الآنية ، بل من المكاسب التي تم الحصول عليها للسلم أو للحرب . فاذا ما كان **هدفنا** سحق العدو سحقا تاما ، فان علينا أن نعرف بأن كل خطوة اضافية نخطوها الى الامام قد تكون سببا لتخفيف تفوقنا . ولكن ذلك لا يعني أن هذا التفوق سيغدو معادلا للعدم عشية أنهيار العدو . اذ قد يتم انهيار العدو قبل ذلك مع الحد الادنى من التفوق ، ومن الخطأ أن لانستخدم الحد الادنى للوصول الى هذا الغرض .

اذن فالتفوق الذي نملكه أو نتوصل اليه في الحرب هو الوسيلة لا الهدف. وعلينا أن نغامر بهذه الوسيلة للوصول الى هدفنا . على أن نعرف الحدود التي يمكننا أن نذهب اليها ، حتى لانتجاوز نقطة الذروة فنخلق لانفسنا نكبات بدلا من مكاسب جديدة .

وتجاوز هذه النقطة هو اكثر من تبذير بالقوى لا فائدة منه ، ولا يعطى اية نتائج لاحقة ، ولكنه يشكل تبذيرا هداما يؤدي الى ردود فعل قوية ، ذات تأثيرات كبيرة غير متناسبة مع حجمها ، كما تدل على ذلك التجربة العالمية . وتتصف هذه التأثيرات الهدامة بأنها معروفة بشكل كبير بالاضافة الى انها سهلة الفهم والملاحظة حتى تجعلنا نتجاوز عن فحصها بالتفصيل . وتعتبر صعوبات التنظيم في الاراضي المحتلة ، والانعكاس العاطفي ألعميق الذي يظهر عندما تحل خسارة كبيرة محل آمال انتصارات جديدة ، أهم أسباب هذه التأثيرات في كل الظروف. وهنا نجد أن قوى المدافع المعنوية ، وشجاعته المتصاعدة حتى درجة التحدي والمغامرة ، وهبوط توتر الجهد لدى المهاجم ، لها دور هام فعال . فاذا اضطر المهاجم الى الانسحاب بعد ان كان منتصرا ، تضاعفت خسائره ، وتعثرت خطواته، وشكر العناية الالهية اذ هيأت له الخلاص ، حتى ولو دفعت ثمن ذلك كل مكاسبه ، على أن لا يخسر الكثير من أراضيه ذاتها .

وعلينا الآن أن نوضح تناقضا ظاهرا .

يمكننا ولا شك أن نعتقد انه ما دام الهجوم يتابع تقدمه فان التفوق واقع ومؤكد . وان الدفاع ، الذي يبتدىء منذ انتهاء التقدم الظافر ، ما دام شكلا من أشكال الدفاع أقوى من الهجوم ، فليس ثمة خطر من أن يصبح المهاجم المنتصر ، بدون ان نتوقع ، الطرف الاضعف . ومع ذلك فان هذا الخطر موجود ، فاذا ما عدنا الى التاريخ ، وجدنا ان أكبر خطر للنكسات يأتي قبـــل اللحظة التي يتوقف فيها الهجوم ويصبح فيها دفاعا . ويرجع ذلك الى ما يلي :

ان التفوق الذي يتمتع به الشكل الدفاعي ناجم عن الميزات التالية :

١ ــ استخدام الارض .

٢ ـ العمل على مسرح حربي معد مسبقا .

٣ ـ الدعم الشعبي .

٤ ـ ميزة انتظار العدو .

ومن البديهي ان هذه الميزات لا تظهر ولا تلعب دورها دائما بالدرجة نفسها . ولا يمكن لاي دفاع ان يشبه دفاعا آخر شبهـا تاما . لذا لا يتفوق الدفاع دائماً على الهجوم بالشكل نفسه .

وهناك حملات كثيرة متأثرة بفكـر التوازن الخيالي ، تمت بدون أن تحقق اية نتيجة ، نظرا لنقص التصميم الضروري في المعسكر الذي كان عليه ان يأخذ المبادأة . ولقد رأينا في هذا الصدد ميزة الانتظار . ولكن اذا كان العمل الهجومي قادرا على قلب التوازن وتحقيق مصالح المهاجم ، وكان لدى احد الاطراف ارادة قوية تدفعه الى العمل ، فان هذا الطرف لا يقف في حالة من التذبذب وعدم التصميم . ويشكل الدفاع المنظم فوق أرض العدو تحديا يفوق التحدي الذي يمثله اعداد الدفاع داخل حدود أرضنا . وهو مشوب بالمبدأ الهجومي ، اذا شئنا استخدام هذا التعبير ، لذلك فان طبيعته أضعف من طبيعة أي دفاع آخر .

فمن المؤكد اذن أن ميزات الدفاع الرئيسية تتضاءل عندما يختلط هـذا الدفاع بمشروع هجومي ، ويفقد الدفاع هكذا بعض التفوق الذي كان يملكه في الاصل .

وكما أن أية حملة دفاعية لا تتكون من عناصر دفاعية بحتة ، كذلك ان اية عملية هجومية لا تتكون من عناصر هجومية فقط . وكـل هجوم لا يؤدي الـى السلم ، لابد مـن ان ينتهي بالدفاع . يضاف الى ذلك التوقفات التي تقع في كل حملة ، ويقف فيها الطرفان موقف المدافع .

وفي هذه الحالة يشارك الدفاع نفسه في اضعاف الهجوم . ونحن نعتبر أن سيئة الهجوم الاساسية ، هي أنه يؤدي في النهاية الى دفاع غير ملائم .

وهكذا يمكننا أن نفسر تضاؤل الاختلاف الاساسي بين قوة اشكال الحرب الهجومية والدفاعية بصورة متدرجة .

وهنا لا بد لنا من دراسة مفهوم « الزمان » الذي تحتاج اليه كل قوة في العالم المادي أو المعنوي لتحقق تأثيرها . ولكن الدوافع الكامنة وراء الهجوم قد تعمل زمنا أطول من اللازم ، وتتجاوز حدود التوازن ونقطة الذروة بدون أن نلحظ ذلك ، فيضيع المهاجم الفرصة التي كان بوسعه الاستفادة منها لو انه توقف فيها وانتقل الى الدفاع اي الى نقطة التوازن . لذلك من المهم جدا تحديد هذه النقطة عندما نحدد خطة حملة ، سواء أكان ذلك بالنسبة للمهاجم الذي ينبغي له أن لا يقوم بأي عمل يتجاوز حدود امكاناته ، أو بالنسبة للمدافع الذي يستطيع الاستفادة من هذه الخطيئة اذا ما وقع فيها المهاجم .

ولنعد الان الى مجموع النقاط التي يجب على القائد أن يضعها نصب عينه عندما يأخذ قراره وهي :

١ — هل سيصمد جيش العدو بعد الصدمة الاولى ، ويقف بعدها كنواة متينة ازدادت بعد الصدمة صلابة . أم أنه سينهار وسط حطامه وشظاياه ؟

٢ — ما هو اتساع الضعف والشلل الذي يمكن أن تصاب به القوات المسلحة المعادية بسبب نقص المنابع ، أو قطع بعض طرق المواصلات ؟

٣ — هل سينهار العدو فاقدا قدرته تحت آلام الضربة الاولى التي يتلقاها ، أم أنه سينهض مشبعا بالعنف الغاضب كثور جريح هائج ؟

٤ — هل ستنهار بعض الدول الاخرى أو تثور من التجدي ؟

٥ — ما هي الاحلاف التي يمكن أن تعقد ، والاحلاف التي سيتحلل منها أصحابها ؟.. وعلى القائد أن يصل بهذه النقاط وبنقاط عديدة أخرى الى حكم صحيح مبني على الحساب وعلى المغامرة والشعور بالمسؤولية في آن واحد .

وهكذا يفضل معظم كبار القادة البقاء بعيدا عن الهدف ، على الاقتراب منه أكثر من اللازم . وتبقى الشجاعة الكبيرة والفكر المبدع الفعال غير كافيين للوصول الى الهدف . ولا يبلغ الهدف الا القادرون على أن يصنعوا أشياء كبيرة بوسائل ضعيفة .

* * *

# الجزء الثامن

# خطة الحرب



# الفصل الأول

## الحرب المطلقة والحرب الحقيقية

تشمل خطة الحرب عادة العمل العمل الحربي كله . ويصبح هذا العمل بفضلها عملية واحدة ، ذات هدف واحد نهائي ، تذوب فيه جميع الاغراض الخاصة. ولا تبدأ أية حرب من الحروب ، أو يجب على الاقل أن لا تبدأ اذا كنا نتصرف بحكمة ، دون أن نجد جوابا للسؤال التالي :

ما هو الامر الذي نسعى اليه بوساطة الحرب ومن خلالها ؟

ان ما نسعى للوصول اليه بواسطة الحرب هو الهدف ، أما ما نبحث عن بلوغه من خلال الحرب . فهو الهدف الوسيط . وتحدد هذه الفكرة الاساسية سير الحرب كلها ، كما تحدد امتداد الوسائل وحدود القدرة التي ينبغي تطويرها . ويظهر تأثيرها على العمل كله ، ويتغلغل حتى أدق تفاصيله .

ولقد رأينا من قبل ، أن سحق العدو هو الهدف الطبيعي الذي يت[illegible] العمل الحربي ، وان التزامنا الحدود الفلسفية المطلقة لمفهوم الحرب يجعلنا لا نجد لهذه الحرب هدفا آخر . وما دامت هذه الفكرة تنطبق على الطرفين المتحاربين ، فمن المتعذر وجود أي تعليق أو توقف في العمل الحربي . اذ لا يمكن أن يتم التعليق قبل أن يتدمر أحد الطرفين تدميرا فعليا .

ولقد أظهرنا في الفصل الخاص بتعليق العمل الحربي ، أن تطبيق مبدأ العداء على الانسان ، وعلى جميع الظروف التي تنبثق منها الحرب ، معرض

للتضاؤل والخضوع الى تهديدات تعود بجملها الى اسباب مرتبطة بميكانيكية العمل ، وتشكل جزءا منها .

ولكن كل هذه التعديلات غير كافية لنقلنا من مفهوم الحرب الاساسي الى الشكل الواقعي الذي تظهر الحرب فيه عادة في كل مكان . ان معظم الحروب تبدو حقدا متبادلا ، يسيطر على الطرفين المتنازعين ، ويدفع كل واحد منهما الى حمل السلاح لحماية نفسه ، وبث الرعب في صفوف خصمه ، والى القيام بضربة خاطفة اذا ما سنحت له الظروف .. اذن فليس هناك عنصران مدمران بصورة متبادلة يد خلان في صدام ، ولكن هناك توتر بين عنصرين منفصلين متباعدين ، يفرغ شرارته بصدمات صغيرة متفرقة .

ولكن ما هو الوسط العازل الذي يمنع تفريغ الشرارة بكاملها ؟ ولم لا يظهر مفهوم الحرب الفلسفي بكل حقيقته ؟ ان هذا الوسط العازل كامن في العدد الكبير من الاشياء والقوى والظروف التي تؤثر بها الحرب في حياة الدولة ، والاستنتاج المنطقي عاجز عن العمل بدقة وسهولة عبر التعرجات اللامتناهية ، ولكنه قادر على متابعة فكرة واحدة أو فكرتين ، كما أن الانسان يعمل في حل الامور ، صغيرها وكبيرها ، بناء على الافكار الخاصة التي يمنحها أهمية مفرطة ، أكثر مما يعمل بوحي الاستنتاجات المنطقية . وهو لا يكاد يعي اضطراب تفكيره ذي الاتجاه الواحد ، وتناقضه مع نفسه .

فاذا افترضنا أن الذكاء الذي يقود الحرب ، استطاع أن يأخذ بعين الاعتبار جميع هذه الظروف ، بدون أن يبتعد بأنظاره لحظة واحدة عن هدفه ، وجدنا أن جميع العقول الاخرى التي يصادفها داخل الدولة لا تكون بالضرورة قادرة على التصرف مثله . وهذا ما يؤدي الى ظهور المعارضة على مختلف أنواعها ، ويصبح من الضروري وجود قوة مؤهلة للتغلب على جمود الكتلة كلها — وهي قوة تكون في غالب الاحيان غير متلائمة مع مهمتها .

ويظهر هذا التناقض الداخلي في هذا الطرف أو ذاك ، ويصبح عندئذ السبب الذي يجعل من الحرب شيئا مختلفا عما يجب ان تكون عليه ، بناء على مفهومها — أي أن الحرب تغدو أمرا مخففا ، وجوهرا لا تلاحم داخلي فيها .

ولقد ظهرت الحرب هكذا في كل مكان ، حتى كدنا نشك في حقيقة مفهومنا لو لم تأت الحروب الحديثة ، بشكلها الحقيقي العنيف الرامي الى سحق العدو سحقا نهائيا .

ولكن هل ينبغي لنا أن نكتفي بهذا المفهوم . ونحكم على جميع الحروب من خلاله ، حتى ولو كانت مختلفة عنه اختلافا واضحا ، وأن نستنتج من ذلك كل النتائج النظرية ؟ ان علينا أن نجد لهذا السؤال جوابا ، لاننا عاجزون عن دراسة خطة الحرب بشكل أريب اذا لم نقرر بجلاء : هل تقتصر الحرب على هذا النوع، أم أن لها أنواعا أخرى ؟ .

فاذا أجبنا عن السؤال الاول بالايجاب ، اقتربت نظريتنا من جميع النواحي من المتطلبات المنطقية للحرب ، وغدت شيئا أكثر وضوحا وأشد دقة . ولكن ماذا يمكننا أن نقول في هذه الحالة عن جميع الحروب منذ أيام الاسكندر الاكبر حتى ظهور بونابرت ؟ وهل ينبغي لنا أن نضع كل هذه الحروب جانبا ؟ . والأسوأ من ذلك ، هو اننا مضطرون الى أن نقبل احتمال رؤية حرب من هذا النوع المخالف لنظريتنا خلال السنوات المقبلة ، لأن النظرية تقف على الرغم من منطقها الصارم عاجزة أمام قوة الظروف . لذلك علينا أن نستعد لاجراء الحروب كما هي في الواقع ، لا ، بناء على مفهومها الخاص ، وذلك بعد أن نقبل فيها جميع العناصر الغريبة التي ستدخل فيها وتشكل جزءا منها، كالعطالة والاحتكاك الطبيعي ، وتناقض المجموع ، وغموض الفكر البشري وقصوره .. الخ . وعلينا أن نقبل أن الحرب والشكل الذي تعطيه العناصر لها ، يستخدمان الافكار والعواطف والظروف السائدة في عصرها ..

ولهذا فان علينا أن نقبل بان الحرب لا تنبثق وتأخذ شكلها بناء على المطابقة الكاملة لكل الظروف المتعددة التي تؤثر فيها ، ولكنها تكتفي بالاعتماد على بعض هذه الظروف المسيطرة . وهذا يعني انها تعتمد على مجموعة من الاحتمالات والامكانات، والحظوظ الحسنة والسيئة ، وتعمل في ظروف يضيع وسطها الاستنتاج المنطقي الصارم ، ويغدو وسيلة غير مجدية من وسائل عمل العقل . وينتج عن ذلك ، ان الحرب الحقيقية تبتعد عن مفهوم الحرب حينا وتقترب منه حينا آخر .

ان على النظرية أن تقبل كل هذا ، ولكن واجبها يفرض عليهـــا أن تعطي المكانة الاولى الى شكل الحرب المطلق ، وان تعتبر هذا الشكل نقطة علام لكل الأمور ، فيستطيع التوجه اليها كل من يود أن يتعلم شيئا عن الحرب ، ويضعها نصب عينيه ، ويعتبرها الحد الاساسي لآماله ومخاوفه ، حتى يتقرب من المكان الذي يستطيع الوصول اليه أو المكان الذي ينبغي له بلوغه .

ومما لا شك فيه ، أن وجود مفهوم أساسي في منبع أفكارنـــا وأعمالنا ، يعطي هذه الافكار والاعمال طابعا معينا وصبغة خاصة . حتى لو كانت أسباب القرار المباشرة تأتي من مجالات مختلفة كل الاختلاف .



## الفصل الثانى

# أ - التلاحم الداخلى للحرب
# ب- هدف الحرب والجهود المبذولة

### أ ـ التلاحم الداخلي للحرب

ان تصورنا للحرب بشكلها المطلق ، أو بأي شكل آخر يبتعد عنها قليـــلا أو كثيرا ، هو الذي يظهر مفاهيم مختلفة عن نتيجتها .

فعندما تكون الحرب ذات شكل مطلق منحدر مـــن أسبابها الضروريـــة القوية ، فان الامور يؤثر بعضها في بعض بسرعة ، وتختفي النقاط المحايـــدة ، ويؤدي تعدد التأثيرات المتبادلة التي تحملها الحرب في داخلها ، والترابط الـــذي نجد بفضله سلاسل كاملة من المعارك تتبعبعضها بعضا والتصعيد أو نقطة الذروة التي يصل اليها كل انتصار ليبدأ بعدها مرحلة من الخسائر والهزائم ، كل هذه الشروط الطبيعية للحرب تؤدي الى تأكيد حقيقة راسخة ، هي أنه ليس للحرب سوى غاية واحدة ، هي **الغاية** النهائية . وليس هناك أمر محســـــوم أو شيء ضائع حتى يتم الوصول الى هذه الغاية.

وبناء على هذا المفهوم ، يمكن اعتبار الحـــرب شيئا كاملا لا يقبل التقسيم، ولا تتمتع اجزاؤه ( النتائج الخاصة ) بأية قيمة الا ضمن حـــدود علاقتهـــا بهذا الشــــكل .

أما فكرة ترابط النتائج في الحرب ، فهي فكرة حديثة تعارضها فكرة أخرى نعتبر الحرب مؤلفة من عدة نتائج خاصة مستقلة ، تشبه نتائج أدوار لعبة القمار

المتعددة ، بأن كل واحدة منها لا تؤثر في النتائج التي تليها . على أن يتعلق كل شيء بمجموع النتائج النهائي . ويمكننا في هذه الحالة أن نسجل لكل خصم من الخصمين المتنازعين النتيجة التي حصل عليها بصورة منفصلة ، كما لو كنا نسجل نتائج أدوار القمار المتتالية .

ويأخذ المفهوم الاول ( توافق النتائج ) حقيقته من جوهر الحرب . أما المفهوم الثاني ( وجود نتائج خاصة مستقلة ) ، فيأخذ حقيقته من دروس التاريخ العسكري . فهناك حالات لا تحصى يمكن فيها الوصول الى نتيجة صغيرة معتدلة بدون الخضوع الى شروط ثقيلة مرهقة . وكلما تعدل عنصر الحرب ، تكرر ظهور هذه الحالات . ويندر تطبيق المفهوم الأول في الحروب تطبيقا تاما ، كما أننا لا نجد حربا بلغ فيها المفهوم الثاني مبلغا من الصحة يجعلنا نتجاهل المفهوم الأول تجاهلا تاما .

فاذا ما تمسكنا بالمفهوم الاول ، علينا أن نعتبر كل حرب وحدة متكاملة منذ البداية ، يقوم القائد فيها بالخطوة الأولى ، بعد أن يحدد ويعرف الغاية النهائية التي تتجه نحوها كل الخطوط .

أما اذا تبنينا المفهوم الثاني ، فيسعنا أن نبحث عن ميزات ثانوية مستقلة بحد ذاتها ، على أن نترك تحديد الأمور الباقية لسير الأحداث اللاحقة .
وما دام لكل مفهوم من هذين المفهومين نتيجة معينة ، فان النظرية مضطرة الى تبنيهما معا ، وعدم الاستغناء عن أي واحد منهما ، غير أن ثمة فرقا في استخدامهما ، ذلك ان الاول سيكون الفكرة الاساسية الواقعة في الاصل كل شيء، ولا يستخدم الثاني الا كتعديل تبرره الظروف .

وتتطلب النظرية منا أن نحدد في بداية كل حرب صفة هذه الحرب ، وشكلها العام ، بناء على الاحتمالات التي تقدمها الشروط والعلاقات السياسية . وكلما اقتربت صفات الحرب المحتملة من شكل الحرب المطلق ، ازداد شمول التخطيط لكتلة الدول المتحاربة وجذبها معه الى الدوامة . وكلما ازداد ترابط الاحداث . صار علينا أن نفكر بالخطوة الأخيرة قبل البدء بالخطوة الأولى .

## ب ــ حول حجم هدف الحرب والجهود المبذولة

يتم تعديل الضغط الذي نطبقه على العــدو بالضغط الــذي نتعرض اليه وبمتطلباته السياسية . وتحدد هاتان القيمتان ، عندمــا تكونــان معروفتين ، حدود الجهود المبذولة . ولكنهما غير بدهيتين أو ثابتتين كل الثبات . وقد يكون هذا أول سبب لاختلاف الوسائل التــي يستخدمهــا كل طــرف من الطرفــين المتنازعين .

وليست أوضاع الدول وظروفها متشابهة دائما ، وقد يكون هذا الأمر السبب الثاني لاختلاف الوسائل .

ولا تتمتع ارادة الحكومة وشخصيتها وقوتها بتشابــه أفضــل . وهــذا ما يجعلها سببا ثالثا لاختلاف الوسائل .

وتبذر هذه العناصر الثلاثة بذور الشك في حساب المقاومةالتي ننتظرها وبكل ما يتعلق بالوسائل التي يمكن استخدامها ، والهدف الذي ينبغي تحديده .

وما دامت الجهود الناقصة لاتؤدي في الحرب الى ضياع النجاح فحسب ، بل تؤدي الى فشل ذي ضرر ايجابي ، فان كل واحد من الطرفــين المتنازعــين يسعى للتغلب على الآخر . وهذا مايؤدي الى قيام عمل متبادل .

وهكذا يمكن أن نصل الى قمة الجهود ، اذا كان بوسعنا الوصول الــى نقطة مماثلة . ولكن مناقشة المتطلبات السياسية تضيع في هــذه الحالة عــن انظارنا ، ولا يبقى للوسائل أية علاقة مع الغاية . الا أن هذا الميل لخط الجهــد الأقصى لا يصل الى أقصى مداه ، بل يتعطل ويتدمر بتأثير الــــوزن المعاكس للظروف المتعلقة بــــه .

وهكذا يسطر القائم بالحرب الى السـير نحــو موقف وسط ، يحدد له استخد[illegible] ومتابعة جهد الحرب ضمن الحدود التي تتيح له الوصول الــى هدفه السياسي . ولكي يغدو هذا المبدأ قابلا للتطبيــق ، فان عليــه أن يرفض الضرورات المطلقة التي يمكن أن تأتي من متطلبات النتيجة المطلوبة ، ويسقط من حساباته جميع الاحتمالات البعيدة .

وهنا يترك نشاط الفهم مجال العلم الدقيق والمنطق والحساب ، ويغدو **فنا** بكل معنى الكلمة ، أي قدرة ومهارة في استخدام الحكم الغريزي ، لمعرفة أهم الأغراض وأكثرها حسما ، وسط عدد كبير من الأغراض المتشابكة . ويتضمن هذا الحكم الغريزي بلا شك مقارنة الهامية بين الاشياء والعلاقات ،تعزل الامور البعيدة أو الثانوية ، وتكشف كل ماهو قريب وهام بسرعة تفوق السرعة التي يتم بها هذا العمل عند استخدام الاستنتاج المنطقي البحت .

وللتحقق من عدد الوسائل التي ينبغي تجنيدها للحرب ، لا بد لنا من تقدير الهدف السياسي من وجهة نظرنا ، ومن وجهة نظر العدو . وتحديد قوة الدولة المعادية ووضعها ، بالاضافة الى قوة دولتنا ووضعها . وعلينا أن نعرف شخصية حكومة العدو وشعبه وقدراتهما ،والصفات المماثلةلحكومتنا وشعبنا . كما أن علينا أن نأخذ بعين الاعتبار العلاقات السياسية للدول الأخرى ، والأثر الذي ستحدثه الحرب في مختلف الدول .. ويمكننا أن نلاحظ بكل سهولة ، أن **تحديد هذه الظروف المختلفة وعلاقاتها المتباينة عبارة عن معضلة كبرى** . والحقيقة أن القدرة على فحصها بسرعة ، وتحديد السبيل الصحيح ، عبارة عن سمة من سمات العبقرية الفذة ، وان الدراسة الاكاديمية وحدها عاجزة عن تحديد تعقيدات الظروف والعلاقات والسيطرة عليها .

ان **سعة** تباين الظروف ، **والشك** في مجال التدابير الصحيحة التي ينبغي اتخاذها ، عبارة عن عاملين يزيدان الى درجة كبيرة صعوبة بلوغ نتيجة ملائمة . **ولكن علينا أن لا نغالي في تقدير الحقيقة القائلة : بأن اهمية الموضوع لا تزيد** تعقيد المعضلة وصعوبتها ، ولكنها تزيد من قيمة القدرة على حلها . فمن الملاحظ أن حرية الفكر ونشاطه منخفضان عند الرجال العاديين ، ولا يزيدان أمام الخطر والمسؤولية . فاذا ما أعطيا لقوة الحكم أجنحة قوية ، كان ذلك دليلا على أننا أمام فكر عظيم غير عادي .

وهكذا نرى أن من واجبنا قبل اطلاق أي حكم على حرب تهدد بالنشوب ، وعلى هدفها والوسائل التي يمكن أن تستخدمها ، أن نقوم بفحص عام لجميع الظروف التي نجد بينها العناصر الخاصة للحظة القيام بالعمل . ومع هذا يكون قرارنا غير موضوعي كل الموضوعية ، ككل القرارات التي نأخذها خلال الحرب ، والتي تتحدد وتتعدل بناء على الصفات الفكرية والمعنوية للأمراء

ورجال الدولة والقادة ، سواء أتم اجتماع وظيفة رئيس الدولة وقائد الجيش في شخص واحد أم لا .

ويأخذ الموضوع شكلا عاما أوسع ، وتزداد القدرة على الفحص المجرد ، كلما ازدادت قدرتنا على تقدير العلاقات العامة التي تفرضها الظروف والعصر على الدول .

لقد قاد التتر نصف المتحضرين ، وجمهوريات العالم القديم ، والسادة الاقطاعيون ، والمدن التجارية في القرون الوسطى ،وملوك القرن الثامن عشر — لقد قاد كل واحد من هؤلاء الحرب بطريقته الخاصة ، مستخدما وسائل مختلفة، ومستهدفا اهدافا متباينة .

ولقد كانت قبائل التتر تبحث عن أمكنة جديدة للاقامة ، وكانت تتحرك مع جميع أفرادها ومعهم النساء والأطفال . لذا كان تعدادها أكبر من تعداد أي جيش عادي . وكان هدفها اخضاع العدو أو طرده ، لذلك كانت وسائلها الضخمة قادرة على قلب كل مايعترض سبيلها ، لو أن وضعها الاجتماعي كان يتيح لها خلق حضارة عالية .

أما جمهوريات التاريخ القديم — باستثناء روما — فكانت قليلة المساحة ، كما كانت جيوشها صغيرة أيضا ، لأنها لم تكن تضم بين صفوفها جماهير عامة الشعب . وكانت الجمهوريات الكثيرة تعيش متقاربة من بعضها تقاربا يعرقل المشاريع الكبيرة ويحددها وسط جو التوازن الطبيعي السائد الذي كان ينجم عنه وجود أجزاء مستقلة صغيرة ، بناء على قانون الطبيعة العام . وكانت الحروب مقتصرة على اجتياح المناطق المكشوفة ، واحتلال المدن المنعزلة لتحقيق نوع من السيطرة والتفوق بعد ذلك . .

وتمثل روما هنا استثناء واضحا ، الا أن الأستثناء لايشملها حتى آخر فترة من فترات تاريخها . ومع هذا فقد قادت هذه الجمهورية ضد جيرانها خلال حقبة طويلة من الزمن حروبا تقليدية بعصابات صغيرة ، بحثا عن الغنائم والحلفاء . واصبحت روما بعد ذلك كبيرة بالحلفاء الذين التفوا حولها . وهكذا ضمت عددا كبيرا من الشعوب المجاورة داخل شعب واحد بفضل التحالف لا بعمليات احتلال

فعلية . وبعد أن امتدت هذا الامتداد فشملت ايطاليا الجنوبية كلهـا ، انطلقت كقوة ظافرة حقا ، فأسقطت قرطاجنة ، واحتلت اسبانيا وبلاد الغول، وسيطرت على اليونان ، وامتدت سلطتها الى مصر وآسية . وفي هذا العصر كانت قوات روما العسكرية كبيرة بدون أن تكون الجهود المبذولة كبيرةبالنسبة نفسها . ذلك لأن القوات المسلحة كان يدعمها المواطنون الأغنياء .. ولم تكن روما لتشبه أية جمهورية من جمهوريات العالم القديم ، كما لم تكن لتشبه النمط الاول الذي ظهرت به ، وكانت حقا وحيدة عصرها .

ولقد أخذت حروب الاسكندر الاكبر شكلا خاصا أيضا . اذ استطاع فيها جيش صغير يتميز بتنظيمه الرائع قلب الكيانات المهترئة في الدول الاسيوية . وكان الاسكندر عنيفا طموحا لايصيبه الكلل ، وهذا مادفعه لأن يجتاح البلاد الآسيوية الواسعة ، ويصل الى الهند . ولم تكن أية جمهورية من الجمهوريات قادرة على القيام بذلك ، لان عملا كهذا ، لا يستطيع أن يحققه بسرعة الا ملك يقود جيشه بنفسه .

وجاءت الملكيات الصغيرة في القرون الوسطى فقادت حروبها بوسائل اقطاعية . وكان كلشيء محددا بفترة صغيرة من الزمن ،فاذا ماظهر عمل لا يمكن تنيفذه خلال هذه الفترة ، اعتبره الطرفان أمرا مستبعدا . وبقيت القوة الاقطاعية خلال هذه الحقبة خاضعة لتنظيمات النبلاء ورؤساء المقاطعات ، التي يجمع بينها في النهاية رباط هو مزيج من الواجب الالزامي والاحلاف الارادية . وكانت جميع قوات المقاطعات تكون اتحادا حقيقيا . وكان التسلح والتكتيك قائمين على مبدأ سيطرة القوة والمعركة الفردية ، فكانا غير متلائمين ومتطلبات القطعات الكبيرة . والحقيقة أن وحدة الدولة المركزية لم تتحلل كتحللها في ذلك العصر . ولم يتمتع المواطن بحريته كتمتعه بها آنذاك . وأعطى كل هذا للحرب صفة خاصة جدا ، فكانت تدور دورانا سريعا ، وكانت الجيوش تضيع قليلا من الوقت على مسارح القتال ، وغالبا ماكانت الاهداف محدودة بمعاقبة العدو لا باخضاعه . وكان النصر ينتهي بالاستيلاء على مواشي العدو ، واحراق قلاعه ، والعودة الى البلاد .

ثم أدخلت المدن التجارية الكبرى والجمهوريات الصغيرة نظام الكوندوتييري، وكان نظاما عسكريا كثير التكاليف . وهذا ما جعل تعداده محدودا . وكانت قوته

ضعيفة أيضا من حيث الشدة . ولم يكن قادرا على بذل قـدرة كبيرة أو جهـد أقصى على حقل المعركة . لذلك كانت المعارك آنذاك تتقلص حتى تغدو أشـبه بقتال صوري . وهكذا اصبح الحقد والبغضاء لا يدفعان الدولة الى العمل ، أي صارا سلعة تجارية . واصبحت الحرب غير متمثلة بكل اخطارها وطبيعتها ، بل غدت أمرا مغايرا كل المغايرة ، لايمكن أن نطبق عليه مبادئه الخاصة به .

وتركز النظام الاقطاعي بعد ذلك بالتدريج داخل سلطة محددة . واشتدت روابط الدولة الداخلية . وانقلبت الخدمات الشخصية الى الزام مادي . وحـل المال في معظم الحالات محل الخدمات . وتحولت جيوش المتطوعين الاقطاعيـة الى جيوش محترفة . وكان الكوند وتييري يشكلون حلقة الاتصال في هذا التحول، فكانوا خلال فترة ما أداة الدول الاقوى . ولكن هذا لم يدم زمنا طويلا ، وانقلب الجندي المتطوع لمدة محدودة الى جندي محترف على الدوام ، وأصبحت قـوة الدول العسكرية عبارة عن جيوش تغذيها الخزينة العامة . وظهر عدد كبير من التركيبات الخاصة بالقوة العسكرية .

وعلينا ان نعتبر نهاية القرن السابع عشر وعصر لويس الرابع عشر فترة تاريخية نضجت فيها القوة العسكرية الدائمة التي بقيت قائمة بعد ذلـك حتى القرن الثامن عشر . وكانت هذه القوة مبنية على التجنيد والمـال واستطاعت الدول انشاءها بفضل وحدتها الداخلية الكاملة ،وتحويل عمليات التكليف الفردية الى ضرائب تجمع كل القوى في خزينة واحدة . وكبرت هذه القوة بسرعة بفضل التقدم الذي كان يتطور بلا انقطاع ، وتشكلت الجيوش الضخمة .

وتعدلت الظروف الاخرى للدول في هذا الاتجاه . وكانت أوروبة مقسـمة الى حوالي ١٢ مملكة ، وبعض الجمهوريات . وكان بوسع دولتين من هذه الدول أن تشتبكا مع بعضهما في قتال دون أن تتدخل دول عديدة أخرى في الصراع ، كما كان يتم في الاحوال السابقة . وكانت التركيبات الممكنة للعلاقات السياسية متعددة ومتنوعة ، وبوسعنا أن نلقى عليها نظرة عامة ، ونحددهـا في كل وقت حسب احتمالاتها .

كانت العلاقات الداخلية في كل مكان تميل الى البساطة متخـذة الطابـع الملكي .وكانت حقوق الفئات صاحبة الامتيازات وتأثيراتها تتناقص باستمرار .

وغدت الحكومة وحدة كاملة تمثل الدولة في علاقاتها الخارجية . وجـاء الوقت الذي تستطيع فيه أداة ملائمة وارادة مستقلة ، أن تعطيا للحرب شكلا يتـلاءم ومفهومها النظري .

وكانت الجيوش تعتمد على الخزينة التي كان الملوك يعتبرونها خزينتهم الخاصة، أو على الأقل كمصدر يعود الى الحكومة أكثر مما يعود الى الشعب . وكانت العلاقات الخارجية مع الدول الاخرى تسعى لتحقيق مصالح الخزينة أو الحكومة لا مصالح الشعب ، باستثناء بعض الامور التجارية . وكانت الامور كلها تميـل نحو هذا الاتجاه وهكذا كانت الحكومات تعتبر نفسها مالكة ومديرة لمساحات واسعة تسعى دائما الى توسيعها ، ولا يهتم مـلاك الارض الحقيقيـون بتطويرهـا وتحسينها . أما الشعب ( وتقتصر كلمة الشعب هنا على من كانوا يملكون بالفعل حقوق المواطن ) الذي كان كل شيء في عصر الغزوات الهمجية ، وقـام بـدور هام في جمهوريات العالم القديم والقرون الوسطى ، فقد غدا شيئا لايذكر ، ولم يبق له في القرن الثامن عشر سوى تأثير غير مباشر على الحرب ، بفضل فضائله العامة أو نقائصه ونقاط ضعفه .

وأدى انفصال الحكومة عن الشعب ، وتصرفها وكأنها الدولة كلها ، الـى انقلاب الحرب الى عمل خالص من أعمال الحكومة يسيره المال ،وينفذه أشخاص متفرغون لا شاغل لهم ، تجمعهم الدولة من بلادها أو من البلاد المجاورة . وهذا ماجعل وسائل الحكومة تحدها حدود واضحة يمكن تقدير حجمها ومدتها في آن واحد في كلا المعسكرين . وهذا ما حرم الحرب من أكثر عناصرها خطورة ، وهو الجهد المتجه نحو الحدود القصوى ، والسلسلة الغامضة مـن الاحتمـالات المرتبطة بهذا الجهد .

وكانت امكانات العدو المالية ، ومحتوى خزينته ، وحالة ميزانية ، وحجم جيشه ، أمورا معروفة معرفة تقريبية . ولم يكن بوسع أية دولة ادخال زيـادة كبيرة على امكاناتها في لحظة اعلان الحرب . وكانت تجد نفسها مضطرة الـى تعديل مخططاتها بناء على معلوماتها عن حدود قدرة العدو ، ومعرفتها الواعيـة الكاملة لحدود وسائلها .. وكان عدم احتمال تعرضها الى عمل متطرف ، يحول دون أن تندفع ، بدورها ، في مغامرات تذهب بها الى الحدود القصوى ، اذ

ضرورةطبيعةالحرب لم تكن تدفعها الي السير في هذا الاتجاه . وكان الدفع يأتي من الشجاعة والطموح والصفات المعنوية الاخرى ، التي كانت تجد وزنا معاكسا يتمثل في ظروف الدولة نفسها . وكان قادة الجيوش ، حتى لو كانوا ملوكا ، يستخدمون الاداة الحربية بكل حذر ، ذلك لأن تشتت الجيش يجعل من المتعذر اعادة تشكيله من جديد . ولم يكن هناك أية تنظيمات أخرى خارج الجيش . وكان الجميع يتخذون احتياطات وتحفظات كبيرة اجبارية عند القيام بالمشاريع ، ولا يستخدمون اداتهم الثمينة ، كثيرة التكاليف ، الا عندما تتيح لهم الظروف فرصة نادرة وميزة اكيدة . وكان خلق مثل هذه الفرصة عملا اريبا من اعمال القادة المهرة ، وكانت جميع الامور تبقى حتى ظهور الفرصة الملائمة وكأنها أمور عائمة وسط فراغ كامل . كما كانت جميع القوى والدوافع تختفي وكأنها هاجعة كل الهجوع ، بالاضافة الى اختفاء الحافز الرئيسي للمهاجم وسط ضرورات الحذر والاحتراس .

وهكذا غدا جوهر الحرب لعبة ، للزمن والصدفة فيها دور هام أما محتواها فلم يكن سوى دبلوماسية متوترة ، أو مفاوضات عنيفة كبيرة المطالب ، تقوم فيها المعارك وعمليات الحصار مقام المذكرات الدبلوماسية . وكان أكثر القادة طموحا يحاول الحصول على بعض الميزات المعتدلة ، ليساوم عليها ويستخدمها خلال مباحثات السلم .

وكان هذا الشكل الضيق المحدود للحرب يعمل كما قلنا منطلقا من القاعدة الضيقة التي يعتمد عليها . أما اليوم فلقد كبرت الدول وتباعدت مراكزها ، وحل الفن الدبلوماسي محل المصالح الشخصية المباشرة ، كالجواروالتماس والعلاقات العائلية والصداقات الشخصية ، المصالح التي كان لها دور هام في التأثير على الدول الصغيرة ، لمنع أية دولة من النمو والتوسع فجأة على حسب جيرانها . وهكذا تطورت المصالح السياسية والرغبات والدوافع في نظام راق . ولم يعد من المكن اطلاق طلقة مدفع في أوروبا ، دون أن تهتم بذلك جميع الحكومات .

واصبح من الواجب على كل اسكندر جديد أن يملك ريشة جيدة بالاضافة الى سيفه الصارم . علما بأنه لم يكن ليذهب بعيدا في انتصاراته ، حتى بعد امتلاك هاتين الاداتين .

وكف نهب البلاد المعادية وسلبها واجتياحها عن ان يكون — كما سبق — اعمالا تتلاءم وروح العصر ، علما بأنها قامت بدور كبير في حروب التتر والشعوب الآسيوية ، وفي الحروب الاوروبية خلال القرون الوسطى . واصبح الجميع يعتبرون هذه الاعمال وسيلة همجية غير مجدية، قد تكون حافزا لعمليات انتقامية، وتسبب اضرارا بالغة لرعايا العدو لا لحكومته . لذلك فهي لا تصل الى اية نتيجة، ولا تؤدي الا الى إعاقة تقدم الحضارة القومية . وهكذا اقتصرت وسائل الحرب وغاياتها على الجيش نفسه ، وأصبح الجيش بقلاعه ومواقعه المعدة مسبقا يشكل دولة داخل الدولة . وبدأ العنصر القتالي في هذا الجيش يتناقص تناقصا مستمرا . وشمل هذا التحول جميع الدول الاوروبية التي اعتبرته نتيجة طبيعية للفكر المتطور . وكان هذا الاعتبار خطأ فادحا ، لان تطور الفكر البشري لا يمكن أن يؤدي الى الخطيئة ، أو الى التناقض ونكران البدهيات . ومع هذا كان للتحول المذكور تأثير ملائم بالنسبة للشعب ، ولكننا لانستطيع ان نفكر بأنه ساعد الميل الرامي الى جعل الحرب قضية من قضايا الحكومة ، مفصولة عن مصالح الشعب انفصالا تاما . وكانت خطة الدولة المهاجمة في هذا العصر تشمل غالبا احتلال هذه المقاطعة أو تلك . أما خطة المدافع ، فكانت تتضمن الاستيلاء على قلعة من قلاع العدو ،أو منع العدو من احتلال قلعة صديقة .

وكان البحث عن المعركة يتم عندما تغدو هذه المعركة حتمية لا يمكن تحاشيها . وكان الجميع ينظرون الى القائد الذي يشتبك بالمعركة بمحض ارادته دون دفع الضرورة القصوى ، وكأنه قائد جرىء جسور . وكانت الحملة تنتهي عادة بعد حصار واحد أو حصارين . وما أن تأخذ القطعات معسكرات الشتاء — التي كانت أمرا ضروريا — حتى يغدو من المتعذر على اي طرف من الطرفين اكتساب ميزة جديدة من اوضاع العدو السيئة . وينقطع التماس المتبادل نهائيا ، فتفرض معسكرات الشتاء بذلك حدا دقيقا للعمل الذي يمكن القيام به خلال اية حملة .

فاذا كانت القوات المتصارعة متساوية تقريبا ، او كان المهاجم اضعف من المدافع ضعفا واضحا ، انعدمت المعارك وعمليات الحصار ، وغدت اعمال الحملة مقتصرة على الدفاع عن بعض المواقع والمخازن ونهب بعض مناطق العدو .

وعندما كان سير الحرب يتم على هذه الصورة ، وكانت الحدود الطبيعية لقوتها قريبة وبدهية جدا ، كان الناس يرون فيها امرا طبيعيا لايحمل في داخله اي تناقض . ويجدون ان الامور تجري فيها على الوجه الافضل . لهذا اهتم النقد خلال القرن الثامن عشر بالتفاصيل غير ملتفت الى بداية الصراع وغايته . وظهرت العظمة والامتياز في كل شيء . حتى ان الفيلد مارشال « دون » الذي كان المسؤول الاول عن نجاح « فريدريك » الكبير وفشل «ماري تيريز» ، قد اعتبر قائدا كبيرا . وفي تلك الحقبة ظهر حكم اكثر عمقا واكتشف الرأي العام أن على التفوق العددي ان يقدم نتائج ايجابية ، والا كانت الحرب كلها سيئة ، مهما كانت عظمة المواهب المستخدمة .

هكذا كان الموقف عندما اندلعت الثورة الفرنسية ، وجربت النمسا وبروسيا فنهما الدبلوماسي الرفيع ، فبدا عجزه بسرعة . ودفعت الافكار التقليدية الناس الى تعليق جميع الآمال على قوة عسكرية محدودة جدا . ولكن قوة هائلة لم يفكر بها أي انسان ظهرت في عام ١٧٩٣ ، وعادت الحرب فجأة لتصبح من جديد عملا من اعمال الشعب . وحمل لواء الثورة شعب مؤلف من ٣٠ مليونا ، يعتبرون انفسهم جميعا مواطنين في الدولة . وجاءت مشاركة الشعب كله بالحرب ، بدلا من الحكومة او الجيش ، فجعلت شعبا كاملا يدخل حلبة القتال بكل وزنه الطبيعي . ومنذ ذلك الوقت اصبحت الوسائل المتوفرة ، والجهود التي يمكن استخدامها واسعة لا حدود لها . وخلت القدرة التي تدير الحرب من أي وزن معاكس ، فأدى ذلك الى تصاعد الخطر على العدو حتى حدوده القصوى .

ولكننا نعرف ان حروب الثورة جرت قبل ان يغدو هذا الامر ملموسا بوضوح وبدهيا كل البداهة . ولم يقدم قادة الثورة نحو هدفهم النهائي تقدما لا يقاوم ، ولم يستطيعوا تحطيم الملكيات الاوربية . ويعود كل ذلك الى انعدام الاتقان والخبرة الفنيين لدى الفرنسيين . ولقد ظهر هذا العيب في بادىء الامر بين صفوف الجنود ، ثم ظهر لدى القادة الكبار ، حتى انه لوحظ في ظل حكم المديرين داخل الحكومة نفسها .

وما أن تم تحسين كل شيء وتطويره على يد بونابرت ، حتى سارت هذه القوة العسكرية المبنية على قوة الامة وسط قعقعة السلاح ، واجتاحت أوروبة ،

وهي واثقة من انها ستحقق نتيجة ظافرة لا ريب فيها عندما ستصطدم بجيوش من الطراز القديم . وجاء رد الفعل في الوقت الملائم ، عندما انقلبت الحرب الاسبانية الى حرب شعبية ، وعندما قامت النمسا في عام ١٨٠٩ بجهود كبيرة اعتمدت على الحرس الوطني والقوات الاحتياطية التي حققت لها هدفها المرجو ، وتجاوزت كل ما اعتقدته الدولة النمساوية في ذلك الوقت ممكنا . وفي عام ١٨١٢ جرى العمل في روسيا على غرار العمل في اسبانيا والنمسا ، واتاحت مساحات هذه الامبراطورية الشاسعة تحقيق نتائج جيدة رغم تأخر الاستعدادات . كما زادت هذه المساحات من اهمية النتائج التي تم الوصول اليها . وكانت النتيجة النهائية مدهشة ورائعة .

ولقد كانت بروسيا اول الدول الالمانية التي انتفضت وجعلت من الحرب فضيلة وطنية . واندفعت الى الحرب رغم نقص اموالها ، وضعف ميزانيتها ، وانخفاض عدد شعبها الى النصف . واعدت جيشا اكبر من جيش عام ١٨٠٦ بضعفين . وسارت بقية الدول الالمانية على غرار بروسيا بعد فترات متباينة ، وتحركت النمسا الى الامام رغم ضعفها بالنسبة لعام ١٨٠٩ ، وقدمت قوة لم تكن معهودة لديها . وهكذا قدمت المانيا وروسيا في عامي ١٨١٣ و ١٨١٤مايقارب مليون جندي ، يشملون كل من قاموا بدور فعال ، او قتلوا خلال هاتين الحملتين .

وفي هذه الظروف ، كانت القدرة المستخدمة لادارة الحرب مختلفة اختلافا كليا عما كانت عليه في الماضي . حقا انها لم تكن مساوية القدرة التي يستخدمها الفرنسيون ، فلقد كان التردد والتهيب مسيطرين حتى ذلك الحين في كثير من المجالات ، ومع هذا فان بوسعنا ان نقول : ان سير الحملات كان يتم بناء على الشكل الجديد بعد تغير الشكل القديم .

وهكذا اصبحت الحرب منذ ظهور بونابرت قضية الامة كلها . ولقد بدا ذلك في اول الامر واضحا لدى الفرنسيين ، ثم انتقل الى معسكر خصومهم . وأخذت الحرب بذلك طابعا جديدا عاما، أو بالاحرى، اقتربت من طبيعتهاالحقيقية وشكلها المطلق . ولم يكن للوسائل التي استخدمت آنذاك حدود مرئية ، اذ ضاعت هذه الحدود وسط اندفاع الحكومة والشعب وحماستهما . وادىامتداد

الوسائل ، وتزايد سعة حقل النتائج المحتملة ، واثارة العواطف بشدة ، الى زيادة القدرة المستخدمة في ادارة الحرب زيادة ملحوظة . واصبح هدف هذه القدرة قلب العدو وانهياره . ولم يكن هناك اي مجال للتوقف ، او الوصول الى أي اتفاق متعلق بالاهداف المتنازع عليها قبل ان يتم تدمير العدو تدميرا تاما .

وشاهد العالم تحرر العنف البدائي للحرب من جميع قيوده ، وانفجار قوته الطبيعية بكل عناصرها . وكان السبب الاساسي لهذا التحرر هو اشتراك الشعب في هذا العمل الجبار من اعمال الدولة ... ويعود اشتراك الشعب الى الدفع الذي اعطته الثورة لشؤون البلاد الداخلية ، والموقف المهدد الذي وقفه الفرنسيون حيال جميع الامم .

وسننهي هنا جولتنا التاريخية مؤكدين بأن لكل عصر اشكاله الخاصة للحرب ، وظروفه المحددة الخاصة ، وأفكاره المسبقة الخاصة ، ونظريته الحربية الخاصة ، على الرغم من وجود ميل قديم منذ العصور القديمة حتى يومنا هذا ، لانشاء نظرية حربية مبنية على اسس فلسفية .

ان نظرية الحرب المطلقة ترفض جميع الحالات التي تبدل فيها التأثيرات الخارجية جوهر الحرب ، وتعتبرها خطأ فاحشا . ولكن هذا الرفض لا يمكن أن يشكل غرض النظرية التي تسعى لان تكون علما حربيا . ان على النظرية ان تهتم بالظروف الواقعية لا بالظروف المثالية والنظرية ، وان تلقي نظرة فاحصة تميز الاغراض وتصنفها ، وان ترسم بعد ذلك العناصر الكبيرة للحرب ، بشكل تترك معه مكانا لمتطلبات العصر وضرورات لحظة العمل .

هذا مع العلم ، ان الغرض الذي يأخذه كل من يود القيام بالحرب على عاتقه ، والوسائل التي يستطيع استخدامها ، محددة تحديدا كاملا بالتفاصيل الخاصة لوضعه . وهي تتعلق ايضا بصفة العصر وظروفه الخاصة ، كما انها **خاضعة دائما للقواعد والاستنتاجات العامة التي ينبغي استنباطها من طبيعة الحرب .**

* * *

# الفصل الثالث

## تعريف دقيق لهدف الحرب
## هزيمة العدو

يجب ان يتجسد هدف الحرب في هزيمة العدو حتى ينطبق هذا الهدف مع مفهومه .. هذه هي الفكرة الاساسية التي انطلقنا منها .

ولكن ما هي الهزيمة ؟ انها لا تفترض دائما احتلال بلاد العدو احتلالا كاملا فهناك حالات تتطلب هزيمة قوات العدو وتحطيم رغبة القتال لديه ، وحالات اخرى تقع الهزيمة فيها عند احتلال العاصمة .. الخ .

ولا يمكن تحديد النتيجة بأسباب عامة ، وان الاسباب الخاصة التي لا يعرفها الا من كان فوق ارض المعركة ، وكثيرا من الاسباب المعنوية التي يحاول الجميع احاطتها بنطاق من الصمت ، والظروف والاحداث الصغيرة ، عبارة عن امور حاسمة . وكل ما تستطيع النظرية قوله بهذا الصدد ، هو ان علينا ان ندرس الظروف المسيطرة داخل المعسكرين ، والاعتماد عليها للبحث عن مركز الثقل ، او مركز القوة والحركة الذي يتعلق به كل شيء ، على ان من الضروري توجيه الضربة المركزة بكل القوات ضد مركز ثقل العدو . سواء كان هذا المركز متمثلا بجيش العدو ، او عاصمته المضطربة بسبب الاختلافات الداخلية ، او جيش الحلفاء ، أو الرأي العام ، أو القائد الاعلى . ومن الضروري توجيه الضربة الى هذه النقاط . فاذا فقد العدو توازنه ، كان علينا ان لا نترك له الوقت الكافي ليستعيد هذا التوازن . وان نوجه الضربات المتلاحقة بكل اصرار في الاتجاه نفسه. أي أن على المنتصر أن يوجه ضرباته دائما ضد مجمل قوة عدوه لا ضد جزء واحد

منها فقط ولا بد من البحث عن نواة قوة العدو بكل تصميم ، وضربها بعنف ، مع المغامرة بكل شيء لربح كل شيء .

ولكن مهما كان نوع النقطة المركزية لقوة العدو التي ينبغي ان نوجه اليها عملياتنا ، فان الانتصار على العدو وتدمير جيشه ، هما البداية الاكيدة ، والعنصر الاساسي لكل ما يأتي بعد ذلك .

ولقد اعتبرنا حتى الآن ، ان العدو يشكل في الحرب وحدة متكاملة . وقبلنا هذا الامر نظرا لاعتبارات عامة . ولكن ما دمنا قد قلنا ان التغلب على العدو يتطلب سحق مقاومته في مركز ثقله ، فان علينا أن نترك الافتراض السابق جانبا ، وان نناقش الحالة التي نجابه فيها أكثر من عدو .

فاذا ما اتفقت دولتان أو أكثر ضد دولة ثالثة ، فليس هذا الامر من الناحية السياسية الا حربا **واحدة** . بيد أن لمثل هذه الوحدة السياسية درجات متعددة .

وعلينا هنا أن نعرف ما اذا كان لكل دولة داخلة في التحالف مصلحة مستقلة، وقوة ذاتية خاصة لمتابعة هذه المصلحة . أو أن أحدى دول التحالف قائمة بتأمين المصالح وتقديم القوات التي تستطيع الدول الاخرى الاعتماد عليها . وكلما اقتربنا من الحالة الثانية ، أمكننا اعتبار جميع الاعداء عدوا واحدا ، وصار بوسعنا تبسيط المشروع الرئيسي بضربة واحدة رائعة . فاذا استطعنا القيام بذلك ، تحققت لدينا أكمل وسائل النجاح وأكثرها حسما .

ويدفعنا كل هذا الى صياغة المبدأ التالي : اذا كان تحطيم جميع الاعداء يتم بتدمير عدو واحد منهم ، فمن الواجب اعتبار هزيمة هذا العدو هدفا للحرب لان الضربة المسددة اليه تصيب في هذه الحالة مركز الثقل المشترك في الحرب كلها.

وهناك حالات قليلة لا ينطبق عليها هذا المفهوم . ولا يمكن فيها اختصار عدد كبير من مراكز الثقل داخل مركز ثقل واحد .. ولكن استحالة هذا الاختصار تتطلب منا اعتبار الحرب حربين منفصلتين أو أكثر . على أن يكون لكل حرب هدفها . ومادامت هذه الحالة تفترض مسبقا وجود عدة أعداء مستقلين وتفوق قوتهم مجتمعة على قوتنا ، فان عملية سحق العدو عملية خارجة عن حدود موضوعنا .

ولنأت الآن بصورة خاصة الى السؤال التالي : متى يكون هذا الغرض ممكنا ومفضلا ؟

يجب أن تكون قواتنا العسكرية قبل كل شيء كافية لتنفيذ ما يلي :

١ ــ تحقيق نصر حاسم على قوات العدو .

٢ ــ قبول لخسائر الضرورية في قواتنا ، اذا تابعنا النصر حتى النقطة التي تصبح عملية استعادة التوازن بعدها غير معقولة .

٣ ــ التأكد من أن وضعنا السياسي متين متانة تجعل هذه النتيجة عاجزة عن اثارة اعداء جدد علينا ، وهذا ما قد يجعلنا نتراجع عن العدو الاول .

ومن الضروري دراسة هذه الشروط الثلاثة ، حتى لايضطرنا الشرط الاخير الى اضاعة ما ربحناه بالشرطين السابقين ، وان نضطر الى دفع تكاليف الثلاثة معا .

واذا حسبنا حساب عامل الزمان وجدنا ان العملية الحربية تتطلب بعض الوقت كأي عمل على الارض . ويعتبر الوقت ضروريا لكلا الطرفين المتنازعين . والسؤال الوحيد هو : من هو الطرف الذي يجد ان ظروف موقفه تدفعه الى ان يرى في الانتظار ميزات خاصة اكثر من خصمه ؟ انه المهزوم بلا شك ــ نظرا لان خصائص الموقف بالنسبة لطرف ما تتوازن في النهاية مع خصائص موقف الطرف الآخر ــ ولا يتم هذا بناء على قوانين الديناميك ، ولكن بناء على قوانين نفسية . فالغيرة والرغبة والقلق وعظمة النفس ، هي العوامل المعدلة الطبيعية العاملة لصالح من خانه الحظ . فهي تخلق له بعض الاصدقاء ، كما تضعف وتحلل تلاحم اعدائه . لذلك قد يقدم الوقت والفترات الزمنية للمهزوم لا للمنتصر بعض الميزات والنتائج الحسنة . وبالاضافة الى ذلك ، فان علينا ان نتذكر ان المهاجم لا يصل الى ميزات الانتصار الاول الا بعد ان يكون قد قدم مقدارا كبيرا من القوى . وهو لا يكتفي بهذا البذل الاولي فحسب ، بل يضطر الى الاستمرار

فيه . ان القوات الكافية لاحتلال مقاطعة من مقاطعات العدو لا تكفي دائما للسيطرة على الموقف الجديد ، ويؤدي هذا الموقف الى تزايد الضغط على الموارد باستمرار، حتى تصبح هذه الموارد غير كافية . وهكذا يمكن ان يسبب الزمن نفسه تبديلا واضحا في الموقف . على الرغم مما يستفيده المهاجم من الارض المحتلة لتعويض موارده .

ولكن اذا كانت المقاطعات المحتلة قوية قوة كافية وكان فيها نقاط هامة بالنسبة للمناطق التي لم تقع تحت الاحتلال ، وكان الاحتلال كالسرطان قادرا على تغذية نفسه بنفسه ، فان من الممكن ان يكسب المهاجم اكثر مما يخسر ، اذا بقي في مكانه منتظرا ولم يتقدم اكثر مما تقدم . وفي هذه الظروف ، واذا لم تتدخل نجدات قادمة من الخارج ، يكون الوقت قادرا على اكمال العمل الذي بدأ به المهاجم . وتسقط المناطق التي لم تكن قد احتلت ، ويغدو الوقت عاملا من عوامل تعزيز القوات المحتلة . ولا يقع هذا الامر الا اذا غدا احتمال قيام المدافع بالصدمة المعاكسة مستحيلا ، واصبح انقلاب الحظ لمصلحته بعيد الاحتمال . ولم يعد لعامل تعزيز القوات بالنسبة للمهاجم اية قيمة بعد ان بلغ غرضه ، وزال خطر الازمة ــ اي بعد ان هزم عدوه .

ولقد كان هدفنا من المحاكمة السابقة ، ان نظهر بكل جلاء ووضوح اننا لا نستطيع اطالة زمن الاحتلال أكثر مما ينبغي ، وان اطالة مدته اطالة تتجاوز الزمن اللازم لتحقيق نتيجة جيدة ، عبارة عن عمل يزيد من صعوبة هذا الاحتلال بدلا من ان يساعد على تسهيله .. فاذا كان هذا الحكم صائبا ، فان من الصواب أيضا انه ، اذا كنا أقوياء قوة كافية لتحقيق احتلال ما ، فان علينا أن نكون في قوة كافية للوصول اليه دفعة واحدة ، وبدون مراحل وسيطة . ومن المفهوم اننا لا نقصد بالمراحل الوسيطة التوقفات القصيرة التي نقوم بها لتجميع القوات ، أو لاخذ ترتيب من ترتيبات القتال .

أن هذه الفكرة التي تعتبر الحسم السريع الجارف شيئا ضروريا للحرب الهجومية ، تحطم برأينا جميع قواعد النظرية التي تود استبدال متابعة النصر

بعنف وبلا هوادة ، بنظام بطيء تدعوه منهجيا ، على اعتبار انه منهج أكثر حذرا وأمنا .

أن الوصول الى هدف قريب أسهل ولا شك من الوصول الى هدف بعيد. ولكن اذا كان الهدف القريب لا يتلاءم ومخططنا ، كان الاستيلاء عليه سبيلا لتحقيق راحة وتوقف ، يتيحان لنا متابعة النصف الثاني من الطريق بسهولة اكثر . أن القفزة القصيرة أسهل بكثير من القفزة الطويلة ، ولكننا لا نستطيع أن نستنتج من ذلك ، انه لتجاوز حفرة واسعة ، ينبغي لنا القيام بقفزة صغيرة الى وسطها . ومن المؤكد أن هناك حالات يضطر فيها المهاجم الى التوقف ، محددا نقطة راحة وسط الحركة ولكن عليه أن ينسى أن العدو يستفيد من هذه الوقفة مثله .

ومما لا شك فيه أن متابعة التقدم قد تعرضنا لخسارة ما ربحناه منذ قليل ــ ونحن نعتقد أن كل راحة أو توقف ، وكل مرحلة وسيطة ، لاتتلاءم وطبيعة الحرب الهجومية . وان علينا أن ننظر اليها عندما تكون حتمية لا مندوحة عنها ، نظرتنا الى شر لا يزيد من ضمانة النتيجة بل يقلل هذه الضمانة . والحقائق العامة تؤكد أن التوقف بدافع الضعف ، أو تحت تأثير أي سبب آخر ، يجعل كل محاولة ثانية للوصول الى الفرض المنشود محاولة غير ممكنة . فاذا ما ثبت أن المحاولة ممكنة ، كان ذلك دليلا على أن التوقف الذي سبقها زائد لم يكن له ما يبرره ، اما اذا كان الفرض بتجاوز حدود قوانا منذ البداية ، فان بلوغه يبقى أمرا متعذرا .

ومن هنا نستنتج أن الزمن قادر بنفسه على تأمين بعض المزايا للمهاجم . ولكن تبدل الأسباب السياسية من عام الى آخر يتيح ظهور حالات كثيرة ناجمة عن هذا السبب وحده .

ولقد قصرنا بحثنا هنا على الهجوم ، لان من يستطيع الوصول الى هزيمة العدو التامة ، لايلجأ عادة الى الدفاع الذي ليس له اي هدف مباشر سوى

الحفاظ على ما نملك . وهنا لابد من أن نؤكد باصرار ، على أن الدفاع بدون أي مبدأ ايجابي ، عبارة عن تناقض داخلي في الاستراتيجية والتكتيك على حد سواء ، وأن كل مدافع يبحث عن القوة الضرورية للانتقال الى الهجوم ، بعد أن يستنزف جميع الميزات التي يقدمها له الدفاع . لذلك فنحن مضطرون الى ان ندخل فكرة ابادة العدو داخل هدف هذا الهجوم الذي هو في حد ذاته الهدف الحقيقي للدفاع ، سواء أكان هذا الدفاع كبيرا أم صغيرا .. وان نؤكد بأن هناك حالات يفضل فيها المهاجم البدء بالدفاع ، على الرغم من ان خطته العامة تستهدف هدفا كبيرا كابادة العدو .



## ب ـ الهدف المحدود

لقد قلنا إننا نقصد من تعبير « هزيمة العدو » النهاية الحقيقية المطلقة للعمل الحربي ، اذا اعتبرنا ان الوصول لهذه الغاية أمر ممكن . وسنعمد الآن الى فحص ماينبغي لنا ان نعمل اذا لم تتحقق الظروف التي تتيح لنا الوصول الى هذا الهدف .

وتفترض هذه الظروف وجود تفوق مادي أو معنوي كبير ، أو فكر خلاق فعال ، أو ميل للقيام بمغامرات خطيرة كبيرة . فاذا لم يتوفر كل هذا ، كان العمل الحربي من احد النوعين التاليين :

( أ ) احتلال بعض أجزاء صغيرة لا قيمة لها من أرض العدو .

( ب ) الدفاع عن أرضنا بانتظار لحظة أفضل . وهذه هي أكثر الحالات وقوعا في الحرب الدفاعية .

ويمكننا دائما ان نقرر فيما إذا كان هذا التصرف أو ذاك يتلاءم مع ظروف حالة معينة . وذلك بأن نتذكر فكرة الانتظار التي عرضناها في النوع الثاني . **ان انتظار لحظة أفضل** يتطلب أن يكون لدينا سبب ما ، يدفعنا الى الاعتقاد بقدوم هذه اللحظة . ويبنى هذا الانتظار ، أي تبنى هذه الحرب الدفاعية كلها على هذا الامل . كما ان الحرب الهجومية التي نستفيد فيها من اللحظة الراهنة ، تفرض نفسها دائما عندما تدلنا توقعات واحتمالات المستقبل على وجود تبدل لمصلحة العدو لا لمصلحتنا .

أما الحالة الثالثة ، وهي أكثر الحالات وقوعا ، فتظهر عندما لا يكون أمام الطرفين أي احتمال للتطور في المستقبل ، أي عندما لا يقدم الوضع العام أي سبب للقرار والحسم . ففي هذه الحالة ، تكون الحرب الهجومية مفروضة بلا شك على الطرف الذي يمكن اعتباره مهاجما من الناحية السياسية . أي الطرف الذي يهدف الى تحقيق هدف ايجابي ، ويحمل السلاح لهذه الغاية . فكل لحظة ضائعة دون تحقيق نتيجة ملائمة ، هي عبارة عن **وقت ضائع بالنسبة اليه** .

وهكذا نكون قد حسمنا الموضوع لمصلحة الدفاع حينا والهجوم حينا آخر ، بناء على اسباب لا تتعلق فقط بالقوى النسبية للطرفين المتنازعين ، مع ان طبيعة الامور تدفعنا الى الاعتقاد بان من الطبيعي وقوع الاختيار بين الهجوم والدفاع بناء على متطلبات هذه النسبية ( ميزان القوى ) . فلم فعلنا ذلك ؟

لنفترض أن هناك دولة صغيرة مشتبكة في صراع مع دولة أكبر منها بكثير . فاذا كانت احتمالات المستقبل تؤكد أن وضع الدولة الصغيرة سوف يزداد سوءاً مع الزمن ، وكانت هذه الدولة عاجزة عن تجنب الحرب ، افلا يجدر بها ان تستفيد من الفترة الزمنية الراهنة قبل أن يصبح وضعها سيئا **غاية السوء** ؟ ان على هذه الدولة أن تهاجم ، لا لأن الهجوم يقدم لها ميزة في حد ذاته — انه يزيد على العكس من تباين حجم القوى — بل لأنها مضطرة الى القيام به ، بغية الوصول الى الحل النهائي قبل قدوم أسوأ اللحظات ، أو بغية تحقيق ربح مؤقت ، تستطيع الاعتماد عليه في المستقبل عندما يضعف وضعها . وليس في هذه النظرية أي حمق ، فاذا كانت هذه الدولة متأكدة من أن العدو سيرد على الهجوم باندفاع شديد نحوها ، فما عليها الا أن تركن بعد ذلك الى الدفاع ، لتحصلَ منه على ميزة أولية . وهنا لا ينجم أي خطر من اضاعة الوقت .

واذا افترضنا أن دولة صغيرة مشتبكة في حرب ضد دولة أكبر منها ، دون ان يكون لاحتمالات المستقبل أي تأثير على قراراتهما ، وكانت الدولة الصغرى هي الدولة المهاجمة سياسيا ، كان عليها أن تتقدم نحو هدفها بلا ابطاء .

فاذا تمتعت بالجرأة الكافية للتطلع الى هدف ايجابي رغم تفوق العدو ، كان عليها ان تعمل ، أي أن تهاجم العدو ، اذا لم يقم هذا العدو بمهاجمتها . ويكون الانتظار في هذه الحالة حمقا ، الا اذا عدلت الدولة وضعها السياسي في لحظة التنفيذ ، وغالبا ما يحدث ذلك ويجعل الحرب ذات طابع غير أكيد .

اننا لم نستنتج تعديل هدف الحرب حتى الآن ، الا من أسباب ذاتية داخلية ـ ولم نأخذ بعين الاعتبار طبيعة النوايا السياسية ، الا ضمن الحدود التي تكون فيها هذه النوايا موجهة نحو شيء ايجابي ، واعتبرنا أن كل الامور الاخرى التي تشكل النية السياسية عبارة عن أمور غريبة كل الغرابة عن الحرب . ولكننا رأينا في فصل « الغاية والوسائل في الحرب » أن طبيعة الهدف السياسي ، وحجم متطلباتنا ومتطلبات العدو ، ومجمل الظروف السياسية ، تؤثر في الحقيقة تأثيرا أشد حسما في الحرب ، لذا فاننا سنقف الفصل التالي على هذا الموضوع .



# الفصل الرابع

## أ - تأثير الهدف السياسي في الهدف العسكري
## ب - الحرب وسيلة من وسائل السياسة

تدلنا التجارب العديدة ، على أن دولة ما ، اذا ما تبنت قضية دولة أخرى ، فهي لا تأخذ هذا الامر بما تأخذه به من جدية واهتمام لو كان متعلقا بقضيتها الخاصة . وتدعم الدول عادة حلفاءها بارسال جيش مساعد ذي قوة معتدلة . فاذا لم يتم الانتصار ، اعتبر الحليف القضية منتهية وحاول الانسحاب بأقل خسارة ممكنة .

وهذه حقيقة تؤكدها السياسة الدولية ، التي تعمد الدول بناء عليها الى ان يساعد بعضها بعضا بتحالفات دفاعية ـ هجومية . ولكن هذه التحالفات لا تذهب حتى حدود المشاركة في مصالح ونزاعات الدولة الحليفة ، ولا تتجاوز حدود الوعد المسبق المتبادل بتقديم المساعدة عند الضرورة بعدد محدود من القوات. ولقد كان هذا العدد في الحقيقة محدودا صغيرا لا يتناسب مع غرض الحرب ، أو سعة الجهود التي يبذلها العدو . وكان الحليف الذي يوقع مثل هذه المعاهدة لا يعتبر نفسه مشتبكا مع عدو حليفه في حرب حقيقية ، تبدأ باعلان الحرب ، وتنتهي بمعاهدة صلح . غير أن هذه الفكرة لا تحدد في أي مكان تحديدا واضحا ، اذ يتبدل استخدامها حسب الظروف والاحوال .

وتأخذ الامور شكلا محددا وتتناقص الصعوبات التي تجدها نظرية الحرب ، اذا ما نقلت القوات الداعمة ( ٢٠ ــ ٣٠ ــ ٤٠ الف جندي ) بصورة نهائية الى ارض الدولة المشتبكة بالحرب ، بحيث تستطيع هذه الدولة استخدامها حسب حاجتها . ويمكن اعتبارها آنذاك كقوة مؤجرة . ولكن مايطبق عمليا يختلف عن ذلك كل الاختلاف . اذ تخضع القوة المساعدة عادة لقيادة خاصة ، مرتبطة مباشرة بحكومتها التي تكلفها بمهمات تتلاءم وانصاف التدابير التي تهدف اليها .

حتى عندما تدخل دولتان عمليا في الحرب مع دولة ثالثة ، فان وجهات نظرهما تكون متباينة في تدمير العدو المشترك ، وهل ينبغي تحقيق هذا التدمير باستخدام قوتهما ، ام يترك العدو ليدمر نفسه بنفسه . وتحل مثل هذه الامور عادة حلولا وسطا . ويتحمل كل طرف من الاطراف المتحالفة جزءا من الاعباء ، حسب ضخامة الاخطار التي يتعرض لها ، او المكاسب التي يأمل اقتناصها . ويتصرف كما لو كان عاجزا عن تقديم اي شيء اكثر مما قدم .

ولا تتبنى الحكومات هذا الموقف عندما تذهب دولة لمساعدة دولة اخرى ، دفاعا عن قضية غريبة عنها فحسب ، ولكنها تتبناها حتى عندما يكون لكليهما مصلحة قوية مشتركة . ولا يتم اي اتفاق بدون دعم ومحاولات دبلوماسية ، ولا يتعهد المشتركون في المعاهدة الابتقديم بعض القطعات الخاصة ، وهم يحتفظون ببقية قواتهم العسكرية لتحقيق الاهداف الاخرى التي تحددها سياستهم .

هكذا كانت الدول تنظر الى الحروب التي تدخلها بناء على الاحلاف والمعاهدات . ولقد بقي هذا الاسلوب سائدا فترة طويلة من الزمن ، الى ان ظهرت الاخطار الجسيمة ، فصعدت الحرب بشكل ملحوظ ، ولقد كانت ادارة الحرب قبل ذلك عملا مختلطا ، وشيئا غير عادي ، لاسيما وان الحرب والسلم فكرتان ليس في روحهما مجال للدرجات . ولم يكن هذا الخطأ مجرد تقليد دبلوماسي يستطيع العقل ان يضرب عنه صفحا ، بل كان موقفا تحدده بعمق الحدود الطبيعية ، وضعف النفوس البشرية .

واخيرا فلقد كانت القضية السياسية للحرب تؤثر تأثيرا بالغا في طريقة اجراء الحرب ، حتى عندما تقوم دولة واحدة بالقتال بلا حلفاء .

فعندما لاننتظر من العدو سوى تضحية قليلة ، فبوسعنا ان نحدد المكاسب التي نحصل عليها بوسائل الحرب ضمن حدود الميزات الصغيرة ، وان نحصل عليها بجهود معتدلة . وينظر العدو الى الامور النظرة ذاتها . فاذا ما لاحظ هذا الطرف او ذاك ان في تقديراته خطأ ، وشعر بأن عدوه يتفوق عليه بدلا من ان يتفوق هو على عدوه ، كما كان يتوقع ، وجد أن ما ينقصه هو المال والوسائل والدفع المعنوي وكل ما هو ضروري لعمل كبير ، حاول في هذه الحالة أن يتدبر أموره على قدر طاقته ، وانتظر أن يحمل المستقبل اليه بعض الاحداث الملائمة ، وهكذا تطول الحرب ، وتسير بطيئة متثاقلة ، وتغدو عملا متراخيا كحركة جسم رجل مريض .

عندها نرى أن العمل المتبادل ، والجهد الرامي الى تصعيد العنف ، والاندفاع الحربي الجارف ، تضيع كلها وسط الركود الآسن الناجم عن الدوافع الضعيفة . كذلك يتحرك الطرفان عندئذ مع بعض الامن ، وسط مجالات محدودة جدا .

وما أن نسمح للهدف السياسي بالتأثير في الحرب ، كما يجب أن نفعل ، حتى تنعدم الحدود التي تتناقض فيها حدة الحرب ، وقد تنحدر الحرب حتى تصبح شكلا غريبا عن طبيعتها ، يتألف **من مجرد تهديد العدو أو الدخول معه في مفاوضات .**

### ب ــ الحرب اداة للسياسة

لقد حاولنا تعميق دراسة التناقض الكامن في طبيعة الحرب بالنسبة للمصالح البشرية الاخرى الخاصة والاجتماعية فلنبحث الان عن الوحدة التي تتغلغل فيها هذه العناصر المتناقضة داخل الحياة العملية ، وبعضها يبطل بعضا بصورة جزئية وتتألف هذه الوحدة من المفهوم القائل بأن **الحرب جزء من العلاقات السياسية ، فهي لا تشكل بالتالي شيئا مستقلا .**

ونحن نعرف ولا شك أن العلاقات السياسية بين الحكومات والامم هي التي تؤدي الى الحرب . ولكننا نتصور أحيانا أن هذه العلاقات تنقطع مع اندلاع الحرب . وأن وضعا جديدا يظهر آنذاك ، وهو مختلف كل الاختلاف عما سبقه ، ويتبع قوانين خاصة به . ولكننا على العكس نؤكد ، بان الحرب لا تشكل سوى استمرار العلاقات السياسية ، مع استخدام وسائل جديدة أخرى تدخل في الموضوع وتضاف اليه ، لنؤكد بأن الحرب نفسها لا توقف هذه العلاقات السياسية ولا تقلبها الى شيء مختلف كل الاختلاف . وان هذه العلاقات تحافظ على روحها مهما كانت الوسائل التي تستخدمها . وان الخيوط الرئيسية التي تجري عبر أحداث الحرب ، والتي ترتبط بها ليست سوى خيوط سياسية تتابع مسارها عبر الحرب ، حتى تحقيق السلم .

وهل يمكن أن نتصور الامور بشكل آخر ؟ وهل انتهت العلاقات السياسية بين الامم والحكومات في ظرف من الظروف بتبادل المذكرات الدبلوماسية ؟ أفليست الحرب شكلا آخر من أشكال الكتابة والقول للتعبير عن الفكرة ؟ أن لهذه الحرب بلا ريب مفرداتها وقواعدها الخاصة ، ولكنها لا تملك منطقا خاصا بها .

ان هذا الاسلوب في فهم الامور يفرض نفسه حتى ولو لم تكن الحرب الا الحرب نفسها . أي لو لم تكن الا انطلاق عنصر العدوان . لان جميع العوامل التي تستند اليها الحرب وتحدد معناها العميق : كقدرتنا ، وقدرة الخصم ، وحلفاء كل طرف من الطرفين المتنازعين ، والطبيعة القومية ، ونظام حكم الدولة .. الخ .. وجميع العناصر التي ذكرناها في الفصل الاول من الجزء الاول تتمتع بطبيعة سياسية ، وتتعلق تعلقا وثيقا بجميع الشروط السياسية ، يجعل من المستحيل عزلها عنها — ان هذا الاسلوب في فهم الامور يفرض نفسه بقوة مضاعفة عندما نفكر بأن الحرب الحقيقية تختلف في كثير من الحالات عن مفهوم الحرب وتأخذ شيئا معدلا هجينا . وما علينا الا أن نعتبرها جزءا من كل ، هو السياسة .

ان لجوء السياسة الى الحرب يجعلها تتحاشى جميع الاستنتاجات المنطقية النابعة من طبيعتها ، فهي لا تهتم بالاحتمالات النهائية الا اهتماما قليلاً ، وتحدد نفسها ضمن الاحتمالات المباشرة . ويدخل هذا العمل بلا ريب كثيرا من الشك في العملية كلها ، فتصبح بذلك نوعا من المقامرة . ولكن جميع الحكومات تعتبر نفسها أمهر في هذه اللعبة من خصومها ، وأشد منهم وعيا ، وهـذا ما يعطيها ثقة كبيرة بسياستها الخاصة . وتصنع السياسة من هـذا العامل القـوي ــ الحرب ــ مجرد أداة . ولكنها لا تستخدم العنف بأعلى صوره في كـل الحالات بل تلجأ الى وسائل اخرى كالضربات أو الحيل أو عمليات التجنب .

ان تعلق الحرب بالسياسة يجعلها تأخذ بالضرورة صفتها . فـاذا كانت السياسة عظيمة قوية ، كانت الحرب كـذلك ، وقد تبلـغ في بعض الحـالات ذروتها حيث تأخذ **شكلها المطلق**

ولا تأخذ الحرب وحدتها الا من هذا المفهوم ، فهو وحده قادر على جعلنا نعتبر جميع الحروب أشياء **من نوع واحد** . وهو وحـده يعطي الحكـم الاساس الدقيق والصحيح وجهـة نظر تتيح وضع خطط واسعة والحكم عليها حكمـا ملائمـا .

صحيح أن العنصر السياسي لا يدخل في جميع تفاصيل الحـرب ، واننا لا نعين مكان الخفراء ، ونرسل الدوريات لاد اب سياسية . ولكن تأثير هذا العنصر حاسم كل الحسم في الخطة العامة لحرب أو حملـة كما قد يمتد هـذا التأثير ليشمل المعركة .

فاذا كنا لا نقبل خطة حرب تم اعدادها من وجهتي نظر أو ثلاث وجهات ، وتم فيها تقدير الامور بعين الجندي ورجـل الادارة والسياسي .. الـخ فاننا نقف أمام السؤال التالي :

هل يجب أن تكون الافضلية **للسياسة** ، وأن تكون بقية الامور ملحقة بها ؟

اننا نوافق على أن السياسة توحـد كل المصالح البشرية ومصالح الادارة

الداخلية وتوقف بينها ، وكل ما ينجم عن الفكر الفلسفي ، لانها ليست سوى الممثل الاكيد لجميع هذه المصالح تجاه الدول الاخرى . صحيح أن هناك حالات تعرضت فيها السياسة الى توجيه سيء ، فكانت خادمة للطموح والتطلعات والمصالح الشخصية وغرور الزعماء . ولكن هذا أمر لا يهمنا الان ، وكل ما يهمنا هو أن فن الحرب عاجز في أية حالة من الحالات عن أن يكون دليل السياسة الا كممثل لمصالح المجتمع كله .

والسؤال الوحيد الذي يطرح نفسه هنا هو : هل يجب أن تختفي وجهة النظر السياسية أمام وجهة النظر العسكرية البحتة خلال اعداد خطط الحرب ووضعها ؟ اي هل ينبغي على وجهة النظر السياسية أن تختفي دفعة واحدة وتصبح تابعة لوجهة النظر الحربية . أم أن علينا أن نلحق الثانية بالاولى ؟

ان وجهة النظر السياسية لا تختفي نهائيا عند بداية الحرب ، الا اذا كانت الحرب صراعا للحياة أو الموت ، أو عداء صرفا . ولقد رأينا من قبل أن الحرب هي التعبير عن السياسة نفسها . والحاق السياسة بالحرب سخف واضح ما دامت السياسة سبب وجود الحرب . فالسياسة عمل فكري ، وما الحرب الا أداتها ، ومن الضروري الحاق وجهة النظر العسكرية بالسياسة .

فاذا فكرنا بطبيعة الحرب الحقيقية ، وتذكرنا كل ما قلناه عن ضرورة كل حرب من الحروب بناء على احتمالات صفاتها وميزاتها الاساسية ، واستنتاج الامور من المعطيات والظروف السياسية . ووضعنا نصب أعيننا ضرورة اعتبار الحرب كلا عضويا لا يقبل التقسيم ، يقوم الكل فيه بامتصاص اي نشاط خاص، ويجد كل نشاط خاص أصوله في فكرة هذا الكل — ، اذا فهمنا ووعينا وتذكرنا كل هذا ، وجدنا أن وجهة النظر السياسية هي وجهة النظر العليا التي توجه ادارة الحرب ، وتعطيها جميع صفاتها الاساسية .

وعندما تتطلب السياسة من الحرب ما لا تستطيع تقديمه ، يكون عملها مخالفا لمفاهيمها ومقدماتها ، فنحن نؤمن بأن على السياسة أن تعرف الاداة التي ستستخدمها ، وتفرق بين كل ما هو طبيعي وما هو ضروري .. وعلى السياسة

أن شاءت تسيير الاحداث بصورة صحيحة أن تحدد الاحداث وادارة الامور التي تتلاءم مع غاية الحرب تحديدا كاملا .

وهكذا يغدو فن الحرب سياسة في أعلى مستوياته ، ولكنها سياسة تستخدم الحرب بدلا من توجيه المذكرات .

ولهذا فان الاكتفاء بالحكم على عمل عسكري كبير أو خطة هذا العمل من وجهة نظر **عسكرية بحتة** ، أمر خاطيء ومرفوض أصلا .. والحقيقة ، أن استشارة ضباط محترفين حول خطة الحرب ليعطوا رأيا عسكريا بحتا ، كما تفعل معظم الحكومات ، عبارة عن اسلوب سخيف لا معنى له . وأسخف منه أن تطلب الحكومة من المنظرين أن يقدموا للقائد كشفا بوسائل الحرب الموجودة لديهم ، كي ما يستخرج منها خطة عسكرية بحتة لحرب أو حملة . ولقد علمتنا التجربة الطويلة أن الحكومة تضع دائما الخطوط الكبيرة لحرب ما ، رغم تنوع النظام الحربي الحالي وتطوره . وهكذا نرى أن هذه الخطوط يحددها جهاز سياسي بحت ، لا الجهاز العسكري .

وهذا أمر منطقي ينحدر من طبيعة الاشياء . ولا يمكن أن ننشىء أي خطة عامة للحرب بدون أن نعرف الوضع السياسي معرفة دقيقة .. وغالبا ما يتحدث الناس عن التأثير السيء الذي تؤثره السياسة على اداة الحرب والحقيقة أن عليهم أن يوجهوا الاتهام الى السياسة نفسها ، لا الى عملية التأثير في حد ذاتها. فاذا كانت السياسة صحيحة ، أي اذا كانت متلائمة مع غايتها ، كان تأثيرها على الحرب جيدا ، واذا لم يتجاوب هذا التأثير مع الغاية ، كان ذلك ناجما عن خطأ السياسة نفسها .

ولقد حدث هذا الامر مرات كثيرة في الحروب ، وهذا ما يدل على أن من الواجب عدم ابعاد أصحاب المعرفة الوثيقة بالمعضلات الحربية عن ادارة الشؤون السياسية .

ولكن علينا قبل الذهاب الى ابعد من ذلك أن نأخذ حذرنا من الفهم الخاطىء الذي قد ينجم بصورة طبيعية عن كل ما قلنا . فنحن لا نود أن نقول بأن وزير

الحربية المثقل بالمصنفات والاوراق والمشاغل الادارية ، أو المهندس العسكري العبقري ، أو العسكري الممتاز الذي حنكته خبرة الحروب في ساحات المعارك ، هو أفضل رئيس وزارء لبلد لا يقود رئيسها الجيش بنفسه . أي أننا لا نود أن نقول ، أن معرفة القضايا العسكرية هي الصفة الرئيسية لرئيس الوزراء . لان قوة الشخصية وتفوق الفكر وسعة الافق هي الصفات الاساسية التي ينبغي أن يتمتع بها هذا الرجل . أما معرفة أمور الحرب فيمكنه الحصول عليها بشتى الطرق بعد ذلك .

واذا كان على الحرب أن تتناسب مع النوايا السياسية تناسبا تاما ، وعلى السياسة أن تتلاءم مع الوسائل الحربية المتوفرة ، فان أمامنا سبيلا واحدا نتبعه عندما لا يتحد رجل الدولة والقائد العسكري في شخص واحد ، وهو ادخال القائد في الوزارة ، حتى يستطيع المشاركة في اصدار القرارات الهامة . ولكن هذا الامر متعذر الا اذا كانت الوزارة موجودة قرب مسرح الحرب ، حتى تتمكن من حل المواضيع بدون اضاعة وقت كبير .

وتتطور الحرب حسب تطور السياسة ، لذلك فان تحولات فن الحرب هي نتيجة من نتائج تطور السياسة . ولا يمكن اعتبارها مبررا أو حجة لتفريق الحرب عن السياسة ، بل انها على العكس الدليل الواضح القوي على ترابطهما وتلاحمهما العميق .

ولذلك فاننا نكرر القول : بأن الحرب أداة من أدوات السياسة ، وهي تحمل بالضرورة طابع هذه السياسة ، وعليها أن تقيس كل الامور بالمقياس الذي تستخدمه السياسة . وليست ادارة الحرب في خطوطها العريضة الا سياسة ، ولكنها سياسة تحمل السيف بدلا من القلم ، بدون أن يمنعها ذلك من أن تفكر حسب قوانينها الخاصة .

# الفصل الخامس

# الهدف المحدود

## آ ـ الهدف المحدود والحرب الهجومية

عندما لا يمكن أن تكون هزيمة العدو الكاملة هي الهدف ، يمكن للقائد أن يبحث عن هدف مباشر ايجابي يحققه . ولا يمكن أن يكون هذا الهدف سوى احتلال جزء من أراضي العدو .

ويفيد هذا الاحتلال في اضعاف قوى العدو القومية ، مضعفا بذلك قواته العسكرية ، بينما نزيد قواتنا ، ونقوم بالحرب عندئذ على حسابه ضمن بعض الحدود . واخيرا يمكن اعتبار احتلال مقاطعات العدو كربح صاف خلال مفاوضات السلم ، حيث يكون بوسعنا الاحتفاظ بها أو المبادلة عليها بمكاسب أخرى .

ويعتبر احتلال مقاطعات العدو عملا طبيعيا . ولا يوجه اليه أي اعتراض، الا الاعتراض القائل بأن الوضع الدفاعي الذي يلي الهجوم عادة ، هو وضع يجلب الكثير من المتاعب .

ولقد شرحنا في الفصل الخاص بنقطة ذروة الانتصار كيف يضعف الهجوم القوات العسكرية ؟ وكيف يأتي بعد هذا الهجوم وضع قد يعرض المهاجم الى نتائج خطيرة .

ولاضعاف قوتنا بسبب احتلال جزء من أرض العــدو ، درجات متعددة . وتتعلق هذه الدرجات قبل كل شيء بالوضع الجغرافي في هذا الجزء ، فكلما كان الجزء المحتل قريبا من بلادنا وملحقاتها ، ويقع الى جوارها أو في داخلها ، وعلى اتجاه قواتنا ، كلما خفت حدة اضعافه لقواتنا .

أما اذا كان القطاع المحتل شريطا يمتد بين مقاطعتين معاديتين ، وكــان بعيدا عن المركز ، ويشتمل على أرض غير ملائمة ، فــان ضعف المهاجم يزداد ازديادا واضحا ، ويصبح المدافع قادرا على القيام بمعركة سهلة ذات نتائــج مفيــدة .

ولمعرفة ما اذا كان علينا أن نتوخى هدفا كهذا ، لا بد لنا من الرد على السؤال التالي : هل يمكننا الاحتفاظ بالربح الذي سنحققه ، أم أن احتلالا مؤقتا ( غزو ، تشتيت ) قادر على تعويض التبديد بالقوى ؟ وهل سنتعرض بصورة خاصة الى صدمة معاكسة قوية تفقدنا توازننا ؟ ولقد ذكرنا في الفصل الخاص « بنقطة ذروة الانتصار » اعتبارات عديدة خاصة بهذا السؤال ، في كل حالة خاصة .

وليس لدينا هنا سوى نقطة واحدة نضيفها ، وهي أن هجوما مــن هــذا النوع ، لا يعوض دائما ما نفقده في نقاط أخرى . لان انشغالنا باحتلال ونصر جزئيين قد يجعل العدو قادرا على القيام بعمل مماثل في مكان آخر . فاذا لم يكن لمشروعنا أهمية كبيرة جدا ، فلن يستطع اجبار العدو على التخلي عن مشروعه . ان علينا دائما أن نتأكد من أننا لن نخسر في طرف ما نربحه في طرف آخر . وان ندرس هذا الامر بكل عناية وجد .

فاذا افترضنا أن قيمة المقاطعتين المحتلتــين ( مقاطعة العــدو ومقاطعــة الصديق متعادلة ، فاننا نخسر من خسارة المقاطعة التي يحتلها العدو اكثر مما نربحه من احتلال مقاطعة العدو ، لان جزءا كبيرا من مصادرنا يغدو مجمدا غير فعال ، ولكن العدو يتعرض الى الموقف نفسه ، لذلك نستطيع أن لا نعلق عــلى ما نملكه أهمية تفوق الاهمية التي نعلقها على النصر والاحتلال . وهذا هو مايقع

عادة . ان الاستمرار في الحفاظ على سيادة وسلامة بلادنا أمر يهمنا أكثر من الامور الاخرى ، كما أننا لا نستطيع تجاهل الاضرار التي تصيب بلادنا ، أو نعتبرها ، معدلة بما نربحه من بلاد العدو، الا اذا كان هذا الربح كبيرا جدا بالنسبة لخسائرنا .

وينتج عن ذلك أن هجوما استراتيجيا ذا هدف محدود لا يستطيع تجاهل الدفاع عن نقاط لا يغطيها مباشرة ، في حين أن الهجوم ضد مركز ثقل الدولة قادر على ذلك . لذا يتعذر تجميع القوات في الزمان والمكان بشكل كامل عند اجراء هجوم استراتيجي محدود الهدف . ولكي يتم التجمع في الزمان على الاقل، لا بد للهجوم من أن يتقدم منطلقا من جميع النقاط الملائمة في آن واحد . ويتطلب هذا العمل قائدا واعيا حقيقة مهمته ، وقدرات خارجية وداخلية على غاية من الاهمية .

## ب ـ الهدف المحدود والدفاع

لقد رأينا فيما سبق ، أنه لا يمكن اعتبار الغاية النهائية لحرب دفاعية غاية سلبية مطلقة . ولا بد من أن يكون لدى الطرف الاضعف نفسه ما يستطيع به تهديد خصمه وضربه .

ويمكننا ان نقول بدون أدنى شك : ان هذا الهدف قد يكون ماثلا في انهاك الخصم ، لان وجود هدف ايجابي لدى الخصم يجعل كل مشروع فاشل من مشاريعه عبارة عن خطوة الى الوراء ، حتى ولو لم يؤد هذا الفشل الا الى خسارة القوات المستخدمة . على حين لا تضيع الخسارة التي يتكبدها الدفاع سدى ، ما دام قد نفذ مهمته في المحافظة على ما يملك . ويمكن اعتبار هذه المحاكمة صحيحة: اذا كان الهجوم معرضا للتعب والتخلي عن العمل بعد عدد من المحاولات الفاشلة . ولكن هذا الامر غير مؤكد . فاذا ما قدرنا الانهاك الحقيقي للقوى وجدنا أن الامور لا تسير لمصلحة المدافع . صحيح أن الهجوم يضعف من يقوم به، ولكن هذا الضعف لا يبدو واضحا الا في حالة تعثر الهجوم وانقلاب الموقف . أما في الحالات الاخرى فان الضعف الذي يصيب المدافع أشد من ضعف المهاجم ويرجع ذلك الى أنه الطرف الاضعف في الاصل ، ولان خسارة واحدة في الطرفين تجعل خسارته النسبية أكبر من خسارة خصمه . بالاضافة الى أنه يفقد عادة جزءا من أرضه ومصادر قوته .

ولا يمكننا أن نستنتج من كل هذا سببا يدفع الخصم المهاجم الى التخلي عن جهوده . وكل ما يمكن استنتاجه : هو أن تكرار ضربات المهاجم ، وانتظار المدافع لهذه الضربات بسلبية ، يجعل رد فعل المدافع عاجزا عن درء الاخطار التي قد تؤدي اليها احدى الهجمات عاجلا أو آجلا .

وعلى الرغم من أن اجهاد الاقوى ، وبالاحرى تعبه ، غالبا ما قاد الى السلم ، فمن الضروري أن نعزو هذا الامر الى الفتور الذي تقاد به الحرب عادة . إذن فليس أمام الدفاع الا أن يجد غايته في مفهوم انتظار العدو الذي يشكل في الحقيقة طبيعته وصفته الحقيقية . ويعتمد هذا المفهوم على تعديل للظروف ، وتحسن في الموقف . وهما أمران لا يأتيان الا من الخارج ، اذا انعدم احتمال قدومهما من الداخل ، أي من صلب الدفاع نفسه . ويعتبر التعديل القادم من الخارج تبديلا في العلاقات السياسية : كانضمام حلفاء جدد الى المدافع ، أو انهيار بعض حلفاء المهاجم

هذا هو هدف المدافع عندما لا يسمح له وضعه بأن يفكر في القيام بضربة معاكسة هامة . ولكن ليست هذه طبيعة كل دفاع ، حسب المفهوم الذي تبنيناه عن الدفاع ، ولقد رأينا ان الدفاع حسب هذا المفهوم ، هو الشكل الاقوى للحرب ، وبوسعنا ان نعتمد على هذه القوة ، ونستخدم الدفاع عندما نود القيام بضربة معاكسة ، كبيرة كانت أم صغيرة .

ومن واجبنا تمييز هاتين الحالتين جيدا منذ البداية ضمن حدود تأثيرهما في الدفاع .

ففي الحالة الاولى ( عدم احتمال القيام بضربة معاكسة ) ، يحاول المدافع الحفاظ على سلامة بلاده أطول وقت ممكن ، رابحا بذلك أكبر وقت يستطيع ربحه . وربح الوقت هو السبيل الوحيد الذي يوصله الى غاياته . ولكنه لا يستطيع أن يدخل في خطة حربه أقرب هدف ايجابي يقع بمتناول يده ، ويقدم له أفضل فرصة لتحقيق أغراضه خلال مباحثات السلم المقبلة . وتتكون الميزات التي يمكن أن يحصل عليها المدافع في هذه الحالة المتسمة بالسلبية الاستراتيجية ، من صد بعض الهجمات المتفرقة . وينقل المدافع التفوق الذي يتم الحصول عليه في هذه النقاط الى قطاعات أخرى . وذلك لانه يتعرض عادة للضغط من جميع الجهات . فان لم تتح له الفرصة ليتصرف على هذا المنوال ، لم يبق أمامه سوى احتمال وقوع ميزة صغيرة ، هي أن يدعه العدو فترة من الزمن يلتقط فيها أنفاسه .

ولكن اذا لم يكن المدافع ضعيفا جدا ، وجدنا أن هذا النوع من الدفاع يحتوي ـ بدون أن يغير من غايته وطبيعته ـ على عمليات صغيرة غايتها تعديل الخسائر التي يحتمل أن يصاب بها بعد . وهي تتضمن الاغارات ، وعمليات التشتيت ، تحويل أنظار العدو ، ومهاجمة المواقع المنعزلة .

أما في الحالة الثانية ( وجود قوة تتيح اجراء ضربة معاكسة ) تخامر فيها الدفاع نية ايجابية ، يتخذ هذا الدفاع سمة أكثر ايجابية بقدر ما تزداد قوة الضربة المعاكسة التي تضمنها الظروف والاوضاع ... وكلما عمدنا الى الدفاع بمحض ارادتنا لنضمن نجاح الضربة المعاكسة الاولى ، ازداد حجم الافخاخ التي ينصبها المدافع لعدوه ، وتضاعفت جراتها . والانسحاب الناجح الى داخل البلاد هو أفضل هذه الافخاخ ، وهو الشكل الذي يبتعد أكثر من غيره عن الشكل الآخر .

والحقيقة أن الوصول الى النصر الكبير لا يتم الا بتدابير ايجابية اتخذت لتحقيق الحسم لا لمجرد انتظار العدو . ولا يمكن تحقيق ربح كثير ، حتى في الدفاع ، الا اذا كان « هدف الرهان » كبيرا .

## الفصل السادس

# خطة الحرب ..
## عندما تستهدف تدمير العدو

لقد رأينا من قبل أن هناك مبدأين هامين يشملان موضوع خطة الحرب، ويحددان اتجاه بقية الامور . المبدأ الاول هو : اعادة وزن قوة العدو كلها الى عدد ممكن من مراكز الثقل ، أو الى مركز ثقل واحد اذا بدا ذلك ممكنا ، ثم تحديد الهجوم ضد هذه المراكز بأصغر عدد من المشاريع ، أو بمشروع واحد أن أمكن. أي أن المبدأ الاول هو التجمع ما أمكن . أما المبدأ الثاني فهو : العمل بأكبر سرعة ممكنة ، وعدم السماح بأية مهلة أو تحول بدون سبب وجيه جدا .

وتتعلق اعادة القوة المعادية كلها الى مركز ثقل واحد بأمرين هما :

(أ) طريقة تشكيل هذه القوة من الناحية السياسية . فاذا كانت مشكلة من جيش واحد يعمل تحت قيادة واحدة ، قلت الصعوبات الى الحد الادنى . واذا كانت تضم جيوشا متحالفة ، يتصرف أحدهما كحليف ليس له مصالح خاصة كبيرة فالصعوبة لا تزداد كثيرا . أما اذا ضمت جيوشا متحالفة ذات أهداف مشتركة ، غدا كل شيء متعلقا بالرباط الداخلي الذي يجمع الحلفاء . ولقد سبق أن تكلمنا في هذا الامر .

(ب) وضع مسرح الحرب الذي تعمل عليه مختلف الجيوش المتصارعة . فاذا كانت قوة العدو مجمعة على مسرح الحرب داخل جيش واحد ، شكلت في

هذه الحالة وحدة حقيقية ، وليس علينا في هذه الحالة أن نذهب في البحث الى أبعد من ذلك . واذا كانت القوة تعمل على مسرح حرب واحد ، ولكنها مشكلة من جيوش منفصلة بعضها عن بعض ، وعائدة لعدة دول ، انعدم وجود الوحدة المطلقة ، وبقي في ذلك اتصال كاف بين الاجزاء لاجراء ضربة واحدة حاسمة ضد أحد الاجزاء ، بغية طرد الجزء الآخر معه . واذا أخذت الجيوش مواقعها على مسارح حرب متقاربة ، بدون أن تكون منفصلة عن بعضها بأي حاجـز طبيعي كبير ، يبقى لكل واحد منها تأثير كبير على الآخر . أما اذا كانت مسارح الحرب متباعدة أو كان بينها منطقة محايدة أو جبال عالية .. الخ ، فان التأثير يتناقض حتى يصبح غير محتمل . وعندما تكون الجيوش موجودة على طرفين متقابلين من أطراف الدولة المعادية التي تجري الحرب ضدها ، وكانت الدولة المعاديـة تعمل ضد هذه الجيوش بخطوط متباعدة عن المركز ، ينعدم التلاحم بين هذه الجيوش انعداما تامـا .

ويدلنا هذا على أن مفهوم قوة معادية مقسمة أو موحدة ، يمتد على جميع درجات العلاقة . ولا نستطيع اكتشاف وتحديد الانعكاسات التي تسببها احداث مسرح حرب ما على مسرح آخر الا عند دراسة الحالات الخاصة ، وهذا ما يتيح تقدير مدى قدرتنا على تجميع مراكز ثقل العدو كلها في مركز واحد . وليس لمبدأ توجيه جميع القوى ضد مركز ثقل العدو الا استثناء واحد ، هو القيام بحملات ثانوية قادرة على تحقيق ميزات رائعة . لاننا نعتبر أن تفوقا حاسما يتيح في مثل هذه الحالة اجراء مثل هذه التظاهرات ، بدون التعرض لمخاطرة كبيرة على مسرح الحرب الرئيسي .

والموضوع الاول الذي ينبغي بحثه عند وضع مخطط حرب ما ، هو اذن تحديد مراكز ثقل القوة المعادية ، وتجميعها في مركز ثقل واحد ان أمكن . أمـا الموضوع الثاني ، فهو جمع القوة التي سنستخدمها ضد هذا المركز داخل عمل كبير واحد .

ولكننا قد نضطر الى تقسيم قواتنا تبعا للاسباب التالية :

١ ـ متطلبات الترتيب الاولي للقوات المسلحة ، ووضع القوات المشتبكة في الهجوم :

فاذا كان تجميع القوى يتطلب عمليات التفاف كبيرة وتبديد الوقت ولم يكن خطر التقدم بخطوط متعددة كبيرا ، أمكن تبرير التقسيم بناء على ذلك . على ان اللجوء الى اجراء تجميع غير ضروري للقوى مع اضاعة وقت كبير ، يضعف اندفاع الضربة الاولى وسرعتها ، ويكون مخالفا للمبدأ الرئيسي الثاني الذي ذكرناه . وهذا ما يتطلب انتباها خاصا في جميع الحالات التي نبحث فيها عن مفاجأة العدو بشكل ما .

وتتسم الحالة بأهمية أكبر ، اذا قامت بالهجوم عدة دول متحالفة غير موجودة على خط مباشر واحد بالنسبة للدولة المعرضة للهجوم . وكانت هذه الدول متجانبة لا متعاقبة لان التجميع في هذه الحالة أمر عسير لا يمكن اجراؤه بدون التعرض لتضحيات جمة ... لذلك علينا ، في كل حالة من الحالات الخاصة ، أن نحدد ما اذا كانت ضرورة التجميع كبيرة وملحة الى حد يجبرنا على القيام بهذا التجميع مهما كانت التضحية .

٢ ـ عندما يؤدي التقرب بخطوط متفرقة الى نتائج أهم :

اننا نتحدث الآن عن تقدم بخطوط متفرقة ضد مركز ثقل واحد ، وهذا يعني أننا نقوم بالتقدم على **خطوط متلاقية** . علما بأن التقدم بخطوط متوازية أو متباعدة يدخل في زمرة **المشاريع الثانوية** التي تحدثنا عنها من قبل .

ولكن كل هجوم متجه نحو المركز ، يتوخى ، في الاستراتيجية كما في التكتيك ، تحقيق انتصارات أكبر ، لان نجاح مثل هذا الهجوم لا يعني مجرد هزيمة العدو بل تشتيت جيشه تشتيتا كاملا . اذن فالهجوم المتجه نحو المركز ، هو الهجوم الذي يستطيع أن يؤدي إلى أكبر النتائج . ولكن تقسيم مختلف عناصر القوات ، واتساع مسرح الحرب ، أمران يؤديان بالضرورة الى تعريض المهاجم

لخطر أكبر . والامر هنا مشابه للاختيار بين الهجوم والدفاع ، اذ يقدم الهجوم ( وهو الشكل الاضعف ) أكبر الاحتمالات لتحقيق النجاح . ويبقى على المهاجم أن يحدد فيما اذا كانت قوته كافية للبحث عن هذا الهدف .

وتدفعنا دراسة التاريخ العسكري الى التفكير بأن الهجوم المتجه نحو المركز هو في حد ذاته وسيلة لوصول الى أكبر النتائج ، ولكن عليها ألا تستخدم سوى قوات مسلحة وزعت سلفا . على أن الحالات التي نترك فيه خط العمليات القصير المباشر ، ونحصل مع لك على نتائج سليمة ، هي حالات نادرة جدا .

٣ ـ وقد يكون امتداد سعة مسرح الحرب سببا للتقدم على خطوط متفرقة :

فاذا ما اخترق جيش مهاجم الخطوط المعادية من نقطة ما بنجاح ، وتابع تقدمه داخل بلاد العدو ، فمن البدهي ألا تقتصر المساحة التي يجتاحها على خط الطريق الذي يسلكه ، بل تمتد قليلا في كل جهة من الجهات . ويتعلق هذا الامر بصلابة دولة العدو وتلاحمها الداخلي . فاذا كانت وحدة الدولة ضعيفة ، ولم يكن شعبها متمتعا بفضائل الرجولة ، أو معتادا على الحرب ، فان بوسعنا ترك مساحة كبيرة مفتوحة من البلاد وراء جيوشنا المتقدمة الظافرة . أما اذا كان انشعب المعادي شجاعا ومواليا لحكومته ، فان المساحة التي نتركها وراء جيوشنا تأخذ شكل مثلث حاد جدا .

ولدرء هذا الخطر ، يحاول المهاجم التقدم على جبهة عريضة نسبيا ، فاذا كانت قوات العدو متجمعة في نقطة واحدة ، أمكننا المحافظة على عرض الجبهة قبل أن يتم التماس بالعدو . وما أن نقترب من موقع العدو ، ويتم هذا التماس ، حتى نضطر الى تقليص عرض الجبهة ، وهذا أمر بدهي يسهل فهمه .

فاذا احتل العدو نفسه موقعا على امتداد جبهة عريضة ، أصبحنا عاجزين عن مد جبهتنا مدا ملائما . ونحن نتكلم هنا عن مسرح حرب واحد ، أو عـــد

مسارح مترابطة ترابطا وثيقا. وهذه هي الحالة التي تحاول فيها العملية الرئيسية القيام بضربة واحدة في مركز الثقل ، لتحقيق الحسم على النقاط الثانوية .

ولكن هل نستطيع التعرض لمثل هذه المخاطرة دائما؟وهل يمكننا أن نعرض أنفسنا للخطر الذي سيظهر اذ لم يؤد التأثير في النقطة الاساسية الى تحقيق الحسم في النقاط الثانوية ؟ وهل ينبغي لنا القيام بدراسة خاصة لمعرفة ضرورة وجود عرض ما لمسرح الحرب ؟ .

اننا لا نستطيع هنا ، أو في أي مكان آخر ، تحديد كل التركيبات الممكنة ومعرفتها ،ولكننا نؤكد بأن الحسم في النقطة الرئيسية يؤدي الى تحقيق الحسم في النقاط الثانوية كلها ، مع بعض الاستثناءات . كما نؤكد ضرورة ادارة العمليات بناء على هذا المبدأ في جميع الحالات التي لا يكون العكس فيها واضحا ومؤكدا .

ومن بين الظروف التي يمكن أن تؤثر في أهمية المقاومــة في نقاط ثانوية ، ظرفان هامان . ويظهر الظرف الاول عندما يتمتع البلد المدافع بمساحات واسعة وقوات كبيرة نسبيا ( كروسيا ) تتيح لها ان تتفادى ، خلال فترة من الزمن ، الضربة الحاسمة في النقطة الرئيسية ، بدون أن تكون مضطرة الى جمع كل قواتها في هذه النقطة بسرعة.

ويظهر الثاني عندما تتمتع منطقة ثانوية بدرجة ملحوظة من الاستقلال .

فاذا لم يكن متوقعا أن تهز الضربة المسددة الى النقطة الرئيسية مختلف النقاط الثانوية ، أو أن الضربة لم تهزها فعلا ،واحتفظ العدو في هــذه النقاط بعدد كبير من القوات ، كان لا بد لنا من مجابهتها بقوات كافية . وهذا الامر شر لا بد منه .لا ننالا نستطيع ترك خط مواصلاتنا تحت رحمة الصدف منذ البداية، مهما كان الثمن .

وقد تدفعنا الحيطة الى أبعد من ذلك ، فتجبرنا على أن نتقدم نحو الجبهة

الرئيسية تقدما يوازي تقدمنا على النقاط الثانوية . بحيث يتعرض المشروع الرئيسي للوقوف اذا ما صمدت النقاط الثانوية .

ولا يتعارض هذا الشكل ومبدئنا الرامي الى توحيد العمل ضمن الحدود الممكنة داخل مشروع واحد كبير ، ولكن الروح التي تنبع منه متعارضة وروح مبدئنا تعارضا جليا . فاذا ما تبعنا هذا الشكل ، نجم عن ذلك تراخ في الحركات، وشال في قوة الصدمة ، وضياع الوقت ، وازدياد مجال عمل الصدفة ، وكلها أمور لا تتلاءم عمليا مع هجوم يسعى الى هزيمة العدو .

وتشتد الصعوبة اذا كان بوسع القوات الموجودة في النقاط الثانوية ان تنسحب على طرق متباعدة عن المركز ، اذ ماذا يبقى عندئذ من وحدة ضربتنا ؟.

وعلينا اذن ان نؤكد معارضتنا الجذرية المبدئية لتبعية الهجوم الرئيسي للنقاط الثانوية وارتباطه بها . ونحن نعتبر ان الهجوم الذي يبغي هزيمة العدو ، بدون ان يتمتع بشجاعة كافية لتوجيه ضربة عنيفة مباشرة كرأس سهم نحو قلب القوة المعادية ، هو هجوم لا يمكن أن يصل قط الى أية نتيجة .

٤ — والسبب الرابع للتقدم بخطوط متفرقة هو سهولة التموين من الارض المحتلة :

فالسير مع جيش صغير عبر مقاطعة غنية خصبة أسهل ولا ريب من اجتياز بلاد فقيرة بجيش كبير . ولكن استخدام التدابير التموينية الملائمة ، وتعويد الجيش على الحرمان ، يجعلان الامر الثاني ممكنا . لذلك ينبغي ان لا تؤثر الحالة الاولى في خطة ما تأثيرا يعرضنا لاخطار جدية .

وهكذا نكون قد انتهينا من تحديد الاسباب التي تبرر تقسيم القوات وتجزئة العملية الرئيسية الى عدة عمليات . فاذا ما قمنا بهذا التقسيم بعد

تكوين فكرة واضحة عن الغرض ، وبعد دراسة دقيقة للمحاسن والمساوىء ، أصبح هذا التقسيم منزها عن النقد .

ولكن اذا وضعت الاركان مخططها لتلبية متطلبات عادات روتينية ، وحاولت أن تغطى مسارح الحرب المختلفة كلها بالقطعات ، واذا استهدفت الحركات تحقيق أهدافها بفضل مهارة موهومة ، تحاول اجراء تركيبات وعلاقات معقدة ، واذا كان على الجيوش ان تنفصل يوما لتبدي مهارتها ثم تجتمع بعد اسبوعين ، عند تعرضها لاخطار أكبر ، اذا تم كل هذا ، كان علينا ان نرفض هذا الهجر الاحمق للطريق المباشر البسيط المبنى على الحس السليم ، وندين هذا الارتماء الاداري وسط جو من الفوضى والاضطراب . ويزداد وقوع هذه الحماقة كلما قل اشراف القائد الاعلى على الحرب وادارته لها ، كما يزداد أيضا اذا قامت بصياغة الخطة هيئة أركان عامة غير عملية ، خاضعة لآراء بعض الهواة .

وعلينا هنا أن نفحص بعناية الجزء الثالث من مبدئنا الاول ، وهو الحفاظ على أن تكون الاجزاء الثانوية ملحقة بالنقطة الرئيسية ومرتبطة بها قدر الامكان .

عندما نحاول اختصار جميع العمليات الحربية بهدف واحد ، ونحاول تحقيق ذلك الهدف ، ما أمكن ، بعمل واحد كبير ، فان عملنا يحرم نقاط التماس الاخرى بين الدول المتصارعة من معظم استقلالها ، ويجعلها تبدو كأعمال ملحقة . فاذا كنا قادرين على جمع كل شيء في عمل واحد ، أبطل ذلك عمل نقاط التماس ابطالا تاما . ولكن وقوع هذا الامر في الحياة العملية نادر جدا . لذلك ينبغي كبح نقاط التماس هذه كبحا كافيا كي لا تشغل قوة كبيرة ، عن تنفيذ العمل الرئيسي .

وأخيرا فاننا نصر على أن تميل خطة الحرب هذا الميل حتى عندما يتعذر علينا ان نحول كل مقاومة العدو الى مركز ثقل واحد . أي اذا كنا في حالة يضطرنا فيها وضعنا الى القيام بحربين تكادان تكونان متميزتين تميزا تاما في آن واحد ، فعلينا ان نعتبر احد الحربين عملا رئيسيا ، تقف عليه قواتنا وجل نشاطنا ، أي نعطيه الافضلية .

وبناء على هذا المفهوم ، يحسن بنا الا نتقدم هجوميا الا ضد هـذه النقطـة الرئيسية ، وأن تقف موقف المدافع في جميع النقاط الاخرى . فلا نتحرك فيهـا هجوميا الا اذا جعلت الظروف الاستثنائية هذا الهجوم ممكنا .

ويضاف الى ذلك أننا نسعى لتدعيم الدفاع في النقاط الثانويـة بأقل عدد ممكن من القطعات ، ونستغل كل ميزة يقدمها هذا النوع من المقاومـة لتحسين وضعنـا .

وينطبق هذا المفهوم بقوة أكبر أيضا في مسارح الحرب التي تعمل عليهـا جيوش عدة دول ، على ان يتم ضربها مع مركز الثقل في آن واحد .

وينبغي ضرب العدو الذي سيكون الهدف الرئيسي في كل مكان ، وعـدم الوقوف في وضع دفاعي أمام مسرح حربه الثانويـة . فالهجوم الرئيسي نفسه ، والهجمات الثانوية التي تؤدي الى عدة نتائج أخرى ، تؤلف كلها محتوى الضربة المطلوبة . وتجعل اي دفاع على نقاط غير مغطاة دفاعا بلا جدوى ... ويتعلق كل شيء بالجسم الرئيسي ، فهو الذي يعوض جميع الاضرار . فاذا كانت قواتنـا قادرة على تحقيق الحسم ، كان علينا ان نعمل بحزم ، والا يمنعنا **احتمال الفشل** من الخرق في النقاط الأخرى . لان هذا الموقف المتردد نفسه يساعـد على زيادة احتمالات الفشل وبهذا يدخل في عملنا تناقض واضح .

ان تفوق العمل الرئيسي وافضليته على الاعمال الثانوية ، هو مبدأ ينبغي الحفاظ عليه حتى في العناصر المنفصلة لمجموع الهجوم . لكن هناك أسبابا اخرى تعمل في هذا المسرح أو ذاك ضد مركز الثقل المشترك . ولذلك علينـا ان نقول : **أن من الضروري بذل جهد كبير لتحقيق تفوق العمل الرئيسي** . لان اقترابنا من هذا التفوق يسهل مختلف الامور ، ويبعد تأثير الصدفة بعدا واضحا .

ويتعلق المبدأ الثاني باستخدام القوى استخداما سريعا .

وكل اضاعة غير مجدية للوقت ، وكل التفاف لا فائده منه ، تبديد للقـوى وحرق لمبادىء الاستراتيجية .

ومن المهم جدا ان نتذكر بأن الهجوم يكاد يجد ميزته الوحيدةفي المفاجأة الفعلية ، في بداية العمل . فالمفاجأة والعنف الذي‌لا يقاوم هما جناحا الهجوم القويان . ونادرا ما يستغني الهجوم عن هذين الجناحين عندما يستهدف هزيمة العدو الكاملة .

وعلينا الآن أن نعرف مما يتألف العمل الرئيسي الذي أعدنا اليه كل شيء، واصررنا على تنفيذه السريع المباشر .

لقد شرحنا من قبل معنى هزيمة العدو . وليس‌من المجدى أن نكرر ذلك هنا . ومهما كانت الوضعية التي تتعلق بها الهزيمة ، ومهما كان تنوع الحالات الخاصة ،فان بداية الهزيمة هي نفسها في كل مكان . **انها تدمير القوات‌المسلحة المعادية** . أي **تحقيق** انتصار كبير عليها وسحقها . وكلما تم هذا العمل بسرعة أكبر ، أي كلما تم قريبا من حدودنا ، ازدادت سهولة تحقيقه‌بعد ذلك، داخل بلاد العدو . وأصبح الانتصار بذلك أكثر حسما . وهنا تتوازن سهولة العمل وحجم النجاح .

فاذا لم نكن نتمتع بتفوق ساحق على العدو يتيح لنا التغلب عليه تغلبا واضحا ، فان علينا ان نكشفه ونهزمه عندما يكون ذلك ممكنا أي أن نكشف قوته الرئيسية. ونحن نقول . عندما يكون ذلك ممكنا ، لان بوسعنا اعتبار مثل هذا العمل خطيئة ، اذا أدى البحث الى استدارات كبيرة ، واتجاه خاطىء، وضياع في الوقت .

وعندما لاتكون‌القوة‌الرئيسية المعادية واقفة‌في طريقنا، ولا يكون من‌مصلحتنا البحث عنها ، فلا بد من لقائها بعد ذلك ، لانها لن تلبث أن تتحرك بنفسها بحثا عنا . عندها سنضطر للقتال في ظروف أقل ملاءمة ــ وهذا أمر سيء لا بد من الخضوع اليه وقبوله على علاته . . . فاذا ما ربحنا المعركة رغم كل شيء ، كان انتصارنا أكثر حسما .

وينجم عن ذلك ، أن من الخطأ في هذه الحالة ( حالة عدم تفوقنا تفوقا حاسما ) أن نتحاشى بمحض ارادتنا القوة المعادية الرئيسية ، اذا ما وقفت وحدها في سبيلنا ، معتقدين بأن هذا العمل يمهد لانتصارنا .

كما ينجم عن ذلك ايضا ، أن بوسعنا في حالة تفوقنا على العدو تحاشي القوة الرئيسية المعادية بمحض ارادتنا ، والتخطيط لمعركة تكون أكثر حسماً بعد ذلـــك .

ولقد تحدثنا حتى الآن عن الانتصار الكامل ، أي عن هزيمة العدو لا عن ربح معركة واحدة ، ويتطلب هذا النصر هجوما تطويقيا ناجحا .

ولكن ليس من المحال ان تؤدي معارك تشن على جبهات متوازية الـى تحقيق هزيمة العدو الكاملة . ويقدم لنا التاريخ العسكري أمثلة متعددة عن ذلك . . ولكنها حالات أندر من سابقتها ، وتزداد ندرتها بازدياد تقارب مستوى الجيشين المتنازعين ، في التدريب والفاعلية .

وما أن يتم تحقيق النصر الكبير حتى يختفي مجال الحديث عن الراحـــة ، والتقاط الانفاس ، والفحص والدعم . . . الخ . ولا يبقى أمام المهاجم سوى متابعة تسديد الضربات الجديدة في المكان الملائم ، والاستيلاء على عاصمة العدو ، ومهاجمة القوات الثانوية المعادية ، وتحطيم كل ما قد يدعم قـــدرة دولة العدو .

فاذا ما مضى بنا سيل النصر العارم الى ما وراء حصون العدو ، كان حجم قواتنا هو العامل الرئيسي الذي يقرر حصار الحصون أم لا . فان كانت قواتنا متفوقة على قوات العدو تفوقا كبيرا ، كان علينا الا نضيع الوقت ، وأن نستولي عليها بأكبر سرعة ممكنة . فاذا ما ساورتنا الشكوك في النجاح المقبـــل ، يمكننا تكليف الحد الادنى من القوات بمهمة مراقبة الحصون ، وهذا ما يستبعد وقوع حصار يمتد امده . . . فان أجبرنا حصار قلعة ما على تعليق هجومنا كان ذلك ، في أغلب الاحيان ، دليلا على وصـــول تقدمنا الـــى « نقطة الذروة » . . . ونحن

نطالب قواتنا الرئيسية عادة بأن تندفع بسرعة الى الامام ، بدون أية راحة ، ولقد رفضنا قبل الآن فكرة ارتباط التقدم نحو النقطة الرئيسية بالنجاحات التي يتم الوصول اليها في النقاط الثانوية . وينجم عن هذه الفكرة ، ان جيشنا الرئيسي لا يترك خلفه في الحالات العادية سوى شريطا ضيقا من الارض يمكن أعتباره واقعا تحت سيطرته ، ويكون بالتالي مسرح حربه. ولقد رأينا كيف يجد الاندفاع نفسه ضعيفا في « نقطة الذروة » ، وما هي الاخطار التي تهدد الهجوم عند ذلك . ولكن ألا تذهب هذه الصعوبة وذاك الوزن المعاكس الداخلي الى درجة اعاقة أي تقدم لاحق ؟ من المحال وقوع هذا الامر . ولكننا ذكرنا قبل الآن بكل اصرار ، بأن من الخطأ تحاشي هذا المسرح الحربي المتضائل منذ البداية ، وحرمان التقدم من اندفاعه احتراما منا لهذا الغرض . ونحن نؤكد هنا أيضا ، بأن على القائد أن يتابع تقدمه طالما أنه لم يغلب عدوه ، وما دام يعتقد أن لديه القوة الكافية لبلوغ هدفه . وقد تتضمن هذه المتابعة خطرا متفاقما ، ولكنها تحتوي في داخلها على نجاح أكبر . فاذا جاءت لحظة وجد فيها نفسه عاجزا عن المغامرة بتقدم لاحق ، وأحس بأن عليه أن يحمي مؤخراته ويمتد الى اليمين او الشمال ، كان هذا دليلا على وصوله الى « نقطة الذروة » ، وعلى أن اندفاعه قد أستنزف قواه ، فاذا لم يكن قد هزم العدو ، فعمله لم يقدم له كبير فائدة .

وكل ما يقوم به المهاجم بعد ذلك لتقوية هجومه ، هو تقدم بطيء حتما ، تقدم بطيء نسبي ، ولا يمكن أعتباره تقدما مطلقا ... ويتوقف العدو عندئذ عن الفرار أمام الهجوم ، ويبدأ أحيانا باعداد مقاومة جديدة ، وهذا مايجعل وضع الدفاع في تحسن مستمر على الرغم من متابعة المهاجم تقدمه . وهكذا نصل الى القاعدة القائلة : بتعذر القيام بانقضاض ثان منذ أن تصبح الاستراحة ضرورية .

وتؤكد النظرية بأن علينا أن نتقدم بدون توقف ما دمنا ننوي هزيمة العدو . فاذا ما تخلى القائد عن هذا الهدف نظرا لتفاقم الخطر ، كان وقوفه لاعادة تنظيم قواته أمرا مبررا .

وتضعف الدول في بعض الحالات حتى تصل الى الحضيض . ولكن علينا

أن نميز بين الحالات التي تم فيها انهيار الدولة فعلا بسبب تقدم بطيء متدرج ، والحالات التي نتجت فيها الاحداث عن أول حملة . ولن نهتم في بحثنا الا بالحالة الاخيرة . ففي هذه الحالة فقط يحصل التوتر القوي الذي يتغلب على مركز ثقل العدو أو يتعرض الى الخضوع لارادته ... فاذا حصلنا خلال السنة الاولى على نتيجة معتدلة يضيف اليها التقدم المستمر، فيما بعد ، نتائج متعددة أخرى ، انعدم وجود الخطر الكبير، وذلك لتوزيع هذا الخطر على نقاط متعددة ، ولان كل استراحة بين نجاح وآخر تتيح للعدو فرصة جديدة لاستعادة زمام الموقف ، ولا يكون للنجاحات الاولى سوى تأثير صغير على النجاحات التالية ، وقد لا يكون لها في بعض الاحيان أي تأثير ، أو قد يكون لها تأثير سلبي، لان العدو يجهز نفسه، أو يندفع الى مقاومة أشد بعد تلقي مساعدة خارجية... أما اذا تمت تصفية الامور كلها خلال حملة واحدة ، فان نجاح امس يجر معه نجاح اليوم ، ويشتعل كل لهب من اللهب السابق . صحيح ان هناك حالات ثم فيها اخضاع الدول بضربات متتالية وكان للوقت فيها ، دور ضار قاتل . ولكن ما اكثر الحالات التي ادت فيها هذه الوسيلة الى فشل المهاجم ! .

ويتعلق كل هذا بالعملية الرئيسية ، وبأخطارها التي لا يمكن تفاديها . أما بالنسبة للعمليات المساعدة فاننا نقول قبل كل شيء : بأن عليها أن تحدد هدفا مشتركا وتختار هذا الهدف اختيارا لا يشل عمل الاقسام المختلفة . ومن الافضل اعطاء مهمة لكل جيش على حدة ، وعدم تحديد وحدة العمل الا في المكان الذي تجتمع فيه هذه الجيوش وحدها .

واذا تقدمت القوات العسكرية لتهاجم على مسارح حرب منفصلة ، كان من الضروري أن نعطي لكل جيش هدفا منفصلا يوجه اليه قوة هجومه ، والمهم أن يأتي هذا الهجوم من جميع الجهات اذ نستطيع أن نكسب في كل جهة ميزة مناسبة خاصة .

فاذا رأينا أن المهمة المعطاة لجيش ما صعبة جدا ، لان العدو وضع قواته وضعا يخالف توقعاتنا ، وتعرض هذا الجيش للنكسات فينبغي أن لا تؤثر هذه

النكسات في أعمال الجيوش الاخرى ، والا انعكست احتمالات النجاح ضدنا منذ البداية . ذلك أن نتيجة معظم المشاريع ، أو نتيجة المشروع الرئيسي تستطيع دائما التأثير على المشاريع الاخرى ، وتحدد نجاح الخطة أو اخفاقها . وتطبق القاعدة نفسها على الجيوش والمفارز المخصصة للدفاع ، والتي تستطيع الانتقال بعد النجاح الى الهجوم ، الا اذا كنا نود الاحتفاظ بهذه القوات لاستخدامها في الهجوم الرئيسي .

ولكن ماذا يصيب المؤخرات والمجنبات عندما تحل الهزيمة بالاجزاء المجاورة؟ هذا ما نود في الحقيقة الخوض فيه . أن أختصار الهجوم الكبير على شكل مربع هندسي ، يدل على اننا تائهون وسط شكل خاطىء من أشكال التفكير .

ولقد أظهرنا من قبل ان لعنصر الشكل الهندسي في الاستراتيجية تأثيرا يقل عن تأثيره في مجال التكتيك . وسنكرر هنا الاستنتاج الذي وصلنا اليه من قبل ، والذي يؤكد ان النتيجة التي نحصل عليها في مختلف نقاط الهجوم أهم لدينا من الشكل الهندسي الذي يمكن أن يرتسم بالتدريج عبر الاحداث المتتالية المتنوعة .

الا أن اتساع أفق الاستراتيجية وميادينها ، يجعلنا ننظر الى الاعتبارات والقرارات التي تخلق الطرف الهندسي للاجزاء ، نظرتنا الى مهمة من مهمات القائد الاعلى ، وبهذا لا يحق لاي قائد مرؤوس أن يسأل ماذا يعمل أولا يعمل جاره ، بل يكتفي بأن يتلقى الامر القاطع بمتابعة هدفه . فاذا ما نجم عن ذلك بعض الاخطاء الكبيرة الجدية كان على القيادة العليا ان تجد لها الحل في الوقت الملائم . وهكذا يمكن درء الخطيئة الاساسية لهذا النوع من العمل المجزأ ، والكامنة في تسرب قسط وافر من الخوف والاحتمالات في سير الاحداث بدلا من الحقائق ، وعدم تأثير حادث فردي على الجزء الذي يقع فيه فقط ، وامتداد هذا التأثير الى المجموع أيضا بسبب انتقال الانطباعات ، وانفتاح حقل واسع أمام الضعف الفردي والاحقاد الشخصية المعتلجة في نفوس القادة والمرؤوسين .

ويعرف كل عسكري محنك صعوبة نجاح هجوم تكتيكي بارتال متفرقة تحاول

العمل بتناسق تام بين كل الاجزاء. ولكن الامر أكثر صعوبة ، وقد يبلغ المحال في الاستراتيجية حيث يكون اتساع التجزئة أكبر بكثير ... فاذا كان الارتباط الدائم لكل الاجزاء هو الشرط الذي لا بد منه للنجاح ، كانت خطـة الهجـوم الاستراتيجي برمتها خاطئة ولا بد عندئذ من رفضها ..غير أن رفضها لا يعتمد في الحقيقة على رأينا وحده، فهناك ظروف خارجة عن ارادتنا، وتعمل لصالحها.. كما أن هذا العمل المنسجم الدائم لكل الاجزاء ، في جميع لحظات التنفيذ ، أمر غير ضروري في التكتيك . وهو أقل أهمية وضرورة في الاستراتيجية ، لـذلك نستطيع تجاهله في هذا الحقل ، مع التأكيد على ضرورة إعطاء كل جزء مـن أجزاء القوات عملا مستقلا .

وعندما يقوم بالصراع عدد من القوى تجاه عدو واحـد تظهر الخصائص الرئيسية التالية :

الخاصية الاولى هي : أن نشن الحرب بالاشتراك مع دول أخرى لا تسهم في هذه الحرب كحليف فحسب ، بل كطرف ذي مصلحة مستقلة .

الخاصية الثانية هي : أن يأتي جيش حليف لدعمنا .

الخاصية الثالثة هي : عندما لايتعلق الموضوع الا بالصفات الخاصـة التي يتمتع بها القادة .

وهناك سؤال يطرح نفسه في الحالتين الاولى والثانية وهو : هل يجب أن تخلط قطعات الدول المتحالفة خلطا تاما ، بشكل يصبح معه كـل جيش منفصل عبارة عن قطعات عائدة لمختلف الدول ، أم أن علينا أن نترك القطعات متميزة ما أمكن ، تميزا تستطيع معه كل واحدة منها أن تعمل بحرية أكبر ؟

لاشك في أن الخطة الاولى أفضل من الثانية بكثير . ولكنها تتطلب مشـاعر ود ومحبة ، ووحدة في المصالح نادرة حقا .. وعندما تكون وحدة القوات قوية

سليمة ، يصعب على الحكومات تحديد مصالحها الخاصة ، وتختفي النظرة الانانية لدى القادة ، على المستويات العليا ، ولا تظهر الا لدى القادة المرؤوسين ، أي في حقل التكتيك فقط .

وفي الحالة الأخيرة ، تخترق الوحدة مجال الاستراتيجية وتقوم بدورها في الأمور الحاسمة . ولكننا ذكرنا انها بحاجة الى تجرد ونكران للذات يندر أن تتمتع بهما الحكومات .

فاذا لم يتم ذوبان القوى على هذه الصورة ، كان الانفصال الكامل أفضل بكثير من نصف الانفصال ( الوحدة الشكلية المائعة ) . وينجم أسوأ الاوضاع عن وجود قائدي جيشين مستقلين على مسرح حرب واحد ، وعندما يكون انفصال القوى نهائيا ، تكون الهجمات التي تتعرض لها هذه القوى مقسمة أيضا ، ولا يصيب أي جزء من القوات الا ما يسدد اليه مباشرة وما يصيبه شخصيا . لذلك يكون كل جزء مضطرا الى العمل بفاعلية تحت دفع الظروف التي تؤثر فيه . ولكن اذا وقفت هذه القوات بتماس مباشر ، بعضها مع بعض ، أو على مسرح الحرب نفسه ، فان الامور تجري على غير ذلك ، وتأتي الادارة السيئة لاحد الأجزاء لتشل فاعلية الجزء الآخر .

ولا يقدم الانفصال الكامل في الحالة الاولى من الحالات المذكورة آنفا أية صعوبة ، لأن المصلحة الطبيعية لكل دولة تحدد بصورة عامة أتجاها مستقلا لاستخدام قواتها . ويختلف الامر عن ذلك في الحالة الثانية . وعندئذ لا يستطيع المرء أن يعمل شيئا سوى أن يضع نفسه تحت قيادة الجيش المساعد ، اذا كانت قوته تتيح ذلك .

أما بالنسبة لصفات القادة الخاصة ، فهذا أمر فردي بحت . ولكن يسعنا هنا ان نقدم ملاحظة عامة ، وهي أن علينا أن لا نضع على رأس الجيوش الملحقة التابعة قادة يتصفون بالحذر المفرط ، كما نفعل في أغلب الاحيان . ولكن علينا أن

بعين أكثر القـــادة اقداما . واننا لنكرر مرة أخرى ، انه ليس في العمليـــات الاستراتيجية المقودة بصورة منفصلة ماهو أهم من زيادة قوتهـــا حتى الحدود القصوى . لأننا نستطيع في هذه الحالة تعويض الاخطاء المرتكبة في نقطة مـــا وتعديلها بفضل ما نحرزه من نجاح في نقطة أخرى . ومع هذا فنحن لا نستطيع انتظار هذا النشاط الكامل لكل الاجزاء الا اذا توفر لدينا قادة شجعان ، يتمتعون بالمزايا والقوى المعنوية الرائعة ، ويندفعون الى الامام تلبية لضغط حاجة داخلية نابعة من ذاتهم . علما بأن الهدف ، والقناعة الفكرية الناجمة عن تفكير عميق ضرورة العمل ، لا يكفيان لتحقيق مثل هذا الاندفاع .

وأخيرا لا بد لنا من أن نلاحظ انه اذا أتيحت الظروف الملائمة للعمل ، فلا بد من استخدام القائد وجنوده في ما يخص متطلبات الهدف وطبيعة البلاد، استخداما يتلاءم مع صفاتهم وميزاتهم : فالعمل في الارض المفتوحة بحاجة الى جيوش نظامية وقادة محنكين أذكياء عجمت عودهم الحروب وزادت من حذرهم وحكمتهم . أما الارض المشجرة والجبال والمضائق فهي أصلح المناطق لعمـــل المليشيا والثورات الشعبية ، بقيادة الشباب الشجعان .



# عناوين الفصول

ص


| | | |
|---|---|---|
| تقديم المعربين | | ٣ |
| تقديم | بقاء كلاوزوفيتز ـ كامي روجرون | ٣٧ |
| مـدخـل | كلاوزوفيتز ونظرية الحرب ـ بييرنافيل | ٥١ |
| مقـدمـة المـؤلف | | ٧٠ |
| **الجزء الاول** | **طبيعة الحـرب** | ٧٣ |
| الفصـل الاول | ماهي الحرب | ٧٤ |
| الفصـل الثـاني | الغاية والوسائل في الحرب | ٩٣ |
| الفصـل الثالث | العبقرية الحربية | ١٠٦ |
| الفصـل الرابع | الخطر في الحرب | ١٢٦ |
| الفصـل الخامس | الجهد البدني في الحرب | ١٢٨ |
| الفصـل السادس | المعلومات في الحرب | ١٣٠ |
| الفصـل السابع | الاحتكاك في الحرب | ١٣٢ |
| الفصـل الثامن | استنتاجات الجزء الاول | ١٣٥ |
| **الجـزء الثـاني** | **نظرية الحرب** | ١٣٩ |
| الفصـل الاول | تقسيم فن الحرب | ١٤٠ |
| الفصـل الثاني | حول نظرية الحرب | ١٤٨ |
| الفصـل الثالث | فن الحرب .. أو علم الحرب | ١٦٦ |
| **الجزء الثالث** | في الاستراتيجية بصورة عامة | ١٦٩ |
| الفصـل الاول | الاستراتيجية | ١٧٠ |

الفصل الثاني عناصر الاستراتيجية ........ ١٧٦
الفصل الثالث القيم المعنوية ........ ١٧٨
الفصل الرابع القوى لمعنوية الرئيسية ........ ١٨٠
الفصل الخامس فضيلة الجيش الحربية ........ ١٨٢
الفصل السادس الاقدام ........ ١٨٦
الفصل السابع الصمود ........ ١٩١
الفصل الثامن التفوق العددي ........ ١٩٢
الفصل التاسع المفاجأة ........ ١٩٧
الفصل العاشر الخدعة ........ ٢٠٠
الفصل الحادي عشر تجمع القوات في المكان ........ ٢٠٣
الفصل الثاني عشر جمع القوات في الزمان ........ ٢٠٤
الفصل الثالث عشر الاحتياطي الاستراتيجي ........ ٢٠٩
الفصل الرابع عشر اقتصاد القوى ........ ٢١٣
الفصل الخامس عشر العامل الهندسي ........ ٢١٤
الفصل السادس عشر ايقاف عمل الحرب ........ ٢١٦
الفصل السابع عشر في طبيعة .. الحرب الحديثة ........ ٢٢٠
الفصل الثامن عشر التوتر والراحة ــ قانون الحرب الديناميكي ........ ٢٢٢

**الجزء الرابع** **الاشتباك** ........ ٢٢٥

الفصل الاول لمحة عامة ........ ٢٢٦
الفصل الثاني صفات المعركة الحديثة ........ ٢٢٧
الفصل الثالث الاشتباك بصورة عامة ........ ٢٣٠
الفصل الرابع معنى الاشتباك ........ ٢٤٢
الفصل الخامس مدة الاشتباك ........ ٢٤٥
الفصل السادس الحسم في الاشتباك ........ ٢٤٧
الفصل السابع قبول الطرفين بالاشتباك ........ ٢٥٣
الفصل الثامن المعركة الرئيسية ........ ٢٥٦
الفصل التاسع الوسيلة الاستراتيجية لاستخدام النصر ........ ٢٧١
الفصل العاشر الانسحاب .. بعد معركة خاسرة ........ ٢٧٩
الفصل الحادي عشر الاشتباك الليلي ........ ٢٨١

**الجزء الخامس** القوات العسكرية ........ ٢٨٧

الفصل الاول مسرح الحرب والجيش والحملة ........ ٢٨٨
الفصل الثاني توازن القوى ........ ٢٩٠
الفصل الثالث نظام معركة الجيش الترتيب الحربي ........ ٢٩٣
الفصل الرابع تشكيلة الجيش العامة ........ ٢٩٩
الفصل الخامس المقدمة وجهاز المخافر الامامية ........ ٣٠٥
الفصل السادس خطوط المواصلات ........ ٣١١
الفصل السابع البلاد والارض ........ ٣١٦
الفصل الثامن المرتفعات الحاكمة ........ ٣٢١

**الجزء السادس** الدفاع ........ ٣٢٥

الفصل الاول الهجوم والدفاع ........ ٣٢٦
الفصل الثاني علاقات الهجوم والدفاع المتبادلة في التكتيك ٣٢٩
الفصل الثالث علاقات الهجوم والدفاع المتبادلة في الاستراتيجية ٣٣٢
الفصل الرابع يتجه الهجوم نحو المركز ويبتعد الدفاع عن المركز ٣٣٧
الفصل الخامس طابع الدفاع الاستراتيجي ........ ٣٤١
الفصل السادس اتساع وسائل الدفاع ........ ٣٤٣
الفصل السابع العمل المتبادل للهجوم والدفاع ........ ٣٤٨
الفصل الثامن طرق المقاومة ........ ٣٥٠
الفصل التاسع المعركة الدفاعية ........ ٣٦٢
الفصل العاشر مفتاح البلاد ........ ٣٦٧
الفصل الحادي عشر التراجع الى داخل البلاد ........ ٣٦٩
الفصل الثاني عشر تسليح الشعب ........ ٣٨٠
الفصل الثالث عشر الدفاع عن مسرح الحرب ........ ٣٨٩
الفصل الرابع عشر الدفاع عن مسرح الحرب دون البحث عن الحسم ٤٠٦

**الجزء السابع** الهجوم ........ ٤١١

الفصل الاول الهجوم ........ ٤١٣
الفصل الثاني مسرح الحرب عند البحث عن الحسم ........ ٤٢٧

الفصـــل الثالث مهاجمة مسرح حرب بدون حسم ..................... ٤٣٢
الفصل الرابع تحويل انظار العدو ..................................... ٤٣٦
الفصـــل الخامس نقطة ذروة الانتصار ................................ ٤٣٩

**الجزء الثامن** خطة الحرب ................................................ ٤٤٥

الفصـــل الاول الحرب المطلقة والحرب الحقيقية ..................... ٤٤٧
الفصـــل الثاني آ ــ التلاحم الداخلي للحرب ................ ٤٥١
ب ــ هدف الحرب والجهود المبذولة
الفصـــل الثالث تعريف دقيق لهدف الحرب ــ هزيمة العدو ٤٦٤
الفصل الرابع آ ــ تأثير الهدف السياسي في الهدف العسكري ٤٧٣
ب ــ الحرب وسيلة من وسائل السياسة
الفصـــل الخامس الهدف المحدود ........................................ ٤٨١
الفصـــل السادس خطة الحرب .. عندما تستهدف تدمير العدو ٤٨٧
الخطـــأ والصواب ................................................................ ٥٠٣



«كان كتاب الوجيز في الحرب اسهاماً فلسفياً كبيراً لفهم الحرب قدمه كارل فون كلاوزفيتز للأجيال التالية، فأثر في معظم العقائد العسكرية التي ظهرت بعد».

ويعتبر الكتاب تحليلاً عميقاً لمختلف جوانب ظاهرة الحرب، هذه الظاهرة التي عاصرت المجتمعات منذ نشوئها وأثرت في تطورها أو انقراضها وهو كتاب كلاسيكي ثمين حافظت معظم أفكاره على جدتها.

وهكذا نكون قد أعددنا أول ترجمة عربية لهذا المؤلف الرائع الذي قرأه كبار العسكريين في العالم والذي لا يخلو كتاب عسكري رصين من بعض أفكاره. هذا المؤلف الذي قال عنه الجنرال فولر في كتابه الحرب الميكانيكية: «ويعتقد بعض المفكرين اليوم أن تأثير هذا الكتاب على الجنس البشري كبير.. يبلغ مستوى تأثير كتاب داروين «أصل الأنواع» أو كتاب ماركس «رأس المال».

ونحن نأمل أن يكون في عملنا هذا مشاركة مجدية في اثراء مكتبة العسكريين العرب الذين تتعلق أنظار أمتنا بهم وتعتبرهم رأس حربتها الصلب في المعارك المصيرية المقبلة.

المؤسسة العربية
للدراسات والنشر